تاريخ الجزائر المعاصر

دراسات ووثائق

وثائق جديدة وصور نادرة تنشر لأول مرة

تأليف
أ . د. محمد الأمين بلغيث

الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة

البصائر الجديدة
للنشر والتوزيع

https://albordj.blogspot.com

تاريخ الجزائر المعاصر

دراسات ووثائق

وثائق جديدة وصور نادرة تنشر لأول مرة

تأليف

أ . د . محمد الأمين بلغيث

الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة

البصائر الجديدة

للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

الإيداع القانوني: 4354 ـ 2013

الردمك: 2 ـ 9 ـ 9031 ـ 9931 ـ 978

البصائر الجديدة
للنشر والتوزيع

حي اللوزي 3 رقم 411 باب الزوار ـ الجزائر
الهاتف : 20 45 20 21 /34 030 86 0554
البريد الإلكتروني : darelbassair@yahoo.fr

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى . . .

أمِّ أولادي الصابرة .

إلى . . .

بشرى أول العنقود .

إلى . . .

العزيزة مروة .

وإلى . . .

قرة العين أيمن .

أهدي هذا الكتاب ؛ لصبرهم على محنة

(الذين أدْرَكَتْهُمْ حرفةُ الأدب)

المؤلف

مقدمة طبعة دار البصائر وهي الطبعة الرابعة

كان القدماء إذا ألفوا كتابا ، ذكروا في حيثيات أسبابه ودواعي كتابته ، أنه يعود إلى من لا يُرَدّ له طلب . وهذا الذي لا يرد له طلب قد يكون من الأمراء أو السادة الكبراء الذين يغدقون على صاحب الحرفة ـ أي : حرفة الكتابة ـ من المال والجاه والحماية ما يجعله يَغرَق في المديح العالي إلى حد بكاء القارئ على هذا المتزلِّف المسكين .

أما العبد الضعيف صاحب هذه الصحائف ، فدواعي التأليف والكتابة عنده في تاريخ الجزائر المعاصر تعود إلى مجموعة من العوامل ، من بينها ما يلي :

المشاركة في تحرير تاريخنا استجابة لنداء واحد من المنافحين عن تاريخ أمتنا وتحريره من المدرسة الكولونيالية . وهذا الرجل صاحب النداء الحار هو المؤرخ الرصين محمد شريف ساحلي ، ثم رسخت الفكرة لَدَيَّ بعد أن تشرفت بتلقي حلقات التاريخ الحديث ودروسه على يد شيخ المؤرخين الجزائريين الدكتور أبو القاسم سعد الله وهو من أعدَّه ملهمي الأول في هذا البلد من تينهينان[1] إلى كل الزعامات الوطنية التي تركت بصماتها في جيلنا النفسي والاجتماعي والتاريخي .

ذلك هو الأمر الأول ، والأمر الثاني الذي أذكره للتاريخ والذي جعلني أكابد القراءة والكتابة في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر يعود إلى شخصية ملهمة لا

(1) هي الملكة التاريخية لأهلنا التوارق ، فيما يذكرون في المخيال التاريخي .

تقل مكانة وحبا للجزائر من هؤلاء الذين تشرفت بصحبتهم وقراءة أعمالهم ومقالاتهم، ألا وهو **الأستاذ محمد الهادي الحسني**، الذي عهد إليَّ في إنجاز عمل يخص ملف عدد من أعداد مجلة الموافقات الغراء، الصادرة عن المعهد الوطني العالي لأصول الدين الذي خصصناه للعلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس .

وأذكر أيضاً أنَّه هو من نبهني إلى ثغر يجب أن يُسَدَّ حينما وجهني لجمع تراث المجتهد العالم محمد بن علي السنوسي، ومن ورائه الحركة السنوسية التي تعتبر من كبريات الحركات الإصلاحية والإحيائية في العالم الإسلامي . وسوف يجد القارئ بعض أعمال هذه الحركة المباركة في هذا السفر وغيره من كتبي .

إن الكتابة عن ابن باديس والرجال الذين أحاطوا به من أمثال الإبراهيمي والعربي التبسي ومبارك الميلي، يجعلك تعيش مع رجال يذكِّرونك السَّلفَ الصالح الأولي . فقد اكتشفت الربانية والإخلاص والسؤدد والمروءة والإيثار مع الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس . هذا الذي يُقِرّ أن شعبه الجزائري، شعب مِعوان على الخير .

إن الذي قصم ظهر الاستغراب كما يقول الدكتور سعد الله هو الحركة الإصلاحية التي كشفت عن هوية المجتمع الجزائري، ودافعت عنها وصقلتها، وقدمتها في الصحافة والخطب والأناشيد والكتب، فاهتدى من اهتدى، وبقي الضالون قلة متوارية لا تجرؤ على المواجهة إلا في حالة غفلة شعبية كما حدث بعد الاستقلال .

كما يعود الفضل كذلك في إنجاز هذا الكتاب إلى الملتقيات الوطنية، والمداخلات الخاصة التي شاركنا بها لحساب قناتي المستقلة وقناة الجزيرة

الوثائقية ، اللّتين مكّنتانا من فرصة ثمينة للمنافحة عن محطات مهمّة من تاريخ الجزائر المعاصر ، فقد كان يسمعنا المواطن العربي في كل مكان . فكان لا بد من تعريف هذا المستمع بأيّامٍ مضيئة لهذا الشعب المكافح الذي انتزع حريته واسترجع سيادته بعد ما دفع ضريبة غالية ، هي ثمن الحرية . فقد كانت معظم هذه المداخلات موثقة بشكل مقبول وباجتهاد يبعدنا عن الزلل فيما نكتب ونقول أمام قطاع عريض من المستمعين على مختلف درجاتهم العلمية ومراتبهم الثقافية وتوجهاتهم السياسية والإيديولوجية .

هذه هي الطبعة الخامسة التي عرفت تنقيحًا خاصا ، وإضافات مميزة ، فقد طبع هذا الكتاب ببيروت طبعات أنيقة بلغت ثلاث طبعات . كما طبع بالجزائر طبعة رابعة سميناها الطبعة الجزائرية . وهذه الطبعة الخاصة بأعمالي غير الكاملة ، هي الطبعة الخامسة . وقد استدركنا ما فاتنا في الطبعات السابقة بما في ذلك الطبعة الجزائرية التي صدرت بدعم من وزارة الثقافة عام 2008م .

وإن كان لي أن أشكر أحدًا أو مؤسسة ، من أصحاب الفضل والجميل عليّ ، فأنا لا أنسى معروف الأستاذ الفاضل جمال الدين بوشيبة ، الذي صبر عليّ طوال مدة التصحيح والإضافة والحذف . ومن خلاله أشكر مؤسسة دار البصائر الجديدة ، الدار الكبيرة بأعمالها وبأخلاق أصحابها .

والله ولي التوفيق والسداد

الجزائر المحروسة في 09 رجب الخير 1435هـ/ الموافق لـ : 08 مايو 2014م

مقدمة الطبعة الثالثة

تمكّنَّا بإذن الله تعالى من طبع كتاب تاريخ الجزائر المعاصر طبعتين متميزتين، والفضل كل الفضل إلى الناشر الأول ببيروت؛ رغم الخطأ الفني الذي عرفته جداول الطبعة الثانية [2007م].

واليوم يصفف الكتاب من جديد بالجزائر في طبعة أنيقة لعله يصل إلى أكبر عدد ممكن من القراء؛ لأن سعادة مؤلف الكتاب أولا تكمن في أن يجد كتابه بين أيدي قراء على مختلف مستوياتهم الثقافية ومشاربهم الإيديولوجية، ولا زلت أحسُّ بعدم الرِّضَا من القسم المتعلق بترجمة الوثيقة الخاصة بالحركة السنوسية رغم ما بذلته مع الناشر الأول من أجل تقديم عمل متقن، وسيظهر العمل كاملاً في كتابي: [فصول في تاريخ الجزائر المعاصر] عند ناشر هذا الكتاب في طبعته الجزائرية.

"ما أسعد أن تكون مؤرخًا فاعلاً صاحب رسالة حضارية ورسالة هامة في الحياة".

هذه مقولة قدمت بها لكتابي "قضايا ومواقف في الأدب والتاريخ"، أو كشكول أعمالي الذي جاء في أكثر من 800 صفحة الذي سيظهر تباعًا في قسمين بإذن الله تعالى، لهذا أعبر عن سعادتي وأنا أساهم في إضافة لبنة إلى مكتبة الدراسات التاريخية، لعلنا نتمكن من سد ثغرة في الفراغ المهول الذي تعرفه الأدبيات التاريخية، وغياب المعرفة التاريخية في مجتمع من المجتمعات يؤدي إلى فقدانه مبرر وجوده ومساهمته الإنسانية والحضارية؛ خاصة أننا نُسأل

في كل مرة ومن شرائح اجتماعية عديدة ، وفي محافل وطنية ودولية هل تاريخنا مزور ؟ . لأن التاريخ مستويات ومراتب ، تاريخ وطني تكتبه الدولة ، وتاريخ خاص بكل شرائح المجتمع ، والمرحلة الأخيرة هي الأعمال الجامعية الجادة التي يكتبها المؤرخ النزيه المسلح بالمعرفة العلمية والأبعاد الفكرية والحضارية والمستند إلى الوثائق والشهادات ، وكل ما يسند عمله الهادئ بعيداً عن المزايدات والمكاسب الآنية ، وإلا أصبح من كتبة السلاطين ، ولا فرق بينه بين المؤرخ الرسمي أو فقيه السلاطين .

كثير من الشعوب والدول تؤجل الخوض في قضايا حسَّاسة في مسار تاريخها الوطني والحضاري ، لضرورات تمليها اعتبارات كثيرة ، فهل تخوض المدرسة التاريخية الفرنسية اليوم في ملفات الفرنسيين المتعاونين مع النازيين كجواسيس وخونة ؟ أم أن الدولة تتدخل فيما يعرف بتعسف الدولة في استخدام الحق ، فتؤجل ما يمكن أن يتسبب في خلخلة أمن المجتمع وإثارة الفتنة [فليس كل ما يعرف يقال] .

لهذا تثير محطات عديدة في تاريخنا المعاصر حساسية مفرطة لدى الجزائريين ، خاصة المرحلة التي تبدأ منذ مأساة شهر ماي الأسود عام 1945م إلى غاية عصر الدولة الوطنية ؟ .

لهذا يختلط العمل العلمي بالشأن السياسي والإيديولوجي ، وقد يعرض الخوض في مسار الأحياء الفاعلين حساسية مفرطة ، وتسليط جميع أشكال الضغط على المؤرخ النبيه الذي قد يقع فيما لا يحمد عقباه على مسار الحقيقة التاريخية .

الجزائر المحروسة

04 رجب الخير 1430هـ/ الموافق لـ : 27 جوان 2009م

أ . د . محمد الأمين بلغيث

مقدمة الطبعة الثانية

لم يكن إنجاز كتاب تاريخ الجزائر المعاصر قد تم في مصيف كاتب او مؤرخ محترف في شاطئ من شواطئ البحر الأبيض المتوسط ، أو منتجع من المنتجعات الشهيرة التي يتمتع بها المحظوظون من سادة البلاد ، بل هو كتاب أنجز في فترة طويلة من المعاناة التي لا يعرفها إلا من ذاق مرارة أن تكتب في الجزائر ، والأمرّ أن تنشر ويقرأ لك الناس ، فمن هذا الجريء الدخيل فلأمك الخبل كما قال ذات يوم ابن حزم الأندلسي رحمة الله عليه .

إن تاريخ الجزائر المعاصر بمختلف مراحله عبارة عن مأساة شعب ذاق مرارة القهر الاستعماري ، تعرض للإبادة الجماعية على طريقة قتل الهنود الحمر في العالم الجديد ، ولهذا فأنا أكتب وكلي إحساس بالمسؤولية الخطيرة الملقاة على عاتق المؤرخ ، وهو يسجل يوميات الشعب الجزائري ، لأن أخطاء الماضي نشاهدها تتكرر بغباء .

لقد جمعت فصول وأقسام هذا الكتاب بعد تنظيم وقراءة متأنية ، وكم كنت أعررف وأدرك صعوبة أن يخرج هذا الكتاب بهذه الطباعة الراقية ، وكم كنت سعيداً أن القارئ العادي قد تفهم أهمية الكتاب رغم أنه تعود على قراءة الكتب التاريخية التي لا يجد صعوبة في تتبع فصولها ، أما تاريخ الجزائر المعاصر بفصوله وطريقة عرضه للوثائق بلغتين هي من الصعوبة بمكان ، وهو أسلوب لم يتعود عليه القارئ .

لقد وردت في الكتاب في طبعته الأولى أخطاء لا يخلو منها أي كتاب في كبريات دور النشر العالمية ، ومع ذلك فقد استدركنا معظم الأخطاء ، ونقحنا الكتاب لعل طبعته الثانية تلقى نفس القبول الحسن من طرف الباحثين والمؤرخين ، ليسد الكتاب ثغرة كبيرة في أدبيات ووثائق تاريخ الجزائر المعاصر . وشكر الناس من شكر الله سبحانه وتعالى ، فإذا كان لي فضل الكتابة وبجرأة لم يتعود عليها كثير من مؤرخي السلاطين والحكام اليوم ، فإن الفضل كل الفضل في إخراج هذا الكتاب إلى النور بعد الله سبحانه وتعالى يعود للفاضلين الكريمين محمد علي مستو (أبو مالك) صاحب دار ابن كثير حفظه الله ورعاه ، والفاضل المكرم الأستاذ عبد الحليم قابة حمامة السلام بين الجزائر المحروسة ودمشق الفيحاء .

الدكتور محمد الأمين بلغيث

الجزائر المحروسة

16 جمادي الأولى 1424هـ/ 16 جويلية 2003م

مقدمة الطبعة الأولى

لقد أحدث الاحتلال العسكري الفرنسي للجزائر شروخا عميقة الأثر في جميع النواحي من الناحية السياسية إلى العمق الروحي والثقافي وتهميش السكان وقضى على مصالح أكثر من 224 قبيلة مشكلة للبنية الاجتماعية لجزء كبير من المجتمع الجزائري الذي يقدر عددهم حسب إحصائيات الفرنسيين لعام 1869م بأزيد من 659 قبيلة أو بقايا قبيلة[1] . كما لا يمكن ونحن نستعرض هذه الحقائق المنهلة أن لا ينسى المؤرخ وهو يستعرض هذه الحقائق أن يعرف أن الديون التي هي للخزينة الجزائرية على فرنسا قد بلغت رقما قياسيا خياليا إذا ما نحن نظرنا إليها بعين ذلك العصر ؛ إذ بلغت ذلك الرقم المدهش أربعة وعشرين مليونا من الفرنكات الذهبية (24. 000. 000) استدانتها فرنسا من الدولة الجزائرية عَيْنًا ومواد أولية ، وبضائع في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر .

لقد اتبعت فرنسا في الجزائر منذ الأيام الأولى للاحتلال سياسة واضحة ؛ منطلقها السلب والنهب ؛ حيث قدرت الوثائق المعاصرة أن ما نهبته القوات العسكرية الفرنسية من قصر الداي ومن الخزينة العامة ما حملته أكثر من

(1) Habart Michel,Histoire d'un parjure- documents- Paris, les éditions de minuit . 1960. P: 74

انظر : تفكك العائلة وانتهاك الحرمات في بداية الاحتلال : مسعود كواتي ، المرأة الجزائرية والاستعمار الفرنسي خلال القرن التاسع عشر (كفاح المرأة الجزائرية) ، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة (كتاب سلسلة الملتقيات) الجزائر 1998م ص : 50 وما بعدها .

خمس سفن من النفائس والأموال هي حق الشعب والدولة الجزائرية ، فقد استولت فرنسا الاستعمارية بمساعدة اليهود الخونة والجواسيس[1] الذين دلوا قادة الحملة على أموال الداي وكنوز القصبة ، ويرجح المؤرخون حسب وثائق العصر أن جراد البحر وقادة الحملة استولوا على :

7 أطنان و312 كلغ من الذهب من قصر القصبة (مقر الداي) .

108 طن و704 كلغ من الفضة من قصر الداي .

---

(1) لا يمكن أن ينسى الجزائريون شماتة وخيانة اليهود الذين وصفهم سيمون بفايفر الألماني في مذكراته بأبشع الصور ، كما يجمع كل القناصل الأجانب على المؤامرة اليهودية الفرنسية لإذلال الجزائر في شخص الداي حسين وكيف كانت أعمالهم أيام احتلال مدينة الجزائر انظر : سيمون بفايفر ، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال ، ترجمة وتقديم وتعليق : أبو العيد دودو ، الجزائر ، دار هومة للنشر ، 1998م ص : 102- 103- 104- 105- 106 . انظر أيضا : فوزي سعد الله ، يهود الجزائر ، هؤلاء المجهولون ، الجزائر ، دار الأمة 1996م ص : 226 وما بعدها . انظر أيضًا : الأستاذ إبراهيم لونيسي ، "يهود الجزائر" هل من حقهم الرجوع إلى الوطن ؟ (جريدة اليوم) ، الجزائر ، الخميس09 ديسمبر 1999م ص : 21 . ويقول أحمد باي في مذكراته : "وعندما كنت في ناحية مجاز عمار(قالمة) وُجِّه إلي المدعو بوجناح ، وهو يهودي جزائري يرتدي لباسًا فرنسيا . فلم أتفاءل خيراً بمجيء رجل من هذه الملة ، لأن اليهود ؛ في هذه البلدان ؛ كانوا دائمًا قد عكروا صفو الشؤون السياسية التي تدخلوا فيها . إنهم لا يحاربون ومن فائدتهم أن يروا غيرهم يتناحرون أنهم كالضِّباع التي تأتي بعد معركة الأسود تلتقط البقايا . وإذا قيل لي : لماذا استعملت اليهودي ابن بعجو ؟ أجبت بأنني لم أكن صاحب الاختيار ، وإنما النقيب الفرنسي هو الذي التقى لأول شخص به ـ وربما كانت له تعليمات في هذا الشأن ـ وصادف أن كان ذلك الشخص يهوديًا وفي موضع آخر يقول عن اليهود بعد احتلال مدينة قسنطينة : ولقد علمت أن اليهود على سبيل المثال قد اغتنموا أوقات الإضطراب والفوضى التي لابد منها أثناء جميع الهجومات ، ليستولوا على الأشياء الثمينة التي كانوا يعرفون أمكنتها الخفية ، ومن جملة من نهبوا ابن عيسى فإنه قد فقد كل ما يملك تقريبًا " . انظرمحمد العربي الزبيري ، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط . 2 . 1981م ص : 64 . و76 . عبد النور خيثر ، يهود الجزائر(1870- 1962) ، رسالة ماجستير في التاريخ إشراف ، جمال قنان ، قسم التاريخ جامعة الجزائر 1998- 1999م . ص : 19 وما بعدها .

24. 700. 000– فرنك وهي قيمة الذهب الموجود بالخزينة الجزائرية كما شهد بذلك الجنرال بيرتوزان والدكتور بونافون والقبطان بيليسيسي دورينو والرسام المصور فودان . أما قيمة النقود والفضة الموجودة بالخزينة الجزائرية فهي :

11.000.000 ثمن السلع المتنوعة الموجودة بالمخازن الحكومية والخاصة

50.000.000 مبلغ ما وجد من عتاد حربي وسلاح ملك الدولة الجزائرية .

80. 000. 000 من العملات الأجنبية الموجودة بالخزينة الجزائرية (حسب تقديرات دوبوبرمون) و180. 000. 000 حسب وزير الحربية كليرمون دي تونيرو 150. 000. 000 حسب السفير الفرنسي دوفال سيئ الذكر[1] .

استولت القوات العسكرية على 30 ألف بندقية يوم تمكنت من الاستيلاء على القلعة الأمامية التي كانت تحمي العاصمة كما شهد بذلك صاحب كشف البضائع في ذكر الوقائع **محمد العنابي**[2] .

ويكفي لبيان مبلغ ضخامة مال الخزينة الجزائرية ما حكاه المؤرخ الجزائري محمد العنابي من أن كنوز الدولة الجزائرية يوم نقلت من قصر الجنينة إلى قصر القصبة فقالوا بأنها حملت على ظهر مائة من البغال في ظرف ثلاث ليال متناسقة"[3] .

وفي غياب الرقابة أثناء النهب والسلب تمكن الجنود" مغول القرن التاسع عشر" من تحويل ونهب وسرقة أزيد من خمسين مليون فرنك وهو نصف مبلغ

---

(1) الجيلالي عبد الرحمن بن محمد ، نهب خزينة الدولة الجزائرية واختلاس ثروة الشعب (تاريخ الجزائر العام ، ج4 ، بيروت دار الثقافة ، ط2 . 1980م ص : 418 وما بعدها .

(2) محمد العنابي ، كشف البضائع في ذكر الوقائع ، مخطوط . نقلا عن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج4 ص : 390 .

(3) محمد العنابي ، كشف البضائع في ذكر الوقائع ، نقلا عن عبد الرحمن الجيلالي ج4 . ص : 419 .

تكاليف الحملة الصليبية المقدسة الفرنسية على الجزائر المحروسة .

لقد تعرض المجتمع الجزائري أكثر من غيره إلى عملية تفكيك شاملة جراء الحركة الاستيطانية الأوروبية ؛ والسياسة القمعية التي مارستها السلطات الاستعمارية إزاء النخب الاجتماعية العليا ومصادرة الأملاك العقارية الخاصة بأوقاف المساجد والزوايا وأبناء السبيل فأدت هذه الحملة الصليبية "المقدسة" إلى تفقير وانهيار النخبة العالمة والمسيرة العسكرية والمخزنية التقليدية وإلى ذوبانها بصفة نهائية حوالي 1900م .

وقد شملت عملية الانتزاع العقاري إلى حد سنة 1899م ، حوالي 224 قبيلة وما ينيف عن مليون ساكن ، ويفيد تحقيق أُجْرِيَ سنة 1895م أن الأهالي فقدوا من جراء عمليات المصادرة والبيع القسري أكثر من 5. 056. 000 هكتارا ، كما تخلوا عن ملكية 2. 5 مليون من الهكتارات إلى سنة 1920م .

والأمر يدل على مؤامرة فرنسية ؛ لأن الحملة الصليبية المقدسة لعام 1830م كما دعا إليها شارل العاشر ووزيره تاليران هي من النوايا التوسعية لنهب كنوز "القراصنة" المخبأة في القصبة كما ذهب إلى ذلك جل من درس التاريخ الجزائري المعاصر[1] .

إن عملية احتلال الجزائر بالنسبة للفكر الكولونيالي تعد فاتحة جديدة للهيمنة الغربية على شعب مسالم كانت له علاقات سلمية قوية مع فرنسا ؛ إذ

---

(1) لقد تعرض المؤرخون لعمليات إحصاء سكان الجزائر عند بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر ، واستنتج المؤرخون النزهاء أن عدد سكان الجزائر يزيد عن 10 ملايين نفس حسب الرقم الذي افترضه السيد : حمدان خوجة في المرآة انظر : HABART; histoire d'un parjure, op- cit. p: 74 et suivante .

إن العلاقات ـ الجزائرية الفرنسية ـ كانت قديمة إلى حد كبير تسمح بإقامة صداقة قوية وتعاون دائم .

وقد ظهر التعاون والصداقة في شكل امتيازات وقروض ومعاهدات سلام بين البلدين[1] .

ومع هذا فاحتلال الجزائر كما تناقلته وسائل إعلام العصر يدل على وحدة الصورة الغربية للعملية الاستعمارية التي باركتها معظم الدول المسيحية[2] .

ويمكن أن نقول : إن هناك شبه إجماع غربي لمباركة الاحتلال الفرنسي لـ"جادة الجهاد" كما كانت تُسَمَّى الجزائر المحروسة قديمًا .

لم ينشأ الاستعمار الفرنسي في مجتمع انقسامي تسوده الفوضى القبلية كما تروج الأدبيات الاستعمارية ؛ بل هو قطر له مؤسسات اجتماعية وسياسية وهَوِيَّة ثقافية ثابتة على امتداد قرون عديدة .

ومع ذلك لم تتعامل السلطات الفرنسية مع الشعب الجزائري ككيان اجتماعي متماسك بل كشتات من الأشخاص والمجموعات المشاغبة ، ولعل

---

(1) أبو القاسم سعد الله ، الجزائر والحملة الفرنسية سنة 1830 (أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، القسم الأول) الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط : 2/ 1981م ص : 254 . ويمكن مراجعة هذه الشهادات المعاصرة أيضا مثل ما فعل محمد العنابي انظر : أحمد الجزائري ، كيف دخل الفرنسيون الجزائر ، بيروت ، ط : 2/ 1962م ص : 32 ـ 33 . جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1981م .

(2) عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج : 4 ، ص : 411 وما بعدها . حميدة عميراوي ، الحملة الفرنسية وردود الفعل الدولية (دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية) ؛ رسالة ماجستير ، جامعة قسنطينة ، معهد العلوم الاجتماعية ، دائرة التاريخ السنة الجامعية 1982– 1983م ص : 1 وما بعدها . إسماعيل العربي ، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر ، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط : 2/ 1982م ص : 17 .

هذا ما يفسر اعتماد الاستعمار الفرنسي في الجزائر على القوة العسكرية في السيطرة على المجتمع وفرض "الأمن الاستعماري"[1] .

وتبعًا لذلك أصبح القتل الجماعي للسكان والتهجير القسري واتباع سياسة الأرض المحروقة سياسة ثابتة من ثوابت العملية الاستعمارية في حد ذاتها ، وهو ما تفسره كتابات ومذكرات الجنرالات كسانت أرنو وبيجو ولاموريسيير وغيرهم من غلاة وأدوات الاستعمار وسياسة التهدئة[2] .

لذلك فإننا اليوم نسعى لافتكاك وتحرير تاريخنا من هيمنة المدرسة الاستعمارية . ولهذا عزمت على تقديم هذا الكتاب إلى القارئ وهو سنوات من البحث والتركيب من خلال وثائق ودراسات وأعمال في التاريخ الجزائري المعاصر ، حيث تتفاوت المداخلات والأبحاث من حيث الاهتمام والتركيز ، وشيء طبيعي أن يكون التفاوت واضحًا بين الدراسة العلمية والمحاضرة الموجهة لجمهور على مختلف مستويات الحضور ؛ وعذري أن هذا الكتاب يشكل وحدة موضوعية يعالج موضوعات متنوعة من المقاومة الشعبية إلى الحركة الوطنية وثورة التحرير ؛ والغالب على الكتاب الدراسات الموثقة بنصوص أرشيفية باللغتين العربية والفرنسية ؛ فيها المترجم وفيها الوثيقة الخام

---

(1) الدقي (نور الدين) ، المغرب العربي والاستعمار الفرنسي ، تونس ، سراس للنشر 1997م ص : 12 وما بعدها . انظر أيضًا" Francis et Colette jeanson, L'Algerie hors la loi, . Collection sad, ENAG, éditions Alger 1993 P: 39 et suivantes

(2) انظر بشيء من التفصيل سياسة الإبادة من خلال الدراسة الموثقة من مذكرات جنرالات الحرب الفرنسيين ، انظر : Habart,Histoire d'un parjure- . P112 et suivantes. 69 et suivantes .

وعن مذبحة العوفية ، انظر : محمد بن عبد الكريم ، حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومُذكراته ، بيروت ، دار الثقافة 1972م . ص : 236 .

التي تساعد الباحث والقارئ على حد سواء ؛ إضافة إلى نصوص أراها جديرة بالنشر والتعميم ؛ وهي تقدم صورة عن خطاب الحركة الوطنية الجزائرية الاستقلالية ، وهو من ألوان الخطاب السياسي الثوري الوطني .

كما زودت الكتاب بمجموعة من الصور النادرة ، وهي على اختلاف مراحل أصحابها والتعليق على كل صورة يغني عن إعادة الحديث عنها في هذا المدخل العام . وقد زودت ملاحق الكتاب بتعريف بسيط لكل وثيقة ؛ وهي كلها من الوثائق التي استعنت بها في إنجاز هذا الكتاب ؛ إذ لا يخلو الكتاب من جديد حاولت أن أقدمه بين أيدي الباحثين إما على شكل وثيقة مترجمة أو وثيقة أصلية مصورة بملاحق الكتاب حتى يشاركني القارئ قراءة هذه الوثائق الأصلية التي أعتقد أنها تضيف الكثير لأدبيات التاريخ الجزائري المعاصر لما نحن في أمس الحاجة إليه لإعادة قراءة المرحلة الاستعمارية التي عطلت التقدم وفككت المجتمع وشوهت المسار الحضاري لشعب مسالم .

لم أكن لأنجز هذا الكتاب إلا بفضل تشجيعات لا أنسى من كان وراءها .

أولا : لقد كانت مجلة الموافقات الغراء ؛ مجلة محكمة تصدر عن المعهد الوطني العالي لأصول الدين (كلية أصول الدين حاليا) منبرا حرا لأقلام الباحثين وكنت من بين هؤلاء الباحثين الذين فتحت لهم مجلة الموافقات صفحاتها فنشرت فيها أغلب أبحاثي التاريخية الموثقة .

ثانيا : كان لمجموعة من الباحثين الذين يشكلون المجموعة النشطة من جيل جديد يمثل بحق رواد المدرسة التاريخية الجزائرية ، وهم من جيل شاب طموح بين جيل الرواد ؛ أو الجيل المؤسس والمجموعة التي وجدت بينهم

الرعاية والتشجيع لمواصلة العمل ونشر أعمالي، أذكر من بينهم الأساتذة: يوسف مناصرية، إبراهيم مياسي، الغالي الغربي، بشير مديني، إبراهيم لونيسي، محمد الشريف سيدي موسى، وعلى رأس هؤلاء جميعًا الأستاذ: مسعود كواتي. دون أن أنسى مساعدة "الدكتور أحمد حمدي"، وكذلك الصديق المثقف العصامي "محمد شودار" الذي قرأ معي أبحاث هذا الكتاب كلمة كلمة فله كل الشكر والامتنان.

ثالثا: لقد وجدت الرعاية والتشجيع والصبر من طرف أسرتي الصغيرة التي لَوْلاَ صبرها على البحث والسفر إلى الملتقيات الوطنية ـ التي درج على تنظيمها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م ـ لما تمكنت من إنهاء هذه الأعمال.

لقد كان الكتاب مجرد مساهمة من المؤلف لمعالجة جهاد الشعب الجزائري خلال القرن التاسع عشر وإعادة قراءة أدبيات الحركة الوطنية أو النضال السياسي والوطني ومساهمة في فهم ثورة التحرير الكبرى، ولم يكن لأجد الفرصة لإخراجه إلا بتشجيع من زملاء أَكْفَاء ومساهمة الناشر، الذي أبى إلا أن يبدأ رحلته مع الدراسات العلمية والتاريخية المؤسسة للكتاب الجامعي الجاد فله جزيل الشكر والعرفان.

محمد الأمين بلغيث

الجزائر المحروسة (ضاحية المحمدية)

الجمعة 17 رمضان 1421هـ/ 13 ديسمبر 2000م

القسم الأول: الاحتلال الفرنسي
وجهاد الشعب الجزائري خلال القرن
التاسع عشر

أولا: علاقة الأمير عبد القادر بخلفائه[1]

الأمير عبد القادر شخصية كبيرة في تاريخ الدولة الجزائرية الحديثة ، فقد أحياها بعد سقوط الجزائر ، حامية الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط .

وجهاز الأمير الإداري الذي واجه به الاحتلال الفرنسي لبلادنا كان بمقاييس العصر ، بداية تأسيس لدولة عصرية ، وتنظيم مؤسساتي ، بلغ درجة كبيرة من الإحكام ما لم تبلغه أيُّ دولة في عصره في المحيط الإقليمي للجزائر .

ولم يتمكن الفرنسيون من اختراع ما هو أفضل وأضبط منها عندما آل إليهم حكم البلاد فيما بعد ، فاكتفوا باعتماده كما هو ، دون أن يدخلوا عليه تعديلا يذكر[2] . لهذا أطرح في مطلع هذه الدراسة إشكالية حاول الاقتراب منها الأدباء والمؤرخون سواء في دراسات ومؤلفات وسِيَرِ ذاتية وهي كيف كان جهاز دولة الأمير الإداري ؟

وبتعبير آخر : من هم هؤلاء الرجال الذين أحاطوا بالأمير عبد القادر الجزائري في أشدِّ الظروف العصيبة التي عرفتها المقاومة المسلحة ؟ وكيف تم اختيارهم ، وبمَ تميز به هؤلاء الرجال ، ثم لماذا لم يتمكنوا وبحضور قيادة

---

(1) مداخلة قدمتها في الملتقى الوطني الثاني حول خلفاء الأمير المنعقد ببسكرة يومي 18 - 19 نوفمبر 1999م .

(2) إسماعيل العربي ، الأمير عبد القادر الجزائري (مؤسس دولة وقائد جيش) الموسوعة التاريخية للشباب (أعلام السياسة والحرب) ، الجزائر ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث ، 1984م ص : 22 .

الأمير الإدارية والعسكرية من رفع التحدي في وجه الاحتلال الفرنسي لبلادنا ؟ .

رجال من حول الأمير:

لقد تمكن الأمير من تنظيم جهازه الإداري تنظيمًا محكمًا ، وكان خلفاؤه حينما بلغ أوج قوته في ظل معاهدة التافنة ، حيث عين على معسكر الخليفة **محمد بن فريحة المهاجي** وبعد وفاته خلفه الحاج **مصطفى بن أحمد التهامي** ، وجعل على مقاطعة تلمسان **أبو عبد الله محمد البوحميدي** الشخصية المخلصة والعقل المدبر الذي كان بإمكانه القيام بدور فعال رغم الظروف التي عرفتها دولة الأمير في آخر مراحل المقاومة من خلال تحالف المغرب الأقصى بالدولة الفرنسية الاستعمارية ، وعلى مليانة عين **محي الدين بن علال** ، وبعد وفاته خلفه **محمد بن علال** ، وجعل على المدية شقيقه **مصطفى بن محي الدين** الذي رآه عابدا زاهدا لا يصلح لإدارة الدولة وشؤون الحرب ، ثم خلفه **محمد بن عيسى البركاني** .

وجعل على إقليم الشرق في برج حمزة (البويرة) أحمد بن سالم الخليفة المخلص الوفي والإداري المحنك ، وعلى مجانة وعاصمتها سطيف محمد بن عبد السلام المقراني ، ثم محمد بن الخروبي القاضي ، ثم محمد بن عمر العيسوي ، وعلى الزيبان والصحراء الشرقية وعاصمتها بسكرة عروس الزيبان فرحات بن سعيد ، ثم الحسن بن عزوز البرجي فمحمد الصغير بن أحمد بلحاج خال بن قانة الموالي للفرنسيين ، ثم توالى عليها عدد من الخلفاء .

وأما الأغواط والصحراء الغربية فقد عين عليها الخليفة قدور بن عبد الباقي ، أما الحضنة فعين عليها أحمد بن عمر الذي كثيرا ما كان يساعد منطقة

الزيبان كما حدث في معارك الحسن بن عزوز البرجي مع قبيلة الغرابة الموالية لبن قانة ، وعلى الجلفة كان الشريف بن الأحرش الخليفة الذي كان ينوب عن الأمير في المبارزة[1] ، ويمكن أن يضاف إلى هؤلاء الخلفاء شخصية محورية في الشرق الجزائري نالت إعجاب الأمير عبد القادر وتمنى زيارتها ومساعدتها في جهادها ضد الوجود الفرنسي هو الحاج محمد الحسناوي زعيم الحنانشة .

والجدول يبين الجهاز الإداري لدولة الأمير عبد القادر الجزائري :

لقد قيَّم الأمير عبد القادر بنفسه متانة جهازه الإداري ، كما حدد

---

(1) ولد الشريف بن الأحرش في شهر جوان سنة 1803م في أرجح الروايات ، تعلم مبادئ العلوم في أحضان أسرته ، ثم انتقل إلى الزاوية المختارية بأولاد جلال طلبًا للعلم الشرعي حيث تتلمذ على يد شيخ الزاوية الشيخ المختار بن عبد الرحمن وأضرابه من أهل العلم كمحمد بن السعيد بن بركات ، والشيخ محمد الشيخ الزين بن بركات ، وأظهر ابن الأحرش تفوقا في تحصيل العلوم الشرعية ، وبعد عودته إلى قومه أولاد نايل الذين تمتعوا بالثروة والقوة والفروسية التي نوه بها الأمير عبد القادر نفسه من خلال خيولهم العربية التي خصصوها للحرب والتي ميزتهم عن بقية القبائل العربية الجزائرية الأخرى ، وقد كان الشريف بن الأحرش الخليفة العالم واسطة بين الأمير وبين انضمام قومه أولاد نايل إلى دولته وقواته العسكرية حيث أصبح الشريف بن الأحرش الخليفة الحقيقي للجلفة وأولاد نايل منذ 1843م بعد أن كان الأمير قد وضع أولاد نايل تحت سلطة خليفته الحاج سي العربي قتل الباشاغا الشريف بن الأحرش خطأ كما تذهب إلى ذلك تحقيقات الباحثين من أهل المنطقة ؛ وحسب أخبار المجلة الإفريقية فإنه قد قتل يوم 13 أكتوبر 1864م في عملية استعراضية أمام البرج العسكري بالجلفة من طرف أحد الثوار المتمردين ، وقصة هذا الخليفة العالم قصة كل مخلص لهذا الوطن في مواجهة الهجمة الصليبية الفرنسية على الجزائر . وللتفاصيل راجع : حميدة عبد القادر ، زاوية الخليفة الشريف بن الأحرش ذاكرة المكان ، (أسبوعية بلادي) الجلفة ، الجزائر العدد 01 ، من 06- إلى 21 فبراير 2000م ص : 12- 13 .

اسم المقاطعة	مركزها الإداري	اسم الخليفة
معسكر	معسكر	محمد بن فريحة المهاجي وبعد وفاته خلفه الحاج مصطفى بن أحمد التهامي (ابن الشيخ أحمد التهامي)
تلمسان	تلمسان	أبو عبد الله محمد البوحميدي الولهاصي
مليانة	مليانة	محي الدين بن علال ثم محمد بن علال .
المدية	المدية	مصطفى بن محي الدين شقيق الأمير عبد القادر . ثم خلفه محمد بن عيسى البركاني .
الشرق (سباو)	برج حمزة (البويرة)	أحمد الطيب بن سالم الدبيسي .
مجانة	مجانة سطيف	طبال بن سالم ، محمد بن عبد السلام المقراني محمد الخروبي القلعي . محمد بن عمر العيساوي
منطقة الحضنة	بوسعادة	أحمد بن عمر
الزيبان والصحراء الشرقية	بسكرة	فرحات بن سعيد ، الحسن بن عزوز البرجي . محمد الصغير بن عبد الرحمن بن أحمد بلحاج العقبي
الأغواط والصحراء الغربية	الأغواط	الحاج العربي ، ثم قدور بن عبد الباقي من تاقدامت .
الجلفة	الجلفة	الشريف بن الأحرش

شخصيتهم ومكانتهم العلمية والاجتماعية من خلال هذه الحكومة (**حكومة إدارة الحرب**)[1] . فقال : "كانت أوامري تصل إلى الخلفاء ، ومنهم تنزل في تسلسل مضبوط إلى المشايخ ثم ترفع تقارير المشايخ بنفس التسلسل ، إلى أن تصل إليَّ . لقد كان هدفي هو طرد المسيحيين من أرض آبائنا . وكنت دائمًا أتحاشى استعمال (الجوادة) (الأجـواد) وأستعين بالعلماء وأهل الدين في تسيير الحكم . وقد أثبت طول المعركة بأنني كنت على صواب . . . كما أنني أبعدت بطريقة مطلقة ودون استثناء الممثلين السابقين للحكومة التركية ؛ لأنهم كانوا دنيئين ، وكان بودي أن يقارن الناس بسرعة بين الذين يمتلكهم العجب وتغريهم زينة الحياة الدنيا ، وبيني أنا الذي لم يكن لي إلا هدف واحد وهو انتصار المسلمين . وأدركت بأنني لن أوفق إلى منع القادة الذين عينتهم من أن يقترفوا اختلاسا أو أستطيع معاقبتهم ـ في ما إذا اقترفوا شيئا من ذلك ـ إلا إذا وفرت لهم مرتبا يكفيهم مؤونة الغش ؛ ولذا خصصت للخليفة (110 دورو) أي : (550 فرنك) شهريا وصاعا من القمح يوميا حتى يتمكنوا من النفقة على ضيوفهم الكثيرين والذين يستقبلونهم بحكم مركزهم

---

(1) تتكون حكومة الأمير عبد القادر من : السيد محمد بن العربي وزيرا السيد أحمد بن علي ابن أبي طالب كاتبا ، والحاج مصطفى بن التهامي رئيسا للديوان ، والسيد محمد ابن علي الرحاوي حاجبا (وهو منصب يساوي في تقاليد الحكومة الإسلامية منصب رئيس الحكومة ، وولى الحاج الجيلالي ناظرا على الخزينة الحكومية والسيد محمد بن فاخة ناظرا للخزينة الملكية ، والحاج الطاهر أبا زيد ناظرا على الأوقاف ، والسيد الجيلالي العلوي ناظرا على جباية العشور والزكاة والضرائب (وهو منصب يمكن مقارنته بمنصب وزير المالية) وعين علي الحاج أحمد بن الهاشمي المراحي قاضي القضاة (أي : وزير العدل) وولى الحاج ميلود بن عراش وزيرا للشؤون الخارجية ، ثم رتب مجلسا للشورى يتكون من 11 عضوا ويضم كبار علماء المملكة ، ونظم الحاشية ، وعين الخلفاء ، وأنشأ الدواوين والإدارات المركزية . انظر : إسماعيل العربي ، الأمير عبد القادر الجزائري ، ص : 18 ـ 19 .

ومسؤوليتهم ، وخصصت للآغا (عشر) جميع ما يتقاضاه من ضرائب وذلك نقدا أو عينا .

وكان القائد يعامل أقل من الآغا بحكم مستوى دائرته ومسؤوليته بالنسبة للآغا . وهكذا فإن كل واحد كان يتقاضى ما يناسب مهمته . ولحماية الرعية مما قد يلحقهم من مظالم من طرف رؤسائهم . فقد أقسم (حلف) الخلفاء والآغوات على صحيح البخاري بأن لا يعدلوا عن الحق ، وأن يكونوا صادقين في خدمة مواطنيهم . وكنت أسهر بنفسي على جميع أعمالهم"[1] .

وقد كان الأمير عبد القادر شديد التدقيق في اختيار أعوانه الإداريين وولاته بحيث لا يكلف بمسؤولية في حكومته إلا من تأكد لديه مقدرته وتقواه ووطنيته ، وقد أبعد عن إدارته كل من له مركز ونفوذ في الإدارة القديمة أو تورط بشكل ما في التعاون مع الغزاة الفرنسيين كما سلف أن ذكرنا[2] .

وبحكم الحرب المفروضة على حكومة الأمير عبد القادر فقد كانت المقاطعات الثمانية التي تشكل دولة فدرالية ، قد أسست لنفسها جيشا نظاميا يقدر بـ6 آلاف ويصل جيش دولة الأمير عبد القادر عند النفير العام إلى أكثر من 59 ألف مقاتل ، وكان التنظيم الإداري في عهد الأمير عبد القادر يقوم على الشدة والصرامة التي تدعو إليهما الشريعة الإسلامية في دولة تسعى إلى نشر الأمن وطاعة المؤمنين وتحقيق العدل بين الرعية ، فقد كان يصف حكومة الحرب التي عملت إلى جانبه طوال السنوات العجاف التي مرت بها الدولة

---

(1) بسام العسلي ، الأمير عبد القادر الجزائري ، سلسلة جهاد الشعب الجزائري ، العدد الرابع ، بيروت ، دار النفائس ط . 3 1986م ، ص : 39- 40 .

(2) إسماعيل العربي ، الأمير عبد القادر الجزائري ، ص : 23 .

الجزائرية الحديثة ، فقد كان عليه كما قال هو ذاته : "توفير المصاريف لإدارتي ، فقد كان علي أن أصنع كل شيئ من العدم رغم أنني قيدت نفسي بالإنفاق على ما هو ضروري فقط ؛ إذ كان لابد من فرض الضرائب الثقيلة على رعيتي ، ومن أجل هذا كان خلفاؤه يقومون بجولتين في السنة لاستخلاص الضرائب الشرعية مرة في الربيع لجمع الزكاة ومرة أثناء موسم الحصاد لجمع العشور ، وكان الأمير يحاول وهو يطالب القبائل بدفع ما هو ضروري لدعم الدولة أن يوافق ذلك في الوقت ذاته مع مصالحهم الخاصة ، بحيث يتم الجمع بين المصلحة العليا للدولة والمصالح الخاصة للمواطنين ، ومن أجل ذلك طلب من خلفائه أن يقبلوا بدل الضرائب والغرامات ، المواد الاستهلاكية والبغال والإبل وبالأخص الخيول ، حيث كان يستفيد من البغال والحمير في النقل والإمداد والخيول يقدمها لفرسانه .

لهذا السبب اختار أعوانه من العلماء والفقهاء والمفكرين ليعملوا معه ويشاركوه في تسيير شؤون الحرب والسياسة والإدارة والتنظيم والاتصال والاستعلام[1] .

وكما حدد مخصص الخليفة ، فإنه استطاع أن يؤسس جيشًا حديثًا قائمًا على النظام والانضباط حيث خصص لرئيس العسكر المحمدي وهو الآغة (كذا) اثنان وعشرين ريالا ، راتبًا شهريا لا ينقص له من هذا العدد شيءٌ وله في كل يوم ثلاثة أرغفة ، أحدها من الخبز الأبيض الخاص ، والآخران من الخبز الأسمر . أو خمسة أرطال بقسماط عند فقد الخاص . وله ستة أرطال من البرغل وفي كل ليلة ، ونصف

(1) يحيى بوعزيز ، علاقات الأمير عبد القادر وخلفائه بالمملكة التونسية ، (أعمال ملتقى الأمير عبد القادر) ، مطبوعات جامعة الجزائر 1998م ص : 84 . انظر أيضا : إبراهيم مياسي ، (بناء دولة الأمير عبد القادر(من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر) ، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية 1999م ، ص : 27 وما بعدها .

رطل سمنًا وخمسة أرطال حطبًا وله مثل ذلك في النهار إن فقد الخبز والبقسماط معًا . وله في كل يوم خميس وإثنين شاة وله كسوة تامة من بيت المال ، وإن بليت فإنها تتجدد له بالثمن . فمن المنتان (وهو الغليلة) ثمانية وعشرون ريالا جزائريا ، وثمن السروال أربعة وأربعون ريالا وثمن القميص ريال واحد[1] .

هذا التنظيم الذي يعبر عن إحساس بأهمية تحديث الجيش لمواجهة القوات العسكرية الفرنسية التي تتميز بالتنظيم العصري والتدريب الكثير والمشاركات الكبرى في أهم الحروب الأوروبية التي عرفها هذا الجيش أيام نابليون بونابرت ، ولم يكن الأمير عبد القادر يجهل قوة الجيش الفرنسي لكنه يعلم أن الحق منتصر رغم قوة العدو .

وعلى الرغم مما يتميز به الواقع الجزائري بوجود وحدة ترابية ثابتة منذ قرون خلت وبوجود وحدة لغوية واسعة إضافة إلى الوحدة الدينية ، إلا أن هذا لم يبلغ حد الشعور المتكامل بمعنى الأمة المتجانسة ، وذلك خاصة في الوسط الذي يتفكك فيه الشعور امتثالا لقانون التفكك القبلي ، وإن كان هذا الواقع مثلما سنرى ، قد استجاب إلى الأمير عبد القادر في الريف والصحراء رغم المحن التي عرفتها المقاومة في الأغواط وعين ماضي مع التيجانية ومع قبائل الدوائر والزمالة بالغرب الجزائري التي هي قبائل مخزنية كانت قد عملت مع السلطات العثمانية بالجزائر[2] .

---

(1) محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر شرح وتعليق : الدكتور ممدوح حقي ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر 1964م ص : 199 .

(2) انظر المثال الذي يمكن أن يسحب على كثير من أقاليم وأوطان الجزائر انظر : علي خنوف ، السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية =

والغريب أن هذه القوات التركية قامت من بداية الأمر إلى عدم الاتفاق على أسلوب واضح للدفاع عن البلاد ما عدا أحمد باي قسنطينة الذي يعتبر عربيا أكثر مما هو تركيٌّ رغم أنه كان محسوبا على السلطة المركزية في الأستانة ، ولا يمكن نكران إخلاص الرجل لدينه ووطنه في أشد الأيام تدهورا[1] .

قبائل المخزن والوجهاء أمام الصدمة الاستعمارية:

لقد كان من مبادئ الأمير عبد القادر أن يعلن الحصار الاقتصادي على وهران ، ورغم ذلك قررت كل من قبيلة الزمالة وقبيلة الدوائر استئناف المعاملات التجارية مع العدو ، وهذا أيضا هو الموقف الذي اتخذه الشيخ

العهد الفرنسي ، الجزائر ، مطبعة العناصر ، 1999م ص : 42 .
وحول موقف الأمير بتوسع من عشائر المخزن وجماعة الكراغلة أو بقايا السلطة العثمانية بالجزائر راجع : ناصر الدين سعيدوني ، موقف الأمير عبد القادر من بقايا السلطة التركية بالجزائر "جماعة الكراغلة ـ عشائر المخزن" الذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر (1883- 1983) مجلة التاريخ المركز الوطني للدراسات التاريخية ، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1983م ص : 39 وما بعدها .

(1) نحب أن نذكر الرسالة التي عبرت عن إخلاص أحمد باي قسنطينة للجهاد وتحرير الوطن ، فقد رد على قائد الحملة العسكرية حينما طلب منه ومن نائبه علي بن عيسى الاستسلام" فأجابوه ما نصه : "من الأمة المحافظة على شرفها وبلدها ، إلى العسكر الفرنسوي المعتدي على حقوق غيره ، قد وصلتنا رسالتكم . وفهمنا ما ذكرتموه فيها . نعم إن مركزنا أمسى في خطر عظيم . ولكن استيلاكم (كذا) على قسنطينة المحمية بالأبطال العربية الذين لا يهابون الموت ، موقوف على قتل آخر واحد منهم ، واعلموا : أن الموت عندنا تحت أسوار بلدنا أحسن من حياتنا تحت سلطة فرنسا" .
انظر : محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ص : 298 . انظر أيضًا : محمد العربي الزبيري ، مذكرات أحمد باي ، وحمدان خوجة ، وبوضربة الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، ط : 2 . 1981م ص : 6 .

أحمد بن طاهر قاضي أرزيو ، معلم الأمير عبد القادر الذي راح يمد الفرنسيين بالمواد الغذائية عن طريق البحر ، ووعدهم بمدهم بالخيول كما تشير إلى ذلك الوثائق التي استخدمت كحجة مادية لإدانته وإعدامه بعد ذلك في تاقدامت في غياب الأمير عبد القادر .

رغم أن الأمير كان من مبادئه ألا يعدم العلماء والمتعلمين ، وهو الذي يقول في تشجيعه لأهل العلم : .. حتى إنني عفوت أكثر من مرة عن أناس مجرمين محكوم عليهم بالموت لمجرد أنهم طلبة ، ومعروف أن المرء في بلادنا يحتاج إلى وقت طويل حتى يصل إلى مرتبة عالية من التحصيل في العلم ؛ لذلك لم تكن لديَّ الشجاعة لإضاعة ثمار احتاجت إلى سنوات من الجهد في يوم واحد[1] .

لهذا نصح أهل الأغواط اتباع خليفته الشرعي الحاج العربي ، وقال لهم : "أيها المسلمون لا تتخذوا الكفار أولياءكم ، بل اتخذوا أولياءكم من بين المؤمنين الحقيقيين فقط" .

وهو ما فعله مع أهل جرجرة حينما اختار لهم **أحمد الطيب بن سالم الخليفة المخلص** الذي كان عين الأمير على الشرق كله[2] ، ولما وصل الأمير

---

(1) Charles Henry Churchill, La vie d'abdelkader , E. N. A. L édition 4 Alger 1991 P: 77.

(2) انظر تعليق المؤرخ محمد الشريف ساحلي عن الخليفة أحمد الطيب بن سالم :

Mohammed - Chérif Sahli , L'émir Abdelkader, Alger; entreprise Algérienne de presse Alger 1988 P: 131 et suivante

Benachenhou (A) l'Etat Algerien en 1830 ses institutions sous l'émir Abdelkader ,Imp;E. P. A. Alger.

وانظر نهاية هذا الخليفة في بلاد الشام : سهيل زرقين الخالدي ، الإشعاع المغربي في المشرق "دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام" تصدير الدكتور أبو القاسم سعد الله ، دار الأمة ، =

إلى آخر مراحل الصراع في حياته العسكرية اعترف في سيرته الذاتية أن أغلب أعوانه كانوا له مخلصين ، ولكن أخلصهم جميعًا **أبو عبد الله محمد البوحميدي ومحمد بن علال** .

إن الأمير عبد القادر الجزائري حينما طرح الصورة الحقيقية للصراع الحضاري بين الجزائريين المسلمين وفرنسا المسيحية التي احتلت البلاد وأفسدت الزرع والضرع ، وغاية عبد القادر وخلفاؤه تطهير الأرض من الفساد والاحتلال الفرنسي ، ومن هذا المبدأ كان الأمير يخاطب خلفاءه بالحفاظ على الشريعة وناموسها في إقامة العدل والابتعاد عن الفساد وظلم المواطنين .

ومن الوثائق الخطية التي تبرز هذه العلاقة بين الأمير ورجال إدارته أو الذين يقاومون الاستعمار ويجاهدون في سبيل الله ما جاء في رسالة الأمير إلى محمد الحسناوي من قبائل الحنانشة ، يحثه على الجهاد : الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم ، سلام يعم الأغوار والنجود ورحمة الله وبركاته ما تعاقب الحلوان بالعدم والوجود على الموصوف بالشجاعة والجود أخانا الواثق بالحق الوكيل القوي السيد محمد الحسناوي أسعد الله حالنا وحاله وبلّغ في الدارين آمالنا وآماله ، وبعد أيُّ الفارس المجاهد الصابر المكابد اسمع أسمعك الله خيرا ووقاك بلطفه خيرا أن شعار الأنبياء وحرفة المؤمنين الأتقياء (**الجهاد**) فاحمد الله الذي أرشدك إليه وسله أن يثيبك ويعينك عليه . . . . "[1] .

= الجزائر 1997م ص : 31 وما بعدها .

(1) يحيى بوعزيز ، علاقات الأمير ، ص : 92 . ابن العنتري ، محمد الصالح ، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة ، مراجعة وتقديم وتعليق ، =

لقد عمل الأمير على اتباع سياسة لينة وهادئة مع خصوم الدولة بشتى الوسائل ، وعمل خلفاؤه على محاولة كسب ود الجارتين تونس والمغرب لتكونا العمق الاستراتيجي له في صراعه المرير مع فرنسا الاستعمارية إلا أنه وجد فيهما الخشب المسنَّدة والعمالة الواضحة والجبن والفشل في حماية البلاد على الرغم من المعرفة الكاملة بأن العدو واحد ومستقبل المنطقة مرهون باستقرار الجزائر وهو ما أكدته الأيام[1] .

لقد كانت مواقف النخب الرسمية وقبائل الدوائر والزمالة (المخزن) وبعض الطرق الصوفية العميلة كالتجانية والطيبية[2] وهي ذات سلوك يعبر عن

الدكتور يحيى بوعزيز ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية 1991م ص : 162 .

(1) لوسات فلنزي ، المغرب العربي قبل احتلال الجزائر (1790- 1830) نقله إلى العربية حمادي الساحلي ، تونس سراس للنشر ، 1994م ص : 145 وما بعدها . انظر تآمر حاكم وجدة مع الاستعمار الفرنسي لتحطيم الأمير عبد القادر الجزائري : ابن العنتري ، محمد الصالح ، فريدة منسية ، ص : 163 .

(2) لطيفة الأخضر ، الإسلام الطرقي ، دراسة في موقعه من المجتمع ومن القضية الوطنية ، تونس سراس للنشر ، 1993م ص : 79 . انظر أيضا : تلمساني ، بن يوسف ، الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر(الحكم العثماني ، الأمير عبد القادر ، الإدارة الاستعمارية) رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، معهد التاريخ جامعة الجزائر السنة الجامعية 1997/ 1998م . أما الطيبية وشرفاء وزان بالمغرب الأقصى فقد تحالفوا مع فرنسا الاستعمارية منذ مرحلة مبكرة من الاحتلال الفرنسي لبلادنا ، وقد بلغ التعاون ذروته من خلال عملهم كعيون وجواسيس للاستعمار ، وساهموا في تثبيط الناس عن الجهاد من خلال الفتاوى المشهورة كفتوى ليون روش ، وفتوى قورارة لعام 1893م التي روجت لها زاوية تماسين التجانية والدور الخطير الذي قامت به الطيبية للقضاء على جهاد الشيخ بوعمامة ، كما كفرت هذه الطرق الصوفية العميلة للاستعمار الفرنسي بشكل ملفت ـ كل من ثار معلنا الجهاد على العدو الكافر الذي غزا بلادنا وهتك أعراضنا . راجع :

au sujet de la: subvention des Chorfa d'Ouzan. A. O. M. 30H11. Aix- en - Provence.

سوء فهم لجدلية الصراع الحضاري حيث وقف مصطفى بن إسماعيل مثلا موقفا مخزيا ورغم أن قاتله قد جاء برأسه إلى الأمير فقد تمنى لو جاءه على جواده ليستعين به على مقاتلة الفرنسيين[1] . قال الأمير : وقد استهجن قطع رأس خصمه مصطفى بن إسماعيل "فإني لا أحب أن يكون مصطفى بهذه الحالة وإنما أحببته أن يأتيني على فرسه حيا مزيل عنا للنكالة" .

لقد طرحنا في بداية هذه الدراسة إشكالية كبيرة : لماذا لم يتمكن الأمير ورجاله الذين أخلصوا في السلم والحرب من دحض القوات الاستعمارية في بداية الاحتلال ، وعلى الرغم أن الطرح لم يكن جديدا على المدرسة التاريخية الجزائرية ولا على الوثائق التي درست المسألة من جميع جوانبها ، ولكن بالمختصر المفيد أقول : إن هؤلاء الرجال بقيادة الأمير كانوا الصيحة القوية الأخيرة لغريق بلغ الدوامة الحقيقية لمحيط عميق آسن ، إنه تخلف القرون فلا يمكن إدراكه في أقل من عقدين من الزمن .

فمنذ بدء جهاد الأمير ضد الغزو الفرنسي لم يكن جاهلا بميزان القوى العسكرية والسياسية والعلمية والاقتصادية ، لذلك لم يكن لديه وَهْمٌ بالنصر ، بل كان يقوم بواجبه الديني والوطني كما يليق بأيِّ رجل سوي العقل شريف ، وقد عبرت رسالته من سجنه إلى الأسقف "دوبيش"[2] أنه لم يكن صاحب

---

(1) المزاري ، الآغا بن عودة ، طلوع سعد السعود ، الجزء الثاني ، تحقيق ودراسة يحيى بوعزيز ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي 1990م ص : 208 .

(2) هو أنطوان دوبيش من مواليد بوردو ، عُيِّن أسقفًا للجزائر عام 1838م وقام بحملة كبيرة تحت حماية بوجو لإعادة أسقفية الجزائر وأحيى فكرة إعادة رفاة القديس أغسطين إلى (هيبون) عنابة في حفل استفزازي لا يليق إلا بالفرنسيين الصليبيين ، وقد فاوض الأمير عبد القادر وبعض خلفائه حول الأسرى ، وقد أنشأ بالجزائر من 1839 إلى غاية 1846م منجزات =

أوهام ؛ إذ قال : منذ ثلاث سنوات كنت أحارب الفرنسيين وليس لي أن أرى نهاية حميدة لي في هذه الحرب مع أني كنت معتقدا أني لم أقم إلا بالواجب الديني وحفظ بلادي وأخشى أن ألقى شبه الملامة من قومي الذين وثقوا بي وحلفوا ألا يتركوني[1] .

وتبقى المسؤولية جماعية في عدم التمكن من طرد المحتل ، كما لا يمكن أن تقع المسؤولية على عاتق فرد أو جماعة واحدة ؛ لأن الآثار التي تم رصدها حتى الآن تبين أن الشعور بالخطر لم يكن موجوداً لدى معظم الجزائريين قبل سقوط مدينة الجزائر ولم يبدأ هذا الشعور في التبلور إلا بعد احتلالها[2] .

كسية كثيرة على حساب المساجد ودور الوقف وقصور البايات والأعيان مما يعبر عن انقلاب في النسيج المعماري الإسلامي وهرب إلى إيطاليا ثم أسبانيا لمطالبة الدائنين بأموالهم حتى دفعها عنه نابليون الثالث ؛ لأنه قدم خدمات للدولة الفرنسية ثم ذكر الدكتور أبو القاسم سعدالله أن دوبيش دفن في كنيسة سان فيليب (جامع كتشاوة) سنة 1864م . انظر أخباره ومشاريعه أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء السادس ، ص : 108- 109- 110- 111- 112- 113- 114 .

(1) سهيل زرقين الخالدي ، الإشعاع المغربي في المشرق "دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام"ص : 14- 15 .

(2) جمال قنان ، جذور ثورة نوفمبر 1954 (الذاكرة) ، مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة والثورة الجزائرية) العدد الخامس الجزائر ربيع الثاني 1419هـ/أوت 1998م ص : 11 . انظر أيضا : الأميرة بديعة الحسني الجزائري ، ناصر الدين الأمير عبد القادر الجزائري بن محي الدين الحسني (سيرته المجيدة في حقبة من التاريخ) ، دمشق ، سلام للنشر والترجمة ، 1991م ص : 185 وما بعدها .

ثانيا: قِراءة نقدية للمصادر الفرنسية حول ثورة الزَّعاطشة شارل فيرو "نموذجا"

الحديث عن إعادة تركيب تاريخ الجزائر في العصر الحديث مهمة تاريخية وحضارية تدخل ضمن إعادة بناء الإنسان الجزائري ، الذي فقد بفعل فاعل حماسه في مواجهة التغريب والتدمير النفسي الذي عطّل الطاقات المبدعة الكامنة في الإنسان .

إن هذا البحث[1] يدخل ضمن إعادة قراءة نموذج من النماذج الفرنسية التي صنعت مصادر المعرفة السياسية والتاريخية والاستراتيجية لمرحلة من مراحل أمجاد الآلة الاستعمارية في شمال إفريقيا ، وهذه الصورة النموذجية تمثلها بلا شك أعمدة القوة الاستعمارية الفرنسية في بلادنا وهي دور المفكرين والكتاب والجواسيس والكهنة والعسكريين المحترفين للقتل والنهب ونسف القلاع والجسور وهتك الأعراض وحرق الغابات وبقر البطون وقطع رؤوس الأحرار من أسلافنا الأماجد ، وسرقة كنوزنا المادية والخطية التي اخترقوا من خلالها قلعتنا الحصينة ، وهو ما فعله شارل فيرو مع كتاب العدواني مؤرخ

---

(1) قراءة نقدية للمصادر الفرنسية حول ثورة الزَّعاطشة ، شارل فيرو "نموذجا" : الملتقى الوطني حول : "المقاومة الشعبية في منطقة الزاب" بسكرة : أيام 5 - 6 - 7 ديسمبر 1998م . انظر أيضًا : ثورة الزعاطشة في المصادر الفرنسية (مجلة المصادر) مجلة تعنى بشؤون الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م ، العدد الثاني منشورات المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954م الجزائر ، دار القصبة للنشر ، 1420هـ/ 1999م ص : 168 - 183 .

سوف وصحراء قسنطينة وغيرها من الأعمال الفكرية والعلمية الشاهدة على حضارة أجدادنا المكتوبة[1] .

تحتل شخصية شارل فيرو"laurent- Charles Féraud" ، التي سأقرأ أفكارها حول مقاومة الزعاطشة واحتلال بلاد الزيبان، مكانة كبيرة في تاريخ رجال العصر الاستعماري الفرنسي في بلادنا .

ولا نستغرب ما حدث في تاريخ المنطقة كما يذهب إلى ذلك الدكتور "أبو القاسم سعد الله" أثناء الحديث عن ثورة الزعاطشة، حيث يمر عليها الكتاب مر الكرام؛ إذ لا تزيد الأقلام المحتفية بهذه الأحداث عن أسطر قليلة، لا تشفي صدور المتطلعين إلى المعرفة التاريخية والحقائق الأساسية التي عرفتها الجهة الشرقية من البلاد منذ احتلال مدينة قسنطينة حصن الحاج أحمد باي الحصين بالمنطقة[2] .

---

(1) محمد بن محمد بن عمر اللّجي الرحماني العدواني مؤرخ سوف دفين الزقم من رجال القرن السابع عشر الميلادي، يملك وعيا وحسًا تاريخيا واضحًا ووعيا بالصراع السياسي والعسكري في صحراء قسنطينة قام شارل فيرو بترجمته فحذف وترجم كما شاء مصطلحات العدواني انظر حول هذا المؤرخ : العدواني، محمد بن محمد بن عمر، تاريخ العدواني، تقديم وتحقيق وتعليق : أبو القاسم سعد الله، بيروت دار الغرب الإسلامي، 1996م ص : 14- 15 . محمد الأمين بلغيث، الذهنيات، المناقب، والصلحاء في القرن السابع عشر الميلادي (محمد بن محمدبن عمر العدواني) نموذجًا . (الندوة الفكرية الرابعة حول الشيخ محمد العدواني مؤرخ سوف، أيام : 3، 4، 5، نوفمبر 1999م بالزقم ولاية الواد . ص : 3 .

(2) سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية (1830- 1900)، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1992م ص : 329 .

راجع دور لاموريسيير في احتلال قسنطينة :

Azan (Paul),Les grands soldats de l'Algérie (cahiers du centenaire de l'Algérie) . publications du comité national métropolitain du centenaire de l'Algérie) 82

=

فـ"بعض الكتاب يعتبر ما حدث في الزعاطشة إنما هو حادثة منعزلة جاءت بعد "تهدئة" الأوضاع في الجزائر ، وكثير من هؤلاء الكتاب يمرون في تاريخ الجزائر وعلى ثورة الزعاطشة مرور الكرام ، مكتفين ببعض السطور ، عمًا كلفت الفرنسيين من قتلى وجرحى ، وهم يذكرون "الزعاطشة" كقرية أو واحة في الزيبان لا تهم دارسي تاريخ الجزائر كثيرا"[1] .

وحتى لا أجازف فأقول : إن السيد " لورونت شارل فيرو " شخصية محورية في تاريخ أحداث الجزائر الشرقية بالصحراء والتل على حد سواء ؛ إذ كان له حضور معتبر في تاريخ احتلال فرنسا للشرق الجزائري ، فقد كان شخصية جد قريبة من قادة الاحتلال في بجاية والقل وقسنطينة ومعظم الأحداث التى عرفتها البلاد الشرقية[2] .

=

انظر بشيئ من التفصيل كيف تم نهب المدن بعد احتلالها من طرف مغول القرن التاسع عشر والقرن العشرين :

Habart Michel,Histoire d'un parjure- documents- Paris, les éditions de minuit 1960. P: 72 et suivantes.

(1) سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، الجزء الأول ، ص : 330 .

على الرغم من أن الدراسات والإحصائيات التي قامت بها مصالح الاستعمار المتعددة التي تبرز انخراط أكثر من ربع سكان الجزائر في بداية الاحتلال ، فإن الباحثة لوسيت فلانزي تذهب مذهب ديبون وكوبلاني بعدم وجود تأثير كبير للطرق الصوفية على المجتمع المغربي ، ولكن التحقيقات والوثائق تبرز سلطة الطرق الصوفية بشكل ملفت للانتباه ، مما دعا السلطات الاستعمارية كما ذهبنا إلى ذلك إلى التركيز على دراسة هذه الطرق أو الجمعيات السرية كما كانت تسميها مما يبرز العمل الكبير الذي قامت به السلطات الطرقية من خلال تأثيرها على أتباعها في الاستجابة لعمالة هذه الطرق للاستعمار أو جهاده بجميع الوسائل . انظر : لوسات فلانزي ، المغرب العربي قبل احتلال الجزائر(1790- 1830) نقله إلى العربية حمادي الساحلي ، سراس للنشر ، تونس 1994م ص : 48 .

(2) انظر :

=

شخصية لورونت شارل فيرو صاحب المهمات الصعبة:

استوقفتني عبارة قصيرة ذات معنى كبير في تحديد صورة شاملة لشخصية الفرنسي "شارل فيرو" حيث يقول في رسالة من رسائله : "أراقب وأُدَوِّن"[1] (JE SURVEILLE ET J'INSCRIS) .

هذه العبارة لا تصدر إلا عن شخصية تملك إحساسا بالمسؤولية تجاه قضية حسَّاسة يؤمن بها أشد الإيمان ، فمن هذا الذي يراقب ثم يدون ويراسل الجهات المسؤولة والتي تهتم بكل ما يصدر عنها .

إنه لورونت حفيد العسكري الفرنسي فيرو الشهير من مواليد مدينة نيس في 5 فبراير 1829م تعلم في ثانوية تولون (Toulon) ، وفي سن السادسة عشر (1845) دخل إلى الجزائر ليشغل وظيفة بسيطة بالإدارة المدنية بشرشال ، وأول ما قام به صاحبنا هو سرعته في تعلم اللغة العربية[2] وعندما بلغ التاسعة عشر كان كاتبا في العاصمة بالإدارة العامة (الحكومة العامة) إلى أن التحق بوظيفة التراجمة بالجيش الإفريقي وهذا في عام 1846م حيث أُرسِل إلى بجاية لمساعدة حاكمها في إصلاح شؤونها الإدارية .

وقد بدأ شارل فيرو وظيفته الرسمية داخل جيش الاحتلال وضمن

L, Paysant ,Un président de la société Historique Algérienne (Laurent - charles Féraud), (revue africaine) 1er trimestre N° 280 ALGER 1911.

(1) انظر

Rapport N° 173 envoyé de Tripoli par Féraud le 10 novembre 1881 à Mr Barthélémy Saint- Hilaire, Ministre Français des Affaires étrangères de l'époque. Archives des Affaires étrangères: correspondance politique de Tripoli de Barbarie » tome n°XX, p: 263.

(2) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء السادس ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1998م ص : 76 .

أصحاب الحملات العسكرية من كبار الجنرالات وضباط الحرب بداية من سنة 1849م ، فكان إلى جانب كل من الجنرال سان تارنو (Saint Arnaud) والجنرال ماك ماهون (Mac - Mahon) الضابط المسؤول عن إقليم قسنطينة ، وهناك أنجز معظم أعماله العلمية والتاريخية والأثرية ، وقد شارك ضمن سلك المترجمين العسكريين للجيش الإفريقي في معظم الحملات العسكرية بالشرق الجزائري طيلة عشرين سنة ، حيث تميز دون غيره من المترجمين والإداريين بشخصية مميزة أثارت انتباه قادته العسكريين والإداريين ، لهذا تدرج في الوظائف العسكرية والإدارية والعلمية وعمل إلى جانب حاكم الجزائر العام قيدون (Gueydon) وهذا في 19 فبراير 1872م) . ثم إلى جانب الجنرال ألفريد شانزي (Alfred Chanzy) ، الذي كانت تربطه به علاقة ومودة خاصة ، جعلته خادمه ، والوفي لأفكاره وبرنامجه الاستعماري كما كان يطلعه على حوادث الصحراء الجزائرية والصحراء الليبية في مراسلاته الكثيرة حينما تولى منصب قنصل فرنسا العام بطرابلس الغرب منذ 1876 إلى غاية 1884 ، إلى أن توفي في 19 ديسمبر سنة 1888م برتبة وزير بطنجة ممثلا لمصالح فرنسا في هذه المدينة التي كانت مركزا لكبار القناصلة والسفراء الغربيين ، وكان الصراع على أشده بين المصالح الفرنسية والأطماع البريطانية والألمانية فمن يستولي على الجناح الغربي للمغرب العربي ؟

كما تولَّى عدة وظائف منها رئاسته للجمعية التاريخية الجزائرية التي كانت لها مهامها العلمية التي تخدم الغزو الحضاري الشامل الذي تقوم به فرنسا الاستعمارية والتي لا تغيب أهدافها عند أبسط الدارسين لأوضاع الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين .

مؤلفاته وأعماله العلمية والتاريخية والأثرية:

ترك شارل فيرو مجموعة من الأعمال أهمها على الإطلاق :

1- تاريخ مدن بجاية ، جيجل ، سطيف ، عنابة ، القالة بوسعادة ، برج بوعريريج ، عين البيضاء ، تبسة ، سكيكدة ، وهذه المدن وتاريخها هو عبارة عن مقالات مطولة تخص كل مدينة من هذه المدن المذكورة . (وقد نشر العمل فيما بعد في مجلدين (191صفحة ، و328 صفحة وقد طُبِعَا ما بين 1867 و1879م) .

2- ترجمة تاريخ العدواني الذي أعاد تحقيقه المؤرخ : أبو القاسم سعد الله وطبعه مؤخرا بدار الغرب الإسلامي ببيروت . (1996م) .

3- تاريخ قبائل منطقة قسنطينة .

4- الآثار السلتية بالجزائر .

5- محاولة حول قواعد اللهجة القبائلية مع حوار بالفرنسية واللهجة القبائلية من أجل الحملة العسكرية على بلاد القبائل لعام 1857م .

6- مونوغرافيا لقصر الباي بقسنطينة .

7- أعمال أثرية حول حفريات بمدينة ورقلة .

8- تجارة الرقيق الأسود بالجنوب الجزائري .

9- محاضرات ولقاءات مع كبار ضباط مدينة الجزائر .

10- الحرار سادة الحنانشة[1] .

---

(1) الحنانشة هم سادة المنطقة الحدودية الشرقية الذين يمتد سلطانهم على القبائل والمناطق الآتية : مرداس ، بني صالح بقالمة دريد تبسة أولاد يحيى بن طالب ، النمامشة سوق أهراس وكان سيد الحرار من الحنانشة بعد دخول بايلك الشرق تحت السلطة التركية بداية من 1541م ومنذ 1572م عادت مشيخة العرب إلى النواودة جنوب الإقليم حيث تمتد سلطتهم من جبال =

11- أحفاد أحد شخصيات ألف ليلة وليلة ببسكرة .
12- مترجمو الجيش الإفريقي (480 صفحة من الحجم المتوسط) .
13- شرفاء المغرب .
14- صحراء قسنطينة ، معلومات وذكريات (الجزائر 525صفحة) .
15- ملاحظات حول بني جلاب سلاطين توقرت (مقالات سلسلة ضمن أعمال ومقالات المجلة الإفريقية في ستة أعداد من المجلة من 1878 إلى غاية سنة 1887 .
16- البوم المتحف الأركيولوجي لمدينة قسنطينة .
17- المعرض العالمي لباريس عام 1878م .
18- ملاحظات ومعلومات حول رحلة بتونس وطرابلس .
19- ومن الأعمال الكبيرة التي قام بها شارل فيرو كتبه العديدة المعروفة بالحوليات التونسية والليبية[1] .

وللأسف الشديد أن هذه الكتب لم تلق إلى اليوم طريقها إلى القراءة النقدية العلمية المطلوبة مع ترجمتها إلى اللغة العربية ، ما عدا ما قام به

= الزاب إلى شط الحضنة ، في حين كما سبق يرجع إلى الحنانشة ـ الذين يضم حيز انتجاعهم كلا من تبسة ، وسوق أهراس ، وقالمة ـ وظيف قبلي رسمي يعادل سلطة نظرائهم الذواودة ، أما إمارة الإقليم فتبقى من مشمولات الأتراك تساعدهم العائلات الحضرية الوجيهة داخل المجلس الشرعي أو مجلس الجماعة .

راجع : لطفي عيسى ، مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر ، تونس ، سيراس للنشر 1994م ص : 40 .

(1) حول مؤلفات فيرو راجع :

M. El wafi, ouvrages, écrits et articles de Laurent charles Féraud (CHARLES FERAUD ET LA LIBYE) ou portrait d'un consul de France à Tripoli au XIXe siècle (1876- 1884) Imprimé par Interprint (Malta) Ltd , Malte. 1977 p p: 171- 172.

المؤرخ الليبي الدكتور : محمد علي الوافي[1] ، حيث ترجم الحوليات الليبية وطبعها باللغة العربية تسهيلا لقراء العربية حتى يتمكنوا من قراءة تاريخ بلادهم من خلال سدنة الحكم الكولونيالي في المنطقة عموما .

شارل فيرو والوصف الكرنولوجي لأحداث الزعاطشة:

يلاحظ القارئ من خلال استعراض هذا الكم الهائل من المقالات والكتب الذي يغطي فترة طويلة من حياة شارل فيرو العلمية والتاريخية أن له باعاً طويلاً في عالم التسجيل والتدوين ، وهو سمة من سمات قادة العسكر ورموز المشروع الاستعماري الفرنسي في إفريقيا حيث واكبت الرحلات الأولى للمستكشفين أو الجواسيس الأوروبيين ، حتى ليخال الإنسان أن هؤلاء لا وقت لهم إلا الكتابة والتسجيل ، وهو ما يدل على هيمنة الكتابات الفرنسية في المرحلة الاستعمارية لتاريخ إفريقيا عموما والجزائر خصوصا ، فلم يترك هؤلاء لا شاردة ولا واردة إلا ودونوها ورسموا لها الأبحاث والأعمال التاريخية ، وجعلوا عليها كبار المتخصصين في الدراسات التاريخية واللسانية والأنثروبولوجية والأثرية ، إن شغف هؤلاء باكتشاف عجائب الشرق دفعهم فضولهم العلمي وهدفهم الاستعماري إلى تقليب حتى الحجارة الغريبة لعلهم يجدون تحتها كنزا من

كنوز ألف ليلة وليلة أوكنزا من كنوز السندباد البحري أو أي شئ يثير الفضول في أوروبي يبحث عن الأمجاد والثروة[2] .

---

(1) ترجم الأستاذ محمد علي الوافي الحوليات الليبية ونشرها في ثلاثة مجلدات (1 ، 348 صفحة ، 2 ، 290 صفحة ، 3 ، 165 صفحة) وطبعها بدار الفرجاني بليبيا سنة 1973م .

(2) لقد نبهنا الأستاذ الكبير أبو القاسم سعد الله إلى هذا الأمر ، وقد كان عالما بخبايا أبناء =

أسلوب شارل فيرو من خلال معالجته لمأساة معركة الزعاطشة:

لقد كان شارل فيرو ناقلا لأفكار ومعلومات غيره من قادة الحرب الفرنسيين ، وقد تعددت مصادره حول معركة الزعاطشة من الحصار إلى القضاء النهائي على الثوار ، مع تتبع أخبارهم ومراسلاتهم وأسلوبهم في جمع الناس والدعوة إلى النفير وطلب المساعدة من الواحات المجاورة وهو ما يدعو إلى النظر وتتبع مسالك هذا الرجل حتى نتمكن من معرفة مصداقية الأخبار من ترويج الدعايات المثبطة للجزائريين والمشجعة للفرنسيين لاقتحام مجاهل الصحراء الشرقية الجزائرية ، ولماذا لا تتوغل إلى الحدود السنوسية ، وهو ما سنراه من خلال مراسلاته إلى وزارة الحربية وكذلك إلى حاكم الجزائر العام شانزي ولي نعمته وصديقه من خلال قنصليته في طرابلس الغرب[1] .

تميز أسلوب شارل فيرو في تعامله مع الحوادث التاريخية بنوع من العاطفة التي عُرِفَ بها أغلب الكتاب الذين ينتمون إلى المدرسة الاستعمارية الأولى التي كان من روادها علماء الأنثروبولوجيا وعلم السكان والبيئة ورجال الآثار ، وهذا ما نشاهده في مقالاته وكذا في الحوليات الليبية التي سمحت لي

(جوان JEAN) رمز الصليبيين عند المغاربة .

(1) El wafi, l'époque Algérienne, in Charles féraud et la Libye, op- cit p: 19

انظر : كيف كانت القنصلية الفرنسية العامة بطرابلس الغرب تراقب أعمال السنوسيين ، وكيف كانت الرقابة شديدة على عناصر الجامعة الإسلامية الذين يحرضون الناس على اليقظة والاستعداد لجهاد غزو فرنسي محتمل ، لقد كانت جل المراسلات التي جاءت إلى حاكم الجزائر العام من ليبيا إما من طرف ريكارد أو بإمضاء شارل فيرو نفسه منبهين السلطات الاستعمارية في باريس والجزائر إلى خطورة الوضع في الصحراء الشرقية ، انظر : الدراسة الخامسة من هذا الكتاب "القضية الجزائرية في أوراق إبراهيم سراج الدين المدني الحجازي في نهاية القرن التاسع عشر . (انظر الوثائق الملحقة بالكتاب) .

الظروف أن أتتبع أخبار الجزائر من خلالها وفي مراحل متقدمة من تاريخ المقاومة التونسية والجزائرية للتوسع الفرنسي في كامل الجهة الشرقية بما فيها المشاريع الفرنسية لاقتحام مجاهل الصحراء الجزائرية والليبية .

كما أن شارل فيرو أحد أبرز أعضاء هيئة المترجمين العسكريين في الجيش الفرنسي بالجزائر وهي من أهم المؤسسات الاستعمارية ، وكان أفرادها من أنشط العناصر وأقدرها على نشر الآراء الاستعمارية والاطلاع على أحوال المجتمعات الشرقية فساهموا في إدارة شؤون البلاد ودلوا ووجهوا الجنرالات على مواطن القوة والضعف في المجتمع الجزائري ، وكان الاعتماد عليهم كبيرا في المسائل السياسية الأهلية والدبلوماسية في الخارج والداخل[1] .

وعلى الرغم من النظرة السطحية التي عالج بها الكتاب الفرنسيون ثورات عقد الخمسينيات من القرن التاسع عشر حيث يطلق عليها هؤلاء مرحلة "التهدئة" ، فإن المقاومة الوطنية أصبحت في نظرهم ، مجرد مناوشات يقوم بها دراويش ومشاغبون متعصبون هدفهم إثارة الفتن وتعكير الأمن وضرب الشرعية الاستعمارية ، ومن ثمة فالحروب التي خاضها العدو أثناء هذا العهد (1848- 1860) كانت في نظرهم أقربَ إلى إعطاء الدروس القاسية لهؤلاء المفتنين أو "المتشيطنين"[2] .

وهذه النظرة الاستعلائية والغرور العسكري الذي ساير الحوادث العسكرية أثناء التوغل الفرنسي في الصحراء ، يمكنُ أن يسحبَ على نظرة وأسلوب شارل فيرو لمعالجته لثورة الشريف بوزيان وقادة الجهاد الإسلامي في

---

(1) يوسف مناصرية ، دور المترجمين العسكريين في الجيش الفرنسي بالجزائر ، مجلة التاريخ ، المركز الوطني للدراسات التاريخية الجزائر النصف الثاني من سنة 1982م ص : 41 .

(2) سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، الجزء الأول ، ص : 311 .

الزيبان" والزعاطشة على الخصوص[1] .

وحتى لا أطيل في هذا الجانب الكرنولوجي الذي لا يعني دراستي إلا من حيث النظر في أسلوب وطريقة تناول شارل فيرو للوقائع التاريخية والحربية وأسلوبه في معالجة الزعامات السياسية والحربية التي أعلنت المفاصلة مع الوجود الصليبي والعسكري في فضاء الصحراء الجزائرية أقول :

إن شارل فيرو كان ناقلا لأخبار الحملات العسكرية من مراسلات القادة الفرنسيين الآتية أسماؤهم :

1ـ مراسلات وكتابات الضابط الفرنسي سيروكا (SEROKA) ، قائد العمليات العسكرية على بسكرة وواحة الزعاطشة في مرحلتها الأخيرة .

2ـ مراسلات وكتابات الجنرال هيربيون (Herbillon) ، "حصار الزعاطشة الذي نشره بباريس سنة 1863م .

3ـ كتابات الضابط شارل بوشير(Charles Boucher) ، حول حصار الزعاطشة والذي نشره في مرحلة متقدمة من عام 1851م .

4ـ شهادات حضور عيان من العرب والجنود الفرنسيين الذين شاركوا ـ من قريب أو من بعيد ـ في حصار وأعمال المجاهدين ودمار المنطقة من طرف الفرنسيين مغول القرنين التاسع عشر والعشرين بلا منازع .

خلاصة وتقييم :

لقد تناول شارل فيرو أخبار الحصار الفرنسي لثورة الشريف بوزيان أحد

---

(1) انظر : Féraud, les Ben- djellab, R. A N° 174 novembre 1885 p: 403 .

https://albordj.blogspot.com

المحاربين القدماء داخل جيش الأمير عبد القادر، وأحد الأبطال الكبار في تاريخ المقاومة الشعبية في الجنوب الشرقي الجزائري، وعلى الرغم من الخيانات الروحية والسياسية بالمنطقة، فإن الأسلوب والمنهج الذي عالج به الدبلوماسي والسياسي الفرنسي والمؤرخ شارل فيرو هذه المقاومة كانت عبارة عن نقول، مع إعطاء المادة التاريخية لونا تاريخيا عاطفيا لا يستجيب للمنطق العلمي الذي يميز الكتابات العلمية والأكاديمية، ولكن عذر شارل فيرو في هذا أنه أحد أعمدة المشروع الفرنسي الاستعماري من الجيل المؤسس لشجرة الزقوم التي لا ننتظر منها إلا سموما ويحموما، فماذا ننتظر من فيرو إلا تمجيدا لقادة الحملات العسكرية وضباط حصار واحة الزعاطشة التي تعرضت لمجزرة مثلت بربرية الغزاة الفرنسيين أحسن تمثيل.

لقد عالج شارل فيرو موضوع القيادات وأسلوب المعارك بشيء من السطحية على الرغم مما نجده في ثنايا مقالاته وكتبه من اهتمام حتى بطريقة وأسلوب القتال وركوب الخيل وأسلوب استعمال المجاهدين وعلى رأسهم الشريف بوزيان لمختلف الأسلحة النارية مع ما يميز هيئة هؤلاء من شجاعة نادرة على الرغم من قلة في الرجال والعدة الحربية التي يمكن أن تواجه هذه الجيوش المتلاحقة من باتنة وبسكرة وغيرها من المناطق التي أحكمت فرنسا القبضة عليها في توسع منظم مدروس من تبسة إلى خنشلة والخنقة وكل المناطق التي طوقتها فرنسا حتى لا تترك للصدفة مجالا لما هي مقدمة على تنفيذه في الصحراء الجزائرية.

لم يكن فيرو مستشرقًا بالمصطلح المعروف، ولكنه خدم ميدان الاستشراق بالترجمة ونشر النصوص وتولّيه رئاسة الجمعية التاريخية، فكان من المستعربين القلائل الذين اتصلوا بالمجتمع الجزائري، ودرسوا تراثه

ولكنهم وجهوا نتائج أبحاثهم إلى خدمة الاستعمار الفرنسي إلى أقصى الحدود ، لقد كان فيرو من العسكريين الذين استعملوا القلم أكثر من البندقية والفكر أكثر من الحرب ، فكانت نتائج عمله أخطر على الشعب الجزائري من نتائج زملائه العسكريين"[1] .

الملحق[2] :

الأول : قصيدة شعبية لصاحبها الشاعر : أمحمد الليشاني .

الثاني : قصيدة شعبية لناظمها الشاعر الشعبي : علي بن الشرقي .

---

(1) سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء السادس ، ص : 76 .

(2) انظر :

L. Charles Féraud , Les BEN- DJELLAB (sultans de Touggourt) NOTES HISTORIQUES sur LA PROVINCE DE CONSTANTINE (REVUE AFRICAINE) 29eme année N° 174 (NOVEMBRE 1885) pp: 410- 421 et suite.

حول الزعاطشة انظر : الأستاذ : بشير مديني ، حصار الزعاطشة من خلال تقرير عسكري فرنسي "سيروكا" ، الملتقى الوطني حول : " المقاومة الشعبية في منطقة الزاب" بسكرة : أيام 5 - 6 - 7 ديسمبر 1998م ص : 9 .

القصيدة الأولى
لناظمها : الشاعر أمحمد ليشاني

الحمد لله

فــرد الحمــام أســعاني يحميــك يــا أبــي الــدونان
توصـــل البـــاي الصـــحراء ســـلم عليـــه بوزيـــان
بســـم الله نبـــدأ القصـــة صـــارت في آخـــر الزمـــان
هـــذا الـــروم جـــار علينـــا أيـــدور يرفـــد بوزيـــان
بوزيـــان راه واعـــر مـــا هـــو شـــي مهمـــول للخزيـــان
عنـــه صـــرب في لشـــانو وأهلـــه كاملـــة شـــجعان
غير إلِّـي راشـق زويجـة طبنجـة بالفضـة والمرجـان
نـــاقلين أســـوار تعجـــب وامثلـــثين بالطغـــان
انقليـــز بصـــل أيـــدود وبنـــات الحجبـــة تزيـــان
أزغريـــت اتصـــل تصرصـــر تنـــوض قلـــب الدهشـــان
الله يمنعنـــا ويمـــنعكم مـــن نـــار الحمـــرة تشـــيان
والله أحنـــا رانـــا تـــابعين وســـلمنا في كـــل أمكـــان
إلـــي شـــاف الـــنبي يـــربح محمـــد ســـيد الإنســـان
إن شاء الله من حوضو نروا من عسل وخمـر ولبـان
تـــابعين طريـــق الـــنبي ومصـــدقين بابوزيـــان
إن شـــاء الله في الـــدنيا نســـعدوا وفي الجنـــة يقـــول

يـا الإسـلام خسـارة عـنكم اتبعـوا في أولاد جـوان
كـل آخـر يقـول نغـنم والغنيمـة سـهم القومـان
يلعـن الـدنيا الخداعـة خوانـة لا تعطـي الأمـان
كانشـي مـن مـات ألـداه يزرعـوا كفنـه كتـان
سـال الطلبـاء إلى بكتـوبهم علمـاء وأهـل القـرآن
كـان يجاهـد أحـرام علـى اتبـع طريـق الصـلبان
لا حكـم للطالـب الرضـى يخـدع الـدنيا بالأمـان
يقـول الجهـاد حـرام علينـا يكـذب في بوزيـان
حاشـا أربعـة بـن دميـنح والـي في قلـب الأمـان
غـير إلـي كـافر بالظـاهر وغـرهم ذاك الشـيطان
الله لا خمسـماية أتجينـا أولادت غمـر شـبان
غـير إلى نعرفـه تـزدم محسـوبين فـلان فـلان
يجيبـوا نجعهـم يطمطـم وأبصـاير للبعـد تبـان
يمسى الشيخ قلبه متهنـى ويمـوت عليـه حيـث كـان
مـنين جانـا بوشـلغوم الحـاج أحمـد بوطغـان
جـاب عسـكر مجمولـة وجـاب ألـف مـن القومـان
فزعهـا مـن التـل الشـرق ألبسـكرة لأهـل الزيبـان
غلبنـاه وراح في هانـا جـاب عشـر مايـة قومـان
أهـل لشـانة متـاع الزدمـة يهـدو مثـل العقبـان

أهل الرأي مـع المشـورة مـن بكـري ناضـو بالفتـان
أربعـــة إبـــراهيم القـــايم ولـــد الباشـــا بوطغـــان
راشـق زويجـة في حزامـو زنـادات جزيـري نـيران
ناقـــل الســـباعي بالفضـــة ســـور ضـــربها نـــيران
مثـــل الطـــير الرامـــي يحـــزر تتـــبر مـــن العـــديان
كيف يهد كي (في) شاق الصف أولادة أهل لشـانة
وين مبـارك بـن الأحمـر بالـك مـن ضـربو يخشـان
ينـــده بحامـــد الأهـــول زرب كتـــافو ياشـــومان
إذا عـــاد تحـــدر بونوحـــة ســـيد يضـــرب بالطغـــان
ينـــده المســـعود القـــايم ابـــن الخنفـــر فتـــان
راكـــب زرقـــة مثـــل غـــزال وســـرجها شـــعال بيـــان
تبـــد الحـــاج المغـــوي وأولادت الشـــرفاء نـــران
نـــاقلين الحـــرب ســـاج أنقليـــز بـــلاد خـــان
فاينـــه صـــاقة فطناســـة فيـــه العـــرب وســـليمان
ناصـــرين الـــدين قبالـــة متـــوكلين علـــى الرحمـــان
يـــرحم مبـــارك بـــن الأحمـــر وعلـــي بـــن أدود فتـــان
أولادت عبـــد الله جملـــة طـــاحوا في شـــاو الميـــدان
إلى قـــال القـــول أمحمـــد ليشـــاني نظـــم غيـــوان
خيـار القـول علـى الهـادي الصـادق الـنبي العـدنان

القصيدة الثانية

لناظمها علي بن الشرقي

بســـم ربـــي نحمـــد القـــول
وأنـــثني علـــى الرســـول
يـــا درا واشـــنه المفعـــول
بـــين ســـيدي ونـــاس الكفـــار
جـــات لـــيهم قـــد الجـــردان
والعســـاكر مثـــل الويـــدان
يحلفـــوا بعبـــادة الأوثـــان
لـــن نخلوهـــا وتبقـــى قفـــرا
جملـــة مـــن كـــل أوطـــان
مـــن المديـــة للغـــرب أتلمســـان
لمّ عســـاكر حتـــى لـــوهران
ذي قضـــية مـــاذا جـــرا
والجزاير من كل مرسى جات
ســـكيكدة وعنابـــة باثبـــات
علـــى الزعاطشـــة تلاقـــات

تورخـــو يـــا مـــن هـــو يقـــرا
العســـــاكر والقـــــوم تـــــدور
والمـــــدافع تتعمـــــر بـــــالكور
ويميعـــدو علـــى الـــراي المكســـور
قـــــالوا نخلوهـــــا الدشـــــرا
والطنـــــابر مثـــــل الرعـــــود
ومـــن العجـــب يـــتكلم بـــارود
بغـــــاوا النصـــــارة ويهـــــود
فعـــــــــدت منتشـــــــــرا
قلنـــــا لهـــــم والله يـــــا خزيـــــان
أن نخلكـــــم في هـــــذا المكـــــان
لـــــن تعـــــودوا مثـــــل الـــــذبان
تبخســـوا وتضـــحوا في (كـــي)
نزهـــــــوني أيـــــــا شـــــــبان
واينهم ضد أولاد جوان . (jean)
كنـــــــت مكـــــــدر حـــــــيران
في ضـــــهيرى طاحـــــت جمـــــرا
في قلـــــبي قـــــدات الـــــنيران
بـــــــــاش أن شـــــــــرهان
مـــــن يبشـــــرنا يـــــا الإخـــــوان

يســـكن في الجنـــة الخضـــراء
بوســـــيف يـــــا بوزيـــــان
لا لـــــي ملجـــــوم يتعنّـــــا
رايـــح متريـــس ياتينـــا بخبـــار
الحـــال حالـــك يـــا قهـــار
يـــا الله يـــا عـــالم الأســـرار
وهـــب جـــيش الكفـــار للزمهريـــة
ضـــــــــربت الأبـــــــــرار
نمثلـهم كيـف أصـحاب المختـار
نشـــعر عـــنهم يـــا فهـــام
نشـــــــكر ســـــــيد ألا
بوســـــيف يـــــا بوزيـــــان
أنـــا ضـــرير وامكـــني هيـــف
درت الحـــق وقفـــت النيـــف
سميتـــك تـــبرا مـــن الحمـــا
تلغـــط بـــك نســـاء وصـــغار
والطلبـــاء ألـــيّ تقـــرأ الأســـوار
غيـــثهم يـــا عـــالي الأقـــدار
يبخســـو ويجـــرو في حصـــرا
حبـــــك داخـــــل الأكبـــــاد

ربـــــي بلغـــــني المـــــراد
بركـــة ســـيادي أهـــل الجهـــاد
أوليـــــاء الله مـــــع الكرمـــــا
بوســـــيف يـــــا بوزيـــــان
هـــــو إلى فـــــض الأمحـــــال
كـــــل يـــــوم النَّـــــدَّة بلســـــان
إلـــي ســـاكن في قلبـــه الإيمـــان
يحضـــــر فيهـــــا يـــــا فهـــــام
أنـــا عـــاجز ولاحـــق الأبعـــاد
مـــــــن زار ذاك الميعـــــــاد
أهـــل اللزميـــة ونـــاس الحرمـــة
بوســـــيف يـــــا بوزيـــــان
جيـــت نرقـــد مـــا طـــاب نعـــاس
حـــوَّط بـــي ذاك الوســـواس
مـــن حـــديث يتكـــوفخ الـــرأس
فى الخـــــــواطر زاد رزيـــــــة
كثـــــر شـــــعبي بـــــي الأبنـــــات
خفـــت أنـــا مـــن بعـــض الكشـــفات
يتفرقـــــوا ويروحـــــوا جهـــــات
ذيـــــك لـــــيعتي واشـــــفيا

حتـــى عقلـــي يقـــول لـــي كفـــاش
تخـــــاف عـــــنهم لابـــــاس
يحـــــرزهم طيـــــب الأنفـــــاس
المصـــــطفى ســـــيد رقيـــــة
الأبطـــل يـــا راعـــي الســـرحان
حيـــــدرة نقـــــال السلســـــال
نبغيـــــك تجـــــيني عجلـــــة
واتشـــــوف مـــــاذا جـــــرا بـــــي
كـــــل يـــــوم نخمـــــم نختـــــار
حتـــــى جـــــاني ذاك البشـــــار
عـــــاد علـــــي علـــــم المخطـــــار
قـــــال لـــــي أدًّا الأهـــــل مســـــعى
فرحـــت أن وزال الخـــوف علـــي
عـــــاد عنـــــدي كمثـــــل العبـــــد
مـــــن الغـــــرام مكنـــــى تصـــــهيد
ربـــــي عـــــالم بالمخفيـــــا
حتـــــى مـــــن ملايكـــــة الرحمـــــان
يقولـــــوا ينصـــــر بوزيـــــان
لا تشـــــفي فيـــــه العـــــديان
يمنعـــــوا مـــــن هـــــذا الداهيـــــة

شـــيعتكم وصـــلت للســـلطان
حوســـت مـــن الربعـــة أركـــان
الحضـــر وجميـــع العربـــان
حتـــى لتـــونس والبلـــديا
مـــن كـــلام مـــنظم بالســـاس
جيـــب مـــا فيـــه تدســـاس
علـــي بـــن الشـــرقي في فليـــاس
يـــا الله وألطـــف بِيَّـــا

ثالثا: نماذج من سياسة فرنسا للتوغل في الجنوب الغربي الجزائري وبلاد السنغال من خلال فتوى قورارة 22 جوان 1893م

استهلال[1] :

من مبادئ الاستعمار الغربي الصليبي في بلدان العالم الإسلامي ، العمل على تدمير أسس التقدم المعروفة عند شعوب هذا العالم المترامي الأطراف من "طنجة إلى جاكرتا" ومن "غانا" إلى "فرغانة" فهذا الفضاء الجغرافي الكبير يشتمل على أجناس وألوان ولهجات ولغات متعددة ، لكنها تاريخيا ، وفي إطار النمط الإسلامي كانت إلى مطلع العصر الحديث مسلمة دينا ، عربية لساناً .

فلما دخل الاستعمار الفرنسي خاصة ضرب على أوتار هدّامة وهي إحياء الجذور العرقية للشعوب كما فعل في الشام بتشجيعه للنزعة الفينيقية والتي كانت أهدافها القومية ، الدعوة لإحياء اللّهجات القديمة ومحاربة العربية لسان الثقافة الإسلامية ، والقرآن العظيم ، ونجح الاستدمار الفرنسي إلى حد بعيد في تكوين نخبة مسيحية في لبنان ، فهيأها للحكم والثورة على الوجود العثماني .

أما في الجزائر فقد كانت بالنسبة للغرب الصليبي ، وما تزال الثغر

---

(1) هذه مداخلة قدمتها في الملتقى الوطني الذي نظمه اتحاد المؤرخين الجزائريين بمدينة عين صالح ولاية تمنراست بين 21 - 23 ديسمبر 1997م .

والبوابة الحديدية التي تحطمت على أسوارها الأطماع الأسبانية والفرنسية منذ دخولها ضمن دائرة الحضارة العربية الإسلامية ، وقد تنبه الداي "شعبان" وحكومته إلى مكانة الجزائر الدولية في مواجهة الغرب الصليبي ومخاطر سقوطها على العالم الإسلامي في العصر الحديث .

ومن الملاحظ أن تفاعلات احتلال الجزائر من طرف فرنسا الكاثوليكية لم يكن صدفة أو مغامرة لتأديب الداي "حسين" الذي أهان شرف الدولة الفرنسية في شخص سفيرها "دوفال" من خلال حادثة المروحة[1] ، ويظهر ذلك من خلال الحقائق الثابتة وهي أن استعمار فرنسا للجزائر قد شكل رأس الحربة لتمزيق العالم الإسلامي ، ومن هنا يكون من المناسب ، ونحن نتحدث عن سياسة فرنسا التوسعية في الجنوب الغربي الجزائري وبلاد السنغال ، أن نحدد بشيء من التركيز على الميراث النكد الذي خلفته سياسة فرنسا المحكمة لضرب وحدة المنطقة وتمزيق نسيجها الاجتماعي والثقافي .

إن موضوع هذه الدراسة ينطلق من حادثة قد تبدو ـ لغير المطلع على أسلوب الدوائر العسكرية الفرنسية ـ ليست ذات أهمية بالمقارنة مع أسلوب الدمار الشامل للفرق العسكرية الفرنسية في الجزائر والسنغال لتهدئة الأوضاع بعد احتلال مدينة "تينقورارين" ، "قورارة" في مطلع القرن العشرين (1900م)

---

(1) قال رجل الدولة النمساوي المشهور وينمبرغ ميترنيخ الخبير بقضايا السياسة الخارجية ونوايا فرنسا التوسعية :

« Metternich - Winneburg , le célèbre homme d'Etat autrichien qui était un connaisseur en matière de politique étrangère française pendant et après le premier Empire , écrivait: « Ce n'est pas pour un coup d'éventail qu'on dépense cent millions et qu'on expose 40. 000 hommes ».

انظر :

Benachenhou (A), L'Etat algérien en 1830 ses institutions sous l'émir abdelkader, Alger ,Imp, E. P. A. p: 5.

وما يصحب هذا من دمار شامل وهجرة جماعية لسكان إقليم "توات" التاريخي ، فبعد احتلال منطقة "قورارة" كانت الفرق العسكرية الفرنسية المرابطة في مدينة "سان لوي " بشمال السنغال تتهيأ لإفشال حركة عسكرية كبيرة بالمنطقة وبالموازاة مع ما يحدث من تمشيط للجنوب الغربي الجزائري وتتبع فلول القبائل الفارة من دمار المدفعية الفرنسية ووحشية وبربرية فرقها العسكرية ، كانت تخشى عودة الاضطرابات إلى هذه المنطقة فبدأت باستمالة أعيان المنطقة لتدجينهم من أجل نزع فتيل المقاومة أو طمأنة الناس إلى إنسانية فرنسا التي جاءت إلى المنطقة بهدف إخراجها من دائرة العزلة وربطها بسبل الحضارة والتقدم .

وتهدف هذه السياسة إلى أمرين أساسيين :

أولا : العمل على نشر النفوذ الفرنسي بالصحراء في هدوء واجتناب المواجهة المسلحة إلى حين .

ثانيا : إدماج السكان في الحضارة الفرنسية وتنصيرهم .

وقد أشار الأب شارل دوفوكو" أثناء إقامته بتامنراست "1905- 1916" في نص صريح : "**الأمر الأول هو إقامة النظام الفرنسي والحضارة في إمبراطوريتنا بالشمال الغربي الإفريقي... والأمر الثاني هو : التبشير" . ولم تميز أوروبا في ذلك العصر بين الاستعمار والتنصير**" .

إن محور هذه الدراسة هي "النازلة"[1] التي أرسلها أحد علماء المنطقة إلى

---

(1) انظر نازلة فقهاء الإسلام (فتوى قورارة) المؤرخة في 22 جوان 1893م : الوثيقة رقم : 1 . (ملحق الوثائق) .

Exercice de la religion de l'islam dans les pays infidèles ,d'une fetoua des trois chorfas de la Mecque (Hanafite- Malekite- Chafeite) 22 juin 1893(A. O. M)
=

شيوخ الإسلام بمكة المكرمة يطلب فيها حكم الشرع، فيما إذا تغلب الكفار على "وطن من أوطان المسلمين" ولم يكن في وسعهم رد الاعتداء، كما أن المحتل الكافر لأرض المسلمين، رغبهم في إقامة الصلاة وشجعهم على اختيار إمام الصلوات الخمس والجمعة وأنهم لا يستطيعون مغادرة أراضيهم لاستضعافهم وخوفهم من مشقة الطريق والابتعاد عن الأوطان"[1].

كما أنه وفي هذا المعنى بالذات أرسل حاكم الجزائر العام "جيل كامبون JULES CAMBON" نازلة في عام 1893م إلى نفس الشيوخ يستفتيهم حول شرعية وجودهم بديار المسلمين، إذا كانت السلطات الفرنسية لا تتدخل في شؤونهم الإسلامية، فهل يبيح الشرع إقامة مسلم تحت سلطة كافر[2].

22H35. Traduction de la fetoua (pèlerinage de 1893) G. G. A (la zaouia de Temassine) (A. O. M.) 22H 28.

(1) انظر :

commandant M. lesourd , statut des personnes et des terres au Sahara (A. O. M) 10H90 (3). P27.

Exercice de la religion de l'islam dans les pays infidèles, d'une fetoua des trois chorfas de la Mecque (Hanafite- Malékite- Chafeite) 22 juin 1893 (A. O. M) 22H35.

انظر أيضا : رسالة الأمير عبد القادر إلى قاضي فاس الشهيرة :

AHMED Nadir , » Les ordres Religieux et la conquête française (1830- 1851) Revue Algérienne des sciences juridiques économiques et politiques Volume IX ,N° 4. décembre, Alger 1972 P: 841 et suivante..

ويعلق الأستاذ سعد الله فيقول : كيف اطلع علماء مكة على الفتوى (فتوى قورارة) ؟ هل وجد جول كامبون شخصية أخرى كشخصية الجاسوس ليون روش ؟ أو استعمل بعض الحجاج الجزائريين فقاموا له بالمهمة ، وسنذكر شخصية غريبة أخرى وهو الصحفي الشهير في عصره "جيفري" كورتيلمون الذي استعمله كامبون في مهمة إلى الحجاز خلال هذه الظروف ، وقد استعان جيرفري كورتيلمون بأحد الحجاج الجزائريين لتوصيل الفتوى إلى شيوخ الإسلام . انظر : سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء السادس ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ص : 366 .(Courtellement, Jerfrey, Voyage au Hijaz édition 1952.)

(2) انظر : فتوى قورارة وملابساتها في الملحق الخاص بالوثائق :

وقد أجمع شيوخ المذاهب الإسلامية الأحناف المالكية والشافعية على وجوب إقامة المستضعفين إذا أقاموا دينهم وشعائرهم مع الظروف المذكورة في النازل ة (الفتوى) وكان الرد حسب الوثيقة مؤرخًا في 22 جوان 1893م .

وبحكم الغموض في سرد الأحكام الفقهية المعروفة وسوء فهم هؤلاء المشايخ مناط النازلة استطاع : "جيل كامبون" (Jules Comban) (1891-1897) حاكم الجزائر العام آنذاك أن يستغل النازلة وروج لها بطريقة عجيبة إذ إن " النص المطاط أعطى لفرنسا حججا مكنها من استعمالها لصالحها ، وتشير الوثائق الموجودة بأرشيف ما وراء البحر الخاصة باحتلال منطقة "قورارة" (تينقورارين) **وإقليم توات**[1] والمراسلات المتبادلة بين حاكم إقليم وهران وحاكم الجزائر العام والسلطات الاستعمارية في السنغال وبلاد الهقار والمستعمرات الفرنسية الأخرى ، ساحل العاج ، مالي ، غينيا الفرنسية ؛ والكونغـــو إلى ما كان يقوم به الإعلام الاستعماري الذكي لتحقيق أهداف فرنسا التوسعية والسيطرة على السكان بأقل الخسائر الممكنة وتحقيق أهدافها ومشاريعها الاقتصادية والعسكرية مثل مد خط السكة الحديدية من المنطقة الغربية إلى ورقلة ، ومنها إلى أقاليم الصحراء الشرقية وإحكام الطوق لاحتلال مدينة "جنات" ومحاصرة الزوايا السنوسية المناهضة للوجود العسكري الفرنسي في الصحراء ، وهذا بتحالفها مع قبائل

Exercice de la religion de l'islam dans les pays infidèles ,d'une fetoua des trois chorfas de la Mecque (Hanafite- Malekite- Chafeite) 22 juin1893(A. O. M)22H35.

(1) حول ظروف احتلال تينقورارين وملابسات الوضع السياسي في الجنوب الغربي الجزائري راجع : إبراهيم مياسي ، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري الجزائر ، مطبوعات متحف المجاهد 1996م ص : 114 وما بعدها .

الهقار والقبائل العربية في شمال تشاد[1] .

ويشير مؤرخ الجيل الدكتور سعد الله إلى هذا الأمر فيقول : "وكانت سياسة الدولة العثمانية الإسلامية وخوف فرنسا على الوضع الداخلي بالجزائر ، قد أجبرت الحاكم العام" جول كامبون على تزوير فتوى جديدة ـ (**إشارة ربما لفتوى قورارة موضوع الدراسة**) ـ تثبط المسلمين الجزائريين ضد الهجرة وتقاوم تأثير السياسة الإسلامية أو الدعاية العثمانية في الجزائر ، وجول كامبون كما سلف ؛ هو الذي أمر بدراسة نفوذ الطرق الصوفية ومعرفة ما كان منها "وطنيًّا" أي : نابعًا من الجزائر وليس له فروع أو أصول في المشرق ، وما كان منها "**عالميًّا**" أو مشرقيًّا له فروع وأصول[2] . وكانت فرنسا الاستعمارية قبل ذلك قد استعانت **بالجاسوس الشهير ليون روش** متنكرا فى الزيِّ العربى الإسلامي الذي أرسل إلى أهل القيروان والأزهر ومكة والرباط قبل هذا وجاء من علماء هذه الحواضر والدول "**بفتوى**" أعدتها مسبقًا مصالح المخابرات الفرنسية ، وختمت عليها أيدي علماء الإسلام" **الأعلام**" في الأماكن المذكورة . . . فعلقت على جدران المساجد وقرئت في الخطب ونشرت في جريدة المبشر وسارت بها الركبان إلى الأرياف والآفاق ، ونادى بها البراحون

---

(1) انظر :

Général Meynier(ancien commandant militaire du territoire des oasis) la guerre sainte de la senoussya (cahiers Charles de foucould) Arthurd France 1946 PP: 119- 143.

H. Duveyrier, La confrérie Musulmane de sidi Mohammed ben Ali Essenousi et son domaine géographique Roma ,tipografia del senato 1918 P: 33.

Incendies en Algérie et senoussistes 1894- 1895 (rapport de Mr Ricard vice consul de France à Benghazi à Mr le ministre des affaires étrangères à Paris, Benghazi le 14 octobre 1894(A. O. M)16H57.

(2) أبو القاسم سعد الله ، دور المهجَّرين الجزائريين في بلاد الشام ـ (أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر) ، الجزء الرابع ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي 1996م ص : 195 .

في الأسواق ، وكلهم يقولون : "لا للهجرة الجماعية للمسلمين ولا لحمل السلاح في وجه الكفار ما داموا لم يتعرضوا للدين بالأذى وما دام المسلمون عاجزين عن إخراجهم من الجزائر بالقوة"[1] .

وما يمكن أن نذكره : أن هذا الجاسوس الذي تمكن البوحميدي عضد الأمير عبد القادر في جهاده ضد فرنسا الاستعمارية- من اكتشاف أمره منذ مدة طويلة قد استعان بشرفاء وزان من أهل الطريقة الطيبية في استصدار الفتوى المشهورة عام 1843م وهذا في أيام السفاح بوجو ، كما أنه لما أرسل إلى مكة ، وفي نفس عام 1842م وافق على فتواه علماء مكة ومجلسهم الموقر الذي دعى إليه الشريف غالب حاكم مكة المكرمة ، إلا محمد بن علي السنوسي الذي رفض التوقيع على استسلام أبناء المسلمين المجاهدين في الجزائر وهو ما ذكره ليون روش نفسه في كتابه الشهير"اثنان وثلاثون سنة في الإسلام"[2] .

لقد حمل ليون روش نص فتوى إلى علماء مكة ليوافقوا عليه ، ومحتوى النص هو دعوة الجزائريين إلى الكف عن حرب الفرنسيين ما داموا قد سمحوا لهم بالعبادة ، ومعلوم أن روش قد روى بنفسه في كتابه القصة ، وكيف ذهب إلى مكة ومن رافقه من مقدمي الطرق الصوفية الجزائريين ، وكان ذلك عام

---

(1) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء السادس ، ص : 365 .

للتذكير فقط أن الإسلام الطرقي قد عمل في ركاب الاستعمار الفرنسي وهذا بمساعدته أيام بوجو وأيام جيل كومبون ، وتتمثل الطرق الصوفية التي كان لها الدور الكبير في استصدار هذه الفتوى التجانية ، بالجزائر والطيبية الطريقة الأم بوزان . والتجانية والطيبية من الطرق المعادية للأمير عبد القادر أثناء جهاده ضد الاحتلال الفرنسي للبلاد : انظر : يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب(1832- 1847) ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1990م ص : 40- 41 .

(2) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء الرابع ، ص : 254 .

1842م ، وقد اعترف ليون روش أن العالم الوحيد الذي عارض الفتوى في المجلس العلمي كما ذكرنا سابقا هو محمد بن علي السنوسي .

النازلة ومسألة الولاء والبراء:

إن هذه النازلة تطرح مسألة معروفة في الفقه الإسلامي ، ولها علاقة وثيقة بعقيدة "الولاء والبراء" ، ولم تكن غريبة عن تاريخ الجزائر الحديث ، حيث ظهرت أولا عند العلامة أحمد بن يحيى الونشريسي صاحب المعيار الذي عاصر ظروف المسلمين بعد سقوط غرناطة عام 1492م آخر معاقل الإسلام المحاصر في أوروبا الجنوبية الغربية وعنوان رسالته "**أسنى المتاجر في بيان أحكام من تغلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر**"[1] . وقد تجددت النازلة على يد الأمير عبد القادر وسماها : "**حسام الدين لقطع شبه المرتدين**"[2] . إن رسالتي الونشريسي والأمير عبد القادر متحدتان في الموضوع والدافع مختلفتان في الحكم والهدف ، فموضوعهما فتوى دينية في قضية إسلامية ، ودافعهما استفتاء وجه كل منهما من طرف مستفتيها في قضية الهجرة الشرعية وهدف الونشريسي بفتواه أن يعود المسلمون

---

(1) حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية ، دراسة وتعليق : محمد بن عبد الكريم الجزائري ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981م ص : 6 .
انظر : أحمد بن يحيى الونشريسي ، كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية ، نشر وتعليق الأستاذ محمد الأمين بلغيث ، لافوميك ، الجزائر 1985م ص : 18 .
محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ، شرح وتعليق ممدوح حقي ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر 1964م ص : 411 .

(2) ابن عبد الكريم ، حكم الهجرة ، ص : 6 وما بعدها .

القاطنون تحت ذمة الكفار في الأندلس إلى صوابهم ويدخلوا إلى دار الإسلام بالمغرب ويتوبوا من ذنب كبير قد ارتكبوه وهدف الأمير ـ بفتواه ـ إرواء ظمأ مستفتيه وإطلاع سائله على حكم الشرع فيمن بقي تحت ذمة الملة الكافرة ولم يهاجر إلى دار الإسلام والتي تحت حوزته بالغرب الجزائري .

ونجد الأمير قد أخطأ في توقعه وخاب اعتقاده ؛ إذ إن جميع من بقي من المسلمين تحت ذمة الفرنسيين بأرض الجزائر قد بقي مسلما قلبا وقالبا[1] وقد انتصر إلى هذه الفتوى علماء الجزائر **كقدور بن رويلة ومصطفى بن الكبابطي وعلي بن الحفاف** ، ولو امتثل الجزائريون رأي الأمير لهاجروا جميعا من أرض الجزائر المحتلة وأخلوا البلاد للفرنسيين وذلك ما كانوا يبغون بل كانوا يشجعون على هذه الهجرة التي هي سياسة فرنسية ماكرة لإفراغ الجزائر من سكانها ونخبتها وفرسانها حتى تحقق حلم نخبتها البرجوازية الفرنسية في المزيد من الاحتلال والقتل للسكان في مجازر تاريخية لإفراغ الجزائر من سكانها[2] .

---

(1) نفسه ص : 6 وما بعدها .

(2) حول المجازر والهجرة والتهجير انظر :

أبو القاسم سعد الله ، دور المُهَجَّرين الجزائريين في بلاد الشام (أبحاث وآراء) الجزء الرابع ص : 193 . عمار هلال ، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847- 1918) الجزائر لافوميك ، 1986م ص : 30 وما بعدها .

وقد تناول الجزائريون الهجرة الجزائرية في دراسات مستفيضة منها المطبوع ومنها المخطوط انظر : الأستاذة نادية طرشون ، "الهجرة الجزائرية إلى المشرق العربي " ، كلية الآداب جامعة دمشق ، 1985م .

ـ سهيل الخالدي ، الإشعاع المغربي في المشرق "دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام" تقديم : أبو القاسم سعد الله ، الجزائر ، دار الأمة 1997م . ص : 31 . وما بعدها .

أما الظروف والملابسات الخاصة "بنازلة قورارة"[1] فمختلف حسب ما تقتضيه المراسلات وما تتضمنه الوثائق التي تمكنا من الاطلاع عليها ، فهي" **الصورة الثانية للهدف الفرنسي المرجو من إقامة مرحلة سلم بالجنوب الغربي الجزائري للتفرغ إلى مشاريعها الاستعمارية في السنغال ومالي وساحل العاج والكونغو وغينيا ؛ بعد القضاء على"جهاد الحاج عمر الفوتي**[2] الذي كان هدفه

---

(1) استطاع الدكتور سعد الله أن يفصل محتوى الفتوى ولم يطلق عليها الاسم الذي جاء في الوثيقة الرسمية المنشورة في المستندات فيقول أستاذ الجيل أبو القاسم سعد الله : "تتكون فتوى كامبون من مقدمة وثلاثة أسئلة : أما المقدمة فهي : إذا كان الكفار (الفرنسيون) قد احتلوا أرضًا إسلامية ، ولكنهم لم يضعوا أية عراقيل لممارسة المسلمين ديانتهم ـ بل هم يشجعونهم على القيام بشعائرهم الدينية ، ويعينون القاضي منهم لينفذ أحكام الشريعة ، ويخصصون لهذا القاضي راتبًا شهريا ، فهل يجب على المسلمين :

1- أن يهاجروا أو لا ؟ .

2- هل يدخلون في حرب ضد الكفار لينتزعوا منهم السلطة ، ولو كانوا غير متأكدين من أنهم يملكون القوة لتحقيق الانتصار عليهم ؟

هل المكان المحتل من قبل الكفار يعتبر أرضًا إسلامية أو أرض حرب ؟ ؟ . .

أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء السادس ، ص : 365 .

(2) حول الولاء والبراء وحركة الحاج عمر الفوتي الجهادية :

آدم عبد الله الألوري ، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني المجاهد الإسلامي الأكبر بغرب إفريقيا والجد الأعلى للشهيد أحمد بللو ، بيروت الطبعة الثالثة الدار العربية ، 1398هـ/1978م ص : 9 وما بعدها .

انظر أيضا :

Voila ce qui est arrivé (BAYAN- MA WAQAA) d'AL HAGG UMAR AL-FUTI(plaidoyer pour une guerre sainte en Afrique de l'ouest au XIX siècle édition critique et traduction par sidi Mohamed Mahibou et Jean louis Triaud , texte Arabe et traduction française , édition du C. N. R. S. Paris 1983 P: 7 et suivante.

أما نص التقارير الخاصة بمنطقة نفوذ "الحاج عمر الفوفتي" وكيف كانت تعالجها المصالح العسكرية والإدارية الفرنسية فهي ما جاء في تقرير نائب كاتب الدولة للمستعمرات وهذا في رسالة إلى "جيل كومبون" حيث فيهم من رفض نشر الفتوى في بعض المستعمرات كساحل =

الأسمى القضاء على تحالف القبائل والإمارات الوثنية ، الموالية للاستعمار الفرنسي وإقامة دولة إسلامية بعيدة عن نفوذ الاحتلال الفرنسي الكافر .

كما أن حاكم الجزائر العام "جيل كامبون" لايزال تحت تأثير زيارة الوفد البرلماني الفرنسي عام 1892م بقيادة جول فيري (Jules Ferry) الوزير والرأس المدبرة للفكر الكولونيالي[1]، "حيث اغتنم الجزائريون فرصة وجود لجنة جول فيري بينهم سنة 1892م وتقدموا إليها بمطالب قوية ، بما في ذلك تحوير نظام الضرائب وإصلاح التمثيل النيابي واستعادة القضاء الإسلامي ،

العاج وغينيا الفرنسية ، أما باقي المناطق وعلى الخصوص السودان الفرنسي (المالي) فهم يتحفظون من نشر الفتوى بين المسلمين الآن على الأقل كما جاء في التقرير" : السيد حاكم الجزائر العام ؛ بما أنه كان لي الشرف بإبلاغكم بتاريخ 9 ديسمبر الماضي ؛ فقد حولت النازلة(الفتوى) وترجمتها إلى وكلائنا بالسنغال ، السودان ، غينيا الفرنسية ، ساحل العاج ؛ والكونغو ، أين أجاب شيوخ ـ المذاهب الثلاثة الموجودين بإفريقيا الشمالية ـ عن سؤال حاكم الجزائر العام المتضمن إمكانية إقامة المسلمين تحت سلطة الكفار . إن السيد حاكم السودان الفرنسي (قرودي) ، يخشى أن يكون وقع الوثيقة سيئا على مصالحنا من طرف دعاة الإسلام بالمناطق الخاضعة لسلطته والذين لم يخضعوا لتربية دينية كاملة مع جهلهم التام بتفاسير القرآن . انظر : الوثيقة وترجمتها بملاحق هذا الكتاب .

(1) انظر : أيضا تقييم ونقد سارتر للسياسة الكولونيالية ومفكرها "جيل فيري" (Jules Ferry) جان بول سارتر ، عارنا . . في الجزائر ، ترجمة عايدة وسهيل إدريس ، بيروت ط . 2 . ، دار الآداب 1958م ص : 56 . عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج4 بيروت ، دار الثقافة ، ط . 2 . 1980م . ص : 303 . انظر أيضًا تعليق جيل فيري عن سيطرة النخبة الكولونيالية في نهاية القرن التاسع عشر وهذا من خلال السيطرة على قوت وأرزاق الجزائريين وإرهاقهم بالضرائب إلى درجة لم تعرفها الإنسانية ، كما أن جيل فيري حينما طرح فلسفته حول المدرسة العمومية والتعليم أخبره غلاة المعمرين أن العرب غير قابلين للتعلم والتربية فهم أقرب إلى الحيوان منهم إلى الإنسان :

Jules Ferry, Le gouvernement général de l'Algerie 1892 in Francis et colette Jeanson,L'Algerie hors la loi ,collection SAD; ENAG; éditions Alger 1993 p: 59

وفوق ذلك كله كما قال "فيري" : فإن الجزائريين قد طلبوا من الفرنسيين أن "دعونا وحدنا"[1] .

كما أن فرنسا الاستعمارية لا تزال تعيش حالة الاضطراب الذي عرفته أثناء ثورة بوعمامة (1881- 1908)[2] .

هذه الملابسات كلها تركت سبيلها لإضفاء الدعاية الكبيرة على فتوى شيوخ الإسلام المؤرخة كما أسلفنا في 22 جوان 1893م وهي بذلك تسعى إلى كسب ود أعيان منطقة الصحراء وإدماجهم ضمن دائرة العائلات الكبيرة التي يسميها المؤرخون "**أرستقراطية العصور الوسطى**" أو الخيام الكبيرة أو النخبة التقليدية وعلى أية حال فإن فرنسا قد نجحت في كسب العائلات الكبيرة وسحبت منها الغطاء السياسي والروحي والتمثيلي لدى الجماهير .

وقد عملت السلطات الاستعمارية على توسيع رقعة احتلالها بالجنوب الغربي وربطت المنطقة بالسنغال وبمناطق نفوذها فيما يعرف بإفريقيا الغربية الفرنسية أو بلاد السودان الفرنسي[3] .

---

(1) أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية (1900- 1930) الجزء الثاني بيروت ، دار الغرب الإسلامي 1992م ص : 77 .

(2) عن ثورة بوعمامة راجع :

E. Graulle, Insurrection de bou- Amama, (Avril 1881), Paris, 1905, p 7.

انظر أيضا : الدكتور : إبراهيم مياسي ، دور ثورة الشيخ بوعمامة في التصدي للتوسع الاستعماري ، المصادر (مجلة فصلية تعنى بشؤون الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م) ، الجزائر ، العدد الأول صيف 1419هـ/1999م ص : 101 وما بعدها .

(3) انظر :

Chaoui Abdesselem , les marabouts vu par les éxplorateurs du 19eme siècle (memoire de maitrise(lille , france 1991- 1992 (90 pages).

أبو عمران الشيخ ، شارل دي فوكو في تمنراست (1905- 1916) كتاب الأصالة الجزائر =

أما حظ فتوى شيوخ الإسلام في السنغال فقد أشارت وثائق الأرشيف الفرنسي إلى قوة الدعاية التي قامت بها فرنسا في السنغال من أجل مسح أثار جهاد الشيخ الحاج عمر الفوتي ودولته الإسلامية الذي لا يزال يتردد صداها منذ نهاية الستينيات من القرن التاسع عشر ، وهو النجاح الذي تحقق بالموازاة مع ـ دور المبشرين والجواسيس والمكتشفين الأوروبيين والمستشرقين خبراء الاستعمار ـ في تشويه صورة الإنسان الإفريقي بالمنطقة[1] .

إن محتوى العمل الدعائي الذي قامت به دوائر الإعلام والدعاية الاستعمارية جديرة بالاهتمام كمرحلة ومنهجية متبعة ضمن أساليب الغزو والتدمير الذي تقوم به الفيالق العسكرية الفرنسية ، ولهذا فما قامت به فرنسا أمام هذه النماذج الدعائية لكسب شرعية وجودها في ديار وأوطان المسلمين التي أبرزتها الوثائق التي أشرنا إليها تبرهن على الأساليب المحكمة المتبعة في غزو الأرض واستغلال الثروات وتحييد أو تشويه النخب المتعلمة الواعية كلها معا تحدد ملابسات إخضاع أقاليم ومناطق الصحراء الجزائرية إلى قوانين فرنسا الاستعمارية بشتى الأساليب وأحط الوسائل .

لقد كان الانتقام واتباع سياسة الأرض المحروقة في الجزائر عامة وقصور الصحراء خاصة انتقامًا لقتلاها وعدم استسلام أهالي المنطقة الذين دافعوا عن

1995م ص : 245- 259 . انظر أيضا : بشير مديني ، شارل دوفوكو قس أم جاسوس ؟ الملتقى الوطني الذي نظمه اتحاد المؤرخين الجزائريين حول المقاومة بالجنوب الغربي بالتعاون مع وزارة المجاهدين بين 21- 23 ديسمبر 1997م . ص : 8 .

F. de lachapelle, Etudes, notes et documents du Sahara occidental présentés au VIIeme congres de l'institut des hautes études de Rabat 1930.

(1) النقيب ع . ف . لايون ، مدخل إلى الصحراء ، ترجمة الدكتور الهادي أبو لقمة ليبيا ، منشورات جامعة قار يونس ، 1993م ص : 152 .

شرف قراهم وقصورهم ومدنهم بكل ما يدعو للتألم من صبر هؤلاء الرجال المجاهدين وكيف قابلتهم فرنسا المتحضرة بمجازر لا تزال دماء شهداء إينغر الأولى والثانية وقصر باجودة الشامخ وهضبة تيديكلت التي تتحدى الغزاة، شاهدة على جهاد أهل المنطقة دفاعًا عن الدين والشرف والوطن[1].

نص الفتوى:

ما قولكم في أهل بلدة مسلمين قد استولى عليهم الكافر وصار حاكما عليهم، ولم يتعرض لهم في أمور دينهم، بل يحثهم على إجراء أحكامهم الدينية ووظف عليهم قاضيا من أهل دينهم يجري عليهم الأحكام الشرعية؛ وجعل له معاشا وافرا يأخذه على رأس كل شهر؛ فهل مع هذا تجب عليهم الهجرة أم لا ؟ وهل تجب عليهم مقاومته ومحاربته مع عدم قدرتهم على ذلك أم لا وهل بلدهم التي استولى عليها يقال لها : دار حرب أم دار إسلام بينوا لنا بيانا شافيا قاطعا للنزاع أيد الله بكم الدين .

الكوناستمد التوفيق والعون من حامد سماحة محمد الإجابة:

قال شيخنا العلامة ـ رحمه الله ـ في جواب نحو المسول عنه : المهاجرة واجبة من موضع لا يتمكن الرجل من إقامة أمور دينه بأيِّ سبب كان ، ومن لم يقدر على ذلك يجب عليه الهجرة إن قدر عليها بأن كان له مال يكفيه لمؤنة الانتقال، فقد قال الله سبحانه وتعالى في حق قوم أسلموا ولم يهاجروا مع تمكنهم من ذلك : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا

---

(1) الدكتور إبراهيم مياسي ، مئوية احتلال تيديكلت ، (جريدة اليوم الجزائرية) العدد : 338 الخميس 09 مارس 2000م ص : 21 .

مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ [النساء : 97] .

فلم يعذرهم ربهم مع استضعافهم بتمكنهم من المهاجرة إلى محل آخر إلا من استثنى في آخر الآية قال تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ﴾ [النساء : 98] والمعنى : أن جهنم مأوى جميع من ترك الهجرة إلا من هو مستضعف من جنس الرجال والنساء والولدان حال كونهم لا يستطيعون حيلة في الخروج لعجزهم وفقرهم ولا يهتدون سبيلا أي : لا معرفة لهم بالمسالك فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ترك الهجرة . ا . هـ .

كذا قاله علماء التفسير وقال ﷺ : {**من فرَّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرًا من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد صلوات (كذا) الله عليهم أجمعين**} ، وفي معراج الدراية عن المبسوط : "البلاد التي في أيدي الكفار بلاد إسلام لا بلاد حرب ؛ لأنهم لم يظهروا حكم الكفر بل القضاة والولاة مسلمون يطيعونهم عن ضرورة أو بدونها وكل مصر فيه والٍ من جهتهم يجوز له إقامةُ الجمع والأعياد والحدود فلو (كان) الولاة كفاراً يجوز للمسلمين إقامة الجمع ويصير القاضي قاضيا بتراض المسلمين ويجب عليهم أن يلتمسوا واليا مسلمًا" ا . هـ .

وفي **تنوير الأبصار وشرحه الدر المختار** : "لا تصير دار الإسلام دار حرب إلا بأمور ثلاثة : بإجراء أحكام أهل الشرك ، وباتصالها بدار الحرب ، وبأن لا يبقى فيها مسلم أو ذمي آمنًا بالأمان الأول على نفسه" . ا . هـ .

قال : "**العلامة الطحطاوي**" في **حاشيته عليه** : "وظاهره أنه لو أُجْرِيَتْ أحكام المسلمين وأحكام أهل الشرك لاتكون دار حرب" . ا . هـ .

فعلم مما نقلناه أنه متى وجد قاض من المسلمين ولو بإقامة الكافر له وأجريت أحكام المسلمين على ما وصف أعلاه لا تخرج البلاد عن أن تكون دار إسلام ا . هـ .

والله سبحانه أعلم، أمر برقمه خادم الشريعة والمنهاج **عبد الرحمن بن عبد الله سراج الحنفي** مفتي مكة المكرمة كان الله لهما حَامِدًا مُصَلِّياً مُسلما .

الختم

عبد الرحمن بن عبد الله سراج

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والسالكين لنهجهم بعده .

اللهم هداية للصواب .

في فتاوى العلامة الشيخ محمد بن سليمان الكردي محشي شرح ابن حجر أن إقامة المسلمين بدار الكفر على أربعة أقسام :

إمَّا لازمة بأن قدروا على الامتناع من الكفر والاعتزال عنهم ولم يرجو نصرة المسلمين ؛ لأن موضعهم دار إسلام ؛ فإذا هاجروا صار دار حرب ؛ أو مندوبة بأن أمكنهم إظهار دينهم ويرجى ظهور الإسلام هناك أو مكروهة بأن أمكنهم ولم يرجوا ذلك أو حرام بأن لم يمكنهم إظهار دينهم فحينئذ إذا كان في إظهار الدين وأحكام المسلمين من حدود وغيرها إهلاك البلاد وقتل المسلمين بسبب أنه يتعاطاه الوالي الكافر ولا يفوضه إلى حكم الإسلام حرمت الإقامة عندهم ووجبت الهجرة إلا لعاجز لا يقدر عليها فيعذر ، انتهى ، وفي شرح الجمال الرملي على المنهاج إلا وجهان دار الإسلام التي استولوا أي :

الكفار عليها كذلك أي : في التفصيل المذكور انتهى .

ومن ذلك عُلِمَ حكم السؤال الأول . وجواب السؤال الثاني : لا تجب مقاومة الكفار مع عدم القدرة والله أعلم وجواب السؤال الثالث أن بلاد الإسلام لا تصير باستيلاء الكفار عليها دار حرب والله سبحانه وتعالى أعلم ، رقماً لما تجرى من به كلال النبل .

محمد سعيد ابن محمد بابصيل مفتي الشافعية بمكة المحمية غفر الله له ولوالديه ومشايخه وجميع المسلمين .

الختم .

الحمد لله وحده اللهم هداية للصواب .

أما بعد : فإني قد نظرت فيما أفاده السادة الأعلام فوجدته هو الصواب المعول عليه ، ولا يكون الاعتماد إلا عليه فجزاهم الله أحسن الجزاء وأقام بهم شعائر الدين وبا الله (كذا) الاعتماد .

أمر برقمه مفتي السادة المالكية بمكة المحمية **محمد عابد ابن المرحوم الشيخ حسين . الختم .**

أثر الفتوى في المستعمرات الفرنسية:

ترجمة رسالة حاكم السودان الفرنسي (مالي) . (من ترجمتنا)

كيس (المالي) . في 17 يناير 1894 .

أ ـ قرودي ، حاكم السودان (الفرنسي) إلى السيد : نائب كاتب الدولة للمستعمرات .

لقد شرفتموني في رسالتكم المؤرخة بتاريخ 9 ديسمبر الماضي تحت رقم : 243 التي تتضمن نسخًا من "**الفتوى**" التي رد فيها شيوخ المذاهب الثلاثة الأحناف ، الشافعية والمالكية المقيمون بإفريقيا الشمالية ، وهذا على ما طلبه حاكم الجزائر العام (جيل كومبون ـ Jules Cambon ـ) لمعرفة شرعية خضوع المسلمين تحت سلطة الكفار .

وقد طلبتم مني تسليم هذه النماذج إلى أعوانا الضباط أو موظفينا الموجودين في الأقطار الإسلامية .

إن الدراسة المعمقة لهذه الوثيقة تجعلني أفكر بأنه من غير المناسب نبليغها إلى أتباع الإسلام الموجودين بالسودان الفرنسي .

إن الشعوب السوداء بالمستعمرة الذين يتبعون أحكام القرآن هم :

أولا : التكرور ، ثم يليهم قدماء الوثنيين الذين انضموا تدريجيا إلى الدين بعد فتوحات **الحاج عمر(الفوتي)** .

وإذا كان الأولون الذين كانوا ولا يزالون المبشرين الحقيقيين للإسلام في السودان الذين تمكنوا آنذاك بمساعدة قواتهم العسكرية من فرض دينهم على عدة أقوام وثنية وبقوا مع ذلك على دراية غير كافية بالكتاب المقدس ومفسريه ؛ إذ لم يتلقوا تربية دينية كاملة التي يتمتع بها عرب الجزائر ومرابطوهم ليسوا سوى متعصبين جهلة ، أما فيما يخص هؤلاء الوثنيين الذين أسلموا فإنهم أقل تنويرا ، قليلو الإلمام بدينهم الجديد من التكرور ؛ حيث إنهم لا يتكلمون ولا يقرؤون العربية والقليل منهم فقط يستعمل الحروف العربية لكتابة لهجاتهم الخاصة .

وخلاصة القول : لا هؤلاء ولا هؤلاء يمكن مقارنتهم ـ فيما يخص علوم الدين ـ مع شعوب الشمال الإفريقي ، وأكثر من ذلك شعوب الشرق ، غير أنهم كلهم يعوضون نقص معرفة شريعة الرسول، بتعصب أعمى ولا يسمعون للاستدلال وغير قادرين إلا على أن تكون موضع تفكير أو دراسة .

في مثل هذه الظروف ونظراً لأسلوب الفتوى الملتوي فإنه يتوجب علينا الحذر ، وفي اعتقادي بأن مفعولها غير مجد وربما يكون عكسيا ، فالمرابطون سيتحفظون منها إلا العواطف الملائمة لأحكام الإسلام بدلا من روح الأجوبة المتعلقة بالفتوى التي طرحها حاكم الجزائر العام .

يتبين لي إذن أنه من المستحسن عدم نشر هذه الفتوى في هذه الآونة ، اللهم إلا إذا صادفنا مرابط له من الذكاء والفهم يمكنانه من شرحها للمسلمين في الاتجاه الإيجابي الذي يخدم مصالحنا وهيمنتنا على السودان الفرنسي .

وإني . . . . . إلخ .

الإمضاء : أ . قرودي .

باريس في 5 مارس 1894 .

نيابة كتابة الدولة للمستعمرات .

إلى السيد حاكم الجزائر العام

السيد حاكم الجزائر العام بما أنه كان لي الشرف بإبلاغكم بتاريخ 9 ديسمبر الماضي فقد حولت النازلة (الفتوى) وترجمتها إلى وكلائنا بالسنغال، السودان، غينيا الفرنسية، ساحل العاج؛ والكونغو، أين أجاب شيوخ ـ المذاهب الثلاثة الموجودين بإفريقيا الشمالية ـ عن سؤال حاكم الجزائر العام المتضمن إمكانية إقامة المسلمين تحت سلطة الكفار.

إن السيد حاكم السودان الفرنسي، يخشى أن يكون وقع الوثيقة سيئا على مصالحنا من طرف دعاة الإسلام بالمناطق الخاضعة لسلطته والذين يتلقون تربية دينية ناقصة جدًا مع جهلهم بتفاسير القرآن.

لي الشرف أن أبعث لكم نسخة من تقرير حاكم السودان الذي يوافق هذه الرؤية والمضمون الذي يتضمن أفكارًا هادفة، وأضيف أن السادة حُكّام غينيا الفرنسية، ساحل العاج عكس ما ذهبنا إليه يقترحان نشر هذه الفتوى في كل بقاع هاتين المستعمرتين أين يتبين جدوى ذلك.

تقبلوا سيدي الحاكم العام خالص تقديري واحترامي.

موريس لولو

رابعًا: الشيخ بوعمامة المجاهد المتصوف

مدخل عام:

الشيخ بوعمامة[1] مجاهد عاش ظروف أمته بكل حواسه ، فأيقظت فيه هذه الظروف روح التحرر من الظلم المسلط على الجزائر ، كما عايش الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، الإقليمية والدولية التي ستجد صداها الواسع في تكوين شخصيته كما تكون لديه الأبعاد السياسية والعسكرية خلال ثورته العارمة منذ1881م إلى غاية عام 1908م .

الشيخ بوعمامة المجاهد المتصوف ، يطرح مجموعة من الأسئلة هي :

* لماذا اختار الشيخ بوعمامة طريقا جديدا في حياته الفكرية وانتمائه الأصلي للطريقة الشيخية ؟

* كيف كانت ردود فعل ومواقف أصحاب الطريقة الأم . . . والخصوم السياسيين ؟

---

(1) هو محمد بن العربي بن الشيخ بن الحرمة بن محمد بن إبراهيم بن التاج المشهور بأبي عمامة ، سليل عائلة أولاد الحرمة التي تنحدر من أولاد سيدي التاج الابن الثالث عشر للجد الأول سيدي الشيخ ، وقد انحاز هذا الفرع إلى التراب المغربي بمقتضى معاهدة لالة مغنية ليوم 18 مارس 1845م ، لذلك يطلق عليهم أولاد سيدي الشيخ الغرابة . بوعمامة من مواليد 1838 أو 1840 بفيقيق في قصر الحمام الفوقاني ، وتجمع الوثائق التاريخية على أنه غادر فيقيق نهائيا عام 1875م ليستقر بمغرار التحتاني الذي به أسس زاويته ، حيث سلك طريق الزهد والعلم وحياة التقشف والعبادة أو تعليم القرآن ودراسة المسائل الفقهية . راجع : الدكتور إبراهيم مياسي ، ثورة الشيخ بوعمامة (مجلة حوليات جامعة الجزائر) الجزء الثاني ، العدد الممتاز رقم : 10 الجزائر أفريل 1997م .

* ما هو الجديد في طريقة بوعمامة أو البوعمامية كما يحلو لأتباعه تسميتها ؟ .

* هل الشيخ بوعمامة النموذج الفذ بعد الأمير عبد القادر الجزائري الذي تعامل مع الإسلام الطرقي بإيجابية ، ولم يقف موقف المتفرج من الصدمة الاستعمارية أثناء التوسع الفرنسي بالجنوب الغربي الجزائري ، أم أن الطريقة التي ينتمي إليها الشيخ بوعمامة تتوافق ومفاهيمها كما ذهب إلى ذلك الأستاذ أبو القاسم سعد الله مؤرخ الجيل ، مع مبادئ الجامعة الإسلامية ، وهل يمكن أن تنتمي البوعمامية إلى التيارات المنضوية تحت التيار الفكري للجامعة الإسلامية كما هو شأن الوهابية[1] والمهدوية[2] بالسودان والحركة السنوسية[1]

---

(1) تنسب هذه الحركة الإصلاحية إلى محمد بن عبد الوهاب المولود في 1115هـ/1703م بنجد وتوفي بها عام 1206هـ/1792م فعمل على بناء سلطة تنزع أهل الضلال والفساد ؛ لأنه يعلم أن الدولة أقدر على تنفيذ الأحكام من تأليف كتب أو رسائل في الفقه والدعوة راجع أخباره وأخبار دعوته محمد عمارة ، تيارات الفكر الإسلامي ، نفس المرجع ص : 254 وما بعدها . انظر أيضا تفصيل وقراءة نقدية للوهابية ومسارها التاريخي : د . محمد الطالبي ، عيال الله (أفكار جديدة في علاقة المسلم بنفسه وبالآخرين ، تونس ، دار سراس للنشر ، 1992م ص : 105 وما بعدها .

(2) تنسب هذه الحركة الإحيائية إلى السيد : الشريف محمد أحمد بن عبد الله ، والذي ينتهي نسبه إلى البيت النبوي ، والذي عرف بعد قيام دعوته التي حارب فيها الأتراك ونظام حكمهم بالسودان ، وانتصر على الحكومة القائمة آنذاك ، واجتمع حوله أكثر أهل السودان بعضهم لأول وهلة ، وبعضهم بعد شك وتردد ، فعرف بعد ذلك بالإمام محمد أحمد المهدي ، وأثر عنه الصدق والاستقامة على الشريعة وكان زاهدا عابدا وعلى درجة من العلم مقدرة بين أهل زمانه مع حفظه للقرآن الكريم . وقد ولد محمد أحمد في 12 أوت سنة 1844م في جزيرة "لب" التي تبعد عن دنقلة خمسة عشر كيلومترا فهو مهدي السودان وقائد الثورة التي صهرت السودانيين في بوتقة واحدة فخلقت منهم الثورة المهدية شعبًا واحدا بعد أن كانوا ينقسمون إلى ممالك وسلطنات أهمها سلطنة الفونج في الشرق ، وسلطنة الفور في الغرب ، والنوبيون في الشمال . . . كما أن الأعراق المختلفة لسكانه : عرب ، ومستعربون ونيليون وحاميون كانت تسهم في تمزق البلاد فلما جاء المهدي عاد بالناس إلى مرحلة الدعوة الإسلامية وأمرهم =

بطرابلس الغرب والصحراء الكبرى ؟

بالتوحيد وإقامة الدولة الإسلامية في مواجهة انحراف الأتراك والحكام المصريين الذين وقعوا منذ سنة 1844م تحت سيطرة الأجانب وقد بدأت ثورته على الحكم المصري التركي في سنة 1881م راجع عنه : الخواض الشيخ العقاد ، الاجتهاد والتجديد في الشريعة الإسلامية بين تأكيد الحقائق وتفنيد المزاعم ، بيروت دار الجيل 1418هـ/ 1998م . ص : 186- 187 . د. محمد عمارة ، تيارات الفكر الإسلامي القاهرة دار المستقبل العربي ، 1983م . ص : 271- 282 .

(1) تنسب هذه الحركة السياسية والدينية إلى السيد : محمد بن علي بن السنوسي بن العربي الأطرش بن محمد بن عبد القادر بن أحمد شهيدة ويرجع في نسبه إلى الفرع الإدريسي (من خلال إدريس الأزهر(الأصغر) باني فاس ابن الإمام إدريس الأكبر أول ملوك الأدارسة .

وكانت السنوسية دعوة من الدعوات الصالحات التي أعادت للمسلمين في إفريقيا والصحراء الكبرى مكانتها التاريخية ؛ حيث كانت طريقة تمتاز بوضوح مناهجها في الدعوة والإصلاح ، حيث دعت إلى إحياء الدين الإسلامي ومحاربة الجمود ونبذ البدع ومؤسسها أصيل محلة الواسطة على ضفتي وادي شلف وأسرته من قبيلة مجاهر التي ينضوي تحتها ما يزيد عن سبعين ألف نفس ولا تزال مستغانم مقرا لهذه الأسرة ، وقد أسس ابن السنوسي الحركة المنسوبة إلى جده السنوسي حوالي عام 1837م على وجه التقريب ، ولقد اهتم الدارسون بهذه الحركة الإصلاحية خاصة رجال المخابرات الفرنسية والإيطالية ، ولقد ترك هؤلاء دراسات فيها الكثير من الدس والتشويه . عن تاريخ هذه الحركة الإصلاحية انظر : دي كاندول(ئي . آ . ف) ، الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره ، ترجمة وطبع محمد عبده بن غلبون منشستر بريطانيا 1989م ص : 3 وما بعدها . (الدجاني) أحمد صدقي ، الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر ، بيروت 1988م ص : 34 وما بعدها .

Triaud (Jean Louis), les relations entre la France et la sanusiyya (histoire d'une mythologie coloniale)découverte d'une confrérie saharienne) thèse de doctorat d'Etat Paris VII juin 1991. 4 tomes en 1927 pages. Editée en deux volumes 1100 pages.

Triaud , (Jean- louis) La légende noire de la sanusiyya (une confrérie musulmane saharienne sous le regard français (1840 - 1930) volume II Institut de recherches et d'études sur le monde arabe et musulman , Aix - en- Provence (IREMAM) éditions de la maison des sciences de l'homme, Paris France 1995..

TRIAUD, (JEAN- LOUIS), Tchad 1900 - 1902- une guerre Franco- - Libyenne oubliée (une confrérie musulmane la sanusiyya, face à la France) L'harmattan Paris. 1987 Duveyrier H., La confrérie Musulmane de sidi Mohammed ben Ali Essenousi et son domaine géographique; Roma ,tiporafia del senato 1918.

إذا حاولنا الإلمام بشخصية الشيخ بوعمامة ، فإن ترجمة حياته الوافية تقول : إن الرجل قد انخرط في سلك حلقات العلم منذ نعومة أظافره ، حيث تدرج من الكتاب لحفظ القرآن الكريم ومبادئ الخط إلى أن تدرج في طلب العلوم الدينية من خلال مبادئ العقيدة الإسلامية مرورا بكل المدارس الكلامية ، إلى الفقه وعلومه ، كما يشهد مترجمو الشيخ بوعمامة ، ثم انكب على دراسة التصوف والطرق الصوفية التي كانت لها التأثير العميق على حياته وعقيدته وتصوره[1] .

كما يشهد من أرخ للشيخ بوعمامة من جهة أخرى بقدرة فائقة في الحفظ والفهم ، وقد أصبح منذ فترة مبكرة على درجة كبيرة من العلاقات بكبار المشايخ والمقدمين بمنطقة الجنوب الغربي الجزائري[2] ، التي يعرف قصورها وقبائلها معرفة ستجعل من رحلاته خلال مرحلة التحصيل العلمي مقدمة إيجابية حينما كان يرسم الخطط الاستراتيجية لمعاركه من خلال تصديه

---

(1) يقول الآغا بن عودة المزاري : " هو أبو عمامة البوشيخي الدرقاوي تلميذ السيد محمد بن العربي اليعلاوي الفلالي وعن ترجمة وحياة الشيخ بوعمامة . انظر : المزاري الآغا بن عودة ، طلوع سعد السعود" في أخبار وهران والجزائر وأسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر ، الجزء الثاني ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي 1990م ص : 265 .

Cheikh si Hamza Boubakeur, Un soufi algérien sidi cheikh, sa vie, son oeuvre, son rôle historique, ses descendants (Oulad sidi- cheikh), G. P. Maisonneuve et larose , Paris 1990 P: 247.

انظر أيضا : الدكتور إبراهيم مياسي ، ثورة بوعمامة (من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر) ، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية ، 1999م ص : 161 وما بعدها . وجول وثائق جهاد الشعب الجزائري في الربع الأخير من القرن التاسع عشر راجع : د . إبراهيم مياسي ، دور الأرشيفات والوثائق في كتابة تاريخ المقاومة الجزائرية (الربع الأخير من القرن التاسع عشر) ، مجلة الدراسات التاريخية(مجلة دورية يصدرها معهد التاريخ ، جامعة الجزائر العدد الخامس الجزائر 1408- 1988م ص : 212 وما بعدها) .

(2) Hamza Boubakeur, OP- CIT P: 248

للضباط الفرنسيين الذين واجههم طيلة جهاده العسكري الذي يعتبر من أطول محطات المواجهة الحربية في تاريخ المقاومة الشعبية في جزائر النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين[1] .

لقد شكل الشيخ بوعمامة شبكة من العلاقات المتينة بين أتباع طرق صوفية غير الطريقة الشيخية ، كما ربط علاقات مع أتباع ومحبين من أهل "توات" والشعانبة و"قورارة" و"تيديكلت" ، وبعد رحلات كثيرة في الجنوب الغربي ، وجنوب المغرب الأقصى ، استقر به المقام بقرية " مغرار" على بعد 45 كلم من عين الصفراء ، وهناك أسس زاويته الخاصة عام 1875م بعد أن تمكن من كسب علاقات كبيرة مع كثير من القبائل والشخصيات المحلية من بين القبائل العربية المقيمة بالحدود الجزائرية المغربية "**ذوي منيع**" ، "**بني قيل**" ، **أولاد جرير الأنجاد** ، وغيرهم .

والمتتبع لنشاطه في مرحلة " **التكوين**" وتهيئة المنطقة لشيء يؤمن به الشيخ بوعمامة ، استطاع أن يخترق النفوس الساكنة بلغة وأسلوب جديدين ودعوة جديدة من خلال التعاليم التي كان يدعو إليها .

لقد استهل بوعمامة طريقه الجديد الذي بدأ يطرحه في هذا الفضاء الذي له قابلية للاستماع إلى كل ما يثير فيه روح الأمل في الخلاص من الوضع الذي تعرفه المنطقة .

في هذا المحيط وبثقة كبيرة في تحصيله العلمي واجتهاده ، طرح الشيخ

---

(1) زوزو (عبد الحميد) ، أضواء على ثورة بوعمامة 1881م (مجلة الأصالة) الجزائر السنة الخامسة العدد 31 ربيع الأول 1396هـ/ مارس 1976م ص : 79 .

بوعمامة على أتباعه ومستمعيه مجموعة من الأفكار التي لم يعهدوها من قبل ، حيث طرح عليهم مسألة تكاد تكون حتمية دينية وروحية ، بل واعتقادية هي مسألة : "**الولاية** " و"البركة" إذ إن فهمه العميق قد أكسبه "روح النقد" فمنطقه الصوفي لا يخرج عموما عن الطريقة الشيخية إلا أن خروجه عن المألوف كما كان يدعو أتباعه ومستمعيه ومريديه هو في صياغته لمسألة "الولاية والبركة" حيث يقول : "**إن الولي أي كانت درجته في سلم الطريقة الصوفية ، إذا ما حل به** الموت ، فإنه بإمكانه أن يترك سبيل هذه الولاية أو البركة **لأتباعه** يتوارثونها كابرا عن كابر" إلى ما لا نهاية وهو بذلك يرفض كليًّا ما كان شائعا في الطرق الصوفية المعروفة في محيطه كالطيبية[1] أيام عبد السلام الوزاني ، أو الشاذلية ،

---

(1) تنسب الطريقة الطيبية إلى السيد عبد الله الشريف المتوفى عام 1089هـ/1679م ، وقد انتشرت بشكل ملفت للنظر في الجنوب الغربي والغرب الجزائري على يد محمد الطيب حفيد مؤسس الطريقة والزاوية ، وحسب إحصاء 1882م فإن عدد زوايا الطيبية وصل 20 زاوية ، بمجموع 301 مقدم و15744 مريدا حسب الضابط رين (RINN) وأما الضابط ديبون (Depont) ورفيقه كوبولاني (Coppolani) فقد قدرا أعداد مريدي الطيبية في عام 1898م بـ 22214 مريدا . وتساءل المقدم كوفي (CAUVET) عن سر العدد القليل من القباب والزوايا بالشرق الجزائري ، فلو أخذنا أوراق خريطة قيادة الأركان العامة بالقنطرة (بسكرة) ، والأوراس والشريعة (تبسة) ، وباتنة وعين البيضاء فإننا لا نتمكن من اكتشاف إلا ما يزيد قليلا عن 6 قباب تقريبًا لمرابطين من المنطقة ، ومما يشهد على هندسة الأضرحة والقباب التأثر المعماري بهندسة القباب والأضرحة التونسية بالجريد .

ولو رجعنا لأيِّ وثيقة تخص مراقبة الطرق الصوفية على اختلاف مواقفها من الاحتلال الفرنسي لبلاد المغرب (الجزائر ، تونس ، المغرب الأقصى) ، لوجدنا دقة في مراقبة هذه الجمعيات السرية كما كانت تطلق عليها الأدبيات الاستعمارية ، ومن الطرق الصوفية التي كانت حاضرة أثناء المقاومة في تونس والجزائر وليبيا نذكر القادرية ، الرحمانية والسنوسية ، وأما التجانية والطيبية فمواقفهما التقليدية في الجزائر كانت معروفة لا لبس في تعاملهما المخزي مع بداية الاحتلال مع فرنسا الاستعمارية ، وقد كانت مواجهتهما لجهاد الأمير وصمة عار في جبين هذه الطرق ، ويمكن أن يحدد المسار الذي نعالجه مع المجاهد =

طريقته الأم الشيخية التي تعود في جذورها وتسلسل ولايتها إلى عهد الخليفة

بوعمامة في هذه الدراسة لتحديد مواقف الطرق الصوفية في الفضاء الجزائري منذ بداية الاحتلال بين الصدمة الاستعمارية وردود الأفعال الشعبية التي كانت تنظمها وتؤطرها هذه الطرق الشبيهة في عصرنا بالأحزاب السياسية والجمعيات الاجتماعية أو المجتمع المدني، وحتى نقرب الصورة إلى القارئ نحاول رصد أشهر الطرق الصوفية التي مثلت ما يعرف في الأدبيات التاريخية اليوم : "بالإسلام الطرقي"، وهذا كما هو مسجل في جدول الملحق فمن مجموع عدد السكان الذين أحصتهم السلطات الاستعمارية والذين قدرتهم بـ : 2. 201. 398، وحسب هذه الإحصائيات فإن ما يقارب من 026 .533 جزائري كان لهم انتماء لهذه الطرق الصوفية المبينة بالجدول أعلاه، وهو ما يقارب ربع سكان الجزائر الذين تمكنت السلطات الاستعمارية من إحصائهم . انظر : الإسلام الطرقي بين الموقف الجهادي والصدمة الاستعمارية . الملحق بالكتاب . انظر أيضاً :

-AHMED Nadir, «Les ordres Religieux et la conquête française (1830- 1851)» - Revue Algérienne des sciences juridiques économiques et politiques Volume IX ,N° 4. décembre Alger 1972 P: 841.

-commandant CAUVET, Les Marabouts (petits monuments funéraires et votifs du nord de l'Afrique) (Revue Africaine) N°64 Année 1923, Alger office des publications universitaire 1986. p: 289.

تلمساني بن يوسف، الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني، الأمير عبد القادر، الإدارة الاستعمارية) (رسالة ماجستير مخطوطة)، معهد التاريخ جامعة الجزائر السنة الجامعية 1418هـ/1998م ص : 42 وما بعدها .

ويقول الدارسون : إن العلاقات بين أشراف وزان والسلطات الفرنسية في الجزائر ترجع إلى عهد بوجو وبالضبط سنة 1843م حين وجه بوجو قنصل بلاده في طنجة(وهو الجاسوس ليون روش صاحب الكتاب المشهور اثنان وثلاثون سنة في الإسلام الذي كشفه البوحميدي رفيق الأمير عبد القادر في جهاده الطويل ضد الفرنسيين) فاتصل بالحاج العربي شيخ الزاوية ورئيس الطريقة وذلك لتسهيل مهمة الفرنسيين في الجزائر على يد مقدميه، حين نال من بعض العلماء فتوى تثبط الجهاد والمقاومة في الجزائر وتفتي بوضع السلاح والاستسلام ما دام"الكافر" قد سمح بأداء الشعائر الدينية، لكن العلاقات بين السلطات الاستعمارية وزاوية وزان لم تعد خافية إلا على معصوبي العينين كما ذهب إلى ذلك مؤرخ الجيل الدكتور أبو القاسم سعدالله وهذا منذ 1891م . فقد كان لعاب فرنسا يسيل للاستيلاء على الصحراء وأراضي الجنوب، وكانت في حاجة إلى دعم أصدقائها مشايخ الطرق، سواء كانوا من الطيبية أو التيجانية أو القادرية أو غيرها . انظر : تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع ص : 94- 95- 96- 97- 103 .

الراشدي أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وبهذا طرح نفسه بديلا للمريدين والمقدمين من كل الطرق الصوفية بالمنطقة ، بمعنى أوثق إنه أول تجديد في لغة الحوار بين أتباعه ، وكانت فكرة الولاية والبركة وأساسها فهم الشيخ بوعمامة منبعه الإيمان العميق ، وتوحيد الله سبحانه وتعالى ، وسنامها تقوى يجدها الولي في قلبه فيُزكّى بكرامات وولاية ، وهي مسألة شخصية لا دخل في انتماء صاحبها لعائلة أو طريقة صوفية معينة ، ولذلك ففي سبيله الجديد وطريقة فهمه للتصوف والطرق الصوفية : "**أن أولاد سيدي الشيخ الذين يعتقدون أن الولي الصالح سيدي الشيخ الذي يشكل مخيالهم الفكري وميراثهم الذي يتميزون به عن غيرهم هو من الناحية الإسلامية الخطأ الكبير**" ، ويستشهد الشيخ بوعمامة بقوله تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ . فإذا اعتقد أي كان أن انتماءه لسيدي الشيخ قد ضمن له مكانا في الجنة فقد وقع في التناقض الصارخ أمام تعاليم القرآن الكريم ، وأمام سماحة ودعوة سيدي الشيخ نفسه[1] .

هذا النقد المنطلق من إعادة تصحيح العقيدة الإسلامية والمنهج الذي بسطه الشيخ بوعمامة لأتباعه سيجلب عليه لعنة خصومه من أتباع الطريقة الشيخية والطيبية والسلطات الاستعمارية وشخصيات معاصرة لثورته الفكرية والعسكرية .

وهو ما يدعونا للإجابة عن ردود أفعال أصحاب الطريقة الأم وكذلك الخصوم السياسيين .

من نافلة القول التذكير أن بوعمامة بموازين عصرنا شخصية كبيرة لم تجد من ينفض عنها غبار الوهم والتشويه والسخرية والنسيان وكيل التراب على

(1) Si Hamza Boubakeur, un soufi algérien , op- cit. P: 248

ماضيه الجهادي والسياسي والعسكري[1] .

أول الخصوم الذين وصلتنا أخبارهم هو ما كتبه الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي ، صاحب الكتيب الصغير : القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط"[2] .

وقد اتخذ الشقراني موقفا سلبيا من بوعمامة حيث يقول : "اعلم أنه في عام ثمان وتسعين ومائتين وألف ثار رجل من أولاد سيدي الشيخ بالقبلة يقال : له بو عمامة على الفرنسيين يريد قصم دولتهم الراسخة ، وممتلكاتهم الراسية الراسخة ويكون أحق بها وأهلها ، هذا مراده . . . "وقد خصص الشقراني في كتيبه هذا مجموعة من الأفكار التي يتجاهل فيها ثورة بوعمامة ولا يعترف له بالكفاح الذي خاضه ضد الغزاة الفرنسيين ، واعتبر ما قام به بوعمامة مجرد طلب للرياسة والسيادة ، بل "ذهب في تهجمه على الشيخ بوعمامة إلى أبعد من ذلك ، إذ لم يتورع عن وصفه بالجهل والسفه ، ويرى أن حرقه لأعدائه خروج عن تعاليم الإسلام[3] ، كما ينهب الشقراني إلى تحميل بوعمامة كل الكوارث التي عرفتها الجهة الغربية بسبب ثورته على الفرنسيين ، وقد انبهر الشقراني بمنشآتهم العسكرية وبالسكك الحديدية التي أنشأتها فرنسا لخدمة مصالحها الاستعمارية .

---

(1) وحتى لا أتجاوز حدود الموضوعية فمن بين الجزائريين الذين كانوا أوفياء لتراثه وجهاده ونشر أعماله ورسائله أذكر أبو القاسم سعد الله ، يحيى بوعزيز ، جيلالي صاري عبد الحميد زوزو وإبراهيم مياسي وغيرهم ممن لم تسعفني ذاكرتي ووثائقي المعتمدة لذكرهم .

(2) الراشدي (الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الشقراني) ، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط ، تحقيق وتقديم : الدكتور ناصر الدين سعيدوني ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1991م ص : 18- 20 23 .

(3) الراشيدي ، القول الأوسط ، ص : (مقدمة المحقق) .

والشيء الذي يدعو إلى طرح السؤال المحرج ، لصالح من كتب الشقراني رسالته بهذه اللغة وبهذا الأسلوب ، الذي يحط من شأن أبناء جلدته ومن أبطال الجهاد في القرن التاسع عشر ؟. ثم كيف انخرط في سلك الكتبة الذين عرفناهم من الذين مدحوا فرنسا الاستعمارية في تونس والجزائر بل وفيهم من اشتغل جاسوسا لصالح فرنسا ومحرضيها على احتلال المنطقة كمحمد الحشايشي التونسي صاحب الرحلة الصحراوية الذي نعرف آثاره على الأقل ؟ ، وأما صاحبنا الشقراني "النكرة" الذي لا مبرر لتعقله وجبنه من خلال مجانبته للحقيقة وتجنيه على مسيرة وطن وأرواح شهداء هم رموز المقاومة والجهاد . وهو نفس الموقف الذي تبناه الآغا بن عودة المزاري صاحب طُلوع سعد السعود الذي وقف نفس الموقف الذي تبناه الشقراني سالف الذكر والموقف الأخير للآغا المزاري ؛ لأنه من عائلة مصطفى بن إسماعيل أول المناوئين للمقاومة التي قام بها الأمير عبد القادر الجزائري ، على الرغم من الموقف الإنساني المشرف للأمير الذي أصابه الجزع الكبير حينما بُشِّرَ بمقتل مصطفى بن إسماعيل (ما بين 23 و24 ماي 1843م قال الأمير : "**فإني لا أحب أن يكون مصطفى بهذه الحالة وإنما أحببته أن يأتيني على فرسه حيا مزيل عنا للنكالة**"[1] فقد تمنى أن يراه على جواده محاربا للكفار الفرنسيين لا عميلا لهم حتى أصابه العار الأبدي الذي لا يمحى من يوميات الشعب الجزائري[2] .

أما موقف أصحاب الطريقة الشيخية كما تتحدث النصوص فتتمثل في تفرد الشيخ بوعمامة بالدعوة الجديدة دون أن يعود إلى كبار زوايا الشيخية

---

(1) المزاري ، (الآغا بن عودة) ، طُلوع سعد السعود ، الجزء الثاني ، ص : 208 .

(2) نفسه : 265 .

بحكم الظروف العسكرية والشتات الذي لحق عائلة أولاد سيدي الشيخ ، ومن النصوص النادرة في هذا الموضوع النص الذي يتحدث عن إعلان الشيخ بوعمامة الجهاد وكيف استنكر زعماء الطريقة الأم عدم مشاورتهم ومشاركتهم في هذا الأمر الذي يعني المنطقة بأكملها .

أما السلطات الاستعمارية وجرائد ومجلات المنطقة ومراسلات وتقارير بعض الطرق الصوفية المعادية كالطيبية التي عمل زعيمها للتوسط للشيخ بوعمامة من أجل الأمان لدى السلطات الفرنسية وهو دعوة لتثبيط الثوار وزعيم الثورة .

وفي خاتمة هذه الورقة سأكتفي بشهادة الأديب قاي دي مونباسانت (Guy de Maupassant) الذي جاء بعقلية عِلْية القوم بباريس للنظر والتحقيق والفرجة ، ومما تجدر الإشارة إليه أن شهادة " قاي دي مونباسانت (Guy de Maupassant) شهادة ثمينة : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ فرغم سوء فهمه لأسباب الثورة وحركة الجهاد التي قام بها الشيخ بوعمامة ، فقد وصف بؤس المنطقة وما انجر عن خرابها نتيجة الاحتلال والغزو والدمار الذي أحدثته العسكرية والقوانين الفرنسية الجائرة ، هذا إذا تجاوزنا الشتائم المجانية التي أطلقها من خلال الأوصاف والنعوت التي خصَّ بها الشيخ بوعمامة ، فنزع عنه صفة الزعامة الروحية والبطولة والفروسية من خلال قيادته للجيوش ، وحنكته الدبلوماسية التي عالج بها علاقاته مع المغرب والسلطات الاستعمارية وأعوانها فإن شهادة الأديب الفرنسي شهادة دامغة على بؤس المنطقة في ظل الغزو الشامل المبرمج للعسكرية الفرنسية .

ما هو جديد البوعمامية؟

مما يعرف في أدبيات ونصوص الطرق الصوفية الأم أو الفروع في بلاد المغرب أو المشرق، ما يعرف بأوراد الطريقة التي تُتْلَى في حلقات الذكر، ولكل طريقة صوفية مهما كان شأنها لها أسلوبها وحلقاتها التي تعبر بها عن تميزها، وقد خصص محمد بن علي السنوسي الكبير مؤسس الحركة السنوسية كتابا هاما في هذا المجال سمّاه: "السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين"[1] مما يدل على أن هذه الطرق الموغلة في التاريخ الثقافي والاجتماعي للمنطقة، ليست اكتشافا جديدا أو غريبا عنًّا، وهو ما يميز زاوية الشيخ بوعمامة حيث إنه "أجاز لأصحابه أن يجمعوا بين طريقته وطريقة أخرى"[2].

وهو السبب الذي طرح علاقاته الوطيدة بالسيد الحاج المهدي باجودة أصيل مستغانم الذي أصبح شخصية مميزة، والممثل الحقيقي للحركة

---

(1) توفي محمد بن علي السنوسي الكبير عام 1859م وقد ترك ثروة أدبية وعلمية رفعته إلى مصاف كبار العلماء والمصلحين ومن مؤلفاته:

1- إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، الجزائر 1914م مصر 1357هـ.

2- المنهل الروي الرائق في أسانيد العلم وأصول الطرق والطرائق، القاهرة 1373هـ/1954م.

3- الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، القاهرة 1349هـ.

4- المسلسلات العشر في الأحاديث النبوية، طبع عام 1357هـ/1938م

5- مقدمة موطأ الإمام مالك، 1374هـ/1954م.

السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين، طبع بأحد هوامش أحد كتب السنوسي وطبع بالقاهرة عام 1353هـ/ 1942م. انظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع ص: 244- 266.

(2) سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع (1830- 1954) دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م ص: 108.

السنوسية بمنطقة "عين صالح" والذي سيكون له شرف الجهاد والاستشهاد في مطلع القرن العشرين في قصره المعروف .

كان الشيخ بوعمامة يدعو أحبابه ومريديه وأتباعه إلى الوحدة بين مختلف الطرق الصوفية كما تجاوب مع مبادئ ومنهج الجامعة الإسلامية التي كان يدعو إليها جمال الدين الأفغاني بحرارة[1] لأن الأصل في الوحدة وتجميع القوة لمواجهة العدو المشترك ، بينما ما عاشه الشيخ بوعمامة هو عكس ذلك حيث أصبحت الطرق الصوفية مجالا للحزازات والاختلاف بل المقاطعة التي تؤدي في أحيان كثيرة للحروب الدامية[2] .

فإذا كان الوِرْدُ المشهور الذي تردده الألسن في فضاء الغرب الجزائري : "لا إله إلا الله بوعمامة ضيف الله" ، فإن الرجل بالنسبة لأصحابه هو مولى الساعة أو صاحب الوقت ، أو كما يحلو للبعض هو الرجل المقصود في حديث رسول الله ﷺ : "يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة دينها"[3] .

---

(1) سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء الخامس ص : 508 .
انظر أيضًا : الأستاذة الأخضر (لطيفة) ، الإسلام الطرقي (دراسة في موقعه من المجتمع ومن القضية الوطنية) ، تونس دار سراس ، 1993م ص : 53 .

(2) Si Hamza Boubakeur, un soufi algérien , op- cit. P: 248.

(3) انظر حول الأمان الذي كان يبحث عنه بوعمامة مع السلطات الاستعمارية والذي لم يُفهم كما وقع للأمير عبد القادر الذي كان يبحث هو الآخر عن مخرج شرعي لعلاقات السلم التي حاول ربطها مع الجنرال ديميشيل ومع غيره في معاهدة التافنة التي كانت لها الوقع الكبير على مستوى الأدبيات الفقهية في عصره حول الجهاد وغيرها من القضايا الحسّاسة في علاقة المسلمين الحربية بينهم وبين دار الحرب . انظر : تحليل المزاري صاحب سعد السعود لطلب الأمير الآمان وكيف وصفه في هذه المرحلة : المزاري الآغا بن عودة ، طلوع سعد السعود ج . 2 . ص : 250 وما بعدها . انظر : الأستاذ محمد الأمين بلغيث ، دروس في

هذا هو الشيخ بوعمامة، المجاهد المتصوف، الذي عرفنا بطولاته ومعاركه، فرحمة الله على الرجل القائد والزعيم الذي شرف دينه ووطنه ووحد قبائل متنافرة متحاربة متنازعة في فضاء صحراوي شاسع، وستبقى مقاومته ما رددت الألسن أشعار الشاعر الجزائري الكبير **محمد بلخير**.

فإن لم يحقق إلى غاية وفاته بالمغرب الأقصى ما كان يصبو من انتصارات وتحرير للبلاد، فقد كان بحق وحقيقة عبد القادر الجزائري الثاني أو عبد القادر الثاني، ورغم ما قيل[1] عن الرجل فإنه قد حقق من خلال جهاده

= السياسة الشرعية "دراسة ونصوص" الجزائر منشورات بغدادي، 1420هـ/1999م ص : 3.

ISMAIL.HAMET «Le gouvernement Marocain et la conquête d'Alger» ,présenté par/Ali Tablit;Thala éditions- les éditions Chihab;Alger 1999. P: 12.

(1) من المسائل التي يجدر التنويه بها في هذا المقام أن الشيخ بوعمامة كان قد استجاب للأوضاع الإقليمية والدولية المحيطة بالجزائر آنذاك، فقد استجاب لمأساة الأشقاء في تونس الذين سقطوا تحت الحماية الفرنسية وآزر بثورته قبائل الخمير بالجنوب التونسي، كما استجاب لأطروحة الجامعة الإسلامية التي كانت تدعو للتضامن الإسلامي وتخليص المسلمين من الاستعمار الغربي، وقد كان بوعمامة شخصية محورية في هذه المرحلة، ومن بين الشخصيات المغمورة التي ساعدت بوعمامة مساعدة كبيرة تاجر السلاح "إبراهيم السوفي" بمدينة طنجة الدولية، ومن بين الشخصيات العالمية التي اتصلت بـ "بوعمامة" أكثر من مرتين "إيزابيل إبرهاردت" للتفاوض حول الأمان الذي طرحه الجنرال ليوتي (LEAUTEY) الشهير بالمغرب الأقصى، وأقصى الجنوب الغرب الجزائري، ومما استقيته من اليومين الدراسيين أن الشيخ المجاهد بوعمامة البوشيخي اتصلت به الصحفية "عاشقة الشرق" "إيزابيل إبرهاردت" الصحفية الألمانية الأصل من أجل تحقيق هذا الأمان الذي طرحه بوعمامة وهذا بتشجيع من ليوتاي (LEAUTEY)، قاهر المغرب كما تسميه الأدبيات التاريخية المغربية، الذي نصح السلطات الاستعمارية بالتفاوض مع الشيخ بوعمامة من أجل إيقاف القتال الدائر بين ثوار بوعمامة والقوات الاستعمارية الفرنسية الغازية. راجع ملفات وكتابات ومحاضرات: الملتقى الثاني إيزابيل إبرهاردت عاشقة سوف «وادي سوف دار الثقافة لولاية الوادي، الجزائر، أيام: 02، 03، 04، نوفمبر 1999م». لقد فتن كثير من الجزائريين بهذه المرأة المسترجلة صاحبة المهمة الغامضة، وإن كانت بعض الدلائل تشير =

وكفاحه دوره الديني والوطني كأي رجل شريف أحب بلاده وأخلص لدينه .

=

إلى تقاطعها مع المصالح الاستعمارية الفرنسية آنذاك ، ومن بين هؤلاء الذين بهرتهم هذه "المرأة المسترجلة" السيد بوعلام بالسايح ، الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي (ولأخذ نظرة دقيقة يمكن مراجعة ما كتب الدكتور طالب الإبراهيمي) صاحب الدراسة (ترحم على إيزابيل) ، وأما الكثير من الأتباع والمريدين الذين يتمسحون بأعتاب الثقافة الفرنكوفونية فإنهم الآن يتمعشون بها ويغازلون الثقافة الفرنكفونية وإيرهاردت هي التي يقول عنها المستشرق اليهودي دانيال ريغ : "ولدت بجنيف سنة 1877 ، واعتنقت الإسلام مبكرًا (أي إسلام وكانت تأتي كل المحرمات والكبائر من خمر وزنا وإذا لم أبالغ والتجسس على المسلمين لصالح الضباط الاستعماريين وعلى رأسهم ليوتاي) أمضت مراهقتها ثم حياتها كامرأة في الجزائر . كانت صحافية وكاتبة ، كانت ترتدي زي الفارس العربي ، وتركب حصانًا عربيا حينما تذهب لملاقاة الضابط المسلم الذي أصبح زوجًا لها فيما بعد ، كانت تتبع حلمها الشرقي بلا هوادة في تيهان صوفي ، وفي اللحظة التي اعترف فيها بها أخيراً وقيمت بنجاح فيما أرادت أن تكونه جرفتها وسحقتها أطلال الكوخ الذي اختارته ملجأ لها . انظر : دانيال ريغ ، رجل الاستشراق ، ترجمة الأستاذ إبراهيم صحراوي ، قبرص دار الجفان ، والجابي 1997م ص : 213 . . 214 . انظر أخبارها بالتفصيل : أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء السادس ص : 387- 390 .

خامسا: من جرائم فرنسا الاستعمارية في الجزائر الإبادة الجماعية للسكان

(مجزرة العوفية والفراريش نموذجاً)

مدخل عام:

إن احتلال فرنسا الجزائر كما تناقلته وسائل إعلام العصر يدل على وحدة الصور الغربية للعملية الاستعمارية التي باركتها معظم الدول المسيحية[1] .

ويمكن أن نقول : إن هناك شبه إجماع غربي لمباركة الاحتلال الفرنسي لـ : "**جادة الجهاد" كما كانت تُسَمَّى الجزائر المحروسة قديما** .

لم ينشأ الاستعمار الفرنسي في مجتمع انقسامي تسوده الفوضى القبلية كما تروج الأدبيات الاستعمارية ، بل هو قطر له مؤسسات اجتماعية وسياسية وهوية ثقافية ثابتة على امتداد قرون عديدة ، ومع ذلك لم تتعامل السلطات الفرنسية مع الشعب الجزائري ككيان اجتماعي متماسك بل كشتات من

---

(1) عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج4 ، بيروت دار الثقافة ، 1980م . ط . 2 . ص : 411 وما بعدها . حميدة عميراوي ، الحملة الفرنسية وردود الفعل الدولية (دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية) ؛ رسالة ماجستير ، جامعة قسنطينة ، معهد العلوم الاجتماعية ، دائرة التاريخ السنة الجامعية 1982- 1983م ص : 1 وما بعدها . إسماعيل العربي ، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط . 2 . 1982 ، ص17 .

الأشخاص والمجموعات المشاغبة ، ولعل هذا ما يفسر اعتماد الاستعمار الفرنسي في الجزائر على القوة العسكرية في السيطرة على المجتمع وفرض "**الأمن الاستعماري وارتكاب مجازر في حق الإنسان والحيوان والبيئة**"[1] وتبعا لذلك أصبح القتل الجمعي للسكان ، والتهجير القسري ، وإتباع سياسة الأرض المحروقة سياسة ثابتة من ثوابت العملية الاستعمارية في حد ذاتها ، وهو ما تفسره كتابات ومذكرات الجنرالات **كسانت أرنو وبيجو ولاموريسيير** وتقارير **بيليسييه وكافينياك** وغيرهم من غلاة وأدوات الاستعمار ، وسياسة التهدئه[2] . **لذلك فإننا اليوم نسعى لافتكاك وتحرير تاريخنا من هيمنة المدرسة الاستعمارية ، وهذا يكشف جرائم فرنسا الاستعمارية عبر تاريخ اغتصابها لبلادنا ومؤامرتها المبرمجة إلى اليوم .**

الإبادة المنظمة وشهادة الهمجية الفرنسية عن نفسها:

لقد تعرض المؤرخون لعمليات إحصاء سكان الجزائر عند بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر ، واستنتج المؤرخون النزهاء أن عدد سكان الجزائر يزيد عن 10 ملايين نفس حسب الرقم الذي افترضه السيد حمدان خوجة في المرآة ، لقد أصبح من العسير تحديد إعداد سكان البوادي والحواضر في القرن الثامن عشر

---

(1) الدقي (نور الدين) المغرب العربي والاستعمار الفرنسي بتونس ، سراس للنشر1997م ص : 12 وما بعدها . انظر أيضا :

Francis et collette jeanson ,L'Algérie hors la loi,collection sad, ENAG,éditions Alger1993 P: 39 et suivantes.

(2) انظر بشيء من التفصيل : سياسة الإبادة من خلال الدراسة الموثقة من مذكرات جنرالات الحرب الفرنسيين ، انظر : Habart, Histoire d'un parjure, P: 69 et suivantes. P112 et suivantes .

وعن مذبحة العوفية . انظر : محمد بن عبد الكريم ، حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته ، بيروت ، دار الثقافة 1972م . ص : 236 .

أو بعده إلا بصعوبة شديدة ؛ لأن التعداد والإحصاء يصعب التحدث عنه بصفة فعلية أو عن **ديموغرافيا تاريخية** بالنسبة لبلاد المغرب الإسلامي ؛ نظرا لغياب الأرشيفات الخاصة بالسكان أو الجند أو الضرائب التي يمكن أن تسهل مهمة المؤرخ ؛ لأن الآلة الاستعمارية قد استولت على مخطوطاتنا وسجلاتنا وزورت كتبنا على ألسنة مؤرخينا كما فعلت مع القبائل الجزائرية وكنوزنا الخطية[1] . ربما المعلومات القليلة الواردة عند الوزان في وصف إفريقية من خلال تعداد السكان والنسمة أو العائلة أو البيت تسمى عنده "**الكانون**"[2] .

وكانت أول معركة سياسية وتاريخية حاول طرحها السيد **حمدان بن عثمان خوجة** هي تعداد الإيالة الجزائرية والتي **وقف** عند 10 ملايين نسمة ، ووافقه في ذلك الصحفي والمؤرخ الفرنسي ميشال أبار[3] في كتابه : قصة أو تاريخ نكث عهد (Habart Michel , Histoire d'un parjure-) .

أما فيما يخص التدقيق الذي قام به "**ياكونو**"و توصل فيه إلى تحديد رقم متوسط هو ثلاثة ملايين وتبناه كثير من الباحثين دون مراجعة ، فقد تجاوزها البحث ، ولذلك فانه من الضروري مراجعة تلك الأرقام على ضوء الدراسة

---

(1) العدواني ، محمد بن محمد بن عمر ، تاريخ العدواني ، تقديم وتحقيق وتعليق : أبي القاسم سعد الله ، بيروت دار الغرب الإسلامي ، 1996 م ص : 14- 15 .

(2) انظر عن موضوع السكان وتعدادهم ، إبراهيم جدله ، السكان الحضر بإفريقية من القرن الثالث عشر (م) إلى القرن السادس عشر(م) (الديمغرافية التاريخية والعالم العربي) ، سلسلة مراجع ، عمل جماعي ، تونس ، دار سراس للنشر المعهد العالي للتربية والتكوين المستمر ، 1993م . ص : 85

(3) Habart Michel ,Histoire d'un parjure- documents P: 74

الراهنة[1] ، وحتى نتبع التسلسل التاريخي فإننا نقول : إن الإبادة الجماعية للسكان هي جزء لا يتجزأ من السياسة الاستعمارية في حد ذاتها ، حيث ذكر قرار البرلمان الفرنسي صراحة ، ووضح أهداف الحملة الفرنسية الصليبية على الجزائر "**أنه لا بد من الاحتفاظ بالجزائر باعتبارها كسبا قومياً**"[2] ، وأمام هذا الكسب القومي لا بد من السيطرة على الجزائر وإبادة سكانها كما فعل الرجل الأبيض مع الهنود الحمر في القارة الأمريكية .

لقد كان الاستعلاء والتعصب في خدمة الإبادة العرقية لسكان الجزائر ، وهو ما تشهد به وثائق المجرمين ، كما سوف نتعرض لشهادتهم كجلادين حاقدين على الجزائر منذ الحروب الصليبية .

إن منطق الحرب وسياسة التهدئة على الطريقة الفرنسية "التخريب والحرق وهدم البيوت وقطع الأشجار ، وفي هذا يقول الكولونيل **فوريه** (أو **فوروه**) سنة 1843م : "لقد تركت بعد مروري حريقا هائلا ، فقد كانت لقرى كلها ، وهي قرابة مائتين ، وقد احترقت ، وعاث الفساد في بساتينها ، وقطعت أشجار الزيتون" فلقد كان كما يقول يريد منه بوجو حاكم الجزائر العام بث الذعر بين السكان بإرسالهم إلى فرنسا[3] .

---

(1) Djilali sari,le désastre démographique,Alger;S. N. E. D1982 P: 244- 245

محمد العربي ولد خليفة ، المحنة الكبرى (مدخل لدراسة توصيفية عن معاناة شعبنا ومقاومته البطولية) ، الجزائر ، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ، 1999م . ص : 47 .

(2) صالح عوض ، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر ، من سنة 1830 إلى سنة 1962م (دراسة تحليلية) الجزء الأول ، باتنة الجزائر الزيتونة للإعلام والنشر ، 1989م . ص : 86 .

(3) روجه غارودي ، حوار الحضارات ، مع مقدمة من المؤلف ودراسة للأديب التونسي محمد =

https://albordj.blogspot.com

مذبحة العوفية بالحراش:

قبل المذبحة التي قامت بها فرنسا في ضواحي الحراش ، قامت السلطات الاستعمارية في 26 نوفمبر من عام 1830 م . كما قامت الحامية المرابطة بالبليدة مذبحة شنيعة ورهيبة ضد السكان العزل ، ولم يرحم فيها لا الشيخ المسن ، ولا العجوز الهالك ، ولا الطفل البريء الذي لا يفهم هذه اللغة والأسلوب في تعامل البشر القادم من ما وراء البحر مع أهله الآمنين في أرضهم ، لقد حولت الحامية الفرنسية مدينة البليدة في هذا اليوم الأسود إلى مقبرة جماعية تفوح منها عفونة السلوك البربري القادم من بلاد الغال ، وفي ليلة الخامس من أفريل من عام 1832م أعطى **دوروفيقو** الأمر لقواته بسحق قبيلة العوفية وإبادة أفرادها بالحراش ، حيث هاجمتهم قوات فرنسا المتحضرة لكونها اشتبهت فيهم بأنهم قاموا بسلب مبعوثي العميل **فرحات بن سعيد** أحد المتذبذبين بين الولاء للأمير وفرنسا بمنطقة الزيبان ، وقد بين التحقيق بأنه ليس لأفراد القبيلة أية مسؤولية في ذلك ، والجدير بالذكر أن شيخ القبيلة تمت محاكمته محاكمة صورية وأعدم رغم أن التهمة لم تثبت عليه ولا على القبيلة ، وأبشع من ذلك أنهم قطعوا رأسه ، وحملت هدية إلى الدوق **دوروفيقو** ، فقام هذا الأخير بالتبرع برأس الشيخ الربيعة ، ورأس أحد أفراد قبيلته إلى طبيب يدعى **بونافون** ليجري على الرؤوس تجربة علمية تثبت بأن الإنسان يفقد الحياة مباشرة بعد قطع رأسه ، كما يعترف الرائد **مونتانياك** بجريمة قطع رؤوس العرب عامة وبضواحي **سكيكدة** ، ومنها ارتكبت مجزرة رهيبة ـ أيضا ـ ضد

مزالي ، ترجمة عادل العوا ، بيروت ، باريس منشورات عويدات . 1978م . ص : 72 وما بعدها .

بني صبيح وهي جريمة أشبه بكل الجرائم التي مغزاها الأول والأخير إبادة الجنس الجزائري من أرض إفريقية (أي : الجزئر)[1] .

لقد كانت قبيلة **العوفية** الهادئة تعيش ليلها في حالة من الغفلة ، حتى كان قدرها مع مغول القرن التاسع عشر والعشرين ، فكانت عملية إبادة السكان بصورة واضحة للعيان كما شهد الجزارون أنفسهم . فقد قاموا بقتل كل من كان بالقبيلة التي كانت يوما حليفة للمجاهدين في المتيجة . وعَدَّ المؤرخون الجزائريون أن الحلقة الأولى من حلقات السلسلة الطويلة لعمليات **الإبادة** التي دشنتها فرنسا الاستعمارية منذ 1832م عندما قامت بعملية إبادة رسمية ضد مشاتي قبيلة العوفية في السادس أفريل من السنة المذكورة أعلاه ، والتي وصفها **دي روفيقو** : بشماتة المنتصر وصفا لا يليق بالشرف الإنساني ولا الشرف العسكري .

وقتلوا شيخ القبيلة أمام الملأ ، وباعوا أشياءهم للسفير **الدانمركي** ، ولم تتأكد هذه العملية ، حتى بدأت سلسلة نكدة من التاريخ الأسود للآلة الجهنمية التي وقعها الاستعماريون وقادتهم الذين فاقوا البرابرة والهمج عبر التاريخ الطويل للإنسانية بسلوكهم الوحشي .

مذبحة غار الفراريش واعترافات القتلة:

توصف مأساة مغاراة الظهرة من طرف العسكريين والمؤرخين الفرنسيين

---

(1) الدكتور محمد الأمين بلغيث ، تاريخ الجزائر المعاصر (دراسات ووثائق) ، وثائق جديدة وصور نادرة تنشر لأول مرة ، الجزائر ، دار البلاغ للنشر والتوزيع ، بيروت دار ابن كثير ، 1422هـ/2001م . ط . 1 . ص : 35 . د . جمال قنان ، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، الجزائر ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، 1994م . ص : 116 .

بأنها إحدى الحلقات الرهيبة في حرب إفريقية ، ويعترف الجلادون بحقد صليبي بأن حرق قبائل الظهرة كان لها صدى واسع في وقتها ، حيث لقي ما يزيد عن 732 شهيدا أحرقوا بالنار وماتوا اختناقا بالدخان ، وهي من أبشع الجرائم التي توصف بها جرائم الإبادة الجماعية للسكان ، وقد لا أشفي غليل القارئ ، وقد يتصور بعض السذج من الذين يتهموننا بالمبالغة في وصف عمليات القتل والإبادة الجماعية للسكان في الجزائر هي صورة كاملة للإنسان الأبيض الغربي وحضارته المتوحشة كما وصفها الفيلسوف رجاء غارودي في كتابه حوار الحضارات[1] ، ومن حسنات التسجيل والتدوين أننا نملك نسخة من تقرير الكولونيل المجرم بيليسييه المرسل إلى الماريشال الجزار بوجود حاكم الجزائر العام ، وقد أرسل التقرير يوم 22 جوان 1845م ووصل عبر بريد 12 جويلية 1846م كما قام الضابط رين بتقديم تقرير كامل عن "أسباب المأساة ونهايتها القاسية" وذلك أثناء جلسة لفرع التاريخ التابع لمجمع الجغرافيا بالجزائر سنة 1903م[2] .

توجد عدة روايات ووثائق غلب عليها الطابع الرومانسي ، وتخللها الغموض ، ويعتبر تقرير الكولونيل المجرم بيليسييه الذي أشرف بنفسه على عملية الإبادة من أهم الوثائق المتوفرة ، والتقرير كتبه ضابط بقلمه في مكان الجريمة ، بتاريخ 22/جوان 1845م ، وسنقتطف منه بعض الفقرات من النص الكامل المنشور بالعدد 51 للمجلة الإفريقية لسنة 1907م . من ترجمة وتعليق

---

(1) روجه غارودي ، حوار الحضارات ، ص : 1978م . ص : 77 .

(2) تقرير الكولونيل بيليسييه عن قضية مغارات الفراريش (أولى جرائم فرنسا ضد الإنسانية) ترجمة وتعليق عبد الوهاب ميساوي (جريدة الشعب) يوم الأحد 4 محرم1412هـ/ الموافق لـ5 جويلية 1992م . ص : 10 . انظر نفس التقرير : روجه غارودي ، حوار الحضارات ، ص : 77 .

عبد الوهاب ميساوي .

سيدي المارشال :

لقد أتيت كما أعلمتكم من قبل في رسالتي المؤرخة في 16 جوان ، تحت الرقم 5 لإقامة معسكري في "**أولاد بلعمرية**" عند قبيلة "**أولاد رياح**" وهم أنصار الشريف بومعزة قائد المقاومة الشعبية بجبال الظهرة ، لقد حددت اختياري ، وقررت أن أزحف بتداء من فجر يوم 18 جوان على "**غار الفراريش**" ، هذا الملجأ الذي يرونه في كامل البلاد مستحيل بلوغه بالقوة ، ويسمونه "**جزائر الظهرة**" وبعد وصف الطريقة التي حاصروا بها المكان يواصل الكولونيل بيليسييه الحديث عن أسلوب تنفيذ الجريمة :

"دعوت الفضوليين الذين يتجمعون ويلتفون في مثل هذه الحالات إلى الابتعاد ، وأمرت الكابتن "**راؤول**" أن يستدعي رجال السخرة الذين التحقوا قبل حوالي ثلاث ساعات بفيلقهم ، كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة ، بمجرد أن هممت بالانسحاب ، انطلقت رصاصة من المغارة لتصيب قناصا من لواء "**أورليان**" .. وعلى الساعة الواحدة ، كانت المراكز جاهزة للعمل ، ولم أشأ أن أستأنف إحراقهم قبل إنذار جديد ، أرسلت إليهم عبر المدخل السفلي ، وهو المنفذ الأقل خطورة ، أحد المفاوضين الثلاثة الأوائل ، والذي ترك المغارة مع أخيه رغم تردد الآخرين ، بقي خمسة أرباع الساعة معهم ، دون أن يتزحزح أدنى تنازل ، بلغت أقصى حدود الصبر ، على الساعة الثالثة زوالا اندلع الحريق في كل جهة ، واستمر إلى الواحدة من صباح اليوم الموالي ، وتمت معالجة النيران بحيث لا ينجو منها حتى الذين يحاولون الفرار ، ولعلمي أن المدخل الرئيسي قد يصلح لمحاولة يائسة ، عمدت إقامة حاجز من أكياس البسكويت المملوءة بالزيت ،

ونصبت قطعة المدفعية على بعد 50 مترا من ذلك المدخل ، كانت النيران تسقط قطعا كبيرة من الجبس أمام المغارة ، وبقدر ما كنت أساهم في التدمير ، كنت أسعى لإحداث الرعب المناسب داخل المغارة ، من خلال إطلاق بعض القذائف التي ألحقت أضرارا وتسببت شظاياها في هلاك الماشية المتزاحمة بالمدخل .

أمرت بوقف القصف ، فلم يردوا علي إلا بنداءات أملهم في البقاء لمدة طويلة في مأمن ، ولكن لسوء حظهم كان الأمر غير ذلك . لقد سببت كثرة النيران بالمغارة السفلى دفعا قويا للدخان والهواء الساخن كاد يخنقهم جميعا اعتقدت أن الفوضى قد انتشرت بينهم عندما سمعت انفجارات متميزة داخل المغارة ، فانتهزت الفرصة لإرسال مبعوث ، عاد ومعه بعض الرجال المنهكين الذين أخبرونا بحجم الخطر الذي حل بهم . . . أرسلت للتو لإخراج من بقي حياً ، وفقد الرغبة في التصدي لنا .

تمكنا من إخراج خمسين رجلا ، مات بعضهم أثناء الإسعاف الذي أرغمتني الحالة السائدة داخل المغارة أثناء النهار ، خرج البعض منهم ويا للعجب كان بعض "القبائل" يطلقون النار في وحشية على نساء حاولن الخروج ، أما الآخرون فعادوا إلى بيوتهم ، ولكن أكثر من 500 هلكوا داخل الوهاد وأقسام المغارة الكبرى ذات الشكل البشع ، إنها سيدي المارشال واحدة من تلك العمليات التي ننفذها رغما عنا ، ولكن ندعو الله ألا نضطر لتكرارها .

ومن مصادفات الأقدار أن أكثرهم عنادا وتشددا قضوا نحبهم ، وخاصة أتباع **الشريف بومعزة** وبين يدي الآن **زوجة وبنت وابن الشيخ ابن نقاح** من "**بني زروال**" والذي كان خليفة **الشريف بومعزة** في المنطقة ، هذا ما لدينا من المساجين .

إن الدرس المؤسف الذي تلقاه "أولاد رياح" ترك صدى كبيرا في البلاد ، وهكذا فإن "بني زنتي" و"تازغاريت" يستسلمون جماعيا ببنادقهم وخيلهم ، و كذلك ما بقي من قبيلة "أولاد رياح" .

ويختم الكولونيل الجزار تقريره بتوصية خاصة لكل الذين ساعدوه في هذه العملية الوحشية التي لا تنسى ، وسوف تذكر أولا وقبل كل شيء "أحباب فرنسا" ، من الخونة عبر تاريخ الجزائر ، أن فرنسا هي أم الشرور كلها ، مهما تعددت الألوان والأساليب ، ويكفي أننا حينما سكتنا عن حقنا ، أصبح المجرم يتشجع لاتهامنا بأننا يوما ما من عام 1962م ، تسببنا في إحراج أو قتل بعض الحركة وخونة الدين والوطن ، ومن باعوا ضميرهم إلى الشيطان الفرنسي[1] .

يقول الكولونيل المجرم بيليسييه : "يجب أن أذكر لكم الضباط الذين ساعدوني بكفاءة ، كل من الكابتن "راؤول" و"دي بريفان" من سلاح الهندسة ، و"دي فالدان" من هيئة الأركان ، والملازم "هيزات" من سلاح الهندسة ، و"بارتلن" من المدفعية ، وكذا الملازم "ميرفوي" قائد كتيبة القناصة لأورليان ، والملازم ريس" من قناصة اللواء السادس الخفيف ، والكابتن "مورو" قائد الفيلق الثاني من نفس اللواء . وكلا من الكبتن "موراندو لورنسي" من اللواء الثالث لأورليان ، و"أنطوني" من قناصة اللواء السادس الخفيف الذي أبدى شجاعة نادرة في أخطر مركز ، و"طاردس" الرقيب الأول من قناصة الفيلق الثاني من اللواء السادس الذي

---

(1) أشبه اليوم 1845م (مذبحة الفرريش) بما قام به زبانية وأحفاد بوجو وكافينياك وبيليسييه انظر : د . محمد الأمين بلغيث ، موقف المثقفين الفرنسيين من التعذيب والسجون والمحتشدات أثناء الثورة الجزائرية (مجلة المصادر) العدد الخامس صيف 1422هـ/2001م . ص : 191 وما بعدها .

أبدى ذكاء وهدوءاً في قيادة جنوده. ثم يواصل القائمة الطويلة للقتلة المساعدين والجرحى الذين يحتاجون إلى مساعدة ومكافأة خاصة على أعمالهم في مغارة الفراريش ، وكيف ساعدوا فرنسا في إبادة قبيلة أولاد رياح .

وأختم كلامي بهذه اللوحة التي رسمها شاهد عيان تعبيرا عن وحشية بني جلدته من ذا الذي يستطيع وصف هذه اللوحة ؟ أن ترى في منتصف الليل ، و في ضوء القمر ، كتيبة من الجيوش الفرنسية تضرم نار جهنم كلما خبت ، وأن تسمع الأنين الخافت لرجال ونساء وأطفال وحيوانات. وتمزق الصخور المتكلسة التي تتشقق وتنهار . . . وفي الصباح ، عندما عمدوا إلى تنظيف مدخل المغارة . . . كانت ثمة جثث الأبقار والحمير والخراف . . . وبين البهائم كان ما يتكدس تحتها رجال ونساء وأطفال ، وقد شاهدت جثة رجل يضع ركبته في الأرض ويده تمسك متشنجة بقرن بقرة ، وأمامه كانت امرأة تحتضن طفلها بين ذراعيها ، لقد اختنق هذا الرجل عندما كان يحاول حماية أسرته من غضب هذا الحيوان . . . وقد عدُّوا 760 جثة .

وبعد انقضاء شهر فقط على حادثة الكولونيل بيليسييه جاء سانت آرنو في 12 آب (أوت) 1845م على مقربة من تنس وإلى إحدى المغارات احتوت على خمسمائة لص كما وصفتهم التقارير السرية ، وقد تمت إبادتهم عن بكرة أبيهم ، ولم يسمع بالأمر إلا السفاح بوجو .

إنني لم أسرد أمامكم إلا القليل مما قامت به الآلة الحربية الفرنسية في أهالينا وأسلافنا والقليل القليل فقط ممن نعرف على الأقل كيف قتل أو أحرق أو هجِّر ، أو كيف انتهك برابرة وهمج ومغول القرن التاسع عشر والعشرين ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

القسم الثاني

الحركة الوطنية

العمل السياسي والإصلاحي

أولا: الطلبة الجزائريون بجامع الأزهر
وعيون المخابرات الفرنسية بين الحربين من خلال وثائق جديدة

كان بريد القاهرة وما يحمله من كتب وصحف عربية في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، بمثابة الروح التي يستمد منها المحظوظون من نخبتنا المتعلمة قوتهم، نظرا لما يمثله هذا البريد المحاصر من إحياء وتجديد، وبعث روح المقاومة، وخير شاهد على ما ذهبنا إليه حياة الداعية الإسلامي المغمور الحاج إبراهيم سراج المدني، مؤسس جريدتي "الحجاز" و"الفسطاط" وأعماله الرائدة ضمن أعلام الجامعة الإسلامية في الحجاز ومصر وطرابلس الغرب والجزائر[1]، وكان تعلق النخبة الجزائرية بجامع الأزهر على الخصوص من الجامعات الإسلامية في البلاد العربية يمثل الارتباط الوثيق بين الجزائريين ومحيطهم العربي الإسلامي، ولهذا كانت هذه المؤسسات الجامعية والإسلامية محل تقدير من علماء الجزائر وأعيانها .

وعرف الأزهر حركة علمية رائدة في هذه الفترة ـ مجال دراستنا ـ نظرا لجهود علماء على درجة كبيرة من الوعي بالرسالة التي أنيطت بهذه المؤسسة فأصبحت ملاذ طلاب العلم والمعرفة، وهو ما كان يثير قلق الدوائر الغربية وبصورة خاصة ساسة فرنسا الاستعمارية كل حسب درجة مسؤوليته في إدارة

---

(1) هذه دراسة نشرتها بمجلة الموافقات، وهي مجلة جامعة تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية يصدرها المعهد الوطني العالي لأصول الدين سابقا، (كلية أصول الدين جامعة الجزائر حاليا) العدد الممتاز "العدد الرابع" السنة الرابعة 1416هـ/1995م .

الدولة وأهم مجالات وجود فرنسا في القاهرة نذكر القنصلية الفرنسية العامة الرابطة الفرنسية لنشر اللغة الفرنسية بمصر وبين نخبتها المتفرنجة ، وهذه مؤسسات مسيرة من طرف نخبة على درجة كبيرة من الخبرة ببلاد العرب من الحجاز مرورا بالشام إلى كل بلاد المغرب وكانت تمد الخارجية الفرنسية بفرنسا والسلطة الاستعمارية في الجزائر بأدق المعلومات عن الجزائريين الذين حطوا رحالهم بالقاهرة ، وكانت مصر والقاهرة والمراكز الحدودية تعج بالجواسيس الذين يمدونها بالتقارير الوافية عن حركات وسكنات الطلبة والدراويش والزعماء والمثقفين بصورة لافتة لحرص هؤلاء على مصالحهم وتكشف الوثائق الخاصة بالجزائر بأرشيف ما وراء البحر على دقة متناهية في مراقبة الأهالى إلى درجة تثير الحيرة لدى الباحثين والعلماء .

وقد سمحت لي ظروف البحث الاطلاع على بعض العلب فأصابتني الدهشة لجدية هؤلاء الذين استطاعوا أن يحطموا ـ إلى حين ـ ما كان يجمع الجزائر ببقية أقطار الوطن العربي والعالم الإسلامي ، ولأن الجزائر لا تملك مؤسسة علمية في مستوى الجامع الأزهر بالقاهرة أو القرويين بفاس أو جامع الزيتونة بتونس ، فكانت قبلة الجزائريين القاهرة وجامعها العامر الأزهر الشريف ليتزودوا بما يمكن مساعدتهم من علوم ومعارف[1] .

---

(1) كنا قد عَرَّفْنَا شخصية إبراهيم سراج وخصصنا له دراسة مستقلة ، وحتى يشاركني القارئ متعة اكتشاف هذه الشخصية الكبيرة أقدم هنا رسالة من رسائله التي كان ينسخها بشكل ملفت للنظر على نسخ متعددة على شكل عريضة أو منشور سري ويرسلها للجزائر أو ببعثها عن طريق البريد المحاصر بقنصلية فرنسا العامة بطرابلس الغرب أو يوزعها على العابرين لتوزيعها وهو ما أشارت إليه الوثائق الفرنسية التي تمكنت من اكتشافها في صناديق إفريقيا الغربية الفرنسية سابقا ونص الرسالة الموجودة بالملحق هي : إبراهيم سراج المدني

=

شخصية إسلامية ثائرة على تخلف وشتات العالم الإسلامي وعلى الوجود الفرنسي بالمغرب العربي ، قدم من القاهرة في أكتوبر 1877م واستقر بالعاصمة واتخذ من مكتبة عربية مقرا لاستقبال بريد الشرق ، ولقاء أعيان الجزائر وهو حسب الوثائق الفرنسية من العناصر الخطيرة التي تعمل على توعية الأهالي بمخاطر الوجود الاستعماري في الجزائر راغبا في مواصلة الكفاح بعد فشل ثورة الشيخ الحداد ومحمد المقراني عام 1871م . طردته السلطات الاستعمارية عقب انتهاء إقامته وضيقت عليه ؛ لأنه يحمل جواز مرور من مصر صدر عن القاهرة بتاريخ 15 أغسطس عام 1877م ، واضطربت تقارير الشرطة الفرنسية وعامل عمالة وهران وقنصل فرنسا العام بطرابلس الغرب حول مهمته بهذه المناطق .

وعلى إثر استقراره بالقاهرة أصدر جريدة الحجاز في جويلية 1882م يناهض فيها الوجود الفرنسي كاشفا جرائمه في الجزائر وتونس محرضا حكام المسلمين على مساعدة الجزائريين في ثوراتهم بالمال والسلاح والدعاية . وتمكنت المصالح الفرنسية المتنفذة بالقاهرة من توقيفها ، فنشر خطبه ومقالاته في جريدة " مخبر جرائد الفسطاط" وعلى إثر فشل ثورة عرابي باشا الذي ساعدته الحركة السنوسية في جهاده هرب إبراهيم سراج المدني إلى طرابلس الغرب ، ليواصل معركته مع الغرب ، وقد تمكنت من جمع بعض ملفاته بما فيها الرواية التركية والوثائق الفرنسية وكتبت دراسة مع ملحق كبير من الوثائق التي لم يطلع عليها الدكتور أحمد فتحي الدجاني الذي يعتبر أول باحث يكشف الوثائق العثمانية والإشارة إلى مأساة هذا الصحفي والمثقف القومي في فجر بداية الأعمال السياسية في الوطن العربي والعالم الإسلامي عن هذه الشخصية ، وكان الشيخ إبراهيم سراج الدين من أفضل العلماء والشعراء في زمانه ، وقد كانت له مراسلات مع الشيخ ناصيف اليازجي . انظر القصيدة التي رد بها ناصيف اليازجي على إبراهيم سراج الدين ، وتساءل الأستاذ سعد الله عن سر سماح فرنسا لإبراهيم سراج أو الحاج إبراهيم سراج كما لقبه الدكتور سعد الله بالمتاجرة مع السلطات الفرنسية ثم قال : ولا ندري ما مقابل ذلك ، وأشار إلى عدد 2 يوليو 1878 من المبشر .

كما أشار الأستاذ عبد القادر المجاوي في كتابه الصغير "إرشاد المتعلمين" إلى قصيدة إبراهيم سراج المدني حول الإصلاح ودور خير الدين باشا التونسي في هذا الأمر مما يعبر عن شاعرية الرجل .

وسأكتفي في هذا الهامش الطويل بتقديم بعض النصوص والوثائق الخاصة بإبراهيم سراج ومحيلا على كتابي المشار إليه في الهامش ، حيث إن الدعاية الفرنسية ضد الحركة السنوسية وخطرها على مصالح فرنسا الاستعمارية في الجزائر وتونس والمغرب الأقصى وتشاد وبلاد السنغال هي التي دفعت السلطات الفرنسية في طرابلس الغرب ومصر وعيونها بإيطاليا

=

=

ومالطا لمراقبة إبراهيم سراج المدني والوثائق الملحقة بهذه الدراسة، وثائق جديدة تكشف عن شخصية مغمورة مظلومة ساهمت بقدر عظيم في الدفاع عن مصالح المسلمين في المشرق والمغرب.

و نص الرسالة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فإن الدولة الفرنساوية لما أردت السفر من الجزائر كلفتني بعدم الرجوع إليها بعد أن صارت وطنا عزيزا لي وخلفت فيها ذريتي وكلفتني بعدم دخول تونس أيضا ولي فيها أموال وتجارة، ولما فتحت المكتب في مصر لجريدة الحجاز ورأت وجهها مزينا بذكر محاسنكم سعت في توقيفها وعطلتها، ولما قدمت إلى طربلس الغرب سعت في حبسي عند الباشا الوالي فحبسني وهو رجل رومي من اليونان ادعى الإسلام في كبره.

وأنكم تعلمون أن الدولة الفرنساوية هي وحدها عدوة العرب جميعا شرقهم وغربهم، وأنها طامعة في محقهم وفي أن تخلفهم في أرضهم العزيزة، وكذلكم تعلمون أن أرض الجزائر هي أجساد آبائكم المسلمين، فلا تنسوا ذلك وأقدروها حتى قدرها وأوصلوا أمانات أبائكم من الدين والعز والوطن إلى أبنائكم ولنجوا من عار الدنيا وخزيها ومن عذاب الآخرة.

وكان الفرنسيون في إفريقيا قبل استيلائهم على تونس في أمن من جيرانهم تام فلم يشكروا تلك النعمة، وأما اليوم بعد أن جاوروا المدافع العثمانية في طرابلس فطمعهم في العرب فاسد وتعزيز بأنفسهم. وطرابلس الغرب أرض واسعة جدا وأهلها أهل بادية وعز وصبر عظيم وهم في غاية الكثرة وطعامهم مما يزرعون وملبوسهم مما يحوكون، وعدد العساكر في طرابلس القادمين من اسطنبول أكثر من خمسة وثلاثين ألفا حاملين السلاح، ويوجد غير هؤلاء من أولاد إخواننا الترك الأولين الطرابلسيين سبعون ألفا كلهم عسكر وعندهم السلاح والخيل، وهؤلاء غير العروش والقبائل الكثيرة التي أمر مولانا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين بتعليمهم إمساك الأسلحة الجديدة والحركات الحربية فتعلموا طاعة لأمره جميعا والمخازن السلطانية في طرابلس مملوءة من أنواع السلاح الجديد ومن الذخائر والمهمات الحربية، وفي هذه الأوقات الأخيرة أرسل مولانا السلطان إلى طرابلس زيادة على ذلكم ما يقرب من مائة وعشرين ألف من المكاحل الجديدة لأجل تفريقها وتوزيعها على كل من يرغب في الجهاد وعند اللزوم.

وقوة مولانا السلطان المعظم البحرية لا تنقص عن القوة الفرنساوية في البحر، ويوجد في طرابلس الطوربيد (الألغام البحرية) بكثرة وكثير من المدافع العظيمة التي تحطم أعظم السفن المدرعة، وجميع إخوانكم المسلمين في غاية الشوق إلى الجهاد في سبيل الله ولإخوانكم أهل اسطنبول وأهل جميع العمالات التركية عشق عظيم في الجزائر وشوق إليها وأمثالهم بمدحها

=

=

جارية كثيرا على السنة الكبار والصغار الذكور والإناث وقد دخل الفرنساويون تونس الخضراء بلا ذنب جنته سوى وجودها وحسن جوارها وعن قريب إن شاء الله تدخل العساكر الإسلامية السلطانية بتلكم الصفة فإن الله عزيز ذو انتقام .

ومن المعلوم أن الدولة الفرنساوية تفضل حفظ فرانسا من الألمانيين على جميع إفريقيا ومن فيها ، وقد جربت نار الألمانيين فوجدتها لا تكاد تطاق فهي إلى هذا اليوم تستعد لمقابلتها بالعرب ، فالعرب إن تركوا القيام لله فلهم ناران قويتان نار في الدنيا منها نار الحروب الأروباوية ونار في الآخرة خالدين فيها أبدا . وكيف للعرب عند لقاء الله إذا بخلوا بنصره ثم سفكوا دمائهم مدافعة عن قوم كافرين وما جزاء من تركوا المدافعة عن دينهم وعزهم ووطنهم وديارهم ونسائهم وأطفالهم وأموالهم ولغاتهم ومعابدهم وكل مألولف أحبوه إلا أن يدافعوا عدوا هو أقوى من عدوهم عن وطن عدوهم الذي يريد محقهم ويدافعون عما فيه من أنواع الكفر والكبائر .

وإذا أراد قوم أن يقيموا النصر لله فعليهم أن يتزاوروا وأن يكثروا من السياحة يستميلون المسلمين إلى نصر الله ورسله ، وعليه أن يختلوا مقاتل عدوهم وهي استمالة رؤساء العروش والقبائل وغيرهم من أهل الارتباط والعصبيات فإن الكلام مع غير الرؤوس قليل نفعه وخفيف وقعه ، والهجرة على من في دار الحرب من المسلمين واجبة ولا سيما إذا كان المهاجر ممن ينتفع المسلمون بسيفه أو قلمه وبعلمه وعمله ، ومن كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة . والمسلم إن كان قادرا على الجهاد ، فالجهاد واجب عليه بيده ولسانه ، وإن كان عاجزا فعليه أن يبكي وأن ستبكي (وكذا) القاسية قلوبهم على المستضعفين من الرجال والنساء والولدان من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وينبغي لكل عربي أن يعلم أنه من أسفه أجيال العرب الذين حفظوا لغتهم وشرفهم مند خمسة آلاف سنة تقريبا إلى هذا اليوم إن لم ينصرهم فإنهم حفظوا وأضاع ثم صار ترسا لعدوهم يقيهم سهام عدوه إسراعا لمحقه واستعجالا إلى النار .

أهـــل الجزائـــر والإســـلام دينكمـــو وكلكـــــم لا يقبـــــل العـــــارا

لســـتم قلـــيلا وفي الألـــزاس صـــاعقة أمـــالكم أو علـــيكم فاحـــذروا النـــار

كتبه في طرابلس الغرب أخوكم النصوح

إبراهيم سراج المدني

التاريخ : في 15 ربيع الثاني 1306هـ/ الموافق لـ- 1889م

انظر : عن سراج انظر :

=

وأعتقد أن نشر وقراءة هذه الوثائق من الواجبات الشرعية للإحاطة بخطط العدو الذي دمر الذاكرة الجزائرية مستندا في ذلك على جهود أجيال بأكملها

=

Gouverneur général civil de l'Algérie - service central des indigènes - Alger le 19 avril 1883 A. O. M 1H84 Aix en Provence.

انظر : ترجمة مختصرة عن إبراهيم سراج الدكتور أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء الخامس دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان 1998م ص : 305 الفيكونت فيليب دي طرازي ، تاريخ الصحافة العربية ، الجزء الثالث بيروت المطبعة الأدبية سنة 1914م ص : 19 وما بعدها . انظر : الجرائد العربية الصادرة في الجدول انظر : أ . محمد قنانش ، د : محفوظ قداش ، نجم الشمال الإفريقي 1926- 1937 . (وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية) ، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية ط . 2 . ص : 129- 130 . انظر : محمد الصالح آيت علجت ، الشيخ المولود الحافظي " حياته و آثاره" ، تقديم الدكتور محمد الشريف قاهر ، الجزائر ، منشورات دار الكتب 1998م ص : 151- 154 . (ملحق رقم : 5 .) ص : 164 و165 . . محمد الأمين بلغيث ، الداعية الإسلامي إبراهيم سراج (دراسة ووثائق) . (مخطوط) . راجع : بدايات اليقظة العربية والنضال الشعبي في ليبيا (1882- 1911) من وثائق تاريخ ليبيا الحديث (الوثائق العثمانية) (وقائع محاكمة أول تنظيم سياسي في ليبيا) إعداد وتقديم الدكتور أحمد صدقي الدجاني ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت لبنان 1977م (315 صفحة) .

أما نظرة الجزائريين إلى هذه المؤسسة فيمكن أن نستشف قيمتها من خلال هذه الشهادة التي يرويها المناضل والمؤرخ السيد محمد قنانش : "كنا يوم رابع عيد الأضحى بعد الزوال بمقهى الجزائر ساحة باب سويقة لصاحبها السيد حسن بوجدرة ، وكانت من أرقى المقاهي في العاصمة التونسية ، كنا في الطابق الأول مع الوفد التونسي الشقيق الذي يصحبنا ويضم الأخوة : صلاح الدين بوشوشة ، والمنجي سليم والباهي الأدغم وعلال البلهوان ، وبينما نحن نجول في أحاديث مختلفة إذ بطالب جزائري يقترب منا ويحدثنا عن شخصين جزائريين وصلا إلى العاصمة التونسية ، ويريدان مقابلتنا فطلبنا منه أن يحضرهما . وبعد أن وصلا رحبنا بهما وجلسنا والتف حولهما الطلبة الجزائريون والتونسيون ، وكان الأول يظهر أنه قطع الأربعين أو يزيد بقليل ولا يرى إلا قليلا والثاني أصغر منه ببعض سنوات وهو الذي يقوده . وعندما سألناهما عن قصة سفرهما أجابا بأنهما نذرا من مدة طويلة أن يسافرا إلى الأزهر الشريف لينهلا من منابع العلم ولم تتح لهما الفرصة إلا هذه السنة ، وقد خرجا من مسقط رأسيهما مشيا على الأقدام وسيتابعان طريقهما إلى أن يحققا أملهما . وقد تأثر الإخوان التونسيون من هذا العزم الصلب وعرضوا عليهما أن يساعداهما في الدخول إلى الزيتونة ولكنهما رَفَضَا رَفْضًا بَاتًّا .

من الأعوان والخبراء والجواسيس والمستشرقين ، كل من موقع اختصاصه لقطع الجزائر عن محيطها وتدجين "المشاغبين"[1] و"المتعصبين"[2] الذين رفضوا الاندماج في حضارة فرنسا وصميم قراءة هذه الوثائق هو الكشف عن الوسائل المستخدمة من قبل السلطات الفرنسية في محاربة نشاطات الزعماء والوجهاء، ورجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وهذا من خلال بعثاتها وطلابها بالأزهر الشريف .

إن القراءة الدقيقة لهذه الوثائق التي أحاطتها السلطات الفرنسية في قسنطينة والقاهرة بالسرية التامة إلا على كبار المسؤولين كوزير الخارجية ، وحاكم الجزائر العام ومدير الرابطة الفرنسية ، والقنصل الفرنسي العام بالقاهرة دون غيرهم من الموظفين ، فيمكننا أن نميز بين أسلوبين من أساليب فرنسا في التعامل مع طلاب المغرب العربي والجزائريين بصفة خاصة .

الأسلوب الأول: هو محاولة المؤسسات الفرنسية في الجزائر أو القاهرة كسبهم وكسب مؤسسة الأزهر، ويتمثل هذا الأسلوب السياسي في "تدجين" هؤلاء الطلاب من خلال التكفل بهم على المستوى المادي بعد أن اطلعت على أدق ظروفهم المعيشية بالأزهر الشريف الذي يفتقد كجامعات الغرب الميزانية الكافية لحماية طلابه وتكوينهم لأداء رسالة علمية وإصلاحية في بلدانهم التي

---

(1) حول التعليم بالجزائر ونظرة الفرنسيين سلطة ومؤسسات ثقافية إلى جامع الأزهر في هذه المرحلة مجال الدراسة انظر :

La formation des Algériens à l'université d'Alazhar, cabinet du gouverneur général de l'Algérie à Luciani directeur des affaires indigènes- lettre du 2-12- 1916 A. O. M 14 H 41 Aix - en provence. voir aussi mémoire sur L'enseignement des indigènes en Algérie rapport de 13 pages A. O. M 10 H 61 Aix en- Provence.

(2) المشاغب والمشاغبون من مصطلحات الإدارة الفرنسية في القرن التاسع عشر ، وتطلق عادة على الزعماء السياسيين الرافضين للوجود الفرنسي وتقابلها لفظة ومصطلح "محرض" .

تئن تحت وطأة الاحتلال والجهل والفقر والمرض[1].

فوضعية هؤلاء الطلاب في رواق المغاربة تثير الشفقة حقيقة ، وهو الباب الذي حاولت فرنسا من خلاله اختراق صفوف هؤلاء الطلاب بداية من عام 1916م.

وضمن هذا الخط ومحاولة تدجين هؤلاء الطلاب قامت السلطات الفرنسية عمليا بمساعدة السلطات العلمية والسياسية بتأسيس قسم اللغة الفرنسية ، ففي مراسلة سرية مؤرخة في 10 أبريل 1914م مرسلة من السيد "دو فرانس" (de franced) الوزير المفوض فوق العادة للجمهورية الفرنسية في القاهرة إلى السيد : "دوميرق" رئيس المجلس وزير الشؤون الخارجية[2] جاء فيها : «إن القنصلية والرابطة الفرنسية بالقاهرة استطاعت أن تحقق انتصارا عظيما في إحياء قسم اللغة الفرنسية بجامع الأزهر ، وقد قام الوزير المفوض المذكور أعلاه بتدشين دروس الفرنسية ونشرها والعناية بها في أوساط المسلمين بالقاهرة ، وهذه الدروس يتلقاها 482 طالبا أغلبهم من المغرب

---

(1) المتعصب : اصطلاح الدعاية الاستعمارية وقد ألصقته بكل أعيان وشيوخ الطرق الصوفية الذين لم يندمجوا في سلك موظفيها وسببوا لها الكثير من المتاعب كالرحمانية وأولاد سيدي الشيخ والسنوسية انظر بتوسع :

Laurent Exande, le pèlerinage à la Mecque vu d'Algérie(aspects sanitaires- 1870-1940) (mémoire de maîtrise) sous la direction de Mr: Robert Ilbert , Université de Provence département d'histoire année 1991- 1992 201 pages.

Triaud (Jean Louis) , les relations entre la France et la sanusiyya (histoire d'une mythologie coloniale) découverte d'une confrérie saharienne) thèse de doctorat d'Etat Paris VII juin 1991. 4 tomes en 1927 pages. voir tome I P: 13.

voir notamment la compagne anti- sanoussi en Algérie chapitre XV PP: 382-421. voir aussi Chaoui Abdesslem, les Marabouts vu par les explorateurs du 19eme siècle en Afrique occidentale (mémoire de maîtrise) Lille France. année 1991- 1992 P: 74.

(2) حول الوضعية الاجتماعية وأسلوب معيشة طلاب رواق المغاربة راجع :

copie du rapport du commandant cadi de la mission militaire française à Mer le colonel chef de la mission N° 368 section,Maghrébin à l'université d'AlAZHAR.

العربي والمدرسة جاءت في أحسن موقع بجامع الأزهر ، ويقوم على هذه الدروس مدة ساعتين يوميا كل من السيدين "الشريف أبو بكر "خريج جامعة الجزائر والسيد ليون بناني" (L. BANANI) خريج معهد "سان كلود" (Saint cloud) ، بباريس والمدرسة الفرنسية للقانون بالقاهرة ، وأما مدرس العربية فهو الأستاذ "جاد الحق" بالثانوية الفرنسية بالقاهرة أيضا ، ويشرف على هذا القسم الفرنسي أو المدرسة الفرنسية بجامع الأزهر بالقاهرة القنصل الفرنسي السيد "بونزوم" ، ومدير المدرسة الفرنسية للقانون السيد : "بيليسييه دي روزاس" (Pelissier de Rausas) ورئيس لجنة الرابطة الفرنسية . . . هذا العمل الذي يبشر به الفرنسيون العاملون بالقاهرة في مؤسسات لها دورها الكبير في إدارة مصالح فرنسا بالقاهرة وجدة ، والإحاطة بكل حركات وسكنات الأهالي حتى حجاج بيت الله الحرام الذين تعرفهم معرفة دقيقة تتجسس عليهم حتى في أدق الأماكن التي يؤدون فيها شعائرهم[1] ومناسكهم وهذا لحمايتهم من عدوى "المشاغبين" و" المتعصبين بالحرمين الشريفين وأثناء زيارتهم للقاهرة والمرور بها .

وتتوقف هذه الوثائق الرسمية عند هذا الأسلوب محذرة السلطات الفرنسية من خطر هؤلاء الطلبة الذين غادروا الجزائر إلى الشرق بدلا من "المتربول" حيث يسهل عليهم الالتقاء وجها لوجه مع المدنية الغربية ، فيبدأ إدماجهم في حضارتهم بعد الصدمة الأولى ، صدمة الإعجاب ، فالاستلاب والتقليد والخروج أخيرا من محيطه بعد أن يتزوج سيدة فرنسية تخرجه من تقاليد "القُرْبي"

---

(1) حول الحج والرقابة الفرنسية على حجاج بيت الله الحرام انظر :

Laurent Exande,le pèlerinage à la Mecque vu d'Algérie(aspects sanitaires-1870- 1940) op - cit. P: 22.

Laurent Exande, du sanitaire au politique(le gouvernement général de l'Algérie face au pèlerinage à la Mecque (1870- 1940) Ultramarines N°7 Aix - en-Provence PP: 3- 10.

وثقافة" الكُتَّاب والمدارس الحرة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومحاضن الحركة الوطنية الاستقلالية ، وهذه هي أقصى ما يتمنى الساسة الاستعماريون في جزائر ما بين الحربين . لكن هؤلاء الطلاب اختاروا لهم الشرق والجامع الأزهر وهنا مكمن الخطر .

وأما الأسلوب الثاني أسلوب الترهيب والقمع وتهميش عائلته في الجزائر والتضييق عليها في كل المصالح ، فهو الأسلوب الثاني المتبع الذي تنصح به هذه المصالح التي تراقب الطلاب الجزائريين بجامع الأزهر .

وأول ما عملته عيون المخابرات الفرنسية بالقاهرة أنها كونت لكل طالب جزائري ملفا كاملا عن حياته وعن قبيلته وعن سلوكه وأخلاقه واتجاهه السياسي والفكري ، وتظهر أول قائمة بأسماء هؤلاء الطلاب في مراسلة من القاهرة في 15 سبتمبر 1916م[1] ، مع تقرير مهمة المقدم قاضي

---

(1) تحتوي هذه المراسلة على 29 شخصية فيهم من ساهم مساهمة كبيرة في التعليم والعمل السياسي وخاصة بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931م وهذه القائمة هي :

(قائمة الطلبة الجزائريين بجامع الأزهر 1916م)

1- محمد البشير (كذا) دون تعريف بمركز إقامته أو الانتماء القبلي كما فعلت مع بقية الأسماء .

2- محمد أرزقي الشرفاوي ، من قبيلة بني غبرين أعزازقة المختلطة ، عمالة الجزائر .

3- مولود بن صديق ، قبيلة بني حافظ ، بلدية قرقور المختلطة ، عمالة قسنطينة .

4- محمد العربي السوفي ، قبيلة سوف بير ، عمالة قسنطينة .

5- محمد جلول ، قبيلة (بولة) ، أولاد سيدي الموهوب ، بلدية عمي موسى ، وهران .

6- عامر بن الشريف ، قبيلة زويج بلدية تابلاط عمالة الجزائر .

7- علي محمد أحمد ، قبيلة زمايتية ، عمالة الجزائر .

8- محمد علي الشيشفاوي (الشرفاوي) من مدينة سطيف عمالة قسنطينة .

9- يوسف بن علي بزقي (رزقي) ، قبيلة أولاد إبراهيم بلدية تبسة المختلطة ، عمالة قسنطينة .

=

10- زايدي بن محمد ، من قرية كولبير بلدية أكرني المختلطة ، عمالة قسنطينة .

11- موهوب بن جلول ، قبيلة أولاد سيدي الموهوب بلدية عمي موسى المختلطة عمالة وهران .

12 محمد بن محمد زهو ، مدينة البليدة عمالة الجزائر .

13- رابح بن عمار عمالة الجزائر .

14- إسماعيل بن عمار ، قبيلة شلوط(حجوط) عمالة الجزائر .

15- الأخضر العربي ، قبيلة(لمواسة) عمالة قسنطينة وهو بلديات السيد زايدي بن محمد من نفس القرية (Colbert) .

16- نسيب سعد ، قبيلة سيدي عقبة عمالة قسنطينة .

17- مولاي بن الشريف المكّي من أولاد سيدي عبد القادر بلدية فرندة ، عمالة وهران .

18- زروق بن كاحو (كذا) (أو كحو) ، دون ذكر إقامته وأصوله القبلية .

19- ربعي (ربيع) بن محمد ، أولاد بني جعد ، عمالة الجزائر .

20- محمد بن جلول شريدة (Charidah) ، قبيلة بني عباس ، بلدية (أرتو ؟) المختلطة عمالة وهران .

21- يوسف بن علي الملواتي ، أولاد لوزانة ، تابلاط عمالة الجزائر .

22- الحبيب بن عبد القادر ، قبيلة المشاي ، بلدية تنس المختلطة ، عمالة الجزائر .

23- البشير ، البشير العروسي من قبيلة " ليانة " بلدية بسكرة ، عمالة قسنطينة .

24- صادق بن خليل أولاد جلال بلدية تبسة المختلطة ، عمالة قسنطينة .

25- أحمد بن كومبر (كذا) ، قبيلة الهامل ، المكتب العربي ، بوسعادة ، عمالة الجزائر .

26- الحسن بن أحمد ، قبيلة الهامل ، المكتب العربي ، بوسعادة ، عمالة الجزائر .

27- أحمد بن إبراهيم من قبيلة مجاجة ، بلدية الأصنام عمالة الجزائر .

28- عبد القادر بن أحمد من مدينة بوسعادة ، عمالة الجزائر .

29- إسماعيل بن علي صالح ، بلدية جيجل المختلطة ، عمالة قسنطينة .

انظر الوثيقة الأرشيفية : التي أرسلها دوفرانس الوزير المفوض المكلف بالوكالة والقنصلية العامة الفرنسية بالقاهرة ، حيث أحاط المرسل وزير الخارجية بالوضعية السئة للطلبة الجزائريين برواق المغاربة بالأزهر الشريف ، وموضحا مهمة السيد : قاضي بن العربي الشريف المعروف بالسيد قاضي (أو الكوماندان قاضي) ، صاحب المهمات الصعبة ، وقد تخلى عن جنسيته الجزائرية والتحق بالجيش الفرنسي ، وكان قد تخرج في مدرسة عليا عام 1874م .

(Commandant Cadi) صاحب المهمات الصعبة في الحجاز والقاهرة والخبير العسكري بشؤون الشرق ، وقد خلص هذا الأخير إلى مجموعة من النتائج التي قدمها للسلطات الفرنسية العليا في فرنسا والجزائر وهي : أن طلابنا الذين التحقوا بالجامع الأزهر بالقاهرة لم يستفيدوا من تكوينهم وقد ضيعوا أوقاتهم ، ففقدوا بذلك عواطفهم الفرنسية ، وأحسن وسيلة لحمايتهم من الأوساط المعادية لفرنسا هو منعهم من السفر ومراقبتهم بعد عودتهم مراقبة دقيقة حتى لا يؤثروا على الأهالي بالجزائر ، وهذا من خلال ما أخذوه من مصر والجامع الأزهر واندماجهم بعد عودتهم بالأوساط الإصلاحية وهو ما توقعه الخبير الفرنسي ؛ إذ أصبح أغلبهم يعملون على خدمة التعليم العربي ومحاربة التخلف وبدع رجال الطرق الصوفية الذين ساهموا بقدر كبير في تنويم العوام بخرافات وبدع شجعهم على مواصلتها جهلهم بالدين الإسلامي الحنيف وتقربهم من المسؤولين الإداريين طلبا للمناصب وهروبا إلى العافية والسكينة بدلا من المواجهة التي ستضطلع بها كوكبة من الربانيين كالإبراهيمي وابن باديس والعربي التبسي والعقبي الذين نازلوا الاستعمار بالقلم والصحافة واللسان في المساجد والنوادي والمحافل وبتكوين وتهذيب الجزائري المسلم وإعادة إدماجه في مسيرة العمل الإسلامي والوطني يوم الصدام مع فرنسا وأعوانها وجيشها الذي أهلك الزرع والضرع .

انظر : محمد الصالح آيت علجت ، الشيخ المولود الحافظي "حياته وآثاره" ، ص : 201 : انظر النصوص والمراسلات الخاصة بين المصالح الفرنسية بالقاهرة مع تقرير المقدم قاضي بن العربي الشريف ص : 150- 154 .

Copie du rapport de M. Defrance ministre plénipotentiaire chargé de l'agence et consulat général de France à M. Briaud président du conseil,ministre des affaires étrangères le Caire, le 15 septembre 1916.

وكانت مهمة المخابرات الفرنسية بعد إحاطتهم بخطر الشرق تتمثل في مراقبة نشاطات هؤلاء وتتبع نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في كل مكان ، وأحاطت النجباء من طلاب مدارس الجمعية الذين شرعوا فى الهجرة إلى تونس عن طريق أحد المقربين إلى رجال الإصلاح السيد : "**محمد الأمين**"[1] صاحب المكتبة العربية بتونس العاصمة الذي تصفه الوثائق بأنه كثير الرحلة والسفر إلى القاهرة ، والذي كان يشكل المحطة الأولى لسفر بعثات الجمعية إلى الشرق حسب مراسلات المقيم الفرنسي العام بتونس إلى عامل عمالة قسنطينة وحاكم الجزائر العام بداية من نوفمبر 1938م . وقد ازداد عدد هؤلاء الطلاب خاصة من مدرسة جمعية التربية والتهذيب بقسنطينة ، وكان ابن باديس[2] محل اهتمام هذه الوثائق وتحاط اتصالاته برجال الإصلاح في

---

(1) حول الشيخ محمد الأمين صاحب المكتبة العربية بـ 12 شارع الكتبية بتونس والساكن بساحة السوق كما جاء في تقارير المخابرات الفرنسية في تونس انظر :

A. O. M. B. 1 1bis département de Constantine, copie secrète du 25 décembre 1938 N° 2235 A I/R objets , oulémas du préfet de Constantine à Mer le gouverneur général de l'Algérie.

(2) ابن باديس شخصية محورية في الجزائر في الثلاثينيات ، وقد أحاطته المخابرات والسلطات الاستعمارية في تنقلاته ولقاءاته بأعوان ورجال في كل مكان يحل به وخصصت له ملفات ضخمة وفي أرشيف ما وراء البحر صناديق كبيرة لم تصل إليها بعد الأقلام النزيهة لتنفض عنها غبار السنين وربما ستكشف الوثائق بعد حين النظرة الكاملة لرجال المخابرات حول هذه الشخصية الكبيرة الغائبة مع الضجيج الكبير الذي نسمعه من " المداحين"دون النظر في واقع الرجل ورسالته وجهوده وجهاده في بناء وإعادة ترميم ما حطمته يد الاستعمار والشيطان .

وقد ظهر صدق ابن باديس من خلال حسه الوطني استجابته وتأييده للفكر الوطني الذي طرحه عليه مصالي الحاج في لقائهما بباريس حينما عرض عليه مخاطر الفكرة الاندماجية على الشخصية الجزائرية ، كما عرف ابن باديس تحولات كبرى في أفكاره إلى غاية يأسه من فرنسا انظر عن ابن باديس : الدكتور محمود قاسم ، الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ، الطبعة الثانية ، دار المعارف مصر 1979م . صلاح الدين (الجورشي) ، ابن باديس (تجربة في الإصلاح) دار الراية - تونس 1978م ص : 5 .

=

القاهرة وتونس[1] وسويسرا[2] عن طريق الداعية الكبير الشيخ الفضيل الورتلاني[3] الذي ربط الجزائر بشبكة اتصالات بزعماء الحركات الإصلاحية والسياسية بسويسرا والقدس والقاهرة واليمن.

= Merad(Ali) ,Le réformisme musulman en Algérie de 1925- à 1940) essai d'histoire réligieuse et sociale, les éditions El hikma Alger 1999. P: 123 et suivante

(1) وردت في ثنايا هذه الوثائق اتصالات بالرائد الإسلامي الداعية والسياسي عبد العزيز الثعالبي، الذي كانت له في تونس وبغداد والهند والقدس معارك سياسية وفكرية مع الاستعمار الفرنسي والإنجليزي - مع رواد الإصلاح في الجزائر، ولا نعلم كيف كانت تتم هذه الاتصالات، وحسب علمي فإن الثعالبي شخصية جزائرية الأصل استقر بها المقام مع والده ومع بعض الجزائريين في حي الحلفاوين، وقد أحاط الجزائريون بالثعالبي حينما أسس الحزب الدستوري التونسي، وهو الذي قال فيه المرحوم مالك بن نبي: "لو سلمت فرنسا الراية للشيخ عبد العزيز الثعالبي لرفع على القلعة راية الإسلام ولو سلمتها إلى بورقيبة لرفع عليها راية العلمانية": انظر بتوسع عن الثعالبي ورسالته: يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري التونسي (1919- 1934)، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1988م ص: 241. أنور الجندي، عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية (1879- 1944) دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984م، عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، تعريب حمادي الساحلي، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي بيروت 1984م.

(2) كانت سويسرا مقر المفكر والثائر الإسلامي الكبير شكيب أرسلان الذي ورد اسمه كثيرا في هذه الوثائق نظرا لاتصاله الوثيق برجال الإصلاح عن طريق الشيخ الفضيل الورتلاني ورجال الحركة الوطنية عن طريق الزعيم مصالي الحاج، وتقول بعض الدراسات: إنه بفضل هذه الشخصية الإسلامية الكبيرة تمكن مصالي الحاج أثناء إقامته بسويسرا من الإحاطة بكل مشكلات العالم الإسلامي، وليس الجزائر فحسب، ويظهر تأثر مصالي بشكيب أرسلان من خلال مشروع مدارس الحركة الوطنية الاستقلالية، وزوال الصراع التقليدي بين الوطنيين والإصلاحيين في الجزائر إلى حين.

(3) حول شخصية الفضيل الورتلاني وعلاقاته بشكيب أرسلان وجمعية الإخوان المسلمين بالقاهرة وثورة اليمن. راجع الوثيقة الملحقة بالكتاب، انظر: أيضا الجزائر الثائرة للورتلاني، الطبعة الجزائرية.

وما يلفت الانتباه في هذه الوثائق التي تربط بين هذه الأسماء اللامعة في الأربعينيات من هذا القرن ، بروز وحدة الموضوع ووحدة الهدف مع اختلاف في المناهج والأساليب بحسب ظروفهم المحلية ودرجة الوعي السياسي والفكري لكل واحد منهم .

لهذا أعتقد أن هؤلاء الرجال الذين حاربوا الغرب بإمكانيات بسيطة لكنها شديدة المفعول على الرغم من خبث الوسائل وتوفر الأعوان والخونة داخل الصفوف ، فإن رسالة ابن باديس في الجزائر كانت تعمل على تكوين جيل سليم الطوية يعي رسالته الحضارية أمام الله وأمام الأمة الإسلامية ، وتبرز الوثائق أساليب رجال الإدارة والشرطة ورجال الحدود في كل مكان بصورة تثير الأعصاب وتحرك الخشب المسندة والموتى من قبورهم .

إن هذه الوثائق الجديدة التي أقدمها في هذه القراءة الأولى تكشف عن مجموعة من النتائج هي : أن الأزهر الشريف رغم ما قام به المصلح محمد عبده بقي مؤسسة تقليدية تلقن الحواشي والمتون والزوائد ، ومع ذلك تحسب له السلطات الاستعمارية ورجال المخابرات الفرنسية ألف حساب وهو بالنسبة إلى الجزائريين المؤسسة الشرعية المؤهلة للدراسات العليا بعد أن حُرِموا من مؤسسات التعليم العالي بالجزائر لظروف شتى والجدول الآتي يثبت ما اعتقدته[1] :

الكليات	طلبة أوروبيون	طلبة من الأهالي (المحظوظون)
القانون	831	17
الطب	324	07

(1) انظر : mémoire sur L'enseignement des indigènes en Algérie op- cit,P: 3.

الصيدلة	211	06
العلـوم	198	14
الآداب	249	33
المجموع	1813	77

يتعلق هذا الجدول بالسنة الدراسية "1929م- 1930م" وأصبح مجموع الطلاب من الأهالي أبناء الوجهاء وأصحاب اليد الطويلة ومعظمهم من تعاملوا مع السلطات الاستعمارية يقدر عددهم بـ93 طالبا .

وللتأكد أكثر حول التعليم بالجزائر عام 1937م فإن النسب تثير العجب العجاب ؛ لأن الاستعمار رمز الجهالة والتجهيل[1] .

*فشل المخابرات الفرنسية في تدجين هؤلاء الطلبة بالقاهرة رغم الإغراءات التي عرضتها عليهم في كل مكان .

* نجاح ابن باديس في ربط علاقات قوية مع رجال الأزهر الشريف ، وتسهيل ظروف الدراسة لهؤلاء الطلبة النجباء بشهادة تقارير المخابرات الفرنسية والقنصل العام والوزير المفوض فوق العادة ورئيس الرابطة الفرنسية ، وهذا يدل دلالة واضحة أن هؤلاء الطلاب وغيرهم هم جيل تربى على الوطنية والعروبة والإسلام ، وسوف تبرز الدورة التاريخية أن هؤلاء هم الذين كانوا وقود الثورة المباركة ورائدهم الطالب الزيتوني الشهيد"قاسم زيتون (واسمه الحقيقي قاسم زدور) من مدينة وهران" وغيره ، هم هؤلاء الذين كان من

---

(1) انظر المستند الذي نشرته وهران الجمهورية يوم 18 جويلية 1937م المجموعة السادسة المستند رقم : 3 .

الأجدر بنا أن نتذكرهم ونحتفل بهم لا بتلاميذ وطلاب 19 ماي 1956م رواد الفرنسة والاختراق الاستراتيجي للثورة منذ انقلاب مؤتمر الصومام وتحريفيته وتمكين جيل جديد من المستلبين فكريا وحضاريا والذين لا يزالون في غيهم إلى اليوم والتاريخ بيننا فهو خير مصفاة .

* أصبح هؤلاء الطلاب مجال التقارير اليومية إلى عامل عمالة قسنطينة وحاكم الجزائر العام ووزير الخارجية ، وأكثر الأسماء بروزا اسم الفضيل الورتلاني والأمين المدني وشقيقه أحمد المدني من خنشلة والشافعي بومدين ، والشيخ المولود الحافظي الفلكي الأزهري ، وهؤلاء جميعا حسب التقارير هم الخلية المحورية للطلاب الجزائريين الذين قدموا من جمعية العلماء ومدارسها في قسنطينة وغيرها من الحواضر بالشرق والغرب والجنوب ، وهؤلاء الرجال جميعا منهم من نعرفهم ومنهم نجهل دوره وهم جنود الخفاء الذين حفظوا لهذه الأمة دينها ولغتها بعد الله سبحانه وتعالى ، فرحمة الله تعالى على من قضى نحبه وأعان الله من بقي على العهد وما بدلوا تبديلا .

ثانيا: الإمام عبد الحميد بن باديس
وأزمة التخلف الحضاري في الجزائر

كانت الجزائر **بالنسبة** للغرب الصليبي البوابة الحديدية التي تحطمت على أسوارها الأطماع الأسبانية والفرنسية، منذ دخولها ضمن دائرة الحضارة العربية الإسلامية، وقد نبه "**الداي شعبان**"[1] في العصر الحديث على مكانة الجزائر الدولية في مواجهة أطماع الغرب، ومخاطر سقوط الجزائر المحروسة الذي قد ينجر عنه بداية تداعي وحدة المسلمين في مواجهة الهجمة الصليبية الحديثة .

وقد ظهر هذا الحس التاريخي للمكانة "**الجيوسياسية للجزائر**" كحقيقة ثابتة وهي أن حملة فرنسا على الجزائر قد شكلت رأس الحربة لتمزيق وحدة المسلمين في إطار الغارة الشاملة للصليبيين الجدد على العالم الإسلامي[2] .

إن أزمة التخلف التي تطرحها هذه الدراسة، وهي الإشكالية التي لا تزال تطرح إلى يومنا هذا، حاولت ربط مفهومها وتجلّياتها، من خلال شخصية فذة

---

(1) أرسل الداي شعبان رسالة إلى لويس الرابع عشر، مؤرخة في الفاتح من سبتمبر 1694م، جاء فيها : "إن السلطان العثماني، يعتمد في الحفاظ على إمبراطوريته، على أيالة الجزائر وأسطولها البحري" . وقد كان الداي شعبان من الحكام الأقوياء في الدولة الجزائرية الحديثة، وقد عاصر من الجهة الغربي مولاي إسماعيل الذي كان من حكام القرن السابع عشر الأقوياء . انظر :

Belhamissi M MARINE ET MARINS D,ALGER (1518- 1830) TOME II (FACE A L,EUROPE) BNA. ALGER 1996 PP13- 14.

(2) بسام (العسلي)، الأمير خالد الهاشمي الجزائري (انطلاقة الاستعمار من الجزائر إلى العالم الإسلامي)، دار النفائس بيروت : 1984 . ص : 15 .

في تاريخ الجزائر المعاصرة ؛ ولا أعتقد أن الأدبيات السياسية والثقافية بعيدة عن البحث ؛ وجدير بنا ونحن نطرح هذا الموضوع ـ والإجابة عن هذا الاستفهام المطروح يقودنا إلى أن نقترب بلطف من هذه الشخصية العلمية والسياسية التي لعبت دورا كبيرا في إحياء أمة من الجهل والتهميش وأعادت لها روح المبادرة والتحدي لاستكمال ما بناه من جهود .

إنه الإمام المصلح والرجل القرآني عبد الحميد بن باديس ، الذي وصفته التقارير الفرنسية حينما انتقل إلى جوار ربه ، قالت : «إن الشيخ عبد الحميد بن باديس ، رئيس جمعية العلماء المصلحين الجزائريين الذي كانت صحته متدهورة وسيئة للغاية منذ شهور قد توفي يوم 16 أفريل 1940 في قسنطينة ، وشيعت جنازته في اليوم التالي ، في وسط جموع غفيرة ، تعد بعشرات الآلاف من سكان المدينة ، ومن الذين جاءوا من مختلف أنحاء القطر»[1] .

ولعل ما سجلته التقارير الفرنسية بمناسبة وفاته كان أصدق تصوير لتعلق المسلمين الجزائريين بشخصيته الفذة حتى أولئك الذين كانوا موظفين لدى الإدارة .

وكانت وفاة ابن باديس ـ كما يقول المرحوم مالك بن نبي ـ : قد فوتت على الإدارة الاستعمارية المنال من الحركة الإصلاحية ، لأن وفاته كانت حياة لأفكاره ، وذلك أن موت هذا الزعيم قد حرر نهائيا الفكرة الإصلاحية التي كانت "فكرة متجسدة" من خلال صاحبها ، فأصبحت بموته «فكرة مجردة لا يجد الاستعمار إليها سبيلا ، حيث

---

(1) عبد الكريم (بو الصفصاف) ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى - 1931- 1945 (دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة) ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر 1996 : ص : 168 وما بعدها .

بقيت وفية لأفكار زعيمها الأول ومنهجيته في العمل»[1] .

هذا الرجل القرآني ، الذي أقلق الاستعمار وأذنابه ، خلال مسيرته الإصلاحية في الجزائر طوال ربع قرن من الزمن ، هو الذي أيقظ الشعور بالمأساة التي حلت بالمجتمع في ضمير المسلم الجزائري ، فقد كان رائدا حينما بدأ العمل لإعادة تنظيم الجزائر ، فتقوم بأداء واجبها الشرعي والحضاري كبقية شعوب العالم الإسلامي .

فكيف أقام الحركة الإصلاحية الناشئة ، وبماذا تميز مفهوم التجديد والتغيير في عصره ؟ ثم بماذا هيأ الجزائريين للمشاركة في الفعل الإصلاحي ، وكيف حسم علاقتهم مع الظاهرة الاستعمارية ؟

إن الصراع الذي أدى إلى هذا الوضع الذي ظهرت فيه الحركة الإصلاحية ، هي مرحلة القطيعة التي أحدثها الاستعمار ، من خلال تشويه النخب القائمة ، حيث أزاح الزعامات التقليدية الوسيطة ، وأنهى جميع الرموز التي يمكن أن تذكر بالسيادة الجزائرية ، وكنتيجة لهذا لا بد أن تأتي المبادرة لدفع الاستعمار من الأطراف (الأوراس ، الشمال القسنطيني) لا من المركز ، وأن تكون الشعارات المرفوعة وقتها إسلامية المحتوى ، ما دامت تنبع من الأوساط التي حافظت على هويتها العربية الإسلامية ، ومن الطبيعي في هذا الإطار أن تجد الاتجاهات الإيديولوجية التي وجدت رواجا في هذه الظرفية التاريخية ، هي

---

(1) مالك (بن نبي) الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، دار الفكر (د ت) ص 16 / مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي ، الطبعة الخامسة ، دار الفكر دمشق 1986 ص : 47 ، مالك بن نبي ، شروط النهضة ، دار الفكر المعاصر ، لبنان ، دار الفكر دمشق (طبعة مصورة) ، 1993 ، ص : 25 وما بعدها .

التي تدافع عن الهوية العربية الإسلامية من ناحية ، وعن الحس الشعبي من ناحية أخرى .

وقد أجمع الباحثون على أن الحركة الوطنية ، قد نمت منذ ظهورها في الأوساط المهجرية ، مع تكوين "نجم شمال إفريقيا" ، وفي الأوساط الإصلاحية للعلماء كـ "حركة الشيخ عبد الحميد بن باديس"[1] .

ومعالجة الحركة الإصلاحية تحت لواء الإمام العلامة عبد الحميد بن باديس لا تختلف في طرحها عن أزمة العالم الإسلامي في القرن العشرين ، ولا أبالغ إن قلت : إن الحس المدرك لعمق الأزمة قد نضج عند رجال الإصلاح ، على تفاوت ثقافتهم ووعيهم السياسي ، وشمولية رؤيتهم للأشياء من خلال "حرارة المأساة التي كانت تعيش فيها الجزائر ، مأساة الاستعمار والاستعلاء والسلب واستخدام أرفع النظريات العلمية لأحط الغايات وأخس الأهداف"[2] .

ولهذه الأسباب جميعها أصبحت الحركة الإصلاحية محلَّ اهتمام وعناية كبيرين من قبل المؤرخين ورجال القانون وعلماء الاجتماع وأصحاب الدراسات الاستراتيجية ، ورجال المخابرات ، والفلاسفة وأخص بالذكر ، دول الغرب الذين

---

(1) د /محمد عبد الباقي (الهرماسي) ، المجتمع والدولة في المغرب العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنان : 1987م : ص : 642 .
د/أبو القاسم (سعد الله) ، مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي - 1830 - 1954 . دراسة مركزة على الجزائر (أفكار جامحة) ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986 ، ص : 89 وما بعدها ، د/يوسف مناصرية ، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالمتين (1919 1939) ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1988م : ص : 35 .
Burhan Ghalioun , Le Malaise Arabe (Etat contre Nation) collection , SAD , ENAG ALGER. 1991. p 16

(2) محمد (المبارك) ، مقدمة وجهة العالم الإسلامي لمالك بن نبي ص : 9 — 10 .

هزتهم الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي بل في عقر ديارهم[1].

إن الإمام عبد الحميد بن باديس، وهو يجيب على إشكالية التخلف الحضاري في الجزائر والعالم الإسلامي، يطرح مسألة من أخطر المسائل التي عاشها جيله بكل ما تحمله هذه المسألة من خطر، إنها ضخامة وشمولية الغزو الأوروبي المنظم لدار الإسلام وكان قبله السياسي والمفكر خير الدين التونسي[2] قد حذر من خطورة هذا الغزو قائلا: «إن التمدن الأوروبي تدفق

---

(1) الإمام ابن باديس شخصية محورية في الحركة الإصلاحية، وأحد الرواد الكبار في نهضة الجزائر الحديثة، ومع هذا فإنه لم يحظ بدراسات وافية تنفي عنه غبار الوهم، الذي شوه صورته النظرة "بفعل فاعل"، ومن الدراسات المؤسسة للكتابة حول هذا الموضوع، كتابي الأستاذ: علي مراد، من جامعة السوربون الجديدة، "ابن باديس مفسر القرآن" و"الحركة الإصلاحية الجزائرية"، انظر كذلك:

Luc Willy Deheuvels, Islam et pensée contemporaine en Algérie éditions du CNRS PARIS 1994.

انظر أيضًا:

A. O. M. 8 H 61. Aix - en- Provence - deux Tomes, Tome I- 6 Brochures concernants (La vie politique, sociale, économique culturel de l'Algérie), Tome II les partis politiques et association des Oulémas.

أ/ محمد الأمين (بلغيث)، الصراع الفكري في الجزائر المستقلة، من خلال مجلة الأصالة، (1971- 1981)، ملتقى مولود قاسم، الأوراس باتنة أفريل 1996م. ص: 3. مازن صالح (مطبقاني)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1939 رسالة ماجستير جامعة الملك عبد العزيز، قسم التاريخ العربية السعودية 1985.

(2) خير الدين التونسي (1822- 1889) شخصية تونسية، تنتمي إلى النخبة العثمانية التي تبنت الإصلاحات الإدارية والسياسية والعسكرية على النمط الأوروبي، والمعروف أن التجارب النهضوية والتنموية التي تبنتها النخبة السياسية في القرن 19م في مصر: محمد علي باشا، وفي تونس عهد أحمد باي، قد فشلت فشلا ذريعا، وهذا يعود إلى تقليد الغرب، وعدم فهم الأزمة الحقيقية التي هزت كيان الإنسان المسلم في عصرهم، وحول هذه الإشكالية راجع: أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، لخير الدين التونسي، تحقيق: منصف الشنوف، الدار التونسية للنشر، تونس 1972 (مقدمة الناشر). ساطع (الحصري)، الكتابة السياسية عند خير الدين التونسي (الأنتلجنسيا في المغرب العربي) مجموعة أعمال بإشراف د/عبد القادر جغلول، =

سيله على الأرض ، فلا يعارضه شيء إلا استأصلته قوة تياره المتتابع ، فيخشى على الممالك المجاورة لأوروبا من ذلك التيار»[1] .

وكان أول من وقعت عليه مسؤولية مواجهة الاقتحام الأوروبي ، هي السلطة العثمانية وأجهزتها ، لقد حدث هذا في مصر والجزائر ، ولكن سرعان ما انهارت مؤسسات السلطة المركزية بمختلف أشكالها العسكرية والشعبية «إذ إن عوامل الاختراق التدريجي ، والضعف المتزايد ، كانت قد فعلت فعلها»[2] .

وهكذا انهارت الدولة المركزية في الجزائر ممثلة في سقوط مدينة الجزائر ، وانتهاء المقاومة المنظمة من قبل الأمير عبد القادر ، وأحمد باي قسنطينة ، وكل الثورات الشعبية في القرن التاسع عشر ، ولكن رغم هذا الفشل ورغم البطولات والتضحيات ، فإن المقاومة العسكرية في كامل تراب القطر الجزائري ، قد أدت دورا مركزيا ، وشكّلت سدا منيعا أمام محاولات النسف الفرنسي لتدمير الشعب الجزائري ، وطمس شخصيته وهويته وانتمائه ، ولم تتحول الجزائر ومدنيتها إلى تراث غابر كما وقع في أمريكا في العصر الحديث مع حضارات محلية ، ذات تقاليد شعبية متطورة في تضامنها وقيمها أمام الغزو الشامل للرجل الأبيض ، الذي مثلته جحافل الغزاة الأسبان والإنجليز والفرنسيين .

=

دار الحداثة بيروت 1984م . ص 85 ، 103 ، سمير (أمين) ، الأمة العربية ، موفم للنشر - الجزائر 1990 ص 52 وما بعدها .

(1) فهمي (جدعان) أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث ، الطبعة الثانية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1981م ص : 387 .

(2) فادي (إسماعيل) ، الخطاب العربي المعاصر ، (قراءة في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة) (1978-1987) ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن - سلسلة الرسائل الجامعية رقم 3 - أمريكا 1981م ص : 95 .

وفي ظل سياسة الإبادة الجماعية للجزائريين[1] وحركة التنفير من الإسلام التي قام بها "**لا فيجري**" والآباء البيض وتجفيف الينابيع ، وقطع صلة الجزائر بعمقها المشرقي عرفت الجزائر في العشرينيات من القرن العشرين حركة إصلاحية مبشرة بميلاد فجر جديد ؛ ونهضة علمية وأدبية ؛ ومرحلة جديدة لإعادة تشكيل العقل الإسلامي في الجزائر وتحريك ضمائر الناس ، وتحمل مسؤولية البناء ، ومواجهة سياسة المسخ التي كادت أن تأتي على ما بقي من هذا المجتمع المنهك القوى[2] ، وكانت مبادئ الإسلام قوام هذه الحركة المباركة لإنقاذ البلاد والعباد من مخالب الجهل ومظاهر الشرك والاستبداد الاستعماري[3] .

إن ميراث الهجوم الاستعماري الشامل على الجزائر قد ترك ـ في العقد الثاني من القرن العشرين ـ أوضاعا تثير الأسى ، فبعد ما كانت الجزائر في بداية الاحتلال تتجاوز نسبة المتعلمين فيها 40% ؛ من السكان[4] ؛ وهذا بشهادة

---

(1) انظر :

Djilali (SARI) , Le désastre démographique, SNED ALGER 1982 JURQUET, jacquess, la révolution nationale algérienne et le parti communiste français (tome1) (1847- 1920) éditons du centenaire2eme éditions Paris 1979. P: 20 et suivante

(2) د/ أبو القاسم (سعد الله) ، الحركة الوطنية الجزائرية ، (1830- 1900) ، الجزء الأول ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1992م ص : 79 .

محمد الطيب (العلوي) ، مظاهر المقاومة الجزائرية (1830- 1954) منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر ، ص 75 وما بعدها .

(3) محمد الخضر (حسين) ، الدعوة إلى الإصلاح ، المطبعة السلفية القاهرة 1346هـ ص 36

BARAKA and Bureaucracy , (Algerian muslim judges and the colonial state (1854 - 1892) by Allan chrestelow P. H. D(History) university of Michigan - 1977(456 p) pp: 1 , 333, 334 , 340- 348.

(4) يمكن معرفة أوضاع التعليم وسياسية فرنسا التعليمية من خلال الوثائق الآتية :

A. O. M. Aix - en - Provence Mémoire sur l'enseignement des indigènes en Algérie (Rapport de 13 pages).

La formation des Algériens à l'université d,el Azhar, lettre du 2- 12- 1916

- Bendrissou (salah) , Institut «AL HAYAT «1925 - 1962 (un exemple d'école réformiste Ibadite au M'zab , Point de repère sur le projet de mémoire,deD.

=

الجنرال الفرنسي دوماس (DAUMAS) ، وبعد قرن من الاحتلال أصبح الوضع الثقافي مترديا ؛ حيث وصلت الأمية في أوساط الشعب الجزائري إلى 90% (. . .) ويرجع الدارسون السبب في كل هذا إلى تعسف السلطات الاستعمارية تجاه الأطر التعليمية الجزائرية التي كانت موجودة آنذاك ، حيث عطلت الزوايا عن أداء مهامها التعليمية والخيرية ، وأغلقت الكتاتيب القرآنية والمدارس بحد القانون الاستعماري الجائر[1] ؛ لأن النظام الاستعماري منبع الجهالة والظلامية على حد تعبير عَمَّار أوزقان في كتابه[2] الجهاد الأفضل .

هذا الميراث النكد لشجرة الزقوم ، نقطة مهمة على طريق فهم عبد الحميد

E. A(Paris 50pages).

د/ تركي رابح ، الشيخ عبد الحميد بن باديس ـ فلسفته وجهوده في التربية والتعليم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الطبعة الثانية الجزائر . د/ عبد الله (حمادي) ، الحركة الطلابية الجزائرية (1871-1962) ، مشارب ثقافية وإيديولوجية ، الطبعة الثانية ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر ، 1995 : ص 10 وما بعدها .

د/ عمار هلال ، التعليم الرسمي في الجزائر خلال العهد الاستعماري الفرنسي 1850 ـ 1962 (أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830- 1962) ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1995 : ص : 104 - 146) . د/ أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية 1900 ـ 1930 ـ الجزء الثاني ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، الطبعة الرابعة 1992 ص 62 وما بعدها . محمد الأمين (بلغيث) ، الطلبة الجزائريون بجامع الأزهر وعيون المخابرات الفرنسية بين الحربين من خلال وثائق جديدة (مجلة الموافقات) المعهد الوطني العالي لأصول الدين ، العدد الرابع الجزائر جوان 1995 . ص (364 - 378) .

Guy (Pervillé), Les étudiants Algériens de l'université Française - 1880 - 1962 populisme et Nationalisme chez les étudiants et intellectuels musulmans Algériens de formation française préface de Charles Robert Ageron édition du (C N R S) PARIS 1984 p 75..

(1) د/عبد الله حمادي ، الحركة الطلابية الجزائرية ، ص 10 .

(2) عمار أوزقان زعيم الحزب الشيوعي الجزائري في مرحلة حساسة من تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ، فضح أساليب فرنسا وعملائها في كتابه : الجهاد الأفضل .

بن باديس لأزمة الإنسان الجزائري على المستوى الفكري والحضاري ، وإدماجه أو إلحاقه بدائرة التأثير الاستعماري ، فإن النقطة الثانية لفهم الظاهرة الاستعمارية ، هي ما قام به الساسة الاستعماريون ، من خلال سياسة دينية صليبية حاقدة لقلع الإسلام من صدور الجزائريين ، بعد إبادة وتشريد أو سجن العلماء والمثقفين الجزائريين[1] .

وبهذا الصدد يقول الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر : «**إننا لن ننتصر على الجزائريين ، ما داموا يقرأون القرآن ، ويتكلمون العربية ، فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم**»[2] ، وبهذا يهمش الجزائري عن أداء دوره الرسالي ، ويفقد صلته بجذوره ووطنه ، كما يفقد إحساسه بحركة التاريخ المتصاعدة ، لأن هذا الإنسان الذي افتقد مفهوم الزمن التاريخي لحياة الأمم ، هو الغاية القصوى التي يسعى للوصول إليها كبار الساسة في فرنسا وحثالة الغرب من المعمرين بالجزائر ، وخلاصة ما تسعى إليه هذه النظرة المنحطة للإنسان الجزائري : هو إفراغ الجزائري من روحه وإدخاله إلى متاحف الحيوانات المنقرضة في أوروبا ، كما وصف أبو الحسن الندوي[3] هذه الحالة

---

(1) انظر حول سياسة فرنسا التبشيرية بالجزائر الوثائق الآتية :

- Aperçu sur L'Islam Moderne , évolution de nos territoires sous mandat de levant et de nos possessions musulmanes de l'Afrique du Nord depuis 1939. (Très secret), Etat Major Avril 1944.

Aly El Hammamy,Idris (Roman) préface en langue Arabe de l'emir Abdelkrim préface en langue française de cheikh Bouamrane, Alger, S. N. E. D. 1976

Charnay (Jean Paul) La vie musulmane en Algérie d'après la jurisprudence de la première moitié du XX siécle P. U. F Paris 1991 PP: (207- 251).

- Charny , (J- p) sociologie religieuse de l'Islam , Hachette PARIS 1994.

(2) جلال (العالم) ، قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام ، أبيدوا أهله : ص 33 .

(3) أبو الحسن (الندوي) ، (بين الصورة والحقيقة) مقالة ضمن كتاب : إلى الإسلام من جديد ، طبعة القاهرة - نقلا عن د/ عبد الحليم عويس ، الحضارة الإسلامية بين أسباب =

التي يرغب الغرب في الوصول إليها مع شعوب العالم الإسلامي .

والقضية الثالثة التي عاصرها الإمام عبد الحميد بن باديس ، وكان لها أكبر الأثر في نفسه ، وفي منهجه الدعوي ، هي معاصرته لفشل ثورة الأوراس عام 1916م والدمار الشامل الذي تركته الحرب العالمية الأولى ، والتي كان أبناء الجزائر الوقود السهل والحزام الذي يحمي فرنسا الاستعمارية ، وكانت النخبة الجزائرية جد متناقضة في تعاملها مع قانون التجنيد الإجباري ، بين المشاركة والهجرة أو الثورة وقد أدى هذا الموقف إلى إحداث شرخ فضيع في الذهنية الجزائرية[1] .

= الجمود وعوامل النهضة (كتاب الأصالة) ، محاضرات الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي ، تمنغست 06/07 شوال 1399هـ / 30 أغسطس - 08 سبتمبر 1979م - الجزء الثاني ، منشورات وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر 1995 ص 264 .

ولن أترك هذا الهامش دون أن أذكر ما كانت الأدبيات الاستعمارية تصف به الإنسان العربي أو القبائلي أو المسلم ، ولمن أراد أن يعرف حقيقة فرنسا الاستعمارية والأسلوب المنحط الذي كانت تصف به الجزائريين من خلال أدب الأقدام السوداء العنصري المنحط . انظر : الدكتور أبو القاسم سعد الله "الاستعمار والثقافة الشعبية في الجزائر" وهو عمل مترجم "(أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي 1996م ص47- 98 .

(1) لقد عبر الشيخ عبد الحليم بن سماية يوم 25 جويلية 1911م عن رفضه التام لقانون التجنيد الإجباري للجزائريين ، والذي كان قد طرح قبل هذا التاريخ (أي عام 1907) ثم تطورت الظروف لغير صالح الجزائريين ، فكانت النخبة الجزائرية المتفرنجة قد عبرت عن مساندتها للمبدأ ولكن معظم شرائح المجتمع قد عبرت عن مواقفها المختلفة بالتمرد أوالثورة أو الالتحاق بالجبال أو الهجرة إلى المغرب أو المشرق : "ويمكن أن ننوه بأن قانون التجنيد كان محكا فكريا وعمليا وكان سببا في تصريحات متناقضة ، فالمثقفون بالفرنسية والنواب والأعيان الذين كانوا يلقبون بالشبيبة الجزائرية قد قبلوا قانون التجنيد مقابل بعض الإصلاحات (طلب المساواة وخاصة التمثيل البرلماني) وأما النخبة التقليدية والإصلاحية والمتنورة من رجال الصحافة فكان رائدهم الشيخ عبد الحليم بن سماية حيث صرح أمام المجلس البلدي ورئيسه حينما طلب منه أن يتكلم بالنيابة عن المسلمين : "فتقدم واستدل بآيات قرآنية على أن المسلمين إذا أدوا الخدمة العسكرية للدولة الفرنسية لا يكونون =

الخيانات الروحية ، وخيانة الأشراف[1] .

=
مسلمين بجميع معاني الكلمة ، ولا نالوا من الحرية ما يخول نبغاءهم التربع في دست رئاسة الجمهورية" ودعا جنابه إلى أن الحرية والحقوق السياسية إذا منحت للمسلمين مقابل تجنيدهم تكون هناك الضربة القاضية على القومية الدينية والجنسية ، إذ يقع اندماجهم بالأمة الفرنسوية نهائيا" وأما الأستاذ عمر راسم فقد كان يكتب المناشير بخطه ويعلقها على الحائط في الأماكن الاستراتيجية ضد قانون التجنيد .

وثالث هؤلاء الأستاذ القدير عمر بن قدور الجزائري الذي نشر مقالا مشهورا في جريدة الحضارة الصادر يوم 07 أغسطس سنة 1911م الذي قال فيه : "إننا قوم لنا قومية عروبتها متينة ، وملة قيمتها ثمينة ، وإن أصيب أعضاؤها بخدر نتيجة الحوادث ، فإن الأمل أنه خدر قصير المدة وسينقطع وتتحرك أعضاؤنا بنشاط تام ، فما لنا رغبة في نيل حقوق تجر علينا الويل والدمار . . . إننا لا نريد من فرنسا أن تمن علينا بتمدنها وعدلها لأن لنا تمدنا وعدلا ذقناهما فصار كل شيء عندنا بعدهما مرا ، وهل بعد ذوق العسل نذوق الحنظل . انظر : محمد قنانش ، محفوظ قداش ، نجم الشمال الإفريقي (1926- 1937) وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية ، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية ، ط . 2 1994م ص : 14- 15 .

عبد السلام (بوشارب) ، تبسة : معالم ومآثر ، الطبعة الأولى ، مطبوعات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر 1996م ص : 26 ، د/ عبد الله حمادي ، الحركة الطلابية الجزائرية ، ص 22 وما بعدها .

(1) من المصطلحات التاريخية الشائعة في العصر الاستعماري ، في مجال البحث ، نجد ما يعرف في التاريخ : " الأشراف أو الشرفاء والمرابطين" أو أصحاب العمائم ، وهذه العائلات المرابطية انحرفت عن رسالتها التاريخية كنخبة في المجتمع الجزائري ، وعملت في ركاب الاستعمار ، ومن الشخصيات الثقافية التي كان لها المجال الواسع لمعالجة هذه الظاهرة بصورة مميزة ، الشيخ صالح بن مهنا القسنطيني ، أحد رواد الحركة الإصلاحية الجزائرية ، حيث فند هذا الشرف المزيف الذي تدعيه كثير من الشخصيات والقبائل الجزائرية ، كما كان رائدا من رواد نقد المرابطين وانحرافهم العقدي والسلوكي ، حيث أصبح هؤلاء منذ العقد الثاني من القرن العشرين مطية للاستعمار ، وساهموا بفعالية في تنويم وتثبيط روح التمرد عند الجزائريين - راجع : بن نبي ، شروط النهضة : ص 26 . د/ سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية : (1900 - 1930) ، الجزء الثاني ، ص 403 ، وما بعدها . د/ هلال ، ثورة الأوراس 1916 : ص 171 . د/ بو الصفصاف ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص 199 . أ / سليمان (الصيد)
=

القضية الرابعة والحساسة التي شكلت بقية الصورة في ذهن الإمام عبد الحميد بن باديس هي دور الطابور الخامس الذي مثلته ـ في العالم الإسلامي ـ بعض الطرق الصوفية وبعض العائلات المنسوبة إلى الشرف والعلم وفي هذا المقام يقول شكيب أرسلان[1] : «إنه من الأسباب الموضوعية التي كانت من

=

المحامي : صالح بن مهنا القسنطيني ، الطبعة الأولى ، دار البعث ، قسنطينة الجزائر 1982 . انظر الظروف التي كان عليها المغرب العربي من خلال الغزو الإيطالي وإعلان الحماية على المغرب الأقصى ثم التمرد وحرب العصابات الذي انتهجها الجزائريون من خلال التناغم الذي حدث بين ثورة الأوراس وثورة بني شقران التي تزعمها الشيخ عثمان الراشدي الأزهري والذي حكمت عليه فرنسا بالإعدام هو وتلاميذه وأقاربه كما تمكنت فرنسا الاستعمارية من سحقهم بأبشع الأساليب البربرية . انظر : سعد الله ، الحركة الوطنية ، الجزء الثاني ص : 212 هامش رقم : . والكلام ينسبه الأستاذ سعد الله إلى الشيخ المهدي البوعبدلي .

(1) يحمل شكيب (أرسلان) حملة قاسية على أدعياء الدين وعلى المنتسبين زورا إلى علماء المسلمين ، وعلى فريق من المعممين لهم " عمائم مكورة وطيالس محررة مجررة أو رقاب غليظة ، وبطون عظيمة " ولكنهم لا يحفظون حرمة الدين والوطن ، بل اتخذوا الدين مصيدة للدنيا ، وتزلفوا إلى أهل الجاه السياسي والجاه المادي ، فهم " باعة ضمائر ، رواد سفاسف ، وطلاب وظائف " وشكيب أرسلان شخصية لعبت دورا في الحركة الوطنية والإصلاحية لما له من علاقات متعددة مع زعامات جزائرية كبيرة ، كتوفيق المدني والفضيل الورتلاني ، والبشير الإبراهيمي ومصالي الحاج ، بل يذهب الدكتور سعد الله أبعد من هذا ، فيعتقد أن أرسلان أكبر من هذا ، بل كان له الدور الفعال في تقريب وجهة نظر العلماء ، مع رجال الحركة الوطنية ، ولهذا فشخصية أرسلان (1869-1946) في حاجة إلى من ينفض عنها الغبار ويوضح هذه العلاقة القائمة مدعمة بالوثيقة والدراسة الجادة : انظر : د/ أحمد (الشرباصي) ، شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام ، دار الجيل بيروت 1978 ، ص 191 ، د/ سعد الله ، الأمير شكيب أرسلان والجزائر (مجلة عالم السياسة) ، العدد الثالث الجزائر 1992 ص 66 . سعد الله ، الأمير شكيب أرسلان والقضية الجزائرية (أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر) ، الجزء الرابع ص : 114- 138 أ / محمد الأمين (بلغيث) ـ الطلبة الجزائريون بجامع الأزهر : ص بوشارب ، تبسة ، ص25 . أحمد توفيق (المدني) ، حياة كفاح 1977م ص 232 وما بعدها ، شكيب (أرسلان) لماذا تأخر المسلمون ، ولماذا تقدم غيرهم ؟ مراجعة حسن تميم ، منشورات مكتبة الحياة بيروت 195 ص 75 .

وقد نعته الشيخ أحمد سحنون في قصيدة رثاء بحارس الشرق ويقول عبد الكريم العقون عن

=

وراء بقاء دوام الاستعمار الغربي الصليبي في ديار المسلمين ، يعود إلى الخيانات الروحية ، حيث كانت الطرق الصوفية العين الساهرة على حماية مصالح الاستعمار بما يلقاه شيوخ الطرق الصوفية من تبجيل وهذا بعد شراء ذممهم بدراهم بخسة» ونكتفي في هذا المقام أن نبرز هذه القضية التي عاصرها الإمام ابن باديس من خلال نموذجين :

الأول : يتمثل في الخيانة الروحية لبعض الطرق الصوفية في الجزائر والمغرب الأقصى ، وهذا ما تؤكده وثائق جديدة لم تنشر ، وهي شهادة ثابتة ، وتتمثل في خيانة "**شرفاء وزان**"[1] بالمغرب الأقصى ، وهي شهادة في ذمة التاريخ ، إذ لعب هؤلاء الأشراف دور الطابور الخامس في الجزائر ، وهذا من خلال أعوانهم ومريديهم ، منذ نهاية القرن التاسع عشر .

تسجل هذه الوثائق تبعية شرفاء وزان وعمالتهم للاستعمار الفرنسي الصليبي منذ الساعات الأولى للاحتلال وتتطور درجة العمالة مع حاكم الجزائر العام "جيل كامبو" ، نظرا لما كان لهذه الطريقة الصوفية ـ التي يشرف عليها شرفاء وزان ـ من تأثير على أتباعها في كامل القطر الجزائري وبصورة خاصة بالوسط والشمال القسنطيني ، وقارئ هذه الوثائق المدعمة للبحث يحس بخيانة

= وفاته :

هـوى كوكـب الشـرق أرسـلان فكـل فـؤاد فيـه هـمّ وأحـزان

سعد الله ، الأمير شكيب أرسلان والقضية الجزائرية ، (أبحاث وآراء) الجزء الرابع ص : 134- 135 .

(1) حول شرفاء وزان بالمغرب الأقصى وعلاقاتهم بالطيبية في قسنطينة والغرب الجزائري انظر :

au sujet de la subvention des Chorfa d'Ouzan (documents. d'archives).

Aix - en - Provence A. O M 30 H 11. Au sujet du Mogaddam des Taibia à Constantine Tanger - le 07 janvier 1895- G G N ° 37 - cabinet - Affaires Indigènes A. O. M. 30H 9

النخبة الروحية الفاسدة ، وتعاملها مع فرنسا الاستعمارية ، وأسوأ ما تركته هذه النخبة التي فرضها الاستعمار على الشعب ، هو تزييفها وتحريفها للعقيدة ، ومسخها للإنسان المسلم وتقديمه هدية بسيطة إلى الغرب الأوروبي ، كما تهدى الحيوانات النادرة إلى الرؤساء والسفراء .

وأما خيانات الأشراف المحليين فيمثلهم في عصر الإمام ابن باديس "**أولاد ناصر**[1] ، الذين يمثلون واحدة من أربع عائلات شريفة بالجنوب القسنطيني ، وينتمي هؤلاء إلى جدهم الأعلى سي مبارك بن قاسم بن حاج الذي ينسب إلى الصحابي عثمان بن عفان ﷺ . وأما جدهم الثاني فهو سيدي ناجي ، والشخصية المحورية التي غيرت مسار هذه العائلة العالمة الشريفة

---

(1) تنتمي عائلة ابن ناصر أو أولاد ناصر إلى العالم الصالح ، سيدي ناجي ابن سيدي امبارك ، وهذا الجد الأعلى للعائلة ، شخصية فاضلة تعود جذورها وأصولها إلى موطنها الأول بتونس ، وبعد ذلك اختار سيدي امبارك طريق الهجرة إلى تلمسان في نهاية القرن السادس عشر الميلادي ، واعترضت طريقه بعض قبائل الطوارق في رحلة ، نه إلى غرب إفريقيا ، فعاد إلى الجنوب الشرقي الجزائري ، عن طريق مدينة ورقلة ونجا من الموت بأعجوبة ، ثم مر بانوادي ، ومنه إلى جنوب الأوراس ، حيث معاقل أولاد نابل (NABEUL) ، وفتيسة ، واستقر به المقام بمنطقة تقابل جبال تابردقة في عام 1011هـ/ 1602م ، وهناك أسس مدينة "خنقة سيدي ناجي" كذكرى طيبة لجده سيدي ناجي ، وبعد مرحلة تاريخية قرر أولاده وأحفاده محمد والطيب بن أحمد بن امبارك وغيرهم الانضمام إلى الطريقة الناصرية وهذا في تمام القرن 17 م ، وهي طريقة الولي الشهير أحمد بن يوسف الملياني ، وفي كتب التاريخ التي عدت إليها ترجع نسب أولاد ناصر بالخنقة إلى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر "ق 4هـ/ 10م ونصوص أخرى ، ترجع نسب هذه العائلة إلى الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه وأكبر أولاد ناصر ، القائد سي محمد الأزهر بن ناصر المعروف بالقائد الأزهر حول حياته وتعامله ، وتعامل أسلافه منذ عهد الدوق دومال – مع فرنسا ومحاربتهم لخلفاء الأمير عبد القادر إلى غاية أفريل 1917 م ، عصر ابن باديس انظر :
Marthe , et Edmond Gouvain , Ketab A Ayane El Marharibe Imprimerie orientale Fontaine Frères Alger 1920- PP: 50. 51. 52. 53)

والذي يصدق فيه قوله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴿٥٩﴾ ﴾ ، هو القائد الأزهر الناصري الذي تحدى الجزائريين الرافضين لمبدأ التجنيد الإجباري ، وخان ثوار الأوراس عام 1916م ، وكوّن أول فرقة عسكرية : وهم : "قوم خنشلة" ، الذين شاركوا مع القوات الفرنسية في قتال إخوانهم الجزائريين ، والقضاء على قبيلة "أولاد ملول" . ويُوصَفُ سي الأزهر الناصري بأكبر أصدقاء فرنسا في منطقة ششار ، وبقية الأوراس كما جاء في التقارير الفرنسية[1] .

هؤلاء هم النماذج المخزية لتاريخ "المرابطين" والأشراف الذين عاصرهم الإمام عبد الحميد بن باديس ، وقد تحددت أرضيته في معالجة أزمة التخلف الحضاري من خلال هذه الدعائم والقضايا التي شكلت مبدأ سعيه المحمود لترميم الذاكرة الجزائرية في مواجهة آلة المسخ والتشويه التي أحدثتها معاول الهدم الفرنسية .

وأما القضية الخامسة ، التي هي قوام فهم الإمام لأزمة المجتمع الجزائري المسلم فتتمثل في الخيانات الفكرية والسياسية ، وقد مثلتهم شخصيات دينية وسياسية ربطت مصيرها بالإدارة الفرنسية أو شخصيات فكرية عميلة ساعدت على تزييف الوعي عند الجزائريين .

وأما العامل السادس الذي ساعد على تكوين الرؤيا الشاملة للعملية الإصلاحية والمنهج التغييري عند الإمام ابن باديس فهي القوانين الجائرة للإدارة

---

(1) يُنعت هؤلاء العملاء في الاصطلاح الفرنسي بـ " خدام فرنسا الأوفياء "
« Loyaux serviteurs de la France »
انظر : د : عبد الله حمادي ، الحركة الطلابية الجزائرية : ص 30 - 31 - 32 .

الاستعمارية ، هذه القواعد التي اختصرتها كإجابات على تساؤلات هذه البحث ، والتي مفادها : كيف استوعب الإمام أزمة التخلف في العالم الإسلامي ، وفي الجزائر بصورة أخص ؟ ومن هذه الإشكالية المطروحة ستكون إجابتنا على هذا الفهم الذي شكل خطوات التغيير من خلال رحلة طويلة مع هذه النماذج التي كونت الإكراهات التي وقفت في وجه الإقلاع الحضاري للحركة الإصلاحية الجزائرية .

لا يمكن وفي هذه الوضعية المريضة بكل هذه الإحباطات والمعوقات أن تقوم حركة التغيير إلا إذا نهجت منهج الأنبياء والمرسلين لإصلاح ما أفسدته النمم وأيدي الناس ، وعقول المستبدين والمفسدين في الأرض .

وفي هذا المقام بالذات يعد ابن باديس نموذجا سليما لمحاربة الاستعمار[1] .

لقد فهم بعمق أبعاد القضية ، وأعطى للموضوع إطاره المستقيم فكانت مواقفه وتحركاته ثابتة ، هادفة موجهة إلى صميم المشكل مما أدى به إلى صراع طويل انتهى به إلى الاستشهاد[2] ، بعد أن حقق الجزء الأعظم من مسيرة العمل الإصلاحي بالوسيلة والأسلوب القويم بعيدا عن اختلافات السياسيين ، وعقم خطبهم الجوفاء ، وتضييعهم للوقت الثمين في ما لا يجدي نفعا للأمة ، وتبديد الجهود ومنطلقات خاطئة ومع ذلك قال فيهم عبد الحميد بن باديس :

---

(1) يقول فيه المؤرخان السيد والسيدة : قوفان ومارث :

"Le kaid lazhar est un esprit cultivé , ami de la France , qu'il aime avec dévouement et (...) il est une impeccable prolité apanage de la famille BEN NACER Rapport du mois d'Avril 1917 (Taberdga et Khangat sidi Nadji) (Aurés) Avril 1917 document page 54.

(2) صلاح الدين (الجورشي) ، ابن باديس (تجربة في الإصلاح) ، دار الراية - تونس 1978 ص : 5 .

"يا هؤلاء... إن الجمعية ليست عاجزة عن مقاومتكم وإظهار خطتكم وكشف باطلكم، ولكنها تعلم ما تحتاج إليه الأمة اليوم، من اجتماع الكلمة، وعدم الفرقة وتوحيد الصفوف، فلهذا تركتكم راجية لكم أن تدركوا حقيقة الموقف فتعملوا بما يقتضيه"[1].

وهنا تقتضي مكانة هذه الإكراهات ـ التي واجهها ابن باديس في بداية عمله الإصلاحي ـ أن نحدد مفهومه لتعريف ظاهرة التخلف الحضاري وتحرير الأوطان من الاستعمار الغربي الصليبي المتعصب وأن نحدد المناهج المطروحة وهي :

* طريق المواجهة المسلحة الشعبية ، وقد فشلت كلها في تحرير الإنسان والبلاد منذ 1832م إلى غاية ثورة الأوراس 1916م .
* طريق النضال السياسي والعمل الحزبي والمشاركة في المؤسسات المحلية (النظام البرلماني والمشاركة في تسيير البلديات والمجالس المالية) .
* طريق البناء الدعوي أو بناء القاعدة الصلبة[2] .

---

(1) عبد الحميد (بن باديس) دعوة وبيان إلى عموم الشعب المسلم الجزائري الكريم ، 5 جمادى الثانية 1356هـ ، (آثار الإمام عبد الحميد بن باديس) الجزء السادس ، منشورات وزارة الشؤون الدينية الجزائر 1415هـ/ 1994 م ص 173 .

(2) لقد أدرك الإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس دور العمل التربوي لإنقاذ الجزائري المسلم من تخلفه ، وانسلاخه من إنسانيته ، بفعل العمل الاستعماري والفعل الطرقي البائس وضلال النخبة الفرنكفونية (رمز شجرة الزقوم) ، فأعاد قراءة خطوات التغيير من خلال منهج الأنبياء والمرسلين ، وعلى صراط مصابيح الهدى ، انطلق الإمام باسم الله لرسم الطريق الطويل لإنقاذ الجزائر من البؤس والتهميش ، للمؤانسة انظر : أبو جرة (سلطاني) ، خطوات في العمل الإسلامي كما رسمها ابن باديس ، الطبعة الأولى دار البعث قسنطينة الجزائر 1982م ، أبو جرة (سلطاني) ، السلوك المثالي في منهج الحركة الإسلامية

Mérad (A) , Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940 , Paris , La Haye Mouton , 1967.

=

وهذه الأساليب والمناهج هي التي عرفت في مسرح الأحداث واليوميات الجزائرية ، فأي السبل اتخذها الإمام عبد الحميد بن باديس لنفسه ؟ إنه السبيل الذي رسمه الإمام لدعوته الإصلاحية يتجلى في اختياره لسبيل الإصلاح التربوي ، وبناء الإنسان الجزائري الذي ينتمي إلى أمة معوانة على الخير منطوية على استعدادات الكمال وأنها ـ أي : الأمة الجزائرية ـ ذات نسب عريق في المحامد والفضائل[1] .

وقد ساعد ابن باديس في عمله سعة علمه ومعاصرته لجيل رسالي أمثال **جمال الدين الأفغاني ، محمد عبده ، رشيد رضا محمد الطاهر بن عاشور ، حمدان لونيسي محمد النخلي ، شكيب أرسلان ، الشهيد العربي بن بلقاسم التبسي ، محمد البشير الإبراهيمي الطيب العقبي ، الشيخ مبارك الميلي** ، وغير هؤلاء القمم التي صاغها القرآن صياغة نادرة .

= د/ أبو القاسم (سعد الله) ، الحركة الوطنية الجزائرية ، 1930- 1945 - الجزء الثالث دار الغرب الإسلامي بيروت 1992 م ص 83 وما بعدها ، الأستاذ الكبير سيد قطب ، كفاح مرير ، البصائر العدد 214 ، السنة الخامسة مذكرات الشيخ محمد خير الدين الجزء الأول ، مطبعة دحلب الجزائر 1985ص . 401 . الجورشي ، تجربة في الإصلاح : ص : 5

Amar Belkhodja; Abdelhamid- Ben- Ben- Badis- in- Ali El HAMMAMI et la Montée du nationalisme Algérien ,éditions Dahlab, Alger 1991 ((P 192 - 201

لقد أثار الإمام عبد الحميد بن باديس مسألة تربوية حساسة في العالم الإسلامي ، هي المشكلة التربية ؛ وإعادة بناء الأفكار والمعارف والعلوم ؛ وفق التصورات الصحيحة للإسلام ؛ وتشكيل العقل المسلم وتنسيقه معرفيا وعلميا ، وفق معالم التنزيل المطلقة ، والخروج به من عمليات التسول والاستلحاف التي درج عليها ـ ردحا من الزمن ـ مستهلكا لنفايات الفكر الغربي الصليبي والوثني" . انظر : الدكتور أحمد عيساوي ، الإعلان من منظور إسلامي ، "كتاب الأمة" ، العدد : 71 ، السنة التاسعة عشرة ، قطر 1999م ص : 25- 26 .

(1) د : عمار ، الطالبي ، مدخل إلى آثار ابن باديس (ابن باديس حياته وآثاره) الجزء الأول ، دار مكتبة الشركة الجزائرية ، دار ا ليقظة العربية الجزائر ، بيروت 1968 ص : 79 .

والقرآن الكريم هو الذي صاغ نفس الإمام عبد الحميد بن باديس وهز كيانه واستولى على قلبه فاستوحاه في منهجه طوال حياته وترسم خطاه في دعوته وصاحبه طوال ربع قرن من الزمن في سبيل الكفاح لبناء الأمة وإرجاعها إلى الحقيقة القرآنية منبع الهداية الأخلاقية والنهوض الحضاري ، فكان همه أن يكوّن رجالا قرآنيين يوجهون التاريخ ويغيرون الأمة : «فإننا ـ والحمد لله ـ نربي تلامذتنا على القرآن من أول يوم ، ونوجه نفوسهم إلى القرآن في كل يوم» . هكذا عبر الإمام ابن باديس عن منهجه التربوي والإصلاحي[1] .

ولما كانت غاية **الإمام ابن باديس** إصلاح المجتمع ، بادر إلى التربية والتعليم و"ترميم" ما أفسدته يد الشيطان الصليبي ، إذ إن فرنسا ما إن استقرت بالجزائر حتى مدت يدها إلى التعليم[2] تشوهه وتستأصله وتتخذه قاعدة ثانية

---

(1) ابن باديس حياته وآثاره / 1/ 79 . القرآن شفاء ورحمة 1/ 327 وما بعدها .

(2) إن موضوع سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر ، من الموضوعات الجديرة بالبحث في خزائن الأرشيف الفرنسي ، وعلى الرغم من المحاولات المتوفرة ، فإنها لا تجيب على كل الأسئلة المطروحة حول أسلوب المسخ الحضاري الرهيب الذي قامت به أقلام ومعاول الهدم الفرنسي منذ اليوم الأول الذي وطأت فيه أقدام مغول القرن العشرين (فرنسا الاستدمارية) بلاد الجزائر المقدسة أرض الرباط والشهادة كما وصفها المرحوم الداي شعبان للتوسع انظر : نور الدين (غولي) ، التعليم العربي في الجزائر ما بين 1830 - 1900 - مذكرة السنة التمهيدية للماجستير - إشراف د/ جمال قنان ، معهد ا لتاريخ جامعة الجزائر 1985م . ولنفس الباحث (غولي) سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر 1870 - 1904 - مذكرة السنة الأولى ماجستير في التاريخ الحديث بإشراف د/ جمال قنان ، معهد التاريخ جامعة الجزائر 1986م . د/ أبو القاسم (سعد الله) ، الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1900 الجزء الأول : ص : 89 وما بعدها .

سعد الله ، الاتجاهات الفكرية والثقافية للحركة الوطنية (أفكار جامحة) ، ص : 32 ، 33 .

Henri Masset , les études Arabes en Algérie (1830 - 1930) Revue Africaine N° 356 - 357 Alger 1933.

Deheuvels , Islam et pensée contemporaine en Algérie ,op. cit- P: 37.

Djeghloul (A) , M 'hamed ben Rahal et la question de l'instruction des Algériens

=

في التدمير والتخريب ؛ لأنها تعلم أن التعليم هو الذي يصنع العقول المفكرة الرافضة ويعطي للشخصية عمقا واعيا وبالتالي يمثل حصنا يجعل كل محاولات الفرنسة والتغريب والذوبان عبثا ومجهودا ضائعا[1] . ولقد وضع ابن باديس خطته على أساس مبتكر يتلخص في أن يحاصر فرنسا في رفق وعزم صارم في الوقت الذي تظن أنها تحاصر الجزائر ، ولم تتفطن فرنسا إلى مهارة هذه الخطة إلا بعد فوات الوقت ، فوجدت نفسها محاصرة بعد أن استمال إليه أعوانها طائفة بعد أخرى ، وكان من الضروري أن يفلح في تنفيذ خطته بعيدة المدى ، وهي القيام بانقلاب جذري يرتكز في المقام الأول والأخير على إعداد جيل صالح ينهض نهضة إسلامية ، بحيث يأخذ من عظمة الماضي ، ومن يقظة الحاضر ما يعصمه من الزلل والانحراف ، ويسير في طريق المستقبل المشرِّف[2] الذي يقوم منهجه على العودة إلى منهج السلف ، وهو بذلك قد كشف عن هذه القوة الهائلة التي حققت يقظة الجزائر ونهضتها المعاصرة .

والأستاذ الإمام كما يصفه رفيقه في الدرب : الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بقوله : «**إنه هو الذي وضع القانون الأساسي (يقصد جَمعية العلماء)على قواعد من العلم والدين لا تثير شكا ولا تخيف ، وكانت الحكومة الفرنسية في ذلك الوقت تستهين بأعمال العالم المسلم ، وتعتقد أننا لا نضطلع بالأعمال العظيمة ، فخيبنا ظنها والحمد لله**»[3] .

(1886 - 1925 , in huit études sur l'Algérie P: 33.
Pervillé(Guy) ;les étudiants Algériens,P: 25.

(1) الجورشي ، تجربة في الإصلاح ، ص 7 .

(2) د/ محمود (قاسم) الإمام عبد الحميد بن باديس ، الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ، دار المعارف مصر 1979م ص 23 .

(3) محمد البشير (الإبراهيمي) ، خلاصة تاريخ حياتي ، (مجلة الموافقات) العدد الرابع ص

فقد كان هذا المسلك العملي في بناء الأمة سببا في تحقيق هذا النجاح البارز، وذلك لبعده عن المهاترات الحزبية التي كانت تدور في فلك حدده الاستعمار سلفا كما حدثنا عنها مؤرخ الحضارة الأستاذ : مالك بن نبي في كتابه الرائد : "**الصراع الفكري في البلاد المستعمرة**" : «فأنشأت المدارس في كل بقعة من بقاع الجزائر وأرسلت الوعاظ يجوبون المدن والقرى وكانوا يعرفون جيدا ماذا يصنعون إنهم كانوا بصدد القيام بالتعبئة الدينية والقومية الشاملة»[1] .

وكان هذا العمل البذرة الأولى التي اتفق ابن باديس ورفيقه الإبراهيمي على غرسها في الجزائر، يقول الإبراهيمي : «كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا بالمدينة المنورة (عام 1913م) في تربية النشء هي : ألا نتوسع في العلم وإنما نربيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة في الحديث الذي أعددناه من تلامذتنا»[2] .

إن ابن باديس الذي استوعب أزمة العصر، وتفاعل مع قضايا الجزائر بإيجابية ظاهرة كان مشغولا بتربية الرجال[3] أولا وابتعد عن الجدل الفلسفي

= 389 وما بعدها ، سعد الله ، مدارس الثقافة العربية ، ص : 95 .

(1) د : قاسم ، **الإمام** عبد الحميد بن باديس ، ص : 29

(2) **الإبراهيمي** ، حياتي : ص 389 .

(3) سئل الإمام ابن باديس يوما : لم لا تؤلف الكتب العلمية والأدبية والاجتماعية ؟ فكان جوابه لهم جواب المؤمن الذي يرى بنور الله ، ويستشرف المستقبل من خلال ممارسة الجهاد الأكبر ، فأجاب : " أنا الآن مشغول بتأليف الرجال " راجع : محمد الطاهر (فضلاء) ، "قال الشيخ الرئيس الإمام عبد الحميد بن باديس" ، الطبعة الأولى ، دار البعث قسنطينة الجزائر 1968 ص 20 ، وحول نفس الفكرة يقول مالك بن نبي " . . . فمأساة الجزائر مثلا حتى سنة 1918م لم تكن إلا رواية صامتة ، أو أثرا من الآثار التاريخية ، وضع في متحف ، أي : في صدور قوم =

العقيم الذي يشوش الأفكار ويثير الخصومات بين العلماء والأتباع ، فقد كان ذكيا مستوعبا لآثار أمته وتاريخها الثقافي والعلمي وآثار الرجال والعلماء على مرّ العصور ، فأدرك أن أزمة تخلف المسلمين الحضارية تعود إلى تركها للعلم الصحيح ، وابتعادها عن الإسلام بفعل الاستعمار والطرقية[1] ولهذا فإن معادلة العلم والحضارة لا تساوي عند الإمام معادلة الجهل والسقوط في وحل الجاهلية والتبعية الفاسدة في العادات والأخلاق والقيم .

ولهذا كان ابن باديس يفكر تفكيرا صحيحا ، مؤسسا على أصل التنبه واليقظة والإدراك[2] من المؤامرة التي يديرها الاستعمار وأذنابه بإحكام ، ولكن المؤامرة الاستعمارية والطرقية ، انتصرت فيها الحركة الإصلاحية في الجزائر بشهادة الأستاذ مالك بن نبي الذي عالج قضايا الاستعمار وأدواره في العالم

صامتين يعلمون السر الخفي للمأساة ، حتى أرقت ضمائرهم ، واحتوته أيضا ملفات الحكومة التي كانت تعلم من أمرها ما تعلم حتى ظهرت الفكرة الإصلاحية حوالي سنة 1925م ، تحركت المشكلة الجزائرية ، وقد أوتيت لسانا ينطق ، وفكرة تنير لها الطريق مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص 24 ، 25 .

(1) يقول الإبراهيمي : " كان من نتائج الدراسات المتكررة للمجتمع الجزائري بيني وبين ابن باديس ، منذ اجتماعنا في المدينة المنذورة : أن البلاء المنصب على هذا الشعب المسكين آت من جهتين متعاونتين عليه ، وبعبارة أوضح : من استعمارين مشتركين يمتصان دمه ، ويتعرقان لحمه ، ويفسدان عليه دينه ودنياه ، استعمار مادي ، هو الاستعمار الفرنسي ، يعتمد على الحديد والنار ، واستعمار روحاني يمثله مشايخ الطرق المؤثرة في الشعب ، والمتغلغلون في جميع أوساطه ، المتاجرون باسم الدين ، المتعاونون مع الاستعمار عن رضي وطواعية (. . .) ومظهرهما معا تجهيل الأمة لئلا تفيق بالعلم فتسعى إلى الانفلات ، وتفقيرها لئلا تستعين بالمال على الثورة ، انظر : الإبراهيمي : حياتي : ص : 391 .
AMAR Belkhodja (Ali el- hammami et la Montée du nationalisme) P 219.

(2) مالك بن نبي ، في مهب المعركة (إرهاصات الثورة) مقدمة الشيخ محمود محمد شاكر ، دار الفكر الجزائر ، دار الفكر دمشق ، الطبعة الأولى 1991 . ص 14 .

الإسلامي بحكمة عالية[1] ، وقد نبه (**محمد النخلي**)[2] ابن باديس إلى السبيل الصحيح لفهم القرآن والإسلام ، فأدرك هذه الحقائق ، والتي يقول فيها مالك بن نبي : « . . . إلى جانب هذا كله تقف عيوب ذات طابع جماعي ، كالجدل والحرفية والتشبث بأذيال الماضي وبتحليق في الخيال ، وهي بالطبع ثقافة ما بعد الموحدين (. . .) فأية مقارنة لتلك التقاليد بالإسلام تنقي الثقافة الإسلامية من تلك المقدسات الوهمية التي تسمى (تقاليد) ، ولقد قام بتلك المهمة على خير وجه الشيخ (عبد الحميد بن باديس) ، فاستطاع أن يخلص الجزائر من تلك التقاليد الزائفة التي كانت تتجسد في الطريقة (المرابطية) ؛ ولكن فردا واحدا يعجز عن القيام بتلك المهمة وحده[3] .

وهذه اللفتة الأخيرة من المفكر مالك بن نبى هى التى أوحت إلى العلماء

---

(1) مالك بن نبي : في مهب المعركة : ص 85 .

(2) الأستاذ محمد النخلي القيرواني ، من الأساتذة الكبار بالزيتونية الذين يجلهم الإمام عبد الحميد بن باديس ، وقد حفظ له هذا المقام فقال فيه : "وأذكر للثاني (بعد حديثه عن أستاذه الأول حمدان لونيسي دفين المدينة المنورة) كلمة لا تقل أثرها في ناحيتي العلمية عن أثر تلك الوصية في ناحيتي العلمية ، وذلك إني كنت متبرما بأساليب المفسرين وإدخالهم لتأويلاتهم الجدلية ، واصطلاحاتهم المذهبية في كلام الله . . . فذاكرت يوما الشيخ النخلي ، فيما أجده في نفسي من التبرم والقلق فقال لي : " اجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقدة ، وهذه الأقوال المختلفة ، وهذه الآراء المضطربة ، يسقط الساقط ، ويبقى الصحيح وتستريح (. . .) فوالله لقد فتح بهذه الكلمة القليلة عن ذهني آفاقا واسعة لا عهد لي بها " انظر : ابن باديس حياته وآثاره : 1/ 78 ، محمد صالح (الجابري) النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس ، الطبعة الأولى ، الدار العربية للكتاب ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981 ص75

(3) مالك بن نبي : وجهة العالم الإسلامي ، ص57 .

بالعمل الجماعي الهادف فأسسوا "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"[1] وإن كانت فكرة هذه المؤسسة الفاعلة تعود كما يشهد بذلك الإبراهيمي إلى أيام اللقاء التاريخي بين المصلحَين (ابن باديس والإبراهيمي) ، بالمدينة المنورة ، فكانت الثورة الجزائرية نتيجة حتمية لحركة الأفكار التي بدأت في عهد الأمير عبد القادر ، واستأنفها في بداية القرن الحالي ، **الأمير خالد وأحمد مصالي الحاج وعبد الحميد بن باديس** ومن حذا حذوهم[2] . ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ .

والشيخ عبد الحميد بن باديس الذي نشأ نشأة صالحة ، فتكون في مسقط رأسه تكوينا جادا ، في جو أسري محافظ على تقاليد العربية والإسلام .

وكأن العناية الإلهية التي وفرت له كل هذه الظروف والإمكانيات كانت تعده لمهمة كبرى سيقوم بها في مستقبل قريب ، وهي قيادة حركة التجديد الإسلامي في الجزائر والمغرب العربي ، والعمل على بعث العروبة والإسلام في الجزائر[3] .

---

(1) حول الملابسات والظروف التي نشأت فيها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين راجع : الإبراهيمي : حياتي : ص 389 ، المدني (أحمد توفيق المدني) ، المذكرات 172/2 ، محمد خير الدين ، المذكرات 15/1 ، بو الصفصاف ، جمعية العلماء ، ص 99 ، د/ سعد الله ، الحركة الوطنية 1930 - 1940 - الجزء الثالث : ص 81 وما بعدها . د/ سعد الله ، رأي في دور جمعية العلماء (أفكار جامحة) ، ص 47 / 54 .
Les Partis politique et l'association des Oulémas (TOME II) A. O. M. 8 H 61.
د/ أسعد (السحمراني) ، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا ، دار النفائس بيروت ، 1984 م ص : 58 وما بعدها . د/ قاسم ، الإمام عبد الحميد بن باديس : ص22 وما بعدها .

(2) د/عبد اللطيف (عبادة) ، سوسيولوجية الثورة وفلسفتها في الفكر الجزائري المعاصر ، مجلة المستقبل العربي ، العدد 117 - مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1988/11م ص 5 .

(3) لقد كان الغزو والتدمير لغة تاريخية معروفة عند فرنسا البنت البكر للكرسي الرسولي في روما =

https://albordj.blogspot.com

ولما أدرك العلماء وعلى رأسهم الإمام عبد الحميد بن باديس حاجة الأمة إلى المدارس والنوادي والصحف التي تعمل على تزكية النفوس ورفع الجهل عن العقول فقد هيأ الله لهم أهل الخير فأصلحوا شؤون الطلبة وأسسوا أزيد من 400 مدرسة مبثوثة في جميع أركان القطر الجزائري ، تؤدي الرسالة بوفاء وصدق ووعي ، هيأ حقيقة إلى تكوين جيش كبير كما عبر ـ الإبراهيمي ـ من المعلمين والوعاظ والصحفيين الذين كان لهم الفضل بعد الله عزّ وجل في إحياء وترميم ما هدم وأمات الاستعمار الفرنسي ، ولقد كان ابن باديس وجمعه بصدد أمة بل إنسانية تعيش في محيط آسن خانق ، ومهمة هذا الجيل الرسالي نقل الأمة من محيط الفقر والجوع والفساد الأخلاقي والعقدي ، إلى محيط الربانية ، فأنشأوا لهذا الغرض كل الوسائل الممكنة[1] ، من مساجد ، ومدارس ، وصحافة ، ونواد ثقافية وكل ما تدعو إليه ضرورة الحياة الجديدة في مواجهة الصليبية الغربية ، وما تحمل من بغض للإسلام والمسلمين في أرض الجزائر

= ولغة التعنت والسيطرة على الشعب الجزائري والشعوب الشرقية معروفة منذ فرانسوا الأول ، وإذا أردنا أكثر فإن حملة نابليون على مصر هي جزء من المخطط الصليبي الرهيب للقضاء على السلطنة العثمانية والسيطرة على المشرق وإفريقيا والاستعانة باليهود ونصارى الشام والأقباط لتحقيق هذا المشروع ؛ ولذلك فالجزائر من هذا المنظور ، وفي هذه المرحلة هي الجزء المتبقي من مشروع المستشرقين المتعصبين تلاميذ دي ساسي ولويس ماسينيون ، وميرانت ، ولوسياني وفيرو ، وريكارد قنصل فرنسا العام في طرابلس الغرب انظر حول هذه المسألة بتوسع : أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الإسلام في فرنسا ، (هموم حضارية) الجزائر ، دار الأمة ، 1993م 160 وما بعدها . غريغوار منصور مرشو ، حملة نابليون على مصر بين الحقيقة والأسطورة (مقدمات الاستتباع) (الشرق موجود بغيره لا بذاته) ، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن أمريكا ، سلسلة إسلامية المعرفة رقم : 18 . 1996م ص ص : 123 ـ 136 .

(1) رابح تركي ، الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ص 173 ـ 174 .

(دار الجهاد والاتحاد)[1] وتقدم التاريخ خطوة كبيرة في الثلاثينيات نحو جيل جديد من المصلحين ، إنه الرعيل الثاني المتتلمذ على أفكار وصيحات الرواد ، فيحدثنا المرحوم مالك بن نبي عن الفعل الإصلاحي الذي عاصره ، هذا التيار الكهربائي الذي مس كل أطراف المجتمع ، والذي نجح في بثه الشيخ عبد الحميد بن باديس بين الشعب الجزائري ولهذا بدأ الواقع الجزائري ، وكأن : «شعاع الفجر قد بدأ ينساب بين نجوم الليل من قمة الجبل فلم يلبث أن محت آياته الظلمة من سماء الجزائر ، فحوالي عام 1922 بدأت في الأرض "هيمنة" وحركة وكان ذلك إعلانا لنهار جديد ، وبعثا لحياة جديدة ، فكأن هذه الأصوات استمدت من صوت جمال الدين[2] قوتها الباعثة ، بل كأنها صدى

---

(1) لمعرفة مدارس جمعية العلماء ونواديها الكثيرة ، وتاريخ صحافتها المباركة راجع : د / تركي رابح الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ص 349 وما بعدها ، د/ الطالبي ، ابن باديس حياته ، وآثاره 1/ ص114- الزبير سيف الإسلام ، تاريخ الصحافة في الجزائر ، الجزء السادس ، (الصحافة في الجزائر بين الحربين (1920 - 1940) ، الطبعة الثانية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1985 ، ص 110 ، الاحتفال بدار طلبة معهد ابن باديس ، جريدة المنار العدد : 49 السنة الثالثة الجمعة 14 ربيع الأول 1373هـ/ص : 2 .

MERAD (A) , Le réformisme musulman en Algérie P 138) Chrestelow (Allan) , culture and politics of Islamic réformisme in Algeria (Middle East). Vol 23 jul 1987 N ° 255 - 273.

(2) جمال الدين الأفغاني الحسيني ، رائد الثورة الإسلامية الشاملة على استبداد حكام المسلمين وعلى الغرب الصليبي ، توفي رحمه الله يوم 9 مارس 1897م ، وفي9 مارس من هذا العام تمر الذكرى المئوية الأولى لوفاته (1897 - 1997م) ، ومن الملفت للانتباه أن يجتمع أكثر من باحث ومفكر جزائري في التنويه بشخصية هذا الثائر الإسلامي الكبير الذي تعرض لحملات تشويه منكرة لدوره ومسيرته من أدعياء الإسلام أكبر مما تعرضت له أقلام خصومه الطبيعيين وخصوم القيادات الراشدة في العالم الإسلامي ، فأول من نبه إلى عظمة شخصية الأفغاني الكاتب الجزائري علي الحمامي (1902 - 1949م) فقال عنه مالك بن نبي : " فقد تحدث الكاتب الجزائري (علي الحمامي المقيم في مصر) (زمن تأليفه للكتاب) عن السيد جمال الدين الأفغاني في كتاب له عن سيرته فقال : " لسوف تذكر البلاد الإسلامية جميعا اسم جمال =

لصوته البعيد ، لقد بدأت معجزة البعث تتدفق من كلمات ابن باديس ، فكانت تلك ساعة اليقظة ، وبدأ الشعب يتحرك . . . فتحولت المناجاة إلى خطب ومحادثات ومناقشات وجدل ، وهكذا استيقظ المعنى الجماعي ، وتحولت مناجاة الفرد إلى حديث شعب»[1] .

والإشكالية الثانية في فهم الأزمة الحضارية التي عرفتها الجزائر في عصر الإمام ابن باديس تتمثل في احتكار السلطات الاستعمارية "لصوت المسجد" وتأميم الأوقاف وتخريب المحاكم الشرعية ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر

= الدين كما تذكر بلاد اليونان اسم (هوميروس) بين الخالدين من أبنائها" . ومن الجزائريين أيضا الذين نوهوا بدور جمال الدين في الحركة الإصلاحية الأستاذ مالك بن نبي في نصوص متناثرة تدل على وعي برسالة هذا العالم والمفكر الكبير ، أما الشخصية الثالثة الذي نوهت بدور الأفغاني فهو المناضل والكاتب محمد قنانش (الظريف التلمساني) وأهم شخصية جزائرية ، عرفت بجمال الدين في مرحلة الاستقلال ، المرحوم مولود قاسم والدكتور أبي القاسم سعد الله انظر : مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي ، ص : 52 . محمد قنانش : المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية (في فجر النهضة الحديثة) المكتبة الشعبية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، مولود قاسم ، محاضرة حول السيد جمال الدين الأفغاني (رمز كفاح أمة) جمع ونشر د/ أحمد بن نعمان ، دار الأمة الجزائر 1993) ص 106 ، 117 . د . سعد الله / الاتجاهات الفكرية والثقافية للحركة الوطنية ، ص 33 .

Aly El HAMMAMY IDRIS (ROMAN) P 251

مالك بن نبي ، شروط النهضة : ص : 26 . دار السحمراني ، مالك بن نبي ، ص : 114 . عبد الغني (بوصنوبرة) ، علي الحمامي (1902 - 1949) ، من أرشيف الحركة الوطنية الجزائرية (جريدة الخبر الجزائرية) يوم الإثنين د/ وجيه (كوثراني) ، رشيد رضا فقيه يبحث عن الدولة والإصلاح في إطار الإسلام (مجلة الباحث العربي) بيروت 1981م : ص : 18 وما بعدها . انظر نبذة عن حياة ومأساة علي الحَمَّامِي ، سعد الله (أبو القاسم) ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، الجزء الرابع ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1996م ص : 124 هامش رقم : 4 . ص : 133 . هامش : 2 . .

(1) مالك بن نبي ، شروط النهضة ، ص : 114 .

هو قيام الدوائر الإعلامية الغربية عموما والفرنسية خصوصا بنشر الإلحاد وتشويه صورة الإسلام النقية في نفوس أبناء المسلمين الجزائريين نظرا لقلة زادهم الشرعي والثقافي ، ومن هؤلاء : لوي بيرتران ـ خصم الشرقيين الألد ، وعدو المسلمين الأزرق ، فهو ممن : ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ ومنهم من يدسّ السم في الدسم ويدعو شباب الجزائر إلى التفرنج والاندماج[1] وفي هذا الأمر نافح الإمام عن دينه ولغته أمام هجمات فرنسا الاستعمارية فيقول : «إن أعداء الأمة الذين تمثلهم الجزائر الاستعمارية الكبرى هنا وهناك ويصدع بأمرهم كراسي متنوعة ما فتئوا يوالون ضرباتهم ويعيدون هجماتهم على الجمعية ؛ لأنهم يرون فيها حياة الأمة ، ويشاهدون فيها السدّ الحصين دون ما يرغبون من ذوبان الأمة وانحلالها لإفنائها وابتلائها وتنقصها من أطرافها ، فكل ما تجتازه الأمة اليوم ، وما تعانيه وما تلاقيه ، هو ما تجتازه الجمعية وتلاقيه على أبلغه وأشده ، لأن الجمعية هي الأمة ، والأمة هي الجمعية[2] فقد وعت الجمعية بأنه : «لا مندوحة من تربية جيل جديد تربية دينية صحيحة يتولى أمرها أناس يأخذون على أنفسهم عهدا أن لا يقرعوا بابا لسلطان ولا تضعضعهم الحدثان ، ولا يثني عزمهم الوعيد ، ولا يغريهم الوعد بالمنصب ، ولا تلهيهم التجارة ولا المكسب ، بل يرون في المتاعب وتحمل

---

(1) محمد السعيد (الزاهري) ، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير ، الطبعة الثانية دار الكتب الجزائر ص 108 .

(2) عبد الحميد بن باديس ، دعوة وبيان إلى عموم الشعب المسلم الكريم ، (البصائر) يوم 05 جمادى الثانية 1356هـ ، السنة الثانية العدد : 72- 12 جمادى الثانية 1356هـ- 20 أوت 1937م (آثار الإمام عبد الحميد بن باديس) الجزء الخامس ، منشورات وزارة الشؤون الدينية الجزائر 1412هـ/1991م ص : 339 .

المكاره لنجاة الوطن من الاستعباد غاية المغنم وفي عكسه المغرم»[1] .

إن الحركة الإصلاحية أدركت بعمق أن الغرب مناهض للشرق، والروح الصليبية لم تبرح كامنة في الصدور كما كانت قبل بطرس الناسك، ولم يزل التعصب كامنا في عناصرها، وهي تحاول بكل الوسائل القضاء على كل حركة يحولها المسلمون للإصلاح والنهضة[2] .

وهكذا نجد إذن كيف تعددت مصادر الإصلاح في الفكر الجزائري الحديث من مصادر داخلية كالرد على الطرقية وسلطاتها الروحية المهددة للعقيدة الإسلامية الصحيحة والمهمشة للشعب من الفعالية لمواجهة واقعه البائس، إلى الرد على الصليبية الجديدة التي حملت معاول هدمها الإدارة الفرنسية في الجزائر ورموز مثقفيها وصحافتها، ثم إلى مصادر خارجية، كالتيار الجارف للثورة الإسلامية الذي قام به موقظ الشرق "**جَمال الدين الأفغاني**"، ومدرسة الإصلاح المحلية، التي بنت القاعدة الأولى لحركة الإمام عبد الحميد بن باديس. والتي قام بإعدادها الشيخ صالح بن مهنا القسنطيني، والشيخ عبد الحليم بن سماية ناقل آراء محمد عبده الإصلاحية، والشيخ رشيد رضا صاحب "**المنار**"، والأستاذ: محب الدين الخطيب، صاحب "**الزهراء**" و"**الفتح المبين**"، والحق أن **الشيخ صالح بن مهنا**، ذلك الشيخ الوقور كان طليعة المصلحين، غير أن الحكومة الساهرة على الهدوء عملت على إبعاده، وعاقبته بمصادرة مكتبته الثمينة، وفرقت أمثاله من مقلقي النوم العام كما يقول **مالك بن نبي**، ولقد كان الخطاب الإصلاحي عند **الإمام عبد الحميد بن**

---

(1) محمد قنانش المواقف السياسية : ص : 29 . 30

(2) محمد قنانش، المواقف السياسية : ص : 29- 30 .

باديس جذريا تجاه الطرقية ، حليفة الاستعمار والتخلف بما تركه رواد الزوايا المرابطين[1] ، من شرك وفساد اجتماعي ، وتحالف منكر ومكشوف مع عدو الإسلام والمسلمين ، وفي هذا يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي : «إن علماء الجمعية يعتبرون القضاء على الطرقية ، هو قضاء على كل باطل وضلال ، وأنه لا يتم ، رقي الأمة الجزائرية ، أو أي إصلاح في ميادين الحياة مع وجود هذه الطرق ، وما لها من سلطان على الأرواح والأبدان ، وإفساد للعقول ، وقتل للمواهب ، والواقع أن محاربة الجمعية لشيوخ المرابطين ، كانت ضرورة حتمية أوجبها الوضع المتدهور في البلاد ، إذ إن الإصلاح الشامل يتطلب مسحا عاما لكل مظاهر الانحطاط والجمود الفكري[2] . لهذا اعتبر العلماء المصلحون ، الطرقية علة العلل في الفساد ، ومنبع كل الشرور وتحريف العقيدة وإلحاد الناشئة ، لذلك عمدت الجمعية إلى محاربة هذه الطرق المنحرفة من أوكد الواجبات الشرعية ؛ لأنها الاستعمار الثاني للإنسان الجزائري المسلم كما

---

(1) وقع اختلاف بين المؤرخين حول مصطلح المرابطين اختلافا كبيرا ، لضبط المصطلح ضمن دائرة تاريخ الأفكار في المنظومة الثقافية للغرب الإسلامي راجع : محمد الأمين (بلغيث) ، الرِّبطُ بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين (رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي) رسالة مرقونة ، ولنظر حول المرابطين أصحاب الزوايا وبداية انحرافهم منذ عصر المازوني ، (أبو زكريا يحي المازوني) ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، السفر الثاني مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية رقم : 1336 ورقة 132 /ظ .
وانظر كذلك : توظيف فرنسا للطرق الصوفية لمواجهة الحركة الإصلاحية في الجزائر التي تحالفت مع عبد العزيز الثعالبي رائد النخبة الوطنية في تونس انظر : الأخضر (لطيفة) الإسلام الطرقي (دراسة في موقعه من المجتمع ومن القضية الوطنية) الطبعة الأولى سراس للنشر تونس 1993م ص : 117 ، 118 ، 119 .

(2) الإبراهيمي ، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ط . 2 . الجزائر 1982 : ص 54 . آثار ابن باديس 368/4 وما بعدها . بو الصفصاف : جمعية العلماء : ص 214 .

وصفها الإمام العلامة محمد البشير الإبراهيمي»[1] .

ومن المثقفين السلفيين الذين كانوا حربا على الطرقية الأستاذ : **الطيب العقبى المصلح الثائر** ، الذي هدم تصورات الطرقية واعتقاداتها الباطلة ، وكان المؤرخ مبارك الميلي في "**رسالة الشرك ومظاهره**" يمثل بحق حجر الزاوية في تصور الجمعية ، وآثار **الإبراهيمي وابن باديس ، والطيب العقبى ومبارك الميلي ، وأحمد توفيق المدني ، وحمزة بوكوشة ، والعربي التبسي** وأضرابهم تدل على الخطر الكبير الذي مثلته الطرقية على عقيدة وسلوك الجزائريين ، ولهذا فإن أزمة التخلف الفكري والحضاري في فهم ابن باديس ، تعتمد اعتمادا واضحا في فهم جدلية "**الإسلام والعمل**" و"**التخلف** والتقدم" ، "الشرك وآثاره على الإنسان المسلم" .

والجدير بالملاحظة أن هذه الظاهرة قد طوقت كل العالم الإسلامي ، أفقدت المسلم روح المبادرة والإبداع وأصبحت الزوايا ملاذا للمجرمين فدنست شرف الأمة[2] .

وانطلاقا من فهم روح التقدم من خلال رسالة الإسلام ، واستيعاب **الإمام عبد الحميد بن باديس** لحقيقة الأزمة ، فقد كان مثل سابقه الأفغاني من المنادين بحرارة بعدم الخوف من مظاهر التمدن الغربي[3] . ودعا الشباب الجزائري المسلم أن يحثوا الخطى إلى الإمام لطلب العلم والمدنية ؛ لأن

---

(1) بو الصفصاف : جمعية العلماء : ص 208 .

(2) عبد العزيز (الثعالبي) ، روح التحرر في القرآن ، نقله من الفرنسية حمادي الساحلي راجعه ووضع حواشيه ، محمد المختار السلامي ، دار الغرب الإسلامي بيروت 1985م ، ص . 83 .

(3) محمد قنانش ، المواقف السياسية : ص : 31

الإسلام قادر على صياغة هذه المدنية صياغة رائعة بما تقتضيه الضرورة ودعوة الإمام للشباب الجزائري أن يتمكنوا من العلم الذي كان أساس تقدم الغرب وما بلغه من مدنية وتطور[1]، وقد أجمع علماء الإسلام أن من أسباب أزمة المسلمين في العصر الحديث أيضا الاستبداد السياسي وغياب الشورى، وهو ما أشار إليه **الإمام عبد الحميد بن باديس** في دروسه وفي تصوره للحكم الإسلامي الأمثل، مما يدل على عمق الفهم وحتى وهو يعيش أزمة غياب الحكومة الإسلامية، فقد كان يوجه النقد اللاذع للحكومة الفرنسية في الجزائر وانحرافها عن مبادئ العدل التي تتطلع إلى نشرها في عالم مستعمراتها المقهورة[2] ومما يدل على وعي الشيخ ابن باديس بصيرورة التاريخ وعمق فهمه، واستشرافه للمستقبل القريب فهمه العميق لمبادئ العدل والإحسان وعاقبة الظلم والقهر والاستعباد.

كما أن معالجته للظلم والظلمة وغش الحكومات لرعاياها، من المفردات السياسية التي لم تغب عن آثار الإمام وهو الداعية الرباني على طريق السلف الصالح العالم بمقومات الشخصية الإسلامية ورسالة العلماء في الأمر

---

(1) انظر :

- Lahouari (ADDI) , L'impasse du populisme , (L'Algérie collectivité politique et Etat en construction) E. N. A. L. Alger 1990. P: 35

عبد الحميد بن باديس/" بمخالطة المتمدنين، تترقى في المدنية، الشهاب العدد 16، 12شعبان 1344هـ/ 25 فبراير 1926 م، (آثار الإمام عبد الحميد بن باديس) الجزء الخامس : ص 429 وما بعدها، يقول علي الحمامي : إن مشروع عبد الحميد بن باديس قد حقق (الحركية الاجتماعية، والتاريخ الوطني الجزائري، والجوانب التربوية أي تعليم الشعب) راجع :

BEL KHODJA , ALI EL HAMMAMI P: 215.
Yousfi M'hemed, L'Algerie en marche tome 1 Alger (E. N. A. L). 1984p: 40.

(2) عبد الحميد بن باديس، حقوق الأمة الجزائرية التي تطلبها من الأمة الفرنسوية (آثار الإمام عبد الحميد بن باديس) الجزء الخامس، ص : 311 وما بعدها .

بالمعروف والنهي عن المنكر .

إن آثار ابن باديس الداعية إلى الإصلاح ، تحدد بشكل دقيق مسؤولية فئات المجتمع مباشرة ـ إسلاميا واجتماعيا ـ عن انحطاط وتدهور المجتمع الإسلامي ، كما تقدم التفسير القرآني لتخلف المسلمين المرتبط بقانون العقوبات الإلهي ، الخاص بهذا المجتمع عندما ينحرف ، والذي يختلف عن قانون عقوبة غير المسلمين وهذا التفسير الذي تؤيده وقائع التاريخ والتجربة وهو يتعارض مع نظريات "العلمانيين" الذين قضوا أكثر من نصف قرن في البحث عن أسباب ما يعانيه العرب والمسلمون من تخلف وانقسام وهوان دون أن يصلوا إلى نتيجة أو يهتدوا إلى علاج[1] ، ومما أثار مخاوف علماء الغرب المنصفين أن المجتمع الإسلامي أصبح أمام خطر حقيقي ، يتجلى في التحديات الجديدة ؛ غير أن الإسلام وفقا للدراسات المنصفة أصبح بإمكانه أن يتكيف مع المعطيات الجديدة للحداثة والمعاصرة رغم ما يشوب هذه المصطلحات نفسها من ضلال وشكوك . غير أن ما فهمه ابن باديس حقا لإزالة هذه الوساوس والشكوك حول الإسلام ، فقد اقتنع بعمق خلافا لحالة الانبهار والذهول التي عرفتها شخصيات كبيرة مؤثرة في العالم الإسلامي ، فقد أيقن الإمام أن مستقبل المسلمين يتعلق بمدى وفائهم لعقيدة التوحيد ، وبقدرتهم على إعادة بناء عالمهم الروحي الأصيل وتجديد ثقافتهم الحقيقية ، وعلى هذا الأساس عمل ابن باديس على بعث روح الإسلام عقيدة وسلوكا في أذهان

---

(1) أبو عبد الله (الكتاني) ، نصيحة أهل الإسلام (تحليل إسلامي علمي لعوامل سقوط الدولة الإسلامية وعوامل نهوضها) تحقيق : إدريس الكتاني ، مكتبة بدر الرباط 1989 ص : 19 وما بعدها .

وقلوب الجزائريين ، فهو يعيش للإسلام كما حبب إليهم الوطن الجزائري الذي هو أمانة في أعناق كل المسلمين الجزائريين الذين يتميزون عن غيرهم من المعمرين وغلاة المستعمرين بمميزات وخصائص ، وشخصية تختلف في أصولها وأعراقها ، عما تتميز به الأمة الفرنسية و"حثالة" الغرب من المستوطنين الذين يعودون بأصولهم إلى السجناء والمجرمين والمشردين والمهمشين الأسبان والمالطيين الكورسيكيين والفرنسيين والألمان ، وكل الذين لم يجدوا لهم موضع قدم في بلدانهم الأصلية ، أو من لا وطن له في أوروبا وغيرها .

الإمام عبد الحميد بن باديس والنخبة الفرانكفونية (شجرة الزقوم):

إن النخبة الجزائرية المقصودة في هذه النقطة ، أولئك الذين تمتعوا بحظ من التعليم في المدارس الفرنسية وشكلوا في مطلع الثلاثينيات ما يعرف في أدبيات التاريخ الجزائري المعاصر بالشبان الجزائريين وغالبيتهم العظمى من الطلبة الفرنكفونيين الاندماجيين وهم فئة هجينة ؛ إذ لا يمكن اعتبارهم في آخر المطاف لا جزائريين بالمفهوم الشامل ، ولا فرنسيين لذا قال الحاكم العام الفرنسي ناجيلان (NAEGELEN) عام 1949 : «إن مستقبل الجزائر المسلمة الفرنسية يحضر الآن في المدارس الفرنسية برغم الأنبياء التعساء»[1] .

والمقصود بالأنبياء التعساء هنا : هم رواد الحركة الإصلاحية والاستقلالية في الجزائر رغم ما يشوب النخبة المثقفة في الحركة الاستقلالية من ازدواجية بائسة في ترجمة جدلية الصراع الحضاري في الجزائر .

وقد تعددت مواقف النخبة منذ مطلع القرن العشرين من تطلع إلى الثورة

---

(1) د : حمادي عبدالله ، الحركة الطلابية الجزائرية : ص : 14 .

على السياسة الكولونيالية ممثلة في شخصية **خوالدية صالح بن عمار**[1] إلى دعوة حارة إلى نشر التعليم بين كل الجزائريين ممثلة في الشخصية المخلصة : **امحمد بن رحال**[2] إلى حركة **الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر**[3] **الذي بدأ إصلاحيا وانتهى استقلاليا ثوريا** . كما تذهب إلى ذلك الوثائق المكتشفة والمدروسة من خلال مطالبه إلى مؤتمر الصلح ، إلى شخصية برجوازية ذات

---

(1) خوالدية (صالح بن عمار) (1879- 1906م) من رواد النخبة المستنيرة التي فضحت أساليب الصليبية في المشرق والمغرب وهو بحق يمثل بداية ظهور النخبة الجزائرية المتعلمة الواعية بشخصيتها العربية الإسلامية ، انظر عن حياته وآثاره : د : هلال ، مساهمة خوالدية صالح بن عمار في التعريف بالقضية الجزائرية مغاربيا عربيا وإسلاميا فيما بين سنتي (1903- 1906) (أبحاث ودراسات) : مصطفى(حداد) : خوالدية صالح بن عمر أو قضية الانتلجنسيا الجزائرية في بداية القرن الحالي(محاضرة) نشرت في دورية د/ عبد الجليل التميمي التونسي ، العدد : 61 ، 62 جويلية تونس 1991م .
Stora et Daoud , Ferhat Abbas. op. cit.: P 43.

(2) أمحمد (بن رحال) (1857- 1928) شخصية مسكونة بهموم الجزائريين خلال المرحلة الاستعمارية البغيضة ، اهتم اهتماما كبيرا بتمدرس الجزائريين ، وهو الذي اقترح ما يعرف (بالمدرسة الكوخ l'école Gourbi) حتى تسعف الجزائريين في تعلمهم واستنارتهم ، ولكن سياسة فرنسا معروفة هي سياسة إبادة وتجهيل .

وقد نوه به بعض الجزائريين أمثال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، وقد كتب عنه كل من شارل أندري جوليان أكثر من دراسة كما كتب عنه الأستاذ عبد القادر جغلول دراسة أشرنا إليها انظر :

Djeghloul (A) . M'hamed Ben RAHAL et la question de l'instruction des Algériens 1886 - 1925) op cit. pp. (33 - 74)..

Ageron (Charles Robert) si M'hamed BEN RAHAL (1856 - 1928) ou le destin d'un Algérien double culture (conférence) Stuttgart 1987.

عبد الرحمن (الجيلالي) ، تاريخ الجزائر العام ، الجزء الرابع ، الطبعة الرابعة دار الثقافة بيروت لبنان 1980 ص ص 463 - 466 .

(3) حول شخصية الأمير خالد : راجع : مناصريه . الاتجاه الثوري : ص 45 - 69 .

د/ سعد الله ، مدارس الثقافة العربية : ص : 90 - 91 .

تناقضات كبيرة في مسارها السياسي ممثلة في شخصية فرحات عباس[1]. ولكن على الرغم من تفاوت تصورات هذه الرموز ومواقف عبد الحميد بن باديس من تحركاتها، فقد كانت لابن باديس مواقف واضحة من فرحات عباس الذي يعتبر رمزا للنخبة الفرنكفونية التي دافعت عن ثقافتها الجديدة المكتسبة وهو كما عبر العلامة عبد الرحمن بن خلدون عن هؤلاء بمقولته الشهيرة "ولع المغلوب باتباع الغالب أبدا"حتى دفعته المسيرة التاريخية إلى الالتحاق بالثورة بعد أن راهن على مبادئ الثورة الفرنسية إلى آخر المطاف .

وعلى العموم فإن ابن باديس كان علما من أعلام النخبة الإصلاحية العاملة على تحقيق مصير الجزائر من خلال إعادة تشكيل شخصيتها العربية الإسلامية، وكلما انحرف واحد من المحسوبين على مجتمعنا ذكره بالتي هي

---

(1) فرحات عباس شخصية فاعلة في تاريخ الجزائر الحديث، وقد مثل النخبة التي راهنت على ثقافتها الفرنسية إلى أن غيرته رياح التجديد والثورة التي عرفتها الجزائر بعد الحرب العالمية الثانية، وقد رد ابن باديس ردا صريحا لدحض أطروحته الاندماجية كما رد على مواقفه من الشخصية التاريخية للأمة الجزائرية، ويمكن اعتبار سنة 1943م سنة ميلاد جديدة لشخصية فرحات عباس بعد ظهور حزب البيان ولمعرفة منحنيات هذه الشخصية الكبيرة وما تحمل من متناقضات راسخة . راجع :

BENJAMIN (STORA) - ZAKYA DAOUD, Ferhat Abbas op- cit P: 23.
Rédha (MALEK) , L' Algérie à EVIAN , éditions DAHLAB Alger 1995 pp. (285 - 287).
Abdelkerim (MEZIANI) , Le Président Fèrhat Abbas - et le manifeste du peuple Algérien (Mémoire) journal El Watan N° = 1897 du jeudi 13 février 1997 PP: 12

للإشارة أن أحدث دراسة عالجت تطور شخصية فرحات عباس يمكن مراجعتها من خلال :

د : محمد العربي الزبيري- الحركة الوطنية في مرحلة النضج (1942- 1954) . "مجلة الرؤية" المركز الوطني للدراسات والأبحاث الجزائر 1994 ، العدد الأول ص 130 - 173 .

انظر أيضا ما جاء عند بلخوجة حول السيد فرحات عباس :

d'après le discours de Férhat Abbas , secrétaire de l'U. D. M. A PP: 113- 117..
BELKHODJA (A) ALI EL HAMMAMI p 113 et suite..

أحسن بأن الجزائر أمة عربية اللسان إسلامية العقيدة مستقلة في كل سلوكها مع اعترافه الدائم بارتباط هذه الأمة بمصير الأمة الفرنسية إلى حين ، وقد كان يعد إلى هذا (**الحين**) جيشا من المتعلمين الذين يحسنون قراءة القرآن وترجمته ترجمة صحيحة لا تعرف الخيبة والفشل ، لأن الفشل معناه نهاية هذا الجيل الذي تراهن عليه الأمة لتحقيق مصيرها .

وقف الإمام يوما من أيام 1938م على منصة نادي الترقي ، وارتجل خطابا جاء فيه : «**الساعة قد دقت وآن وقت العمل ، وبعد العمل الموت ، وأخيرا استعدوا ليوم عظيم**»[1] ، وأما رواد الخيانات الروحية والفكرية من الفرانكفونيين الاندماجيين المطالبين بالجنسية الفرنسية ، فقد ردّ عليهم ابن باديس ردّا عنيفا وفقا لوفائه الصارم لخطه الإسلامي والفكري الذي ينبع من مسؤوليته التي دعمها بالقاعدة الشرعية "**من كثر سواد قوم فهو منهم**" .

ولهذا رفض الاندماج والإلحاق والتجنس على الرغم من الاتهامات المجانية لأصحاب "**شجرة الزقوم**" الذين يبحثون عن متكئ يعطيهم شرعية الارتماء ، وإلى الأبد تحت أقدام فرنسا الاستعمارية قديما وحديثا .

"**... إن الذي قصم ظهر حركة الاستغراب كما يقول الدكتور سعد الله هو الحركة الإصلاحية التي كشفت عن هوية المجتمع الجزائري ودافعت عنها وصقلتها ، وقدمتها في الصحافة والخطب والأناشيد والكتب فاهتدى بها من اهتدى وبقي الضالون قلة متوارية لا تجروء على المواجهة إلا في حالة غفلة شعبية كما حدث بعد الاستقلال**"[2] .

---

(1) محمد الطاهر فضلاء ، قال الشيخ الرئيس : ص : 6 (الغلاف الداخلي) .

(2) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء السادس ، بيروت ، دار الغرب =

ظل الإنسان في تفكير ابن باديس أساس كل نهضة ومرجعيته تتحدد في الإسلام والعربية[1] .

أما مواقف الإمام ابن باديس من الإدارة الاستعمارية فقد تنوعت من الاعتراف بالاحتلال كواقع مر مفروض على أمة ضعيفة أنهكها الاحتلال وزاد في خيبتها الفشل الذريع الذي منيت به الثورات الشعبية في القرن الماضي ومطلع القرن الحالي ، ولما بلغ قمة النضج السياسي أعلن المفاصلة مع الإدارة الاستعمارية في مقال يدل على بعد ثوري جديد بدأ يثير اهتمام الإدارة الاستعمارية التي وصفته مع فرحات عباس في نهاية الأربعينيات[2] بأنهما يعملان على استقلال الجزائر ، ومقال ابن باديس : "هل آن أوان اليأس من فرنسا"[3] ، يدل على روح جديدة في تغيير الأسلوب المنهجي المتبع منذ العشرينيات ، كما أن معاصري الإمام من رواد الجمعية أشاروا في أكثر من مرة

الإسلامي ، 1998م ص : 265 .

. Aperçu sur l'Islam Moderne (Etat major) trés secret Avril 1944 , p 6

(1) لقد نظر جيل (النصر والتمكين) بعد استقلال الجزائر إلى عبد الحميد بن باديس نظرة قاصرة شوهت المسيرة العظيمة التي بدأها وعبدت للجزائر طريقا واضحا . فحول الصورة المتباينة لجيل الاستقلال انظر : حميد (مزيان) ، ذكرى عبد الحميد بن باديس (1889-1940) ، الدروس التي لم تفهم (جريدة الحرية) السنة الثانية ، العدد 67 من 25 إلى 25 أفريل الجزائر ، 1996 ص : 16 ، أ/ محمد الأمين بلغيث ، الطلبة الجزائريون بجامع الأزهر ، ص : 374 الهامش رقم : 10 . د : الزبيري ، الحركة الوطنية في مرحلة النضج ، ص : 130 وما بعدها .

(2) انظر : Aperçu sur l'Islam Moderne , p 6 .

(3) عبد الحميد بن باديس ، هل آن أوان اليأس من فرنسا (فضلاء ـ قال الشيخ الرئيس) ، المرجع السابق : ص : 153 . آثار الإمام عبد الحميد بن باديس الجزء الخامس ، ص : 337 وما بعدها .

أن ابن باديس لما بلغ السيل الزبا قالوا له : فما الحل ؟ "أشار بيده إلى جبال الأوراس" وقال : هناك في جبال الأوراس ، ويذكر الدارسون أن عبد الحميد بن باديس ومصالي الحاج توأمان ، الأول كان يكوّن أمة كادت أن تندرس ، والثاني يسعى إلى تجديد وإحياء الدولة الجزائرية ، والأهداف واحدة في الوصول بالجزائر إلى دولة وأمة ذات سيادة في إطار الفضاء العربي الإسلامي[1] .

وأزمة التخلف عند عبد الحميد بن باديس لا تكمن في إعداد جيل رباني برجاله فقط ، فقد كانت المرأة والدفاع عن تعليمها وحمايتها من الانحلال والتبرج والاختلاط الذي تدعو إليه النخبة المتفرنجة[2] مجال اهتمامه ويظهر من خلال حديثه وتذكيره بنساء السلف .

والمرأة الجزائرية التي يريدها ابن باديس ليست امرأة تطير بل حرة تلد لنا رجالا يطيرون ويعملون على إحياء الأمة ، وتقدمها بين الأمم ، ولهذا كان رده قويا على رواد التغريب من المسلمين أمثال : **الطاهر الحداد** من خلال كتابه : "**امرأتنا بين الشريعة والقانون**"[3] ، إن النهوض بشقنا المعطل ، وتأصيل

---

(1) انظر :

M. Lachref , L'Algérie nation et société S. N. E. D ALGER 1974. PP196- 285 , Stora et Zakia Daoud, Farhat Abbas , op- cit P: 37.

ADDi Lahouari ,l'impasse du populisme ,OP- CIT P: 50.

(2) الزاهري ، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير : ص 60 وما بعدها .

(3) عبد الحميد بن باديس ، كتاب امرأتنا للشيخ الطاهر الحداد ، 06 رجب 1349هـ/ ديسمبر 1930م (ابن باديس حياته وآثاره) : 475/3 .

وحول مسألة الحجاب والمؤامرة الاستعمارية راجع : د / عبادة ، سوسيولوجية الثورة : ص 8 وما بعدها ، الزاهري الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير : ص 62 . الشهيد أحمد رضا حوحو ، غادة أم القرى ، الطبعة الثانية تقديم أحمد منور ، ومقدمة بقلم الأستاذ أحمد بوشناق المدني ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1988 (راجع الإهداء ومقدمة بوشناق) .

دور المرأة المسلمة ، كان قاعدة ثابتة في منهجية البناء والتغيير في فلسفة الإمام عبد الحميد بن باديس .

ولا يكمن فهم الخط الفكري الذي رسمه الأستاذ الإمام لنفسه حول أزمة التخلف الحضاري الشامل للجزائر إلا إذا ربطنا أفكاره الخاصة بعالم المسلمين الذي طرحها في مسائل الوحدة العربية ، والخلافة الإسلامية والتضامن الإسلامي ، وكذلك جهوده الواضحة في بناء التضامن الوطني والإنساني .

الإمام عبد الحميد بن باديس والخلافة الإسلامية:

لقد اكتوى الإمام ابن باديس كغيره من رجال الإصلاح بحرقة انفصام عرى الوحدة والتضامن الإسلامي الذي شهدته الأمة الإسلامية منذ سقوط الخلافة عام 1924م وتكالب قوى الاستعمار على البقية الباقية من أقطاره ، والتي دخلت هي الأخرى تحت الدائرة المباشرة للاحتلالين الإنجليزي والفرنسي ، وهي أقطار بلاد الشام والعراق .

وموضوع الخلافة ونهايتها على يد كمال أتاتورك(قرأه الإمام عبد الحميد بن باديس من زاوية أخرى هي مجال عرضنا في هذا المبحث الأخير ضمن دائرة فهم الإمام لأزمة التخلف عند المسلمين . "**وقد أصيب العالم الإسلامي بأقسى محنة في تاريخه الطويل منذ ظهوره وهي سقوط الخلافة الإسلامية ووقف العالم الإسلامي كله مذهولا إزاء هذا الحدث الشنيع الذي رج العالم الإسلامي رجا عنيفا ، ولم لا ، وقد قطع أوصال الرباط الذي كان يربط المسلمين في شتى البقاع**"[1] .

---

(1) مجدي عبد المجيد (الصافوري) ، سقوط الدولة العثمانية وأثره على الدعوة الإسلامية ، =

وقد عبر أحمد شوقي عن هذا الذهول بقصيدة باكية يقول فيها :

عادت أغاني العرس رجع نواح ونُعيت بين معالم الأفراح
كفنت في ليل الزفاف بثوبه ودفنت عند تبلج الإصباح
شيعت من هلع بعبرة ضاحك في كل ناحية وسكرة صاح
ضجت عليك مآذن ومنابر وبكت عليك ممالك ونواح
الهند والهة ومصر حزينة تبكي عليك بمدمع سجاح
والشام تسأل والعراق وفارس أمحا من الأرض الخلافة ماح

وقد أجمع الكتاب والساسة في ذلك العصر على نعي الخلافة وتنوعت الأطروحات والمقالات حسب مشارب كتابها ، وسأقتصر في بيان مشاركة الجزائريين في هذا الأمر الخطير على مواقف الإمام عبد الحميد بن باديس ، من الخلافة ، ومن كمال أتاتورك من خلال الآراء السياسية التي عرضها في مقالاته المتعددة في جرائد حرة وجرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وأولى انطباعات الإمام جاءت على نفس النسق الفكري الذي يشاطره فيه معظم المصلحين في عصره وعصرنا هذا ونشر هذه الانطباعات تحت عنوان : "**الفاجعة الكبرى أو جنايات الكماليين على الإسلام والمسلمين ومروقهم من الدين**" مؤرخة في 8 شعبان ، ونشرتها جريدة النجاح[1] عدد 152 بتاريخ 28

= الطبعة الأولى ، دار الصحوة للنشر القاهرة 1990 ص 140 وما بعدها . أحمد (الشقيري) صفحات من القضية العربية ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1979 ص : 81 .

(1) لقد انخدع أحمد شوقي ، كما انخدع الشيخ رشيد رضا صاحب " المنار " بحكومة الاتحاد والترقي ، وبعد أن كشف الواقع السياسي حقيقة هذه النخبة العلمانية المتفرنجة التي كانت محاضن الغرب قد دفعت بها إلى الخلافة ودولة الإسلام لتقويض أركانها وهدم أسس =

مارس 1924م فقـال : «إن الإسلام لا يقدس الرجال ـ وإنما يسير الأعمال ـ فلئن والينا الكماليين بالأمر جناهم فلأنهم قاموا يذبون عن حمى الخلافة وينتشلون أمة إسلامية عظيمة من مخالب الظالمين وقد سمعناهم يقولون في دستورهم : (إن دين الدولة الرسمي هو الإسلام) ولئن تبرأنا منهم اليوم وعاديناهم فلأنهم تبرأوا من الدين وخلعوا خليفة المسلمين ، فكانوا ممن عمل بعمل أهل الجنة حتى لم يبق بينه وبينها إلا ذراع فعمل بعمل أهل النار فكان من الخاسرين ، وإنما الأمور بخواتمها والعاقبة للمتقين» ، وعلى نفس هذا النسق الفكري والاطلاع الكبير على آراء وأفكار الكماليين والاتحاد والترقي اللادينية يسير ابن باديس في نقده ولخص الإمام جنايات الكماليين على الإسلام والمسلمين في المعالم الآتية :

- الجناية الأولى على الخلافة : الرباط الروحي للأمة الإسلامية .

= المجتمع الإسلامي ، وقد تبرم الشيخ رشيد رضا بحكومة الاتحاد والترقي ، على حد تعبير ابن باديس وأيد عبد العزيز بن سعود في الحجاز ، فأما شوقي فقد تعلق بكمال أتاتورك ، ومدحه بقصيدته الشهيرة ومطلعها :

الله أكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب

انظر : الصافوري : سقوط الدولة العثمانية : ص 142 آثار ابن باديس 208/4 .

محمد قربان نبازيلا : السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية مكتبة المنارة مكة المكرمة 1988م راجع الفصل الخاص بعلاقة السلطان (بمدحت باشا وهرتزل) . وقد انتبه محمد رشيد رضا بعد مدة إلى حزب تركيا الفتاة وأصحاب العصبية التركية المتعصبة ووصفهم في كتابه الخلافة بأوصاف شتى انظر : محمد رشيد رضا ، الخلافة ، (فصل حزب المتفرنجين) وانظر حديثه عن خالدة أديب وزيرة المعارف في حكومة أنقرة ، وقد عرف توجهها الطوراني من خلال قصتها (قميص من نار) ، التي يسميها الكاتبة الإسرائيلية النسب التركية السياسة والمذهب . ص : 101- 102 .

- الجناية الثانية على الخليفة رغم موالاته للكماليين وهو الناطق الرسمي الذي أعلن الجهاد في الحرب العالمية الأولى كما تبرزه الوثائق (انظر الوثائق) .

* الجناية الثالثة : إهانة عائلة الخليفة وطردها نحو الغرب .

* الجناية الرابعة على الدين : تعطيل أحكام الإسلام وطرد طلاب العلوم الدينية وغلق المدارس الإسلامية وتشبعهم بإلحاد أوربا .

ثم ثنى الإمام على مقاله السالف بمقال آخر عنوانه : "**على مقالنا السابق في جنايات الكماليين ومروقهم** نشر في جريدة النجاح العدد 153 بتاريخ 4 أفريل 1924م ، وفيه قراءة تراثية لمنصب الإمامة أو الخلافة ، تدل على براعة ابن باديس في توظيف ثقافته الإسلامية وفهمه العميق للسياسة الشرعية ، بل وتفوقه في رسم قواعد النظام السياسي الإسلامي الأصيل . وانتقد : "الخلافة الروحية" أي : تنزيل منصب الإمامة على منصب البابوية بالغرب المسيحي الكاثوليكي ثم قال : " ...وبعد فإن الإسلام دين الحقائق والعلوم لا دين التقاليد والرسوم فلنرفض الأوهام وإن لأمتنا ـ ولنقبل الحقائق وإن آلمتنا ـ ولنقل عن علم وإنصاف إن خلافة الكماليين باطلة من أصلها ، وأن لا خلافة اليوم ، هذا وأن العالم الإسلامي لا يسكت عن مسألة الخلافة ولا يهمل أمرها ، وإن أعظم الرجاء معلق على الأمة العربية أمة كنانة الله ، الأمة المصرية العزيزة ، مصدر العلم والتهذيب للعالم الإسلامي أيام بؤسها ومصدر الحرية والنهوض ، هاته الأيام أيام عزها واستقلالها ، وقد حمل البرق نبأ تعلق علماء الأزهر الشريف على عقد مؤتمر إسلامي لهذا الأمر ، وأنه يكون في شهر مارس من السنة القابلة ـ وإن غدا لناظره قريب ـ ونحن من المنتظرين والله ولي المؤمنين " ولا يمكن فهم آراء الإمام إلا إذا عدنا مرة أخرى لقراءة ما

كتب بعد أربعة عشرة سنة خلت من مقالاته السابقة التي يشاطره فيها كل الذين تسكنهم هموم الوحدة الإسلامية وعلى رأسها الرئاسة العامة لمسلمي الشرق ، وهي الخلافة الإسلامية ولا يستقيم الموضوع الذي نحن بصدد الحديث عنه إلا إذا عرضت مقالته حول أتاتورك الذي نشره في غرة رمضان 1357هـ ، نوفمبر 1938م . وعنوانه : "**مصطفى كمال رحمه الله**" ، جاء فيه[1] : في السابع عشر من رمضان المعظم ختمت أنفاس أعظم رجل عرفته البشرية في التاريخ الحديث عبقري من أعظم عباقرة الشرق ، الذين يطلعون على العالم في مختلف الأحقاب فيحولون مجرى التاريخ ويخلقونه خلقا جديدا ذلك هو مصطفى كمال بطل غاليبولي في الدردنيل ، وبطل سقاريا في الأناضول ، وباعث تركيا من شبه الموت إلى حيث هي اليوم من الغنى والعز والسمو .

وإذا قلنا بطل غاليبولي فقد قلنا غالب الإنجليز أعظم دولة بحرية الذي هزمها في الحرب الكبرى شر هزيمة لم تعرفها في تاريخها الطويل ، وإذا قلنا بطل سقاريا فقد قلنا قاهر الإنجليز وخلفائهم من يونان ، وطليان ، وفرنسيين بعد الحرب الكبرى ومجليهم عن أرض تركيا ، بعد احتلال عاصمتها والتهام أطرافها وشواطئها .

وإذا قلنا باعث تركيا فقد قلنا باعث الشرق الإسلامي كله .

فمنزلة تركيا التي تبوأتها من قلب العالم الإسلامي في قرون عديدة هي منزلتها فلا عجب أن يكون بعثه مرتبطا ببعثها ، لقد كانت تركيا قبل الحرب الكبرى هي جبهة صراع الشرق إزاء هجمات الغرب ومرمى قذائف الشره

---

(1) ابن باديس حياته وآثاره 213/4 - 217 . آثار الإمام (طبعة الشؤون الدينية) الجزء السادس : ص : 20 .

الاستعماري والتعصب النصراني من دول الغرب فلما انتهت الحرب ، وخرجت تركيا منها مهمشة مفككة تناولت الدول الغربية أمم الشرق الإسلامي تمتلكها تحت أسماء استعمارية ملطفة واحتلت تركيا نفسها ، واحتلت عاصمة الخلافة وأصبح الخليفة طوع يدها ، وتحت تصرفها وقال المارشال اللنبي - وقد دخل القدس : (اليوم انتهت الحروب الصليبية) فلو لم يخلق الله المعجزة على يد كمال لذهبت تركيا وذهب الشرق الإسلامي معها ، لكن كمالا الذي جمع تلك الفلول المبعثرة ، فالتف به إخوانه من أبناء تركيا البررة ونفخ من روحه في أرض أناضول حيث الأرومة التركية الكريمة وغيل ذلك الشعب النبيل وقاوم ذلك الخليفة الأسير وحكومته المتداعية ، وشيوخه الدجالين من الداخل ، وقهر دول الغرب وفي مقدمتها إنكلترا من الخارج ـ لكن كمالا هذا أوقف الغرب المغير عند حده وكبح من جماحه وكسر من غلوائه ، وبعث في الشرق الإسلامي أمله وضرب له المثل العالي في المقاومة والتضحية ، فنهض يكافح ويجاهد ، فلم يكن مصطفى محي تركيا وحدها ، بل محي الشرق الإسلامي كله ، وبهذا غير مجرى التاريخ ، ووضع للشرق الإسلامي أساس تكوين جديد ، فكان بحق كما قلنا ـ من أعظم عباقرة الشرق العظام الذين أثروا في دين البشرية ودنياها من أقدم عصور التاريخ .

إن الإحاطة بنواحي البحث في شخصية أتاتورك (أبي الترك) مما يقصر عنه الباع ، ويضيق عنه المجال ، ولكني أرى من المناسب أو من الواجب أن أقول كلمة في موقفه إزاء الإسلام . فهذه هي الناحية الوحيدة من نواحي عظمة مصطفى أتاتورك التي ينقبض لها قلب المسلم ويقف متأسفا ويكاد يولي مصطفى في موقفه هذا الملامة كلها حتى يعرف المسؤولين الحقيقيين الذين

أوقفوا مصطفى ذلك الموقف ، فمن هم هؤلاء المسؤولون ؟ . . .

المسؤولون الذين كانوا يمثلون الإسلام وينطقون باسمه ، ويتولون أمر الناس بمفرده ويعدون أنفسهم أهله وأولى الناس به .

هؤلاء هم خليفة المسلمين شيخ إسلام المسلمين ومن معه من علماء الدين ، شيوخ الطرق الصوفية والأمم الإسلامية التي كانت تعد السلطان العثماني خليفة لها .

أما خليفة المسلمين فيجلس في قصره تحت سلطة الإنجليز المحتلين لعاصمته ساكتا ساكناً مستغفراً لله ، بل متحركا في يدهم تحرك الآلة لقتل حركة المجاهدين بالأناضول ، ناطقا بإعلان الجهاد ضد مصطفى كمال ومن معه الخارجين عن طاعة أمير المؤمنين .

وأما شيخ الإسلام وعلماؤه فيكتبون للخليفة منشورا يمضيه باسمه ويوزعه على الناس بإذنه وتلقيه الطائرات اليونانية على القرى برضاه ، ويبيح دم مصطفى كمال ويعلن خيانته ويضمن السعادة لمن يقتله .

وأما شيوخ الطرق الضالون وأتباعهم المنومون فقد كانوا أعوانا للإنجليز وللخليفة الواقع تحت قبضتهم يوزعون ذلك المنشور ، ويثيرون الناس ضد المجاهدين .

وأما الأمم الإسلامية التي كانت تعد السلطان العثماني خليفة لها فمنها ـ إلا قليلا ـ من كانوا في بيعته فانتفضوا عليه ثم كانوا في صف أعدائهم وأعدائه ، ومنها من جاءت من مستعبديها حاملة السلاح على المسلمين شاهرة له في وجه خليفتهم .

فأين هو الإسلام في هذه (الكليتيات)[1] كلها ؟ وأين يبصره مصطفى الثائر المحارب والمجاهد الموتور بها ؟

لقد ثار مصطفى كمال حقيقة ثورة جامحة ولكنه لم يثر على الإسلام وإنما على هؤلاء الذين يسمون بالمسلمين ، فألغى الخلافة الزائفة وقطع يد أولئك العلماء عن الحكم فرفض مجلة الأحكام واقتلع شجرة زقوم الطرقية من جذورها ، وقال للأمم الإسلامية : عليكم أنفسكم ، وعلي نفسي ، لا خير لي في الاتصال بكم مادمتم على ما أنتم عليه .

فكونوا أنفسكم ثم تعالوا نتعاهد ونتعاون كما تتعاهد وتتعاون الأمم ذوات السيادة والسلطان .

أما الإسلام فقد ترجم القرآن لأمته التركية بلغتها لتأخذ الإسلام من معدنه أو تستقيه من نبعه ، ومكنها من إقامة شعائره فكانت مظاهر الإسلام في مساجده ومواسمه تتزايد في الظهور عاما بعد عام حتى كان المظهر الإسلامي العظيم يوم دفنه والصلاة عليه تغمده الله برحمته ؛ لسنا نبرر صنيعه من رفض مجلة الأحكام ، ولكننا نريد أن نذكر الناس أن تلك المجلة المبنية على مشهور وراجح مذهب الحنفية ما كانت تسع حاجة أمة من الأمم ؛ في كل عصر ؛ لأن الذي يسع البشرية كلها في جميع عصورها هو الإسلام بجميع مذاهبه ، لا مذهب واحد أو جملة مذاهب محصورة كائنا ما كان ، وكائنة ما كانت ، أو نريد أن يذكر الناس أيضا أن أولئك العلماء الجامدين ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا غير ما عرفوه من صغرهم من مذهبهم ، وما كانت حواصلهم الضيقة

---

(1) المقصود بالكليتات أصحاب العمائم من العلماء .

لتتسع أكثر من ذلك ، كما يجب أن يذكروا أن مصر بلد الأزهر الشريف مازالت إلى اليوم الأحكام الشرعية ـ غير الشخصية ـ معطلة فيها ، ومازال (كود) نابليون مصدر أحكامها إلى اليوم ، ومازال الانتفاع بالمذاهب الإسلامية في القضاء ـ غير المذهب الحنفي ـ مهجورا كذلك إلا قليلا جدا .

نعم إن مصطفى أتاتورك نزع عن الأتراك الأحكام الشرعية ليس مسؤولا في ذلك وحده ، وفي إمكانهم أن يسترجعوها متى شاءوا وكيفما شاءوا ، ولكنه رجع لهم حريتهم واستقلالهم وسيادتهم وعظمتهم بين أمم الأرض ، وذلك ما لا يسهل استرجاعه لو ضاع ، وهو وحده كان مبعثه ومصدره ، ثم إخوانه المخلصون ، فأما الذين رفضوا الأحكام الشرعية إلى (كود) نابليون فماذا أعطوا أمتهم ؟ وماذا قال علماؤهم ؟

فرحم الله مصطفى ورجح ميزان حسناته في الموازين وتقبل إحسانه في المحسنين .

وإلى الأمة التركية الشقيقة الكريمة الماجدة ، التي لنا فيها حفدة وأخوال ، والتي تربطنا بها أواصر الدين والدم والتاريخ والجوار ، والتي تذكر الجزائر أيامها بالجميل أو ترى شخصها دائما ماثلا فيما تركت لها من مساجد ومعاهد للدين الشريف أو الشرع الجليل ، إلى تركيا العزيزة نرفع تعازي الجزائر كلها مشاركين لهافي مصابها راجين لها الخلف الصالح من أبنائها ومزيد التقدم في حاضرها ومستقبلها .

وإلى هذا فنحن نهيبها برئيس جمهوريتها الجديد عصمت إينونو ، بطل (إينونو) ومؤتمر لوزان وثني مصطفى كمال ، وإن في إجماعها على انتخابه

دليلا على ما بلغته تركيا الكريمة من الرشد في الحياة الذي تبلغ به ـ إن شاء الله ـ من السعادة والكمال، ما يناسب مجدها القدموس وتاريخها الحافل بأعاظم الرجال، وجلائل الأعمال . انتهى مقال الإمام ابن باديس . أ . هـ .

إن الأسلوب الذي عرض به الإمام عبد الحميد بن باديس آراءه في شخصية بارزة في العالم الإسلامي أثارت جدلا كبيرا بين تيارات الفكر الإسلامي والوطني هي الدعامة الأولى التي تركتني أعرض المقال بتمامه .

وثانيا : لأن هذا المقال شهادة من شخصية نزيهة مطلعة على أفكار وآراء العالم الإسلامي، وهي جديرة في عصره أن تثير الأحاسيس والآلام، ولأن عرض كل المقال فرصة لصاحبه أن يكون في الصورة الكاملة، لما سأعرضه من آراء مخالفة وأفكار مناقضة لما ذهب إليه في تمجيد شخصية "كمال أتاتورك" ، بعد رحيله من هذا العالم، وما ترك من آثار في بلاده أولا ، ومن صدى في العالم الإسلامي كله وهذا بإلغائه للخلافة في3 مارس 1924م .

ونستطيع بعد هذا العرض أن نحدد مجموعة من المحاور الكبرى التي تطرق إليها مقال الأستاذ الإمام وهي :

ـ مصطفى كمال أتاتورك عبقري من أعظم عباقرة الشرق .

ـ مسؤولية علماء العصر أكبر فيما حدث بإلغاء الخلافة من كمال أتاتورك .

ـ فساد الخلافة الإسلامية في عهد السلطان محمد رشاد وتبعيته للغرب .

ـ فساد رجال الطرق الصوفية ، وهوانهم وتبعيتهم للإنجليز .

ـ إن الانقلاب الكمالي على رمز الخلافة مسألة طبيعية ؛ لأن جوهر الخلافة قد

زال منذ مدة طويلة ، فما إلغاء الخلافة في مارس 1924م إلا صورة هينة لإلغاء صورة ميتة .

ـ أطماع ملك مصر وزعماء العرب في رمز الخلافة يدل دلالة واضحة على أنهم في غير مستوى الوعي السياسي المطلوب في قواعد وأصول النظام السياسي المعروف في الحكومة الإسلامية .

ـ لقد ألغى مصطفى كمال مجلة الأحكام الشرعية في تركيا ؛ لأنها اقتصرت على مشهور مذهب الحنفية فقط ، والذي يسع الناس هو الإسلام بمذاهبه .

ـ حرية الأتراك بعد إلغاء مجلة الأحكام الشرعية في العودة متى شاءوا وكيفما شاءوا في إعادة هذه الأحكام من جديد .

ـ تفاؤل الإمام ابن باديس بالرئيس الذي خلف كمال أتاتورك ومدى قيامه بنفس العمل الذي سار عليه سابقه ورفيقه في الكفاح العسكري والسياسي .

هذه مجمل أفكار الإمام ابن باديس في هذا المقال البليغ والذي سنحاول تقييمه من خلال ما تمكنا من قراءة الوثائق المعاصرة للحدث . إن هذه الآراء التي أطلقها الإمام ابن باديس في حق كمال أتاتورك جديرة بعرض الآراء المخالفة لها حتى تستقيم الصورة ، فإذا كان الإمام قد وصف أتاتورك بأنه من أعظم عباقرة الشرق فهذه المسألة فيها نظر ؛ لأن الأحداث والوثائق تنبئ عكس ما وصف به أتاتورك .

فالذين عاصروا هذا الرجل تحدثوا عن سيرته ونشأته ، فقد شككوا في نسبته إلى أرومة تركية ، بل هو نفسه قد **صرح لصديقه الدكتور رضا نور**[1]

---

(1) الدكتور رضا نور ، صديق حميم لمصطفى كمال ، ومتعاون معه في كامل أعوام الكفاح

الذي تعاون معه مدة حياته ، بأن مصطفى كان يقول : إنـــه " سلافي " وقد كان يشرب الخمر كثيرا حتى أصيب بالتلف الكبدي في آخر حياته كما كان يلهو بالنساء كثيرا ، وقد بلغ درك في الفحش لم يطاوله فيها أحد ، ومغامراته النسائية كما تبرز الوثائق جد لصيقة به ، وما علاقته المشبوهة مع "خالدة أديب" الكاتبة التركية الشهيرة ، وحدها تقوم مقام الشاهد على فساد كمال أتاتورك الأخلاقي ، وهي من المسائل الهامة التي لا تليق بأعظم شخصية في الشرق[1] كما وصفه الإمام ابن باديس ، وقد يرد ابن باديس على هذه التهم كلها فيقول : بأن هذه التهم كلها جاءت بها قريحة خصومه من الشرق والغرب .

كما تميزت الأعوام التي أمضاها في الحكم كرئيس للجمهورية بسلسلة من أحط أنواع الغصب والسرقة واستغلال النفوذ وقتل الخصوم ، وقد وصفه **مصطفى صادق الرافعي بالدكتاتور الذي لم يكن يحتمل أي نقد ولو من أقرب المقربين إليه** ، وهذه الصفة التي أصبح عليها كمال أتاتورك هي نتيجة طبيعية لما قام به اتجاه خصومه من المعارضين بما فيهم أعضاء الاتحاد والترقي ، كما سحق كل الطرق الصوفية وعلى رأسها زعماء وشيوخ وأتباع الطريقة النقشبندية . وما مأساة العالم الرباني "**بديع الزمان سعيد النورسي** إلا

=

وفي كتابه "حياتي وذكرياتي" يتحدث عن شخصية رفيقه أتاتورك بوضوح بعيدا عن التضخيم والعواطف ، وقد اعتمد هذا الكتاب الذي لم يلق الرواج الكامل - في دراسة الأستاذ عبد الله عبد الرحمن الموسوم بـ "الرجل الصنم" مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة بيروت 1982 م ، كما أن كتاب " الذئب الأغبر " لأمسترونغ ، شهادة مهمة لمعرفة هذه الشخصية الخطيرة على أمته ودولته ، فهو رائد الدكتاتورية العسكرية الجديدة في العالم الإسلامي الحديث ، راجع أيضا رشيد رضا ، الخلافة ، موفم للنشر الجزائر 1992م ص : 237 وما بعدها .

(1) الصافوري ، سقوط الدولة العثمانية : ص 136 .

شاهد عيان على إرهاب دولة كمال أتاتورك وفظاعة تعاملها مع رجال الفكر الإسلامي النزهاء المخلصين ، كما أن نهاية شيخ الإسلام "مصطفى صبري" دعامة ثانية على عدم نزاهة هذا الحكم الجديد والذين جاءوا من بعده لحكم الجمهورية التركية العلمانية المعادية لكل ما يصدر عن النزهاء المخلصين من رجالات الإصلاح السياسي والاجتماعي ، والحكام الذين جاءوا من بعده مثلوا القشرة العفنة في الكيان الإسلامي التركي المهزوز على مر العقود الستة .

وإن لا أوافق أخيرا الإمام ابن باديس رحمة الله عليه في وصف كمال بما وصفه فأقول : إن كمال أتاتورك هو صناعة بريطانية محكمة [1] ليقوم بنفسه وباسم الأمة التركية وبرلمانها المنتخب بإلغاء الخلافة الإسلامية ـ الشعرة البسيطة التي تجمع الشعور العاطفي والسياج السياسي الذي يجمع الأمة الإسلامية مهما

---

(1) الشيخ مصطفى صبري رحمه الله ، شيخ الإسلام في أواخر الخلافة العثمانية أهانته حكومة الاتحاد والترقي ، كما أهين في مصر وحكومتها الطرقية ، ولم يجد الشيخ مساحة صغيرة في جرائد عصره لنشر أفكاره حول الفكر الإلحادي الوافد على ديار المسلمين ، صاحب مؤلفات متقنة وهو من العلماء القلائل في عصره ألف في العقيدة والفكر السياسي وأهم كتبه التي تعالج قضية الخلافة "النكير على منكري النعمة ، من الخلافة والأمة" ، كما تظهر شخصية شيخ الإسلام مصطفى صبري في موسوعته الكبيرة : "موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين" وقد نشر في طبعة أنيقة في أربعة أجزاء بدار التراث عام 1981م ، وأما "النكير" فقد قدم له الدكتور مصطفى حلمي في دراسة وافية ضمن عمله "الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة الإسلامية" ، والعبارة المذكورة في النص هي جزء من تعبير شيخ الإسلام يقول : "تساهل الإنجليز مع مصطفى كمال ليجعلوا منه بطلا في حين تشددوا مع الخليفة وحيد الدين حتى أعجزوه ، وذلك لتعظم الفتنة لكمال أتاتورك في أبصار المسلمين وبصائرهم" ثم قال : "والرجل من لا تجد إنجلترا مثله ، ولو جدت في طلبه من حيث إنه يهدم ماديات الإسلام وأدبياته ، ولا سيما أدبياته في اليوم ما لا تهدمه إنجلترا في عام ، فاستخلفته لنفسها وانسحبت من بلادنا ، راجع : د/ علي حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة بيروت 1983 م ص 273 ، الصافوري ، سقوط الدولة العثمانية ، 149 .

قضم الاستعمار الإنجليزي والفرنسي ، والهولاندي أطرافها . إن القضاء على الدولة العثمانية وتقسيم أملاكها بين الدول الاستعمارية كان الهدف الذي سارت فيه السياسة الدولية آنذاك ، وقد أشار الإمام ابن باديس إلى هذا الأمر ببيان ووصف دقيق لا يحتاج إلى مجلدات لتبيانه ، وحتى ندرك خطورة السلطنة أو الخلافة العثمانية ، نقول : إن الوثائق التاريخية المعاصرة للأحداث تنبئ عن مؤامرة يهودية كانت وراء الأحداث التي عرفتها الخلافة الإسلامية في العقود الأربعة التي سبق إلغاء مصطفى كمال لها من الخارطة السياسية والروحية للأمة الإسلامية ؛ لأن الوفاق الصهيوني الدولي ، والمحلي لخلع السلطان عبد الحميد الثاني آخر الخلفاء الذين وقفوا في وجه العلمانيين من حزب وجماعة الاتحاد والترقي ، وشباب تركيا الذين درسوا في الغرب وكذلك وقوفه الصلب في وجه أطماع اليهود في إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، كذلك الوقوف بحزم أمام ثورات الأقليات في الأقاليم العثمانية ، والتي تحركها أصابع السياسة البريطانية في المنطقة كلها ، كانت وراء الصيحات التي انطلقت معارضة حكم السلطان عبد الحميد الثاني سواء من الأتراك أو من باقي القوميات المختلفة ، وهذه كلها لعبت دورا فاعلا في مساعدة الدول الأوربية والحركة الصهيونية لاستغلال هذه لمعارضة ، والاستفادة منها[1] .

وتؤكد "**الموسوعة اليهودية**" بأن السلطان عبد الحميد الثاني عامل يهود الدولة العثمانية معاملة طيبة ، ومع ذلك كان دور اليهود في ثورة 1908م وخلع السلطان في عام 1909م واضحة المعالم بعد نشر الوثائق المعاصرة للأحداث .

---

(1) د/ حسان علي (حلاق) ، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (1897- 1909م) الطبعة الثالثة الدار الجامعية ، بيروت 1986 ، ص 282 .

والمعلومات التي بين أيدينا تبين أن جمعية الاتحاد والترقي غير تركية وغير إسلامية ، كما أكدت الأحداث المعاصرة عظم نفوذ اليهود وكثرتهم الغالبة في هذه الحركة ، وأبرزت الأحداث مدى المهانة التي ألحقت هذه العناصر بالسلطان المظلوم عبد الحميد الثاني ، لسبب واحد أنه رفض مغريات اليهود ، وفي نظر غالبية المؤرخين بعيدا عن العواطف الجياشة أن الخلافة الإسلامية قد تم إهانتها وإلغاؤها في عام 1909م[1] ، وليس في مارس 1924م ، ونترك السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله يبث شكواه إلى زعيمه الروحي أبي الشامات في دمشق ، يؤكد فيها أن سبب خلعه عن العرش إنما لرفضه الموافقة

---

(1) صارع الخليفة العثماني عبد الحميد الثاني (1842 - 1918م) الغرب الصليبي والصهيونية العالمية وأبناء تركيا المتفرنجين ونصارى الشام رأس الحربة الصليبية في الجسد الإسلامي المنهك بالطعنات المسمومة ، فكان خلع السلطان مؤامرة دولية يهودية ، شاركت الصحافة والمال اليهودي ، والسلطان يدرك هذه المؤامرة ولكن أين المفر وقد طعن من أبنائه ورعيته العربية والتركية قبل اليهود .

وبذهاب هذا الرجل القوي ، انتهى الدور الحاسم الذي قامت به الخلافة العثمانية في تاريخ المسلمين في العصر الحديث . راجع : عبد السلام ياسين ، الإسلام والقومية العلمانية ، الطبعة الأولى ، مطبعة فضالة المغرب 1989م ص 135 ، هاملتون جب ، هارولد بوود " المجتمع الإسلامي " ، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى ، دار المعارف بمصر 1971 م ص 41 وما بعدها . نيازيلا ، السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية (راجع الفصل الخاص بالكواكبي ، الأفغاني والقوميين العرب ، نصارى الشام ، للتوسع حول دور نصارى الشام كحملة للمشروع الغربي راجع : أليكسي جورا فسكي ، الإسلام والمسيحية ترجمة د/ خلف محمد الجراد ، راجعه د/ محمود حمدي زقزوق ، سلسلة (عالم المعرفة) رقم 215 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت (1417هـ / 1996م) (انظر الفصل الخاص) (البحث عن وسائل القضاء على التشرذم الطائفي : المنورون المسيحيون . و"أيديولوجية العروبة في ضوء إشكالية العلاقات الإسلامية المسيحية المتبادلة في الشرق الأدنى" ص 198 226 .

على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين "... بعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم، وإلى أمثالكم أصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآنية كأمانة في ذمة التاريخ: إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية، لسبب ما سوى أنني - بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم "جون تورك" وتهديدهم - اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة الإسلامية، إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا علي بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة - فلسطين - ورغم إصرارهم، وخمسين مليون ليرة إنجليزية ذهبا، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية. أيضا وأجبتهم بالجواب القطعي الآتي: إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا فضلا عن مائة وخمسين مليون ليرة إنجليزية ذهبا فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملة الإسلامية، والأمة المحمدية ما يزيد عن ثلاثين سنة، فلن أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين، لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي أيضا.

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي وأبلغوني أنهم سيبعدونني إلى سلانيك، فقبلت بهذا التكليف الأخير، هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة "**فلسطين**"[1]. هذه شهادة مؤلمة، ولا ينسى تاريخ الإسلام والمسلمين الطريقة التي خلع بها السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله، فهي قمة الإهانة والاستهانة برمز المسلمين في عصرهم، وأنه بعد

---

(1) انظر مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني(1842 - 1918م)، بيروت، ط. 3. - 1984م.

الخلع هللت الصحف اليهودية في سلانيك للتخلص من "مضطهد إسرائيل" على حد قول لوثر[1] في رسالته إلى غراي[2] بتاريخ 29 ماي 1910م .

والجدير بالذكر أن بعض كبار زعماء المسيحيين السياسيين والروحيين في لبنان لم رحبوا كثيرا بعزل السلطان عبد الحميد الثاني ، بل أن البطريك الماروني "إلياس الحويك" أوضح قائلا : لقد عاش لبنان وعاشت طائفتنا المارونية بألف خير وطمأنينة في عهد عبد الحميد الثاني ، ولا نعرف ماذا تخبئ لنا الأيام من بعده"[3] .

ومذكرات **عبد الحميد الثاني**[4] حافلة بالشواهد الدامغة التي أثبتت صحتها الوثائق المعاصرة المنشورة على المؤامرة الدولية اليهودية وسقوط زعماء الاتحاد والترقي في هذا الخطأ القاتل الذي اعترفوا به ولكن بعد فوات الأوان وبعد أن سلخوا تركيا من عمقها الشرقي ، وعزلوها من مكانتها وريادتها

---

(1) لوثر (LOWTHER) شخصية محورية في عصر السلطان عبد الحميد الثاني ، كان سفيرا بالقسطنطينية ، وهو الذي يزود وزارة الخارجية البريطانية بأدق المعلومات عن أحوال الدولة العثمانية من خلال شبكة مهمة من العلاقات مع رجال الاتحاد والترقي ورجال الصحافة ورؤساء الجمعيات والمحافل الماسونية انظر : د/ حلاق ، موقف الدولة العثمانية : ص 378 – ص 11 ص 3 . أحمد الشقيري ، رجال صنعوا وعد بلفور (صفحات من القضية العربية) ص 75 . د : فهمي الشناوي ، المؤامرة على إسقاط الخلافة العثمانية (سلسلة الرسالة) الطبعة الثالثة ، بيروت 1986 ، الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون) ترجمة محمد خليفة التونسي تقديم عباس محمود العقاد ، قصر الكتاب بالبليدة الجزائر ص 79 .

(2) إدوار غراي (E. GREY) من الخبراء الكبار بقضايا الدولة العثمانية في عصرها الأخير وهو الذي نبه اللُّور "روتشيلد" إلى عدم إمكانية إقامة دولة يهودية بفلسطين .

(3) حلاف ، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ص : 321 .

(4) السلطان عبد الحميد الثاني ، المذكرات المرجع السابق .

للعالم الإسلامي طيلة أربعة قرون من الزمن الحافل ، بالأمجاد والجهاد ، وفي زمن الردة والمد الشعوبي القوي ، وفي زمن "**الهرولة إلى بني صهيون**"[1] .

هان الإسلام وهانت أمته المجيدة ، فهل غابت كل هذه الوثائق والمعلومات رغم أن العلامة الأستاذ رشيد رضا في حياة الإمام عبد الحميد بن باديس قد دبج المقالات الكثيرة التي نبه فيها الرأي العام الإسلامي إلى المخاطر التي تحدق بالأمة في العقد الرابع من القرن العشرين ، ومع ذلك خالف الإمام عبد الحميد بن باديس كل معاصريه في موقفهم من "كمال أتاتورك" ، وكذلك من خلال موقفه من الانقلاب السياسي الذي عرفته تركيا في عصره ، وحتى ننصف الرجل أقول : إن الدعاية التي صنعت البطل " كمال أتاتورك " قد فعلت فعلتها ؛ لأنها تدرك أن ضرب رأس الحية يكمن في ضرب تركيا رمز الإسلام التاريخي ، ورمز قوة الإسلام في منطقة الأناضول ، كما أن منطلق ابن باديس في موقفه من كمال أتاتورك تعود حسب اعتقادي إلى موقف ابن باديس من تفسيره الخاص للتضامن الإسلامي ونظريته الخاصة حول السياسية في الإسلام والتي تطرق إليها من خلال تصوره للحكومة الإسلامية في مقال له تحت عنوان : "الخلافة أم جماعة المسلمين"[2] قال فيه : "إن الخلافة هي المنصب الإسلامي الأعلى الذي يقوم على تنفيذ الشرع وحياطته بواسطة الشورى من أهل الحل والعقد من ذوي العلم والخبرة والنظر وبالقوة من الجنود والقواد وسائر وسائل الدفاع .

---

(1) الهرولة : قصيدة للشاعر نزار قباني يتهكم فيها من سرعة هرولة زعماء العرب نحو إسرائيل لتطبيع علاقاتهم مع العدو التاريخي للأمة وما أشبه اليوم بالبارحة .

(2) عبد الحميد بن باديس ، الخلافة أم جماعة المسلمين (ماي 1938 م) (ابن باديس حياته وآثاره) 3/410 412 .

ولقد أمكن أن يتولى هذا المنصب شخص واحد صدر الإسلام وزمنا بعده ـ على فرقة واضطراب ـ ثم قضت الضرورة بتعدده في الشرق والغرب ، ثم انسلخ عن معناه الأصلي ، وبقي رمزا ظاهريا تقديسا ليس من أوضاع الإسلام في شيء . فيوم ألغى الأتراك الخلافة ـ ولسنا نبرر كل أعمالهم ـ لم يلغوا الخلافة الإسلامية بمعناها الإسلامي ، وإنما ألغوا نظاما حكوميا خاصا بهم ، وأزالوا رمزا خياليا فتن به المسلمون لغير جدوى ، وحاربتهم من أجله الدول الغربية المتعصبة للنصرانية والمتخوفة من شبح الإسلام .

علمت الدول الغربية المستعمرة فتنة المسلمين باسم خليفة ، فأرادت أن تستغل ذلك مرات عديدة ، أصيبت فيها كلها بالفشل ، كفى غرورا وانخداعا .

إن الأمم الإسلامية اليوم ـ حتى المستعبدة منها ـ أصبحت لا تخدعها التهاويل ، ولو جاءتها من تحت الجبب والعمائم (. . .) نعم ليس ـ والحمد لله ـ في الإسلام بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم شخص مقدس الذات ، والقول تدعى له العصمة ، ويعتبر قوله تنزيلا من حكيم حميد ، ولكن لنا جماعة المسلمين ، وهم أهل العلم والخبرة ، الذين ينظرون في مصالح المسلمين من الناحية الدينية والأدبية ويصدرون عن تشاور ما فيه خير أنفسها بعيدة كل البعد عن السياسة وتدخل الحكومات الإسلامية أو غيرها .

لقد كنت كاتبت صاحب الفضيلة شيخ الأزهر الشريف بهذا ، ولكنني لم أتلق منه جوابا ، وعرفت السبب يوم بلغنا أن إخواننا الأزهريين هتفوا يوما بالخلافة لملك مصر "السابق" ، وسيرى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ، أن خيال الخلافة لن يتحقق ، وأن المسلمين سينتهون يوما ما ـ إن شاء الله ـ إلى هذا الرأي .

لقد كانت غاية عبد الحميد بن باديس الكبرى التجديد في معرفة قواعد الحكم الإسلامي بنظرة أكثر واقعية ، وقد حدد أصول الولاية في الإسلام من خلال قاعدة جوهرية ، هي خطبة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه والتي جاء فيها : "**أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسددوني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**".

وقد قسم عبد الحميد بن باديس هذه الجواهر الثمينة في بناء الحكومة الإسلامية إلى ثلاثة عشرة جوهرة هي الأصول والقواعد المعتمدة[1] في النظام

---

(1) انظر : شرح الأصول وقوام النظرية السياسية المعاصرة : في قمة عدلها وتجليها وللعجب العجاب أن في عصره ، عصر الاستعمار الغربي البغيض ، وعصر الشتات الإسلامي المنكر ، يتمكن من هذا الفهم الصادق ويستنبط من خطبة أبي بكر الصديق جواهر النظام السياسي المثالي الصالح لأمة الإسلام لإعادة بناء مؤسساتنا ا لإسلامية . راجع : - ابن باديس حياته وآثاره 410/3 . انظر أيضا : وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومبادئها الإصلاحية الجزائر المطبعة الإسلامية ، (د . ت) . كذلك التقرير الذي قدمه المجلس الإداري باسم الجمعية إلى رجال الحكومة الجزائرية في أواسط رمضان 1363هـ يتضمن خلاصة مطالبها الدينية في التعليم العربي ، والمساجد والقضاء ، الجزائر ، المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة 5 أوت 1944م . انظر أيضًا : مطالب زعماء المغرب العربي في مرحلة العشرينات وكيف صوروا حالة تونس والجزائر من خلال عرائض وأعمال صالح الشريف وإسماعيل الصفائحي ونقد مسار رشيد رضا من طرف هذه النخبة : الشيخان المجاهدان : صالح الشريف وإسماعيل الصفائحي ، دراسة ونشر أحمد العباسي ، (سلسلة ما أهمله . . . التاريخ ، الطبعة الأولى 1407هـ/1987م ص : 114 وما بعدها ، محمد الهادي الحسني ، الشيخ صالح الشريف العالم الجزائري المجاهد المجهول ، (جريدة الشعب) الجزائر العدد : 70232 السبت 8 رمضان 1416هـ/17 ماي 1986م . المنصف الشنوفي ، علائق رشيد رضا صاحب مجلة المنار مع التونسيين =

الإسلامي الشوري الذي شرحه ابن باديس شرحا رائعا .

هذه هي المنطلقات التي أحسب أن الأستاذ عبد الحميد بن باديس قد انطلق منها في تحليل منصب الخلافة الإسلامية في عصر السلطنة العثمانية ، وأحسبه قد توافق في تصوره لمسألة الخلافة في كثير من النقاط مع الأستاذ الشيخ الأزهري علي عبد الرازق صاحب الكتاب المشهور في عصره "**الإسلام وأصول الحكم**"[1] ، وهذا رغم وضوح الفكر السياسي الإسلامي عند ابن باديس وغموضه عند الشيخ علي عبد الرازق إضافة إلى ملابسات العصر التي شوهت صورة الشيخ الأزهري وعمق الفكرة ونضجها لدى الإمام ابن باديس الجزائري ، الذي يتبين لي من خلال آثاره ونظراته للولاية في الإسلام أنه : "**ذو تفكير أصيل قلما تميز به معاصروه من الإصلاحيين**" .

كان العثمانيون يعتبرون ماضيهم يتطابق مع ماضي الإسلام وهي ظاهرة عادية إجمالا ، إلا أن الكماليين لم يكتفوا بإنجازات عسكرية ودبلوماسية لإزالة عار عام 1919م . فاعتقدوا أنه من الضروري إنشاء تركيا لا علاقة لها

(1898- 1935) حوليات الجامعة التونسية العدد 4 . ص : 131 وما بعدها .

(1) رغم المآخذ التي تظهر على كتاب (الإسلام وأصول الحكم) ، فإن صدوره قد أثار معركة فكرية كبيرة ولكنها أقبرت أطماع الملك فؤاد في منصب الخلافة ، وهو نفس الدور الذي قام به عبد الحميد بن باديس مع الفارق الزمني وفهم المسائل المتعلقة بالنظام السياسي الإسلامي ، فلما ثارت مسألة الخلافة من جديد في عهد فاروق كان لابن باديس موقفه الشخصي من أن الخلافة قد ذهبت ولن تعود وقد تحقق رأيه وموقفه إلى اليوم . بخصوص هذه المسائل راجع : الإسلام وأصول الحكم - دراسة ووثائق بقلم د/ محمد عمارة المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت 1972 ص : 7 ، د/ يوسف مناصرية ، الحزب الدستوري التونسي (1919- 1934) دار الغرب الإسلامي بيروت 1988 م ص 216 .

Le congre Islamique du Caire pour le KHALIFAT (AFRIQUE Française). 35eme année N ° = Mars 1925 PP. 133 - 135.

بالإمبراطورية العثمانية وبماضيها الإسلامي .

وقد كان الأتراك عام 1931م يقيمون خطا فاصلا مع ماضيهم الإسلامي . ويكتشفون لأنفسهم مجددا هوية آسيوية ، وتبدو الكتابات المدرسية في عصر كمال أتاتورك بصورتها العلمانية المعادية للإسلام والمحرفة لأخباره والمعادية للعرب والموسوعة المدرسية[1] لإصلاح التاريخ التركي لو وقعت بين يدي الإمام عبد الحميد ابن باديس لكفته حتى يغير موقفه من "**أعظم رجال الشرق**" كما نعته وعلل تعليله بكثير من البلاغة التي لا يستحقها هذا "**الرجل الصنم**" الذي قطع الجسور الممتدة بين الأرومتين العربية والتركية ، ولا تزال إلى اليوم أطروحات الكتابات التاريخية التركية معادية للعرب بارزة للعيان رغم مرور العقود الكثيرة على هذا الانقطاع الخطير الذي أصاب الأمة في العمق .

أما بقية الآراء والأفكار التي جاد بها يراع الإمام ابن باديس حول زعماء العرب ورجال الأزهر وحكومة مصر الطرقية فلن أعلق عليها ؛ لأن الرجل من الثائرين في عصره على الظلمة وأصحاب البدع وأحلافهم من الطرقيين والقبوريين ، وهي ركن الزاوية التي تقوم عليها ثورة الإمام في الجزائر في الثلاثينيات .

وخلاصة القول : إن الإمام عبد الحميد بن باديس المسلم الثائر والرجل القرآني شخصية ملتزمة بخطها الفكري ، وهو مصلح ، صاحب نظرة مستقبلية تنبئ عن إخلاصه لدينه وعروبته ، وجزائريته وانتمائه إلى أمة شريفة تعيش في عصره السقوط الحضاري ، والغزو الفكري ، والاستلاب الطرقي والتخلف

---

(1) حول النظرة الكمالية للعرب والإسلام انظر : إتيان (كوبون) ، صورة العرب والإسلام عند الأتراك ، (مجلة شؤون الأوسط) العدد 31 - مركز الدراسات الاستراتيجية ، بيروت 1994 ، ص ص : (9- 25) رشيد رضا ، الخلافة ، ص 163 ، 236 .

الاجتماعي والثقافي والاقتصادي ، وهو ذلك الرجل الذي مد الجسور ومتن الحبال التي ربطت بين جيل عصر الإصلاح والتنوير ، وجيل النصر والتمكين ولكن بعد استقلال بلاده الجزائر كعبة المجاهدين قطعت الحبال ونسفت الجسور[1] . فهل نقدر في هذا الزمن الرديء أن ننصف الرجل ، ونقرأ دوره العلمي في بناء هذه الأمة ، أم علينا أن نسكت ، سكوت الجبناء عبيد الدرهم والدينار ، الذين ركنوا إلى الأرض ، واستسلموا للعبودية ، أين نحن من أشواق ابن باديس للحرية ، وأين نحن من هذا الرجل الرسالي وقضايا العرب والمسلمين ؟

لقد كان الإمام عبد الحميد بن باديس أمة تجلت في شخص الإمام فتحدث عن آلامها وآمالها وعبر عن مأساة فلسطين ونبه الأمة إلى الخطر الصهيوني المتربص بالأقصى ، وناضل من أجل التضامن الإسلامي ووحدة العرب ، ونافح بقلمه عن القضايا العادلة في العالم ، ورد على تخرصات المستشرقين وغلاة المستوطنين الاستعماريين المتعصبين فهل أنصفنا الرجل الذي التزم بالآية القرآنية : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد : الآية : 11] . فرحمة الله عليك أيها الإمام في الخالدين واجتباك الله إلى جانبه مع الصالحين .

---

(1) وردت هذه العبارة في مراسلة خاصة بين الدكتور أبي القاسم سعد الله من جامعة آل البيت بالأردن إلى الأستاذ : محمد الهادي الحسني رئيس تحرير مجلة الموافقات بتاريخ 19 ديسمبر 1996م يدعو فيها الأستاذ سعد الله إلى ترك الإمام ابن باديس وشأنه لأننا لا نقدر الرجل قدره وهذا طبعا حينما استكتبه ليشارك بمقال أو دراسة في الملف الرئيسي الخاص بالإمام الرسالي عبد الحميد بن باديس رحمه الله .

ثالثا: العلم الوطني الجزائري الحالي
قراءة في مسار الحركة الوطنية

مدخل عام:

الرايات والبنود والألوية والأعلام كلها من شعارات ورموز الدول عبر التاريخ الطويل للأمم ، منذ أن عرفت الجزائر العدوان الفرنسي تجددت أعلام الجزائر بين الأمير عبد القادر وأحمد باي قسنطينة وحركة الأمير خالد ، وكانت هذه الأعلام تعبر عن شعارات ومفاهيم يسعى من خلالها أصحابها العمل على إبراز الشخصية المميزة للجزائر .

ولن أدخل في مسارات ودروب ومتاهات تبعدني عن حقيقة المداخلة حول الغاية من رفع الراية كما فكر فيها الجيل المؤسس للراية الجزائرية ، وهذا من خلال : "**العلم الوطني الجزائري الحالي قراءة في مسار الحركة الوطنية**" .

إن بدايات تشكل العلم الوطني بشكله الحالي قد عرف تحويرات وتغيرات جد طفيفة من حيث الألوان وشكل الهلال والنجمة .

وحسب الشهادات التي تمكنا من الحصول عليها من الأحياء أو الشهادات المكتوبة ، فإن البدايات الأولى لظهور العلم الجزائري يعود إلى حركة نجم شمال إفريقيا وبين أحضان الهجرة الجزائرية ، التي كانت تمثل أكبر الهجرات من مناطق المستعمرات الفرنسية في أرض المتروبول ، وقد كان الغرباء المضطهدون التي

جمعتهم هموم العمل السياسي والنقابي هم الجزائريون والسوريون واللبنانيون والفيتناميون وغيرهم من بؤساء الظاهرة الاستعمارية العنصرية .

وكانت مشاركة النجم السياسية قد دعته قيادته لصنع العلم الخاص به في مطلع سنة 1934م حيث تطلب أن تكون له راية مستقلة عن رايات السوريين والفيتناميين وغيرهم من الجنسيات ، فكان أول ظهور للعلم خلال التجمعات التي يقيمها النجم في باريس هي راية خضراء بنجمة وهلال باللون الأبيض وظلال حمراء[1] .

كما كان مناضلو نجم شمال إفريقيا إذا تظاهروا تراهم يحملون العلم الأخضر في شوارع باريس بما في ذلك الراية السورية ، وفي 2 أوت 1936م عاد مصالي الحاج برفقة عائلته إلى الجزائر حيث أدى معركته الشهيرة مع نخبة المؤتمر الإسلامي ، وكان أعضاء النجم وحراس مصالي الحاج في ملعب العناصر يحملون شعارات على زنودهم بيضاء وخضراء[2] ومعظم مناضلي النجم ، ثم فيما بعد حزب الشعب الجزائري يلبسون ربطات عنق خضراء أو يغلب عليها اللون الأخضر تميزا لهم عن بقية السياسيين والمناضلين من الأحزاب الأخرى ، ولا أملك نصا يتحدث عن رفع راية النجم في الملعب الذي امتلأ عن آخره بالجزائريين الذين جاءوا يستمعون إلى ابن جلول وعبد الحميد

---

(1) Ali Messali; les origines du drapeau national Algérien actuel vert blanc frappé d'une étoile et d'un croissant rouges, in centenaire de messali Hadj (1898- 1998).

(2) Mohamed Mestoul,souvenirs: messali Hadj à Alger en 1936 (Réflexions)' MESSALI HADJ (1898- 1998) parcours et témoignages, casbah éditions Alger 1998; P: 169 et suivante.

انظر كذلك شهادة السيد المناضل محمد قنانش ، شهادة سجلها الأستاذ مسعود كواتي بتلمسان أيام انعقاد الملتقى الوطني الأول للحضارة بتلمسان شهر ماي 1987م .

بن باديس ، فأفسد عليهم الزعيم مصالي الحاج خيبتهم السياسية ، وكان خطابه البرنامج وحفنة التراب الشهيرة هي التي رفعته على أكتاف الجمهور ، ورفعته إلى الواجهة السياسية في جزائر الأربعينيات ، وبعد عودة عائلة مصالي الحاج إلى تلمسان وكما جاء في مذكراته التي نشر الجزء الأول منها المؤرخ **بن يامين ستورا** ، قامت زوجة مصالي بخياطة راية جديدة يحتفل بها في المناسبات ثم تختفي الراية بين أعلام **سيدي بومدين الخاصة باحتفالات الزوايا والدراويش الذي كان يشرف عليها والد مصالي الحاج نفسه** .

كان أول ظهور لهذه الراية بالجزائر العاصمة في احتفالات 14 جويلية سنة 1937م ، حملتها مناضلة مجهولة من مناضلات حزب الشعب ، وبعد الاحتفال غابت الراية إلى الأبد ، ولما قبضت السلطات الاستعمارية على قيادة حزب الشعب يعتقد أن السيد معروف بومدين الذي أعلن عن اعتقال قيادة الحزب هو الذي أخفى الراية الخضراء راية النجم ، ثم حزب الشعب الجزائري الخضراء بنجمة وهلال بلون أبيض ، وحسب شهادة السيد المناضل **محمد قنانش** فإن العلم اختفى داخل "**مطرح**" لم يعرف له وجود إلى اليوم ، ولما كلف السيد أرزقي كحال بقيادة الحزب في غياب الزعيم مصالي الحاج مع قيادة الحزب في بربروس ، ثم سرعان ما أدخلته السلطات الفرنسية إلى جانب رفاقه من المناضلين وأصاب المناضل **كحال أرزقي** مرض سرعان ما توفي على إثره فحمل نعشه إلى بيت المناضل المرحوم **أحمد بودة بشارع سيرفانتيس ببلكور** ، وقررت حرم السيد **مصالي الحاج** أن يخرج نعش المناضل **كحال** أرزقي مسجى بعلم حزب الشعب ، ولذلك قامت السيدة مصالي بخياطة العلم وحمل النعش إلى مثواه الأخير مما استدعى الأمر إلى

حمل أغلب المناضلين إلى المساءلة في دار الشرطة[1] بحضور **مصالي الحاج** الذي أطلق سراحه لمدة 15 يوما من سجنه في بربروس، وما بين وفاة المناضل **آرزقي كحال** أصيل قرية قانزات بضواحي برج بوعريريج[2] إلى ما وقع لقيادة الحزب من نفي وحبس، وإلى غاية هذه الفترة اختفت الراية الخضراء، وبعد 1942 و1943 م إلى غاية ظهور السيد **الأمين دباغين الشاب الطبيب** المخلص لمبادئ حزب الشعب الجزائري وهو جيل جديد أو على رأس جيل جديد سيواصل مسيرة التيار الاستقلالي في الجزائر، وفي هذه الفترة والتي وقع فيها منع حزب الشعب بدأ مناضلو الحزب يتسربون إلى الحركة

---

(1) انظر : . Ali Messali; les origines du drapeau national Algérien, op - cit. P:

(2) أرزقي كحال (1904- 1939م) : من مواليد يوم 22 أفريل 1904م بقرية قنزات في جبال بني يعلى ولاية سطيف من عائلة فاضلة تدعى "أولكحل" التي أنشأته على الاستقامة، والجدية والنشاط وخدمة الوطن وقد تجلت هذه القيم السامية في مسيرته السياسية والوطنية مناضل نجم شمال إفريقيا منذ، 1932م، ولم يتوقف منذ هذا التاريخ عن الكفاح من أجل حرية الجزائر وكان عضو المكتب السياسي، رئيس اللجنة المركزية للحزب، الأمين العام للمالية في نجم شمال إفريقيا، كاتب عام لجنة تحرير جريدة الأمة لسان النجم، خلف مصالي الحاج في تسيير شؤون النجم بداية من شهر سبتمبر 1937م ألقت عليه السلطات الاستعمارية القبض وأودعته سجن بربروس في 25 فبراير 1938م مع "فيلالي أمبارك" و"لخضر حيواني" و"محمد قنانش" ويودع في سجن بربروس أين توفي به في 18 أفريل 1938م حسب رواية السيد محفوظ قداش . وتوفي في أحد مستشفيات العاصمة في 14 أفريل 1938م حسب رواية بن يامين ستورا .وكانت جنازته مناسبة للتظاهر وإعلان قوة الحزب في الجزائر حيث شارك ما لا يقل عن 15000 من المتظاهرين في حمل نعشه مسجى بعلم النجم إلى مثواه الأخير بقريته قانزات حسب رغبته، وكانت جنازته جنازة مشهودة حيث حضر الجنازة حوالي 1500 من مواطني قنزات وكل النواحي المجاورة، وقد ألقيت الخطب التأبينية حتى أجهش الجميع بالبكاء، وهذا ما ذكرته جريدة الأمة في أفريل 1939م .انظر :

- mahfoud Kaddache,histoire du nationalisme algérien (question national et politique algérienne tome II.S.N.E.D Alger 1980 p:537 note 33.
- Stora(B) ,Dictionnaire biographique de militants nationalistes Algériens (1926-1954) , L'HARMATTAN , Paris 1985,P:84.

السياسية القوية التي تمكن من تأسيسها السيد فرحات عباس بعد عودته من الخدمة العسكرية في غياب الإمام عبد الحميد بن باديس الذي مات منذ أربع سنوات وفي غياب مصالي الحاج الذي نفته فرنسا من الساحة السياسية ، وما بين 1944- 1945م بدأ التفكير العملي في العلم الجزائري الجديد .

العلم الجزائري الحالي المعتمد بين المسار التاريخي والأبعاد الحضارية:

لقد حاول فرحات عباس أن يكون الشخصية المحورية لقيادة الحركة الوطنية الجزائرية بعد مرحلة مطلع الأربعينيات التي كانت فيها الحركة الوطنية ما بين 1940- 1942 تفتقر إلى قيادة قوية ، فقد مات **الإمام عبد الحميد بن باديس** الذي كان محل تقدير الجميع تقريبا ، ودخل **مصالي الحاج** السجن والمنفى ، وفقد ابن جلول ثقة الجزائريين منذ ظهوره في الثلاثينيات **بمظاهر مترددة وشخصية غامضة** ، لهذا ظهر فرحات عباس في أفق الحركة الوطنية ليسد الفراغ السياسي الذي تركه غياب **ابن باديس ومصالي والعقبي وابن جلول** ، وهذا من خلال **حركة أحباب البيان والحرية** ، وهي المنظمة التي التف حولها الجزائريون بصورة ملفتة ، وما كانت سنة 1944 تنتهي حتى كانت الحركة الوطنية أكثر صلابة وأكثر وعيا وأعمق تجربة بالإضافة إلى أنها دخلت مع الاستعمار الفرنسي وإدارته في الجزائر عهدا من التحدي والمواجهة لم تعرفه من قبل ، وهو العهد الذي انتهى بمأساة 8 ماي 1945م[1] .

---

(1) الشاذلي المكي ، وطننا العربي (سكرتير حزب الشعب الجزائري يرفع إلى الجامعة العربية تقريرا عن فاجعة الجزائر في 8 مايو ويعلن مطالب الشعب الجزائري) جريدة مصر الفتاة) العدد 53 مصر 1947م ص : 13 . الشاذلي المكي ، حوادث 8 ماي 1945م أسبابها ونتائجها (محاضرة ألقاها الشاذلي المكي يوم 7 ماي 1974م بالجزائر العاصمة ص : 6 وما =

ولأن هذه الفترة وهذه المرحلة الحرجة في حياة الحركة الوطنية هي التي ستظهر فيها الراية الجزائرية الحالية ، حيث يتذكر السيد **شوقي مصطفاي** الذي كان أحد الأعضاء البارزين في قيادة حزب الشعب بمعية **محمد طالب ، عسلة حسين ، الأمين دباغين ، الشاذلي المكي** وكيف استطاعت الدعاية العنصرية التي قامت بها السلطات الاستعمارية بتحالف مع الحزب الشيوعي ، وهذا من خلال اتهام الحزب بالنازية والتحالف مع ألمانيا في إشارات إلى علاقة "الكارنة" (Le Comité d'Action Révolutionnaire Nord Africain (C. A. R. N. A) بالألمان منذ اتصال السيد **الطالب ياسين عبد الرحمن** بالألمان عام 1939م حيث عين مذيعا براديو برلين لكشف عنصرية الاستعمار الفرنسي في الجزائر ، وكانت "**الكارنة** ، تضم كل من **ياسين عبد الرحمن ، رشيد أوعمارة ، طالب محمد ، حمزة عمر ، فليتة أحمد ، مقيدش الأخضر**[1] .

هني محمد المدعو داقي(حيث كان يجتمع عنده جماعة الكارنة) موسى بولكروة مسعود عمار .

= بعدها . الشاذلي المكي ، الذكرى الثالثة لمأساة ماي 1945م القاهرة 1948م ص : 72 وما بعدها . انظر ترجمة المناضل الشاذلي المكي : حيث كان المسؤول الأول عن الشرق الجزائري في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الحركة الوطنية .

stora, Dictionnaire biographique de militants nationalistes Algériens (1926-1954) ,OP- CIT- P: 133.

انظر : شهادة الشاذلي المكي حول الكارنة واتصال الزعماء الوطنيين بالألمان وكيف عاملهم مصالي الحاج فيما بعد . مع العلم أيضًا وحسب الوثائق والشهادات أن الشاذلي المكي قد ترأس في مارس 1945م للحزب ، وفي هذا المؤتمر التاريخي الذي كان برئاسته وصلت عمليا مطالب الحزب إلى المطالبة صراحة باستقلال الجزائر كلية عن فرنسا وهو تطور نوعي في تاريخ الحركة الوطنية الاستقلالية .

mahfoud Kaddache , histoire du nationalisme algérien tome II p: 598.

(1) Ibid –p: 597.

لهذا قامت قيادة الحزب بتهيئة الأجواء بعد الهزائم التي لحقت ألمانيا وحلفائها أثناء الحرب العالمية الثانية ، كما اكتشف الجزائريون سوء نية الألمان حول القضية الجزائرية ومسائل شعوب المغرب العربي ، فقامت قيادة الحزب باختيار ثلاثة عناصر من نشطاء الحزب[1] . وهم"**شوقي مصطفاي ، حسين عسلة ، الشاذلي المكي**" من أجل إعداد مشروع العلم الوطني ، وهو العلم الحالي للدولة الجزائرية بعد استرداد السيادة الوطنية ، وقامت اللجنة المختارة بدراسة الرايات التي عرفتها الجزائر من عهد الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ ومرورا بأعلام الدولة العثمانية وأثناء مقاومة الأمير عبد القادر ، وكذلك علم نجم شمال إفريقيا ، وحزب الشعب الجزائري ؛ لذلك اتخذت اللجنة المكلفة كل احتياطاتها ـ في اجتماعاتها ما بين شهر مارس وأفريل 1945م بإعداد العلم الجزائري ـ جميع الاحتياطات المعبرة عن الشخصية الجزائرية بأبعادها الحضارية حيث إن فرضية إعداد العلم انطلق من هذا الفهم الذي يعكس الأبعاد العقائدية المشكلة للحزب والتطلعات نحو التقدم والسمو حيث كان اختيار اللون الأبيض معبرا عن السلم بين بني الإنسان والأخضر هو الصورة المعبرة عن روح العمل التي تتسم بها فلسفة الحزب ، أما الهلال والنجمة فتعبيرهما هو ارتباط المجتمع الجزائري بالدين الإسلامي ، أما من حيث الشكل فقد روعي التساوي بين اللونين الأخضر والأبيض بين قسمي المستطيل

---

(1) Dr,CHAWKI MOSTEFAI; Drapeau National, Précision sur un point d'histoire (EL- WATAN - dimanche 7 décembre 1997, P: 17.

انظر أيضا ـ الدكتور شوقي مصطفاي ، شهادة مسجلة بمنزله على الساعة التاسعة والنصف يوم الجمعة 02 أكتوبر 1998م . والشريط من التسجيلات الوثائقية والشهادات التي يقوم بتسجيلها الأستاذ خالد مكي ، نجل المغفور له المناضل الشاذلي المكي فله جزيل الشكر والعرفان .

انظر أيضا : Kiouane; moments du mouvement national (textes et positions) les éditions Dahlab ; Alger 1998 p: 116.

المشكل للعلم الوطني ويتوسط اللونين نجمة وهلال بلون أحمر ، كما روعيت في الألوان والمساحات الدقة المتناهية التي أشار إليها السيد **شوقي مصطفاي** ، ولما تم الإجماع على كل هذه المقاييس من طرف اللجنة المتكونة من **حسين عسلة ، شوقي مصطفاي والشاذلي المكي** سلم الرسم النهائي إلى السيد سماعي عبد الرحمن بالتعاون مع **سعيد عمراني**[1] أصحاب محل الخياطة الموجود بالطابق الثاني ، 18 شارع سوق الجمعة بالقصبة السفلى ، وهذا المحل جعله الشاعر مفدي زكريا تحت تصرف شريكه **محمد هني المعروف بداقي** ، وهو في حقيقة الأمر مكان اتصال الحزب من خلال المسؤول **سعيد عمراني** المكلف بهيئات الحزب على المستوى الوطني ، والذي بدوره يتصل بالقسمات في جميع القطر ليعلمهم بأخبار القيادة المركزية كما كان قد أعلمهم بإعداد الأعلام بالشكل والمقاييس المعتمدة في النموذج الأول وإعداده ليوم النصر وقد تأخر هذا النصر ، واحتفل الجزائريون بعيد العمال مساء فاتح ماي 1945م حيث كان أول ظهور للعلم الجزائري بشكله الحالي ، وكان حامله **غزالي بلحفاف** في مظاهرات شارع الشهيد العربي بن مهيدي "**شارع إيزلي سابقا**" وكان أول ظهور لهذا العلم الرمز بداية لأن يتضرج بدماء شهداء العاصمة البليدة وهران ، وبعد ثمانية أيام من هذا الحدث ظهر نفس العلم بسطيف وقالمة وقتل حامله في سطيف الكشاف الشهيد **بوزيد سعال**[2] ، وكان شهداء

---

(1) شهادة السيد : سعيد عمراني ، كان وزيرا لفترة من الوقت عاش في مدينة عنابة ثم كلف بإدارة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع التي كانت بمثابة المؤسسة القوية الجزائرية في ميدان النشر ، والترجمة أيام وزارة أحمد طالب الإبراهيمي لوزارة الثقافة والشهادة مسجلة بمنزله يوم 22 أكتوبر 1998م . من تسجيلات خالد مكي الوثائقية الخاصة بإعداد مذكرات والده الشاذلي المكي .

(2) بوصفصاف عبد الكريم ، حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي للقمع والتعذيب في ولاية =

هذا العلم الرمز هم : **غزالي بالحفاف** ، **أحمد بوغلام الله** ، **عبد القادر زيار عبد القادر قاضي بالجزائر العاصمة** ، **وبالبليدة محمد بن مراح وسعال بوزيد بسطيف وعلي عبدة بقالمة**[1] وغيرهم من شهداء القضية الوطنية . كما ظهر بالغرب الجزائري في فاتح ماي في مدينة **عين تيموشنت** ، وقد اعتمد الشكل الخاص بالعلم الذي ظهر في مظاهرات شهر ماي في صورته الحقيقية والعملية في مؤتمر الحزب"**حركة الانتصار للحريات الديموقراطية**" ببكلور ببيت مولود أم العين ، عام 1947م .

وحتى يأخذ العلم شكله النهائي ممثلا للإجماع الوطني ، فقد شكلت الحكومة المؤقتة لجنة أدبية وتقنية مشكلة من **بن يوسف بن خدة** رئيس الحكومة المؤقتة والسيد الحاج شرشالي مدير ديوان رئيس الحكومة ، والسيد : **مختار لعتيري** المهندس التونسي صديق الثورة الجزائرية خريج **المدرسة العليا المتعددة التقنيات** (**البوليتيكنيك**) **بباريس** لتثبيت الأشكال والمقاييس الدقيقة والألوان الثابتة وكذلك الابتعاد عن العمل الفردي والحزبي الضيق حتى يأخذ شكله الوطني النهائي وهذا في اجتماع الحكومة المؤقتة بتونس بتاريخ 3 أفريل

سطيف "1954- 1962" ، قسنطينة ، الجزائر ، مطبعة الشعب 1420هـ/1998م ص : 117 .
(انظر شهادة الأحياء الذين عاصروا الحدث وكيف استشهد المناضل بوزيد سعال" .

(1) يقول السيد : مختار خلالفة في شهادته يصف ماوقع في قالمة" (. . .) بينما كانت القوات القمعية تحاصرنا ، انطلق نائب محافظ الشرطة أشياري غاضبًا إلى مقدمة الموكب عندما شاهد العلم الجزائري ، فحاول انتزاعه من أيدي عبدة علي ، لكن هذا الأخير أبعده بذراعه ثم بلكمة إلى الوجه ، حينها أمر أشياري بإطلاق النار" . انظر :
Algérie actualités semaine du 11 au 17 mai 1989
نقلا عن حباسي شاوش ، أصول العلم الوطني الجزائري المعاصر ، تطوره الشكلي وتحليل مضمونه (الإيديولوجي والسياسي) الوطني (1518- 1945) مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة الجزائر ، معهد التاريخ ، العدد التاسع 1415هـ/1995م ص : 127 . هامش رقم : 78 .

1962م. وبعد الاستقلال مباشرة رسم واعتمد نهائيا بحكم القانون رقم: 63ـ145 الصادر يوم 25 أفريل 1963م.

إن هذا التطور التاريخي لهذه الألوان والأشكال التي لم تأت بشكل عفوي، هي رمز راية الشعب والدولة الجزائرية، والذي حملته صدور النساء وأيادي البراعم والرجال في كل المناسبات، وتحدى العلم الجزائري البوليس الاستعماري، وأصبحت ألوانه الظاهرة التي تعكس رائحة دماء شهداء الوطن، فلا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن ينكس العلم الذي رفعه **بلحفاف وسعال وعلي عبدة** وغيرهم من آلاف الشهداء الذين سقطوا حماية للدين والوطن أثناء ثورة التحرير الجزائرية المجيدة، فهو أمانة الأجيال الجزائرية الحافظة لرموز الأمة، فالغاية من رفع الراية هو رفع اسم الجزائر عاليا، شامخة من خلال البنود اللامعات الخافقات في الجبال الشامخات الشاهقات وعلى كل المؤسسات التي ترمز لسيادة الدولة والشعب الجزائري.

رابعا: مجازر فرنسا بالجزائر
خلال شهر ماي /1945م الجريمة والعقاب[1]

مدخل عام:

الثامن ماي 1945م مرحلة أساسية من أساسيات الذاكرة الجماعية للشعب الجزائري حيث أعطت هذه المرحلة نقلة نوعية في وعي الحركة الوطنية بالخطر الذي ترتب على جميع المستويات ؛ إذ تقرر بعد هذا "اليوم الحزين" تهيئة الظروف المناسبة للعمل المسلح والثورة الشاملة على الوجود الاستعماري[2] .

فعلى الرغم من البؤس الذي عرفته الجزائر منذ مطلع الأربعينيات من هذا القرن كما وصفته التقارير والدراسات المعاصرة من أمراض وأوبئة حصدت الآلاف ، إلى مجاعة أدت إلى بؤس شديد أدى بغالبية الجزائريين إلى أكل الأعشاب وشرب المياه العفنة ، كما كانت الجزائر منذ 1942م عرضة لاحتلال الحلفاء من

---

(1) الملتقى الوطني حول مجازر شهر ماي بين الماضي والحاضر ، مجازر فرنسا (خلال شهر ماي 1945م) بالجزائر ، الجريمة والعقاب . سطيف أيام 8/7 ماي 1999م .

(2) انظر : شهادة الأستاذ : الشاذلي المكي ، "إن انتفاضة 8 ماي 1945م هي مصيبة كبيرة للجزائريين ، فقد فقدنا الآلاف من شعبنا ، لكن بينت لنا أن الاستعمار لا يفهم إلا لغة السلاح والقوة ، ولكن قبل الوصول إلى مرحلة السلاح لا بد من تسليح الشعب فكريا ، نكون له روح الكفاح والتضحية ، فقد استعملت (الحركة الوطنية) تسع سنوات لتكوين الروح الوطنية والقوة والإيمان في الجزائر ومستقبلها واستقلالها ، فالحركة الوطنية رغم أخطائها إلا أنها كونت رجالا وهؤلاء هم الذين كانوا في المعمعة يوم أول نوفمبر 1954م . انظر ، شهادات حية عن أحداث 8 ماي 1945 إعداد : فوزية بوسباك ، مجلة الذاكرة ، السنة الثانية ، العدد الثاني ، المتحف الوطني للمجاهد الجزائر ربيع 1415هـ/1995م ص : 109 .

أمريكان وبريطانيين ومعهم أنصار فرنسا الحرة ، وعلى الرغم من ذلك فإن عهدا جديدا من الحياة السياسية قد بدأ في الجزائر أكثر حركية وأكثر همة[1] .

وعَدَّ المؤرخون الجزائريون أن مجازر شهر ماي 1945م حلقة من حلقات السلسلة الطويلة لعمليات الإبادة التي دشنتها فرنسا الاستعمارية منذ 1832م عندما قامت بعملية إبادة رسمية ضد مشاتي قبيلة العوفية في السادس أفريل من السنة المذكورة أعلاه ، والتي وصفها دي روفيقو : بشماتة المنتصر وصفا لا يليق بالشرف الإنساني ولا الشرف العسكري .

ولا يمكن أن ندرك أبعاد حوادث شهر ماي 1945م إلا بعد طرح إشكاليتين طالما عالجهما المؤرخون والسياسيون من أوجه مختلفة ، حيث تساءل كثير من الملاحظين عن حوادث ماي ، "هل هي ثورة فاشلة حاولها الوطنيون الجزائريون ضد الوجود الفرنسي في بلادهم ، فاستحقوا بذلك القمع الشديد الذي عانوه والدرس القاسي الذي أخذوه ، أو كانت مجزرة دبرها الفرنسيون ضد الجزائريين الأبرياء بينما كانوا يحتفلون بعيد انتصار الحلفاء الذي يرمز إلى انتصار الحرية والديمقراطية ؟"[2] .

---

(1) انظر : أوضاع الجزائر قبل أحداث الثامن ماي بصورة مركزة ومختصرة : الدكتور أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، 1930- 1945) ، الجزء الثالث ، الطبعة الرابعة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان 1992م ص : 189- 190 .

(2) لقد كانت هذه الأسئلة قد طرحت في الجامعة أيام تحضير شهادة الإجازة (الليسانس) في التاريخ بجامعة قسنطينة وأحدثت حركة ونقاشا حادا بين طرفين كانا يتنازعان قراءة أخبار تاريخ الجزائر ، فقد كان التيار الأول يتزعمه يساريون فرانكوفون ، والذي ينفي صفة العمل المنظم ، والإشارات الواردة في وثائق ومذكرات وشهادات الوطنيين من رجال الحركة الوطنية من بداية ظهور المنشورات الحائطية إلى دعوة عامة للوعي السياسي وبث النشاط والأمل في نفوس =

https://albordj.blogspot.com

والمتتبع للوثائق المعاصرة والتقارير الأجنبية والوطنية ، يدرك أن النقلة السياسية التي وصلت إليها الحركة الوطنية ممثلة في "**حركة أحباب البيان والحرية**" التي انضمت إليها معظم الأحزاب الوطنية والتي وجد **حزب الشعب وجَمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيها تطلعاتهم الوطنية والحضارية** ، و هذا بعد التحولات الكبرى التي طرأت على مسيرة فرحات عباس وحلفائه من دعاة المشاركة السياسية والتطلع إلى الإصلاح داخل دائرة مبادئ الدولة الفرنسية سليلة مبادئ ثورة 1789م ، وهو الخيال السياسي العقيم الذي أزالته مجازر الثامن ماي 1945م نهائيا من ذهن **فرحات عباس والجيل المتردد**[1] من كبار المناضلين الذين ما زالوا يراهنون على أساليب العرائض والبيانات المرفوعة إلى شخصيات فرنسية (**أمثال أغسطين بيرك**)[2] التي راوغت النخبة الجزائرية مدة طويلة ،

الجزائريين للثورة على فرنسا التي كانت تعيش مرحلة سياسية وعسكرية صعبة أيام الحرب العالمية الثانية ، وأما التيار الثاني الذي يتزعمه الوطنيون ، والذين تناولوا في حججهم أن أحداث الثامن 1945م هي عبارة عن قمة النضج السياسي للحركة الوطنية ؛ ولهذا كان هذا اليوم هو إفشال الفرنسيين لعمل سياسي وعسكري منظم هدفه الأسمى تخليص الجزائر من الاستعمار والتفاؤل الكبير بشعارات الحلفاء وحتى يتمكن القارئ الكريم من فهم أبجديات الصراع في هذه المرحلة انظر : الأستاذ : أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية الجزء الثالث ، المرجع السابق : ص : 227 . انظر : الشاذلي المكي ، حوادث 8 ماي 1945م أسبابها ونتائجها ، محاضرة ألقاها الشاذلي المكي يوم 7 ماي 1974م بالمركز الثقافي الإسلامي بالعاصمة .

(1) انظر : محمد الأمين بلغيث ، الإمام عبد الحميد بن باديس وأزمة التخلف الحضاري في الجزائر ، (مجلة الموافقات) ، العدد السادس ، المعهد الوطني العالي لأصول الدين ، الجزائر 1419هـ/1998م (انظر موقف ابن باديس من النخب الطرقية والاندماجية) . أبو القاسم سعد الله الحركة الوطنية الجزائرية ، الجزء الثالث المرجع السابق : ص : 223 .

(2) سعد الله ، نفسه ، ص : 211 . د . محمد العربي الزبيري ، الحركة الوطنية الجزائرية في

وأهدرت بذلك الفرص الثمينة التي كان بإمكان رجالات الحركة الوطنية استغلالها ، والعمل لإعلان المفاصلة مع فرنسا الاستعمارية نهائيا .

لقد حاول فرحات عباس أن يكون الشخصية المحورية لقيادة الحركة الوطنية الجزائرية بعد مرحلة مطلع الأربعينيات التي كانت فيها الحركة الوطنية ما بين 1940- 1942 تفتقر إلى قيادة قوية ، فقد مات الإمام عبد الحميد بن باديس الذي كان محل تقدير الجميع تقريبا ودخل مصالي الحاج السجن والمنفى ، وفقد ابن جلول ثقة الجزائريين منذ ظهوره في الثلاثينيات بمظاهر مترددة وشخصية غامضة ، لهذا ظهر فرحات عباس في أفق الحركة الوطنية ليسد الفراغ السياسي الذي تركه غياب ابن باديس ومصالي والعقبي وابن جلول ، وهذا من خلال حركة أحباب البيان الجزائري وهي المنظمة التي التف حولها الجزائريون بصورة ملفتة ، وما كادت سنة 1944 تنتهي حتى كانت الحركة الوطنية أكثر صلابة وأكثر وعيا وأعمق تجربة بالإضافة إلى أنها دخلت مع الاستعمار الفرنسي وإدارته في الجزائر عهدا من التحدي والمواجهة لم تعرفه من قبل ، وهو العهد الذي انتهى بمأساة 8 ماي 1945م .

ماي 1945م المجازر الفرنسية في الجزائر (سطيف قالمة خراطة):

لقد كان نشاط الحركة الوطنية ، يعود في أصله إلى النقلة النوعية التي قام بها أنصار" (أحباب البيان والحرية) ، والمطالب القوية التي تقدم بها أصحاب

= مرحلة النضج 1942- 1954 (مجلة الرؤية) ، السنة الأولى العدد الأول المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م الجزائر جانفي/ فيفري 1996م ص : 131 وما بعدها .

البيان التي رفضت الإصلاحات الفرنسية المعهودة والمتكررة والتي لا تحقق للجزائريين طموحاتهم المشروعة في الحرية والتقدم .

لقد خرج الجزائريون إلى الشوارع يوم الثلاثاء الثامن ماي 1945م وهم يعلنون لفرنسا الاستعمارية أن زمن العبودية قد ولّى ، وأن عصرا جديدا قد أطل في أفق الجزائر التي تحمل أبناؤها وأبناء المستعمرات الأخرى مسؤولية حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل وفقدوا الآلاف في جبهات الحرب في إيطاليا وفرنسا وغيرها من الجبهات أثناء مرحلة الصراع مع الفاشستية والهتلرية ، وتحمل أبناء المستعمرات ومنهم شعوب المغرب العربي عنتها ووحشيتها ، فكانت وحشية المعمرين وقوات الشرطة والجيش الفرنسي بالمرصاد منذ أن أخرج الجزائريون الأعلام الوطنية تعبيرا منهم عن شخصيتهم التي جاءوا للدفاع عن شرفها وإعلان مطالبهم في تحقيق مبادئ ميثاق سان فرانسيسكو ، وتحقيق أماني الشعوب في الحرية والديمقراطية ، وكانت إشارة بدأ **المجزرة في سطيف قد بدأت عقب إطلاق المحافظ أوليفيري** (Lucien Olivieri) النار في الهواء ، "وكانت تلك الطلقة بمثابة الإشارة التي جعلت رجال الشرطة والقمع يستعدون للقيام بعملياتهم القمعية على مختلف أجنحة موكب المتظاهرين في مدينة سطيف والذي قدر عدد أفراده بحوالي 15000 متظاهر ، وتجمع الموكب وقدم رجال الشرطة من كل مكان فقتلوا بوزيد سَعَّال حامل الراية الجزائرية وأحد حاملي الزهور ، واعترض المتظاهرون رجال الشرطة والمعمرين الأوروبيين فقتل منهم 29 شخصا ، ومنذ ذلك الحين بدأت العملية المدبرة في إبادة الجزائريين في **قالمة وسطيف وخراطة** ، واستخدم العدو كل الأسلحة البرية والطائرات والبوارج البحرية ، ونسفوا المباني ، وأحرقوا المشاتي ، وكانت عمليات الإبادة المعبرة عن حقد دفين

وعنصرية لا مثيل لها في تاريخ البشرية عنوان هذه المجازر التي ما زادت الجزائريين إلا تصلبا في مطالبهم وقوة في تقرير مصيرهم بأيديهم وبقوة السلاح ، لا بورقة انتخاب مزورة سلفا[1] .

(1) انظر : سير أعمال الإبادة الجماعية في الجزائر والأحداث التي سبقتها احتفالات فاتح ماي عيد العمال والشغيلة في الجزائر والبليدة وعنابة وتبسة وغيرها من مناطق الجزائر : أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، الجزء الثالث ، المرجع السابق : ص : 227 ، د/ علي تابليت ، من جرائم الاحتلال الفرنسي في الجزائر (مذابح 8 ماي 1945م) ، مجلة الذاكرة العدد الثاني السنة الثانية مرجع سبق ذكره ص ص : 55- وما بعدها . عامر رخيلة ، 8 ماي 1945م المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1995م (الفصل الثالث المتعلق بمجازر الثامن ماي والطرق والأساليب القمعية والإبادة الجماعية للسكان العزل في الأرياف والمداشر في قالمة وسطيف وخراطة ، وكذلك طرح الأستاذ عامر رخيلة الذي مفاده أن حزب الشعب الجزائري المنحل هو العنصر المحوري الذي كان وراء هذه العملية المنظمة وهي ثورة أجهضت في المهد) وإن كنا لا نوافق الباحث فيما ذهب إليه من استنتاجات فإن الفصل الثالث أكثر تفصيلا من حيث كرونولوجيا الأحداث مع الوصف الدرامي للمأساة الجزائرية في الأسبوع الدموي ، التي عرفتها منطقة الهضاب والشمال القسنطيني خلال الأسبوع الدموي) . انظر أيضا :

- Radouane Ainad Tabet , Le 8 MAI 1945 en Algérie (O. P. U. E. N. A. L parcours et témoignages) ,collection dirigée par: Mustapha MADI ; Alger Casbah éditions 1998. PP: 147- 168.

انظر أيضا : بنيامين سطورا ، مصالي الحاج (1898- 1974) رائد الوطنية الجزائرية ، ترجمة ، صادق عماري ، مصطفى ماضي ، الجزائر دار القصبة 1999م ص : (8 ماي 1945م الثورة الفاشلة) : ص : 189 . انظر مأساة الجزائر من خلال 8 ماي 1945م في الصحافة التونسية : مسعود كواتي ، حركة ماي 1945 الثورية في صحيفة النهضة التونسية ، (مجلة الرؤية) نشرة دورية تعنى بالثقافة والمعرفة التاريخية منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة وثورة أول نوفمبر 1954م . يمكن أيضا أن تعرف على انتفاضة الثامن ماي 1945م بمدينة عنابة وأحوازها كما شهدها الحاج عبد المجيد بوراوي ، شهدة منضال من حزب الشعب حول الثامن ماي 1945م بعنابة ضمن كتاب المجاهد إبراهيم العسكري ، لمحات من مسيرة الثورة التحريرية الجزائرية ودور القاعدة الشرقية ، قسنطينة ، الجزائر ، دار البعث ، 1992م ص : 64 وما بعدها .

Mekki Khaled, Il y a dix ans Chadly mekki (1913- 1988) ,Journal liberté Algerie Mardi 15 septembre 1998 p: 11. 6

مجازر ماي 1945م، والأسبوع الأسود بين الإبادة الجماعية وحقوق الجزائريين في محاكمة القتلة:

لقد كانت المجزرة كبيرة لا يمكن تصورها في العقد الخامس من القرن العشرين ، حيث اتضح للساسة الاستعماريين أن عصر الإمبراطوريات قد انتهى ، وأن مبادئ سيادة فرنسا على ممتلكاتها فيما وراء البحار قد بدأ نجمها يعرف شروقا غير ما توقعته "فرنسا المنتصرة" كما يحلو للجنرال العجوز (شارل ديغول) أن يسميها وهو الشاهد والمسؤول الأول عن جرائم الثامن ماي 1945م في الجزائر والمسؤول عن جرائم جنرالاته الجبناء في مرحلة عودته إلى السلطة (1958 - 1962م) .

إذا عدنا للحديث عن أعداد القتلى في مذابح "مغول القرن العشرين" فنجد الوثائق الرسمية الفرنسية والتقارير الأجنبية تتباين في تحديد أسباب الإبادة وأعداد القتلى **الأوروبيين والجزائريين** ، وقد اختلفت أرقام وإحصائيات **الجامعة العربية** وأرقام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبقية أحزاب الحركة الوطنية ، وقد أجمع المؤرخون استنادا إلى تقارير رجال الحركة الوطنية على تحديد ضحايا الإبادة ومجازر عصابات الإجرام من غلاة المعمرين وجبناء الجيش الفرنسي ـ الذي دخلت عليهم القوات النازية إلى باريس بالموسيقى العسكرية بعد تحطيم تحصيناتهم الهشة ـ في خط ماجينو ـ قلت : فقد أجمع رجال الحركة الوطنية على قتل 45 ألف شهيداً من ضحايا الأسبوع الدموي ، حيث استخدم غلاة الاستعمار شتى أنواع التقتيل والإعدام والحرق ، وقد توالت أيام المجزرة الرهيبة حيث تفنن فيها أحفاد بيجو وكلوزيل ودي روفيقو وغيرهم في قتل المواطنين الجزائريين العزل والتمثيل بهم ، حيث أحرقوا

الأحياء بعد جمعهم بالعشرات ورشهم بالبنزين في حظائر بيع الحيوانات، وبقروا بطون الحوامل على رهان زجاجة خمر بين جنديين، إن كان ما في بطن الحامل ذكرا أم أنثى، وألقوا بالشيوخ من أعالي الطائرات، كما رشوا آلاف الجثث بالجير حتى لا تؤذي الأوروبيين وتركوها أياما وليال على أرصفة الطرقات لتكون عبرة لمن بقي حيا من الجزائريين، ولتكون مسرة وابتهاجا لحثالات الأوروبيين، وهكذا أسفرت حوادث الثامن ماي 1945م التي شملت القطر الجزائري، أسفرت بعد 15 يوما عن قتل 89 أوروبيا بعضهم قتل بأيدي أوروبيين سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، وما يقرب من 45 ألف مواطن جزائري لقوا حتفهم في عمليات القمع والقتل والإبادة الجماعية، كما اعتقل 5000 مواطن، وهناك المشاتي والقرى التي لم يبق منها إلا الدخان المتصاعد، وكانت هذه المجازر من إمضاء كل القوات الفرنسية العامة في الجزائر وعلى رأسها قوات اللفيف الأجنبي.

إن مجازر الثامن ماي 1945م التي تركزت أساسا في مناطق قالمة وسطيف وخراطة لم تنه روح المقاومة لدى الشعب الجزائري، بل كانت بداية مرحلة جديدة أُعيد خلالها النظر في الاستراتيجية وفي وسائل العمل والكفاح للمرحلة المقبلة.

ويمكن حصر النتائج الإيجابية في ظهور جيل جديد شاب عركته المحنة والمأساة يرفض أسطورة الحضارة الفرنسية المتحررة والتحريرية التي كانت النغمة المفضلة لعدد من مثقفي الجيل القديم.

اقتناع الشعب الجزائري بأن تحقيق الاستقلال لا يمكن أن يكون إلا بالسلاح والسلاح وحده، وبذلك أصبحت دعوة الكفاح المسلح تجد سبيلها في

أوساط شباب ما بعد الحرب العالمية الثانية[1] .

وقال الأستاذ المغفور له الشاذلي المكي وهو أحد الذين ساهموا بصورة فعالة في الإعداد لحركة شهر ماي 1945م : "إن أحداث ماي وضحت الطريق للجميع"[2] .

وقد كانت ذكرى الاعتداء الفرنسي المسلح والبربري ضد الشعب الجزائري الأعزل مجال تذكير من رجال الحركة الوطنية وخاصة حزب الشعب في الجزائر والقاهرة ودمشق ؛ لأن استعراض وتعدد المآسي التي مر بها الشعب الجزائري شكلت أزمة ضمير لدى رجال الحركة الوطنية الذين عالجوا الأخطاء التي عرفتها كل الانتفاضات المباركة والأساليب التي سحقت بها إلى حين إعداد الأمة والشعب والرأي العام المحلي والإقليمي لما يعرفه هذا الوطن من مأساة كان ولا يزال سببها المباشر فرنسا الاستعمارية[3] .

---

(1) انظر : يوسف فرحي مؤسس أسبوعية الجزائر الأحداث : الثلاثاء 8 ماي 1945 - الثلاثاء 8 ماي 1990 الذكرى 45 (كيف ننسى من تمثل مقابرهم ذاكرتنا) ترجمة ج حفوقة (مجلة المجاهد الجمعة 4 ماي العدد 1552 الجزائر 1990م ص : 6- 7 . حسن بومالي 8 ماي 1945 منعطف حاسم (مجلة المجاهد) العدد 1500 الجزائر 5 مايو 1985م ص : 8 .
Mekhaled Boucif ,Chronique d'un massacre. 8 MAI 1945 (éditions SAYROS) PARIS 1995.
انظر ، الدكتور مخالد بوسيف ، الثامن ماي 1945م والذاكرة الجماعية للجزائريين (عرض وتعليق : محمد الأمين بلغيث) أسبوعية الحدث لصاحبها أحميدة العياشي الجزائر الأسبوع الثاني من شهر ماي 1995م .

(2) انظر : شهادة الشاذلي المكي : شهادات حية عن أحداث 8 ماي 1945م) (مجلة الذاكرة) مرجع سابق ، ص : 109 . انظر أيضا مجازر 08 ماي 1945م لم تكن قطعة قماش (الخبر الأسبوعي) السنة الأولى ، العدد 09 من 05 إلى 11 ماي 1999م ص : 15 .

(3) الشاذلي المكي ، وطننا العربي (سكرتير حزب الشعب الجزائري يرفع إلى الجامعة العربية تقريرا عن فاجعة الجزائر في 8 مايو ويعلن مطالب الشعب الجزائري) جريدة مصر =

أحداث شهر ماي 1945م (الجريمة والعقاب):

إن من أفظع جرائم الدولة الإبادة الجماعية ، إن المسؤول الأعلى عن كل إبادة جماعية هي الدولة التي وقعت فيها الجريمة وتحت مسؤوليتها ، فهذا ما قررته محكمة الشعوب الدائمة المنعقدة بباريس في أفريل 1984م ، فما هو حظ مرتكبي الجرائم والأعمال الوحشية والإبادة الجماعية ضد الجزائريين وكما تثبت الشهادات التاريخية والوثائق الحية ، فهل وجد الضحايا من محكمة الشعوب إنصافا وعدلا وهذا باعتراف الدولة الفرنسية سليلة الثورة الفرنسية وقانون المواطنة وحقوق الإنسان ، فهل من حقنا كجزائريين ومؤرخين أن نطالب بحقوق الضحايا المادية والمعنوية ، من السلطات الفرنسية الحالية ، أم ننسى أننا قد خنا ذكرى هؤلاء الشهداء ولم ننصف العدالة والحقيقة التاريخية بمحاكمتنا للمجرم أي كان . ؟ ؟ .

= الفتاة) العدد 53 مصر 1947م ص : 13 . الشاذلي المكي ، حوادث 8 ماي 1945م أسبابها ونتائجها (محاضرة) : 6 وما بعدها . انظر : أيضا أحداث سطيف الدامية في مذكرات القانوني الكبير والمناضل وصديق الثورة الجزائرية وشاهد العصر الأستاذ الدكتور توفيق محمد الشاوي ، مذكرات نصف قرن من العمل الإسلامي (1945م- 1995م) الطبعة الأولى ، دار الشروق ، القاهرة 1419هـ /1998م ص : 19 وما بعدها . االنظر القراءات الأمريكية والإنجليزية لحوادث شهر ماي المأساوية بصورة مفصلة من خلال مجلة الجيش الأمريكي وغيرها من المصادر الأمريكية : الدكتور أبوالقاسم سعد الله الحركة الوطنية ، الجزء الثالث ، ص : 242 وما بعدها . سعد الله (أبو القاسم) ، انتفاضة 8 مايو 1945 (أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر) ، الجزء الرابع ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان 1996م . ص : 99- 113 . انظر أيضا :

REMAOUN Hassan, Les événements du 8 MAI 1945 en Algérie, 50 ans après: entre la mémoire et l'histoire; le cas des manuels scolaires (algériens et français) Réflexions (ouvrage collectif) (Méssali Hadj- 1898- 1998)

القسم الثالث

الثورة الجزائرية المباركة

أولا: تسليح وتموين الثورة الجزائرية بعد مؤتمر الصومام[1]

الثورة الجزائرية وقضية التسليح بعد مؤتمر الصومام:

لقد كان مؤتمر الصومام مرحلة جديدة من مراحل تطور الثورة الجزائرية ، ولكنه كان مؤتمرا مثيراً للخلاف في كثير من نقاطه ، ومن القرارات الهامة التي انبثقت عنه : أولوية الداخل على الخارج ، وأولوية السياسي على العسكري .

اعتراف المؤتمر بمكانة الريف ومن ورائه الفلاح الجزائري الرافد الأساسي للثورة ، وبالتالي تطلعه إلى العمل الثوري والعدالة الاجتماعية .

تنظيم وتأطير الثورة من خلال التوزيع الإداري وإحداث الرتب العسكرية وإقامة إدارة عصرية وقانون داخلي للجيش الوطني الشعبي .

إلا أن ما كان يخفي مؤتمر الصومام هو تهيئة الأجواء للتفاوض مع العدو قبل نضج الثورة وتحقيق أهداف الفاتح من نوفمبر 1954م ، وكذلك عدم النظر إلى أن أغلبية الرواد والقادة الثوريين العسكريين اقتنعوا بأن الثورة ستطول ، وأن العدو لن يتوقف ولن يسلم بكل سهولة بعد قرن وثلث القرن من الاستعمار إلا أن بعض الانتهازيين في الداخل والخارج كانوا يرون عكس ذلك وأن الحرب ستنتهي بعد سنة أي : في مطلع سنة 1957م .

لقد كان هذا التيار الانتهازي هو الذي هيأ الأجواء والتنظيمات العمالية

---

(1) ملتقى "قوافل تمويل الثورة التحريرية بالسلاح" وادي سوف . 19 - 20 مارس 1999م . تسليح وتموين الثورة الجزائرية بعد مؤتمر الصومام .

والطلابية والاتحادات المستحدثة والمشكلة قبل المؤتمر حيث إن "التيار قد كرس نشاطه قبل وأثناء المؤتمر لتفضيل أولوية السياسي على العسكري والداخل على الخارج، هدفه الأول والأخير القضاء على الثوريين الحقيقيين وفي طليعتهم جيش التحرير الوطني صانع أول نوفمبر، وتكريس فكرة التفاوض ومسالمة المعتدلين، مع العلم أن عبان رمضان وهو الذي اقترح فرحات عباس الذي لا تزال كتاباته حتى بعد الاستقلال تدينه إلى أبعد الحدود والمرفوض نضاليا وثوريًّا، وكذلك الشيخ عباس ابن الشيخ الحسين، وقد أصبح مع فرحات عباس عضويين أساسيين في مجلس الثورة وقد كان فرحات عباس قد ندد بهجومات الشمال القسنطيني 20 أوت 1955م الصفحة المشرقة في تاريخ الثورة والتي لولاها ما كان مؤتمر الصومام ولا تدويل القضية الجزائرية وشمولية الثورة عبر الوطن ؟"[1].

إن التطورات العسكرية التي كان لجيش التحرير الجزائري فيها تأثير فعال وحاسم منذ مطلع سنة 1956م والذي برهن على مدى قوة هذه الثورة وهو ما اعترفت به القيادة الفرنسية نفسها، ففي بلاغ حربي صادر عن القيادة الفرنسية بتاريخ 11مارس 1956م أعلن أن بعض كتائب جيش التحرير: "تمكنت في الفترة المتراوحة بين 2 و8 مارس 1956م من قتل 59 من جنود القوات الفرنسية المقاتلة"، وأن هذه التحركات تميزت بالدقة والنجاح مما جعل السلطات الفرنسية العسكرية تنتهج خططا جديدة، لأنها عرفت أن مبدأ

---

(1) علي كافي ؛ (مذكرات الرئيس علي كافي) من المناضل السياسي إلى القائد العسكري (1946- 1962)، الجزائر، دار القصبة للنشر 1999م ص: 102- 103. بسام العسلي، جيش التحرير الجزائري، (سلسلة جهاد الشعب الجزائري)، دار النفائس بيروت 1984م ص: 65.

الاعتماد على التفوق العددي لا يجدي : "وعلى هذا فقد دأبت على توزيع قواتها المحاربة على شكل كتائب صغيرة حتى تكون أكثر قدرة على حرب العصابات والقيام بالعمل المستمر" .

إن أسلوب القيادة الفرنسية ساعد جيش التحرير فقد كانت ملائمة واستراتيجية الكمائن المركز عليها ، حيث تمكنت وحدات جيش التحرير الجزائري من إحداث عدة ثغرات في الخط المكهرب الممتد على طول الحدود الجزائرية التونسية[1] لكن القيادة الفرنسية أحجمت عن الاعتراف بذلك ، لكن شروعها في تجديده وبناء أقسام منه يؤكد ذلك .

إن النشاط المتزايد للجيش الجزائري جعل مخاوف السلطات العسكرية الفرنسية تتضاعف وهو ما أعلنه وزير الجيوش الفرنسية في شهر مارس أثناء رحلته في الجزائر : "من أن القادة العسكريين قد أعربوا له عن حاجتهم الملحة إلى المزيد من النجدات ، وذلك نظرا لاشتداد الهجمات العسكرية لقوى الثورة ، وتناقص عدد الجنود الفرنسيين ، وازدياد الأعباء التي يقتضيها كل ذاك" ومن جهة أخرى فإن العسكرية الجزائرية لما علمت أن إمكانياتها الحربية غير كافية فكرت في استيراد الأسلحة من خارج الدائرة التقليدية المعروفة "وهو ما أكدته جريدة" الأوبسيرفاتور "من حيث إن الحكومة الجزائرية تفكر في استيراد الأسلحة من الصين الشعبية"[2] .

---

(1) صلاح العقاد ، الجزائر المعاصرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة 1963م ص85 .

(2) انظر : شهادة السيد : دحو ولد قابلية ليلة 27 رمضان المعظم 1420هـ بمناسبة انعقاد سهرة فريدة من نوعها تكلم فيها شهود صنعوا أحداث "المالق (M. A. LG) ، وهذا بمناسبة وفاة عبد الحفيظ بوصوف المدعو المبروك (27 ديسمبر 1980- 27 ديسمبر 1999م) . انظر أيضا الحوار الصريح بين عمارة بوقلاز والصحفي المصري السيد حسين شعبان حول =

بالإضافة إلى ما أعلنته إحدى اليوميات الباريسية "من احتمال تدرب فريق من الشبان الجزائريين على الطيران الحربي في بعض الدول الصديقة، وذلك لحساب الجيش الوطني الجزائري". **هذا الأمر يؤكد اتساع آفاق العسكرية الجزائرية، وبأنها أصبحت في مرحلة أكثر قوة وتنظيم، وهو ما ضاعف قلق الاستعماريين**: "مما حذا بحكومة باريس إلى مطالبة الحلف الأطلسي الإشراف على أسطولها العامل في مياه البحر الأبيض المتوسط، وكذا إيثار صحراء المغرب العربي كمجال لإجراء التجارب الصاروخية والذرية المتتابعة".

إن انتشار **الثورة الجزائرية**، وصل المناطق الشرقية **مما جعل** فرنسا تقوم بإرسال مسؤوليها في زيارة إلى المنطقة: "**لكن ما حدث عكس ذلك، فاستشهاد البطل عميروش لم تكن له آثار سلبية على سير العمليات الجهادية في المناطق الشرقية الجزائرية، خاصة منطقة القبائل الكبرى بل على العكس تطور سير الوقائع العسكرية مما جعل الجنرال "لافو" يقوم بزيارة إلى الجزائر شخصيا لدراسة الحالة بدقة واتخاذ جميع الإجراءات اللاَّزمة والضرورية لمواجهة هذه الأزمة**".

إن عدد القتلى في صفوف الجنود الفرنسيين عرف ازديادا كبيرا بحيث أكدت الأخبار الحربية الصادرة في أوائل أبريل: "**في مدة الفترة المتراوحة بين 7 و11 أبريل 1956م بلغ 172 قتيلا، بالإضافة إلى الكثير من الخسائر المادية الهامة**".

ويمكن تلخيص غايات هذه العمليات الحربية فيما يلي:

= السلاح وتموين القاعدة الشرقية، المجاهد إبراهيم العسكري، لمحات من مسيرة الثورة التحريرية الجزائرية ودور القاعدة الشرقية، دار البعث قسنطينة، الجزائر 1992م، ص: 215.

أولا : عمليات ذات أهداف عسكرية صرفة (**الحركات المضادة لتنقلات القوات الفرنسية وتخطيطاتها الاستراتيجية**) .

ثانيا : عمليات ذات غايات اقتصادية بحتة"حركات تستهدف عرقلة التقدم الاقتصادي داخل النظام الاستعماري الحالي" .

ثالثا : عمليات ذات أغراض سياسية خالصة "**الحركات المتصلة بعرقلة التنظيمات الانتخابية المزيفة**" .

فلقد كان لهذه العمليات تأثير كبير وبالغ حتى **على الأوساط** الزراعية الاستعمارية ، وهو ما أدى بها إلى عقد (أربعة من الجمعيات الزراعية الجهوية اجتماعا طالب فيه أعضاؤها المزيد من الحماية مهددين برفض الاستجابة للأوامر الحكومية إذا لم تتم ترضيتهم في ذلك) .

ومما زاد في انتشار الثورة هو الدور الذي لعبه الشعب في مساندة الثوار والوقوف بجانبهم مادياً ونفسياً ، وهو ما أعلن عنه فرحات عباس "**يتوفر على الاستعداد المادي والنفسي لمواجهة هذا الاحتمال العسكري الضخم**" .

وتحدثت الصحافة السياسية الأمريكية ما يتضمن تزويد القوات الجزائرية بأسلحة حربية من الصين : "**إن اتفاقيات مبدئية تمت بين حكومتي الجزائر والصين حول تزويد القوات الوطنية الجزائرية بأحدث فصائل الأسلحة والمعدات الحربية الحديثة ، ترقى قيمتها المالية إلى 25 مليون دولار ، وتضم كثيرا من معدات الميدان وغير ذلك من التجهيزات الحربية الضخمة**" . حيث تتحدث الروايات عن مساعدات مالية صينية في مرحلة متأخرة قد تصل إلى 25 مليون دولارا ، ولكن "**الحُمَّى المالطية**" **التي أصابت**

تأكد أخيرا ما تم له من نجاح في تدمير كثير من الأجزاء في **خط موريس** المكهرب وهو ما جعلها أي: القيادة الفرنسية تجبر على إعادة بنائه من جديد[1] وإعادة النظر في التخطيطات العامة المعتمدة من طرف الاستراتيجيين الفرنسيين في حربهم بالجزائر".

إن جيش التحرير يحتفظ بالكثير من المفاجآت: "**خاصة وأنه تأكد تدريب الشبان الجزائريين على الطيران في يوغوسلافيا، وهو ما يفسر ما قاله وزير جزائري من أن جيش التحرير يحتفظ بمفاجآت مذهلة للجنرال ديغول**".

وهذا ما يبرهن على قدرة المجاهدين الجزائريين على تسليح أنفسهم بأنفسهم، وهذا أيضا ما طرحته **أجهزة التسليح والتموين، حينما فكرت وعملت على إنتاج السلاح الجزائري الخالص.**

وحتى لا نبالغ فإن معركة الحدود الدامية كانت مأساوية من حيث أعداد الشهداء وهو ما استقيناه من شهادات المجاهدين، وكذلك ما كتبه أصحاب المذكرات عن دور جنرلات الحرب بالمنطقة الحدودية كما قرأنا

---

(1) لقد كان استشهاد البطل عميروش ورفيقه سي الحواس من الشخصيات الكبيرة التي فقدت الثورة فيهم رجالا مخلصين للخط الثوري لنوفمبر 1954م، ومما يستدعي التنويه أن البطل عميروش بثقافته العربية الإسلامية قد أهلته إلى مستوى كبير من فهم عقلية الشعب الجزائري في الريف والمدينة على حد سواء، كما كان من الأوفياء لمبادئ وقيم الأمة، حيث كان يشترط في من ينضم إلى كتيبته وجيشه أن يكون على علم بقواعد الجهاد الإسلامي، كما كان يشترط فيه أن يكون حافظا لصورة الأنفال التي تحدد أكام الجهاد والمجاهدين وحول ملابسات استشهاده انظر: شهادة أحد رفقاقه السيد محمد بوزيد المدعو بن ناصر المسجلة ببوسعادة يوم 21 نوفمبر 1995م (الرؤية)نشرية دورية تعنى بالثقافة والمعرفة التاريخية السنة الأولى العدد الأول منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م الجزائرجانفي فيفري 1996م ص: 211. انظر أيضا: علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي (من المناضل السياسي إلى القائد العسكري (1946- 1962)، الجزائر، دار القصبة للنشر 1999م ص: 123 وما بعدها.

في كتاب العقيد كالي (Callet) والجنرال فنيكسيم (Vanuxem) يعبر عن قسوة المعارك .

هل وصلت الثورة الجزائرية إلى مرحلة إنتاج السلاح ؟.

إن كل ما يمكن استخلاصه من كل ما سبق ذكره أن استمرار هذه الأوضاع الحربية القاسية وتطورها الخطير هو من أجل إقناع المسؤولين الفرنسيين بأن الأساس العسكري لحل المشكلة لا يجدي نفعا بل يزيد الأمر تعقيدا ، أما نتائج انتشار الثورة الجزائرية فيمكن تلخيصها في ثلاث نقاط هي :

أولا : إخراج الثورة من عزلتها ووصول صداها إلى كل أحرار العالم .

ثانيا : إفهام الشعب الفرنسي حقيقة الوضع في الجزائر .

ثالثا : تطويـر وحدات جيش التحرير الوطني وإيفاد البعثات العسكرية إلى الخارج .

إن هذه النتائج هي ما أكدتها بعض الدراسات الحديثة حيث : " **كان للثوار من وراء توسيع أعمالهم عدة أهداف منها لفت نظر العالم قبل انعقاد دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة... وفي هذه الحالة يمكن تأسيس حكومة مؤقتة تسارع بتدويل القضية الجزائرية... ومن أجل جذب أنصار جدد ، سواء بتخويف المترددين أو باستثارة بعض الفرنسيين في قلوب مواطنيهم وذلك بإظهار وحشيتهم في القمع**".

قال **فرحات عباس** في معرض حديثه عن عمليات جيش التحرير العسكرية : "**إن الثورات الشعبية العامة لا تتأثر مطلقا بالأساليب العسكرية أو غيرها**" . **فثورة الجزائر شعبية خططها وقادها الطلائع ثم تبناها واحتضنها**

الشعب من أجل تحقيق الانتصار ، فلا يمكن لأحد أن يقف في وجهها" .

وبعد هذا العرض لمجريات الأحداث التي كان يصنعها المجاهدون في الداخل فإنه لا يمكن أن ننسى الدور الكبير الذي قام به رجال قد لا نعرف عنهم إلا القليل لشح المصادر وغياب الشهادات الصريحة المدعمة بالوثائق والنصوص الحية التي تثبت تمكن جيش التحرير بمساعدة لجنة الاتصال والتنفيذ ثم فيما بعد وزارة الحربية أو لجنة التسليح والصناعة الحربية التي أُسندت مهمتها **لعبد الحفيظ بوصوف** ، ومما استقيناه من معلومات فإن هؤلاء الرجال قد تمنكوا من بناء شبه مصانع أو ورشات متكاملة وأشهرها " **مركز لخميسات**"[1] بالمغرب الأقصى حيث كانت الورشة المصنع تحت الأرض

(1) حول خط موريس الذي كانت تحرسه قوة عسكرية فرنسية دائمة تزيد عن 80 ألف من العسكر المدجج بالأسلحة والمعدات العسكرية الحديثة انظر :

Alistair Horne, A savage war of peace « Algeria" 1954- 1962 - London 1977 - p: 240

نقلا عن الأستاذ عبد العزيز بوكنة ، الاستراتيجية العسكرية الفرنسية (1954- 1957) من منظور بعض الكتابات الأنجلو ـ أمريكية ، (كتاب سلسلة الملتقيات) ، (الأسلاك الشائكة المكهربة) ، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول الأسلاك الشائكة والألغام) المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م الجزائر 1998م ص : 201 . علي كافي ، مذكرات الرئيس علي كافي ، ص : 221 .

وللتفصيل في السياسة الفرنسية ما بعد مؤتمر الصومام انظر : الغالي الغربي ، الاستراتيجية الفرنسية بعد مؤتمر الصومام ، (الرؤية) مجلة دورية تعنى بالثقافة والمعرفة التاريخية منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م العدد : 3 السنة الثانية الجزائر 1997م . ص : 73 . وما بعدها . انظر أيضا : حمدي أحمد ، مؤتمر الصومام ومفهوم الإعلام الثوري ، الإعلام ومهامه أثناء الثورة (كتاب سلسلة الملتقيات) ، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول الإعلام والإعلام المضاد ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م الجزائر 1998م . ص : 83 .

حتى لا تُكتشف من طرف الفضوليين أو رجال الأمن أو عيون الفرنسيين الذين شكلوا قاعدة لضباط الجوسسة[1] بداية من معركة الجزائر، واستطاعوا أن يدمجوا بعض الأسرى الجزائريين الذين تعرضوا لعمليات غسل الدماغ وسربوهم في شتى المواقع للتجسس على الفدائيين أو صناع أحداث معركة الجزائر الشهيرة وهو ما أدى كما هو معروف إلى اكتشاف مخابئ أبطال هذه المرحلة، وعملوا بعد ذلك على تطويق الأحياء التي كانت موطن عمليات الثورة داخل العاصمة أو "**المنطقة الحرة**"[2].

---

(1) استقيت هذه المعلومات من اليومين الدراسيين المخصصين للذكرى الثامنة عشر لوفاة السيد عبد الحفيظ بوصوف المدعو المبروك بمساهمة المتحف الوطني للمجاهد يومي 16، 17 ديسمبر 1998م، حيث تمكنا من الاستماع إلى شهادات رفاقه في جهاز منظمة الاتصال والتموين والتسليح، كما استفدت من شهادة الحاج محمد الصالح بوحوحو أحد مفجري ثورة أول نوفمبر بالشمال القسنطيني وهذا بمنزله بمناسبة انعقاد اليوم الدراسي المخصص لجرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر وآثارها النفسية يوم الخميس 11 مارس 1999م بميلة، يمكن أيضا مراجعة بعض المعلومات الخاصة بالتسليح وشراء الأسلحة وبناء المصانع وخاصة بعض الصور من خلال :

HERVE HAMON. PATRICK ROTMAN, Les porteurs de valises (la résistance Française à la guerre d'Algérie éditions Albin Michel Paris 1979: 210- 211.

يمكن مراجعة التسليح والتموين بل وصناعة السلاح بالمغرب الأقصى من خلال الحوار الهام للسيد عبد الصمد عيسى، والسيد محمد يوسفي، حديث مع الأخ المجاهد محمد يوسفي بمشاركة الأخ المجاهد عبد الصمد عيسى، مجلة الباحث، نشرة خاصة بالذكرى الخامسة والعشرين لاسترجاع السيادة الوطنية (عدد خاص، أحاديث حول التسليح في عهد الثورة التحريرية (1954- 1962) المديرية المركزية للمحافظة السياسية مصلحة التاريخ الجزائر جويلية 1987م ص : ((16- 78)) .

(2) عن هذه العمليات المنظمة لتكوين القوة الخامسة في أعقاب اشتداد " معركة الجزائر" انظر :

EL GHOUTI (Abdelkrim Hassani , Guérilla sans visage ,tome I les premiers réseaux O. P. U , E A. P ALGER 1988 P: 170 et suivante.

حسب الشهادات والوثائق المتوفرة لدينا فإن فرنسا راهنت أيام ديغول على تكوين الضباط والسياسيين الذين يمكن أن يشكلوا مرحلة الاختراق الحقيقي الذي يشكل تمييع الثورة =

وقد كانت هذه المنطقة الغربية قد تكفل بها السيد: "**بوداود منصور**"، بمساعدة رجال المقاومة المغربية، ثم التحق بهم المجندون الجزائريون فشكلوا خلايا هامة للتسليح من أسبانيا والمغرب، وعلى الخصوص من القواعد الأمريكية المتواجدة بالمغرب الأقصى[1]، وهو ما تثبته شهادات من صنعوا

= الجزائرية، ويمكن أن نستعين بشهادة الرئيس علي كافي في هذا الأمر؛ حيث إن القوة الثالثة كانت تتكون من عازم والي من بلاد القبائل، سيد قارة والعقيد سبان في وهران (مع العلم كما يذهب إلى ذلك الرئيس علي كافي أن زوجة سيد قارة كانت صديقة حميمة لزوجة ماسو بنشاطها الاجتماعي المزيف: نزع الحجاب، المساعدات الاجتماعية، إنشاء لجان خيرية.. إلخ"، الرائد مداني في العاصمة، الرائد بلمغار في قسنطينة بعض وجهاء الصحراء بتأثير العميل عبد العالي الأخضري، ويمكن تحديد الخونة كما تشير وسائل إعلام الثورة كالمجاهد والمقاومة خاصة علي شكال الذي اغتالته يد فدائي بالملعب الرياضي بجانب رئيس الجمهورية الفرنسية، وعميد مسجد باريس بوبكر حمزة، وعبد الرحمن فارس والعميل الضابط محمد غانم ومعمر ابن رائد جزائري عمل في صفوف العدو وغير هؤلاء، كما يضاف لهم الضباط المرابطون في ألمانيا الذي استعان بهم كريم بلقاسم في تحديث الجيش الوطني الشعبي، وكلهم يعبرون عن محاولة اختراق الجيش الذي وقف في وجه فرنسا الاستعمارية والحلف الأطلسي، كما يضاف إلى هؤلاء أزيد من أربعين ضابطا وصف ضابط انضموا للثورة في أيام انتصاراتها العظيمة ليشكلوا بذلك "اللّحقاء" الذين استولوا على ميراث الشهداء والمجاهدين الحقيقيين. انظر: علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي ص: 178- 256- 257- (يقول الرئيس علي كافي: (من المعروف أنه بين 1958- 1959 وفد حوالي40 (أربعين ضابطا جزائريا من القوات الفرنسية المتواجدة في ألمانيا وفرنسا، وهم الذين كانوا الداعين إلى جيش تقليدي، ولكن بعضهم كان يخفي السيطرة على الحكم، وهم الذين فضلهم كريم على ضباط جيش التحرير الوطني؛ إذ عين إيدير مولود رئيسا لمكتبه وهو الذي أعد ـ مع الباقين ـ هيكلة الجيش التي تقدم بها كريم في 19 جويلية 1958. تقضي بتشكيل 160 ألف جندي منهم 5 آلاف ضابط و16 ألف ضابط صف و25 ألف عريف. علي كافي ص: 257.

(1) يمكن مراجعة تفاصيل دور أجهزة اللاّسلكي وأعمال رجال هذا الاختصاص المهم في التخابر ونقل الأخبار أو في مساعدة الإذاعة الجزائرية وبثها المتنقل من خلال كتاب السيد عبد الكريم حساني انظر:

=

أحداث تهريب الأسلحة أو شراء هذه المعدات عن طريق السلطات المغربية، التي كانت في أحيان كثيرة تحرج المجاهدين الجزائريين لحاجة في نفس الساسة جيراننا بالجهة الغربية للتأثير على الثورة لتحقيق مصالح آنية من خلال التقارب الأمريكي المغربي[1].

وحتى لا أكرر ما هو مسطر في المداخلات حول تسريب السلاح من الجهة الغربية، فإنني سأكتفي بعرض موقع القاعدة الشرقية التي كانت أقرب المناطق إلى الشرق تونس، ليبيا مصر القاعدة الأساسية التي كان يأتي منها السلاح حيث وصلت إلى زوارة الليبية عن طريق مرسى مطروح الإسكندرية مئات الأطنان من الأسلحة بمختلف أنواعها إلى الجهة الشرقية بعد **مؤتمر الصومام** وهو ما تشهد به الوثائق المعززة للدراسات الحديثة والتي كانت تأتي بمساعدة ممثل الجزائر أحمد سليم، وكان ضباط الاتصال مع مصر قد تعددت أسماؤهم من **كريم بلقاسم**، **إلى عمر أوعمران إلى عبان رمضان إلى علي محساس**، **إلى محمود الشريف**، **ولكن منطلق العلاقات المصرية**

=

Elghouti Hassani Abdelkrim, Guérilla sans visages P: 191et suite.

Yousfi M'hamed, Les otages de la liberté les éditions MY- Alger p: 125 et suite.

(1) انظر : مواقف المغرب من خلال ولي العهد الحسن الذي لعب دورا كبيراً في تحجيم دور جيش التحرير المراكشي الذي كانت تربطه علاقات تاريخية مع رجال جيش تحرير المغرب العربي، وبقيت عناصر هذا الجيش وفية لمشروعه التحرري إلى أن تمكن العرش المغربي من تحجيم دوره كما هو مرسوم في سياسة العرش مع الثورة الجزائرية وثوار الجيش المغربي الذي كان هدفه عدم التخلي عن ثوار الجزائر ؛ لأن المعركة واحدة والعدو واحد والهدف مشترك، هو تحرير الشمال الإفريقي من الاستعمار وتحقيق المشروع الوحدوي بعيدا عن المظلة الفرنسية التي حاول بورقيبة طرحها على بعض المتخاذلين من السياسيين في الحكومة الجزائرية المؤقتة. انظر : فتحي الديب، عبد الناصر وثورة الجزائر، دار المستقبل العربي القاهرة 1984م ص : 99 وما بعدها .

الجزائرية منذ فجر الثورة كان أحمد بن بلا ضابط الاتصال، وهو يحظى بدعم مصر من خلال رجال المخابرات المصرية بالتنسيق المباشر مع جمال عبد الناصر، وتحظى هذه العلاقات المصرية الجزائرية أثناء الثورة بعلاقات متينة كانت فيها مصر قد وجدت لثورتها متنفسا في الأعمال البطولية الثورية التي يقوم بها جيش وجبهة التحرير، نظرا لمكانة مصر القومية في الشرق الأوسط من جهة ومن جهة أخرى كانت مصر تعمل على إبراز دورها القيادي في المنطقة في مواجهة المنطقة المشرقية التي تتعامل مع الغرب ولا تتجاوب مع السياسة المصرية المناهضة لحكام المنطقة، مما سهل على الثوار الجزائريين الاستفادة من الأوضاع والتحولات الدولية والصراع الاستراتيجي بين دول الغرب في الحصول على مكانة لهم إلى جانب القيادات والدول العظمى التي همشت القوى التقليدية القديمة فرنسا وبريطانيا لتحل محلهما منذ مطلع الخمسينيات.

وعانت الثورة من خطط الاستعمار وأعمال التطويق التي مارسها على الجبهتين الشرقية والغربية وهي سياسة واستراتيجية التطويق الجهنمية بخطي شال وموريس أو خطوط الاستشهاد كما كان يسميها المجاهدون.

لقد كانت **لجنة التنسيق والتنفيذ** منذ تأسيس الحكومة المؤقتة تعمل على كسب معركة اكتساب الثورة للسلاح فاستعانت بشبكات الجوسسة والاتصال الدولي واستخدمت كل وسائل المواصلات كالبواخر والطائرات واستعدت لكل المفاجآت والمناورات الدولية والإقليمية وكان تمرير السلاح إلى الداخل من المغامرات الخطيرة التي عانى منها المجاهدون وفقدوا الكثير من الشهداء قبل أن يتمكنوا من تقنيات العصر وهذا بعد سياسة فرنسا الجديدة من خلال

تطويق الحدود الجزائرية الشرقية والغربية إمعانا في القضاء على الثورة وخنق العمل المسلح وتطويقه حتى لا يجد السلاح اللازم لمواصلة كفاح ثورة شعبية عارمة شملت كل مناطق الوطن.

لقد استطاعت الثورة في مرحلة توسع عملياتها الحربية حيث بنت قواعدها في ليبيا من خلال ورشات لتصليح الشاحنات الثقيلة لنقل الأسلحة وصنعت "**البنغالور**" لقطع الأسلاك الشائكة المكهربة، كما وزعت ورشات صنع قطع غيار السلاح في أماكن متعددة تحسبا من البوليس الليبي المدعم بالقوات الإنجليزية، وتحسبا من عدوان الطيران الفرنسي عليها، كما صنعت علب الذخيرة وحاملات الرشاشات وتعديل كل الشاحنات العاملة على خط مرسى مطروح (مصر، الجزائر) ومما يستفاد أن السيد **عبد الحفيظ بوصوف** الذي عرف برزانته وتمكنه من ربط علاقات كبيرة مع العرب والأوروبيين الأسبان خاصة أنه كان في طريق إنجاز صناعة وطنية حربية جزائرية تغني الثورة في مرحلتها الأولى ثم تتمكن من تسليح نفسها في مواجهة مرحلة ما بعد الاستقلال؛ لأن جهاز التسليح والتموين الذي أشرف عليه **عبد الحفيظ بوصوف** كان يسعى وبمساعدة جهاز التصنت والتخابر الذي أكسبه تخرج دفعات عديدة من رجال اللاسلكي ورجال الشفرة ورجال الجوسسة والجوسسة المضادة بناء جهاز قوي دعم الثورة بشكل كبير وهو ما تثبته الدراسات الحديثة وشهادات الأحياء الذين استطعنا الاتصال بهم رغم امتناع هؤلاء الرجال عن التصريح بما كانوا يقومون به لصالح الأمة والوطن وخدمة لأهداف سامية نبيلة ساعدتهم خلال الثورة وبعد الاستقلال في النهوض بعالم المواصلات

والاتصال ، إلى غرار التحديات التي واجهت البلاد في بداية الاستقلال[1] .

المساعدات العسكرية الخارجية بين الواقع التاريخي والأهداف السياسية:

إذا تمعنا ما كنا قد أشرنا إليه في هذه العجالة التي ربما لا تشفي غليل الباحث بحكم طبيعة الأعمال المنجزة لحد الآن التي لم تخضع إلى اليوم ، إلى نقاش علني "**يؤدي إلى إرجاع ما لله لله وما لقيصر لقيصر**" ، فإنني أجد نفسي في دوامة من التناقضات التي تطرح مجموعة من الأسئلة على الباحث النزيه ، كيف تمكن رجال الحركة الوطنية من إيجاد شبكة من العلاقات القوية ساعدت الثورة الجزائرية بالمال والسلاح والدعاية الإعلامية ؟ فإذا تمعنا الدراسات الحديثة ، فإننا يمكن أن نقسمها إلى ثلاث مجموعات .

المجموعة الأولى : وتتمثل في الكتابات والوثائق العربية المشرقية وتحديدا كتابات رجل المخابرات المصري فتحي الديب الشخصية والبطل المحوري الذي إذا تمعنت في كتابه والوثائق المدعمة لكلامه كأنك تفهم من الوهلة الأولى "**أن الثورة الجزائرية**" نفذها أبطال الأوراس والونشريس وجبال جرجرة وباقي الوطن الجزائري والممول الرئيسي مصر جمال عبد الناصر بما يملك من زخم ثوري وبعد قومي وروح إنسانية وقومية وصلت إلى قمة العطاء في أيام الثورة منذ المرحلة الأولى لتأسيس وميلاد هذا الفجر المبارك حتى نالت الجزائر حريتها . وقارئ **مذكرات أو كتاب فتحي الديب** يشهد لمؤلفه بالخبرة في حبك المغامرات البوليسية والصراعات العنيفة ، كما لا يخرج

---

(1) انظر : Elghouti Hassani Abdelkrim , Guérilla sans visages P: 173
علي كافي ، مذكرات الرئيس علي كافي ، ص : 263 .

الكاتب عن دائرة رجال المخابرات من خلال الأسلوب البوليسي الفج في إطلاق الأحكام الجزافية غير الرصينة التي تسئ للجهاز وللذين يدفعونه إلى القيام بالمشاريع والعمليات الحربية والجاسوسية .

لقد تمكن **فتحي الديب** من إلقاء تفاصيل كثيرة حول كل الشحنات الحربية التي ساعدت بها مصر الثورة الجزائرية المباركة ، وفي أحيان كثيرة ينسى من يدفع الثمن وكذلك في خضم الوصف البوليسي المتسم بعاطفة مشرقية ، تبحث عن التصفيق أو الأسف لما كانت عليه النتيجة المنتظرة من رجال الثورة اتجاه مصر التي يحلو للبعض أن يقول عن حسن نية أو عن سوئها : "**الجزائر تكفينا وتكفيكم**" ، ومما يؤسف له أيضا أن تغيب الكتابات الجزائرية للرد عما جاء في هذا الكتاب من قضايا تحتاج إلى تقويم والنظر في بعض الأحكام التي تسيئ لشخصيات جزائرية فاعلة في تاريخ الثورة هل ما زلنا أمة لا تقرأ ، وإذا قرأت لا تفهم ، وإذا فهمت لا تتمكن من الرد ؟ فنبقى دوما ضمن الخرسان والطرشان في زمن يحتاج صاحب الحق أن ينادي بقوة فيرد بأمانة عن صاحب الفضل بفضل وصدق وإن أساء الأدب وأحس بالمن رد على تخرصات الدجالين والكذابين مهما طال الزمن[1] . يقول

---

(1) انظر ما وقع للشحنة العاشرة من الأسلحة القادمة من مصر إلى المغرب الأقصى وهي شحنة السفينة الحربية "آتوس" والتي كان من المنتظر أن تصل إلى خليج "كاب داغوا" وهي المنطقة المحددة لإنزال الشحنة يوم 1956/10/12م إلا أن خيانة "إبراهيم النيال السوداني" ، "الذي اختاره أحمد بن بلا" والذي اشترى الباخرة باسمه أدت إلى اطلاع السلطات الاستعمارية الفرنسية على تفاصيل الخطة والطريق المتبع ، حيث وجدت الباخرة طرادا فرنسيا بانتظارها ، اقتادها عنوة إلى ميناء المرسى الكبير ، وهكذا ضاعت الشحنة التي كانت الثورة في أمسّ الحاجة إليها ، كما وجدتها فرنسا فرصة مناسبة للهجوم على مصر عبد الناصر وتقديم شكوى ضدها إلى مجلس الأمن متهمة إياها بالتدخل في شؤونها الداخلية الفرنسية . انظر : العماد مصطفى طلاس المقدم بسام العسلي ، الثورة الجزائرية ، طلاس ، دار للدراسات والنشر سوريا 1984م ص : 153 وما بعدها . فتحي الديب ، عبد الناصر وثورة الجزائر ، (الفصل الخامس عشر ، مغامرة آتوس =

السيد أحمد محساس أحد التاريخيين في تقييمه للمساعدات الصربة للثورة الجزائرية: "إن الاعتقاد السائد بأن المصريين يقدمون المساعدات بالأسلحة للأطراف التي تساند قناعاتهم غير صحيح، كان يوجد في القاهرة هيئة مكلفة بالإتصال بالحكومة المصرية والأسلحة التي كانت تساعدنا بها لم تكن تقدم لشخص معين بل للثورة، وكان هناك نظام متبع، والهيئة المكلفة بأخذ الأسلحة كانت معروفة، ويبقى السؤال: هل المصريون يقدمون مساعداتهم حسب شروط معينة؟ أقول: لا، فهم التزموا بمساعدة الثورة بعد أن تأكدوا أنها تسير حسب قناعاتهم الإيديولوجية وهذا من حقهم، وفعلا كان هناك توافق إيديولوجي بيننا وبين الحكومة المصرية، وهذه القناعات المشتركة هي التي سببت الهجوم الثلاثي عليهم سنة 1956 فدفعوا الثمن غاليا. "أحمد محساس"، عارضت مؤتمر الصومام بسبب قناعات إيديولوجية[1].

المجموعة الثانية: الكتابات السورية والعراقية:

لا ينكر الجزائري فضائل الأشقاء السوريين على ثورتنا المسلحة، ويكفي ما أن تذكر ثورة الجزائر، إلا وتذكرت ديوان شاعر سوريا الكبير **سليمان العيسي**، الذي كرمته الجزائر بعد الاستقلال، ولكن مما قرأته في كتابات **العماد**

المشؤومة، المرجع السابق، ص: 251 وما بعدها. انظر حديث السيد أحمد محساس أحد التاريخيين عن العلاقات الجزائرية المصرية، وأردت أن أسجل شهادته حتى لا أظهر في عملي ناكرا للجميل الكبير الذي قامت به مصر تجاه الثورة والحركة الوطنية منذ عام 1945م وهذا منذ دخول الأستاذ الشاذلي المكي إلى القاهرة كما هو مفصل في الدراسة الخاصة بمؤتمر الدول الأفروآسيوية بباندونغ 1955م. انظر الأستاذ محمد الأمين بلغيث، الجزائر ومؤتمر باندونغ حقائق ووثائق (تحت الطبع)..

(1) السيد أحمد محساس: حوار جريدة الخبر الجزائرية يوم الخميس 2 سبتمبر 1999م الموافق لـ 21 جمادى الأولى 1420هـ ص: 19.

مصطفى طلاس والمقدم بسام العسلي يحتاج الباحث أن يقول : إن الدراسات السورية غلبت عليها الموضوعية ؛ لأنها كانت تستقي معلوماتها عن الثورة من خلال رجالها ومن أرشيف الثورة ومواثيقها وبيانات ثورتها ، لهذا اتسمت الكتابات السورية بالتنويه بما يقوم به المجاهدون الجزائريون بلغة سليمة دون نرجسية أو حسابات مسبقة مع إشارات عرضية عن صدى الثورة الجزائرية في المحافل والنوادي السورية ، كما تشير إلى المساعدات العسكرية الرمزية التي كانت في الغالب مالية ونادرا ما كانت عسكرية .

وأما العراق والدراسات العراقية فهي الأخرى قريبة من التصور والمنطلق السوري ، وقد تكشف الدراسات التوثيقية أن الدور العراقي على المستويين الشعبي والرسمي من الأهمية بمكان ، ولكن غياب الدراسات العلمية الجادة والمذكرات السياسية الشخصية والشهادات التاريخية المعاصرة للحدث يجعلنا نتحفظ عن تقرير أحكام قد تسيء للمنهج التاريخي والرصانة العلمية المطلوبة في هذه المداخلات التاريخية[1] .

العمل العلمي الوحيد الذي يمكن الاستعانة به لتقييم المساعدات العراقية دراسة الأستاذ مسعود خرنان ، العراق والثورة الجزائرية ، وهو عمل جامعي جيد يحتاج إلى النشر والقراءة . والأعمال الثانية التي تعبر عن صدى الثورة الجزائرية في العراق هو ما كتبه الدكتور سعدي عثمان عن صدى الثورة الجزائرية في الشعر العراقي ، وهو عمل جامعي يمكن أن يكون منطلقا

---

(1) أستثني من هذا التعميم ما كتب الدكتور محمد العربي الزبيري حيث نبهني إلى أهمية هذه الدراسة الأستاذ مسعود كواتي قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية جامعة الجزائر ، ويبدو أن هذه الدراسة قد نشرت في أسبوعية المجاهد فلم أتمكن من الاطلاع عليها .

لدراسة هذه المسألة من زاوية الأثر الذي تركته الثورة الجزائرية التي كانت قد أوصلت صداها ومأساتها إلى كل أركان الأرض .

وأهم ما يمكن أن نذكره هنا أن القيادة العراقية بعد ثورة تموز 1958م خصصت ميزانية خاصة للثورة الجزائرية وهو ما يمكن أن أنوه به في هذا العمل التاريخي ، حتى لا ننسى ويقترب الدور والمساعدة العراقية من الدور والمساعدات التي تلقتها الثورة الجزائرية من الدولة الليبية والشعب الليبي الشقيق ، الذي نجهل إلى حد الآن المساعدات الكبيرة التي قدمها للثورة الجزائرية في غياب الشهادات الحية والكتابات التاريخية النزيهة[1] .

المجموعة الثالثة المساعدات الليبية :

إخواننا في ليبيا أشبه بنا في عزة النفس ؛ لأننا شعبان لا نمن على من قدمنا له يد المساعدة والإحسان التي يفرضها الدين واللغة وحق الجوار والمصير المشترك ، وكم كنت ممنونًا وأنا على وشك تقديم الكتاب إلى المطبعة ، وهذا بظهور كتاب الأستاذ الأديب الأريب محمد الصالح الصديق الوفي المخلص لأهل ليبيا حكومة وشعبا الذين وقفوا وقفة شجاعة وهو ما فصله في كتابه "**دور الشعب اللّيبي الشقيق في جهاد الجزائر**" مع تخليد صورة المجاهد والإنسان الكبير **الأستاذ الهادي إبراهيم المشيرقي** الذي يقف وقفة فحل لم ينحن رغم قوة الرياح العواتي في زمن الخيانة والردة التي

---

(1) الأستاذ مسعود خرنان ، العراق والثورة الجزائرية ، رسالة ماجستير في التاريخ الجزائري المعاصر ، (رسالة مخطوطة غير منشورة) . (جامعة بغداد) .

تضرب في كل مكان من وطننا العربي والإسلامي[1].

لقد كانت المساعدات الليبية العسكرية والمالية والسياسية والدبلوماسية من الأهمية بمكان، وربما تأتي في الدرجة الأولى كما وجد المجاهدون الحماية والمساعدة وتكوين قواعد خلفية أمنية وعسكرية مما سبب الحرج الكثير للدولة الليبية المستقلة في مواجهة سياسة فرنسا الاستعمارية.

لقد ترجم الليبيون موقفهم المتقدِّم من قضية الشعب الجزائري حيث قالوا: "**كل قرش ندفعه لصندوق الجزائر يضيف حرفًا إلى وثيقة الحرية التي يكتبها الأحرار بدمائهم، وكل مساعدة نبذلها تنطلق رصاصة في صدر البغي الذي يتشبث في عناد بأهداب الحياة.. فما ذهب حق دافع عنه بنوه، وما تطاول ظل الباطل اكتسحه نور الحق**". وكيف ينسى الجزائريون أمثال **الملك إدريس وعائلة المشيرقي وسالم مسعود الشوارف الزنتاني**[2]

---

(1) الأستاذ محمد الصالح الصديق، دور الشعب الليبي الشقيق في جهاد الجزائر، الجزائر دار الأمة جانفي 2000 (انظر غلاف الكتاب).

(2) المناضل العربي سالم مسعود الشوارف الزنتاني هو أحد المناضلين الذين تولوا جمع التبرعات لصالح جبهة التحرير الوطني، ثم تحول دوره إلى إلى تدبير السلاح والمعدات العسكرية الأخرى مع مجموعة أخرى من رفاقه الليبيين، وهو أحد الذين أنقذوا الرئيس أحمد بن بلة من الاغتيال من قبل عنصر فرنسي مندس وهذا بأحد الفنادق الليبية شارك في حرب فلسطين، وشارك المصريين حربهم عام 1956م. انظر: هارون محمد السعيد، المناضل سالم مسعود الشوارف الزنتاني، (جريدة صوت الأحرار) العدد: 620 الخميس 09 مارس 2000م ص: 5. بينما اسمه كما مسجّلاً في الإمضاء الخاص بالهيئة الرياضية العليا لولاية طرابلس الغرب هو مسعود الزنتوتي. إسماعيل دبش، السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية (1954-1962)، الجزائر دار هومة، 2000م. ص: 120 وما بعدها. انظر كذلك الشهادة الكاملة حول المساعدات الليبية: المجاهد إبراهيم العسكري، لمحات من مسيرة الثورة التحريرية الجزائرية ودور القاعدة الشرقية، دار البعث قسنطينة، الجزائر 1992م، ص: 120 وما بعدها.

وكل المنضلين الليبيين الذين ساعدونا بالغالي والنفيس .

المجموعة الرابعة الكتابات الفرنسية :

المتمعن في الدراسات الفرنسية التي تتحدث عن دور المثقفين الفرنسيين وعلى رأسهم **شبكة فرنسيس جونسون**[1] التي كان لها دورٌ كبيرٌ في مساعدة فدرالية فرنسا وجبهة التحرير بالمهجر ، كما ذهب المؤلفان هيرفي هامون ورفيقه باتريك روتمان حتى وصلت إلى نتيجة مفادها أن الشبكة كانت تساند الثورة الجزائرية بنصف ميزانيتها الحربية من خلال ما تجمعه جبهة التحرير ثم

---

(1) فرنسيس جاكسون (Francis Jeanson) ، مثقف فرنسي ، زار الجزائر في نهاية الأربعينيات بعد حوادث 08 ماي 1945م وتعرف على واقع الشعب الجزائري ، كما التقى بمناضلين جزائريين وفي مقدمتهم السيد : فرحات عباس فتأثر بالظلم المسلط على رقاب الجزائريين من طرف بني قومه ، فنذر نفسه لخدمة القضية الجزائرية ، وهو صاحب الكتاب الشهير : (الجزائر الخارجة عن القانون) الذي صدر عام 1955م وفي سنة 1957م شكل شبكته المعروفة بـ : "شبكة جانسون" . وقد ورد نشاط هذه الشبكة في عدة مصادر فرنسية منها كتاب "حملة الحقائب " الذي ألفه كل من هيرفي هامون وباتريك روتمان ، وصدر في عام 1979 عن دار "ألبا ميشال" . للتوسع انظر : (بزيان) سعدي ، فرنسيون في الثورة الجزائرية (2/1) شبكة فرنسيس جانسون وهنري كوريال ، جريدة صوت الأحرار (الحلقة الأولى) العدد 116 الجزائر الثلاثاء 14 جويلية 1998م ص : 16 . انظر أيضا : سعدي بزيان ، دور الطبقة العاملة الجزائرية في المهجر في ثورة نوفمبر 54م (التاريخ السياسي والنضالي للعمال الجزائريين في المهجر من" نجم شمال إفريقيا" إلى الإستقلال ، الجزائر ، دار هومة ، 1999م ص : 84- 85 .

HERVE HAMON, PATRICK ROTMAN, Les porteurs de valises (la résistance Française à la guerre d,algérie éditions Albin Michel Paris 1979 434 pages.

انظر أيضا : الحديث عن هذه الشبكة بالتفصيل :

Yves courrière, L'heure des colonels (1957- 1960) (un espoir sans lendemain, Marabout Histoire 1988 voir deuxième partie p217 et suite.

انظر فلسفة جونسون ورأي ألبير كامو حول أزمة الضمير الفرنسي في مواجهة الثورة الجزائرية : د . عمراني عبد الحميد ، جان بول سارتر والثورة الجزائرية ، القاهرة ، منشورات مدبولي (د . ت) ص : 61 .

تسلمها لهذه الشبكة من أموال المهاجرين والمتعاطفين ، فإن الأمر يصبح مسألة فيها نظر ، في هذه الحالة نطرح الإشكالية بين الواقع والخيال من قام بالثورة الجزائرية ، من استشهد في هذا القطر الذي حولته القوات الاستعمارية إلى كابوس وسجن فضيع تقشعر منه إنسانية الإنسان من كان ينتظر دوره للصعود إلى الجبل حتى يبرهن بأخذ حقه من السلاح إلا إذا أخذه بساعديه المفتولين من يد خائن باع ضميره أو جندي فرنسي باريسي جبان كان رجال الجبهة وجيش التحرير رحمة به يقتلونه من الخلف حتى يرحمونه من الفزع إذا تقابل بمجاهد صابر لا يملك إلا الإيمان القوي برسالته . ؟

أين حق هؤلاء الذين دربوا الجزائريين على السلاح منذ الحرب العالمية الثانية[1] أين حق الطبقة الفلاحية التي كانت وقود الثورة ؟ . كل هذا في غياب كتابات وشهادات من صنعوا الحدث ، لهذا إن تركت المساحة فارغة وجدت من يتوسع فيها ثم بالتقادم يصبح صاحب الدار الشرعي ، وبذلك نكون قد ضيعنا حق الشهداء الذين لم يتصل بهم فتحي الديب ولا صاحب كتاب حملة الحقائب أو غيره من المتطاولين على ثورة عظيمة هزت العالم وشهد لها العدو قبل الصديق بالسمو والرفعة في جميع الميادين .

---

(1) لقد تحصلت على كتاب السيدين إبراهيم العسكري والمغفور له أمحمد يوسفي وأنا في اللمسات الأخيرة لهذا الكتاب ، وهو نفس الموقف الذي أبديه حول كتاب الأستاذ الأديب الأريب محمد الصالح الصديق حول دور المملكة الليبية بقيادة الملك إدريس رحمه الله لذلك فعذري أنني لم أوظف هذه الوثائق توظيفًا جيداً ، فعذري أنني لم أتمكن من قراءة هذا الدراسات نظراً لحصولي عليها مؤخراً ، ولأن معظمها صدر وأنا أعد الكتاب للطبع ولهذا وجب التنويه . انظر : إبراهيم العسكري ، لمحات من مسيرة الثورة التحريرية ودور القاعدة الشرقية ص : 137 وما بعدها .

- M'hamed yousfi,les otages de la liberté , Alger p: 125 et suivante (chapitre VI lalogistique).

ثانيا: موقف المثقفين الفرنسيين من التعذيب والسجون والمحتشدات أثناء الثورة الجزائرية (1954م– 1962م)

مدخل عام:

بمجرد ما وضعت حالة الطوارئ حيز التنفيذ دخلت الجزائر مرحلة جديدة من حياتها ، وأهم ما طبعت به تلك المرحلة **ظهور المحتشدات التي نظر في** إنشائها اختيار المناطق النائية ليصعب الاتصال بالمجبرين على الإقامة فيها ، وكان اللجوء إلى إنشاء المحتشدات أمرا منطقيا يندرج في إطار المادة السابعة من وثيقة حالة الطوارئ والتي تشير إلى أنه في استطاعة وزير الداخلية في جميع الحالات والوالي العام في الجزائر أن ينفيا إلى أية دائرة ترابية أو إلى أيّ مكان محدد كل شخص يبدو نشاطه خطيرا على الأمن والنظام العام ، وعلى الرغم من أنَّ الوثيقة تنص في مكان آخر على أن النفي لا يؤدي إلى إنشاء المحتشدات إلا أن ذلك لم يحترم ولم يكن بالإمكان احترامه ؛ لأن نفي مئات الأشخاص إلى مكان واحد يتطلب إمكانيات جبارة للقيام بالرقابة اليومية وتوفير الأكل والسكن[1] .

---

(1) موقف المثقفين الفرنسيين من التعذيب والسجون والمعتقلات ، ملتقى المحتشدات والسجون فرجيوة ولاية ميلة يوم 09 ماي 1999م .

المحتشدات والسجون ظاهرة معروفة في العهد الكولونيالي الفرنسي ، ومن أبشع المحتشدات المعروفة قبل الثورة محتشد جنين بورزق بالصحراء الجنوبية الغربية الجزائرية على ألف كلم جنوب غرب الجزائر العاصمة ، عن هذا المحتشد سيئ الذكر ورمز البربرية =

وفي الوقت الذي كانت تجري فيه عمليات شال كانت السلطات العسكرية تقوم بتهجير سكـان الريف من مساكنهم وتجميعهم في محتشدات قريبة من مراكزهـا العسكرية ، ويعد هـذا الفعل **أخطر فصـول المأسـاة الجزائريـة وأكثرها شناعة .!**

فقد أكدت التقارير الصحفية الفرنسية شبه الرسمية بأن ما يناهز ربع مليون قد أجبروا منذ سنة 1957 ـ بالأخص ـ على مغادرة مآويهم الخاصة ، وذلك تحت تأثير الأساليب التي تقوم بها الإدارة الفرنسية في مثل هذه الأحوال ، حيث يعيش هذا العدد الضخم من المجتمعين في أوضاع متباينة ومختلفة .

إن هذه المحتشدات المتناثرة عبر التراب الجزائري يجمعها ما تتميز به من شذوذ وما تنفرد به من غرابة والتي يبلغ عدد الذين جيء بهم من مختلف مناطق الوطن نحوالمليونين وثلث المليون من مختلف أنحاء الوطن[1] :

"يجترون حياة البؤس داخل مراكز للتجمع منبثة في مختلف أنحاء الوطن الذي حولته الظاهرة الاستعمارية إلى جحيم لا يُطاق" .

الفرنسية انظر : ما ذكره الدكتور محمد العربي الزبيري في القسم الثاني من كتابه : تاريخ الجزائر المعاصر (1954م- 1962م)(قسم موقف الحكومات الفرنسية من اندلاع الثورة)

(1) انظر :

Mohamed Arezki BERKANI, L'histoire de DJENIEN –BOU- REZG (sud oranais) Grand sahara- Algerie(tois années de camps ALGER 1965 ,PP: 4- 76.

ميشال كورناتون ، معسكرات الاعتقال في حرب الجزائر (1954- 1962) لارماتان فرنسا 1998م (284 صفحة بالفرنسية) .

Michel cornatan, les camps de regroupement de la guerre d'algerie , les éditions l'harmatton Paris 1998(284 pages).

كما أن السيد : ميشال كورناتون من الذين كتبوا في هذا الميدان منذ مرحلة متقدمة وكتابه الأول هو :

Michel Cornaton; « les regroupements de la décolonisation en Algérie » les éditions Ouvrières).

كل هذا من أجل أن المسؤولين الفرنسيين يرون أن جيش التحرير يعتمد في استمداد طاقته المادية على مؤازرة سكان الريف[1]، فالحل الوحيد هو حجز مصدر هذا المدد، عن طريق الحصار الفعلي لسكان الأرياف :

"إن هذا قد يكون من نتائجه التوصل إلى النتائج التالية :

1- عزل جيش التحرير عن عمقه الاستراتيجي ومصادرة ورهن الريف من خلال هذه المحتشدات ومحاصرة الثورة من خلال درعها الأساسي والممون للثورة بالرجال والتضحية .

2- الحيلولة دون تأثر الجزائريين بالعمل الدعائي والوعي الوطني والسياسي الذي تقوم به أجهزة جيش وجبهة التحرير الوطني .

3- إمكانية اصطناع الانتصار من بين المجتمعين وهذا من خلال عملية الاختراق الاستراتيجي الذي طبقته فرنسا في السجون والمحتشدات[2] .

---

(1) الغالي غربي ، أشكال من سياسة التطويق الاستعماري خلال الثورة التحريرية ، مجلة أول نوفمبر العدد 157- 158 ، الجزائر 1997م . ص : 46 .

(2) انظر : علي كافي : مذكرات الرئيس علي كافي (من المناضل السياسي إلى القائد العسكري (1946- 1962) الجزائر ، دار القصبة للنشر جوان 1999م ص : 298 . ، انظر أيضا محمد زغينة ، شعر السجون والمعتقلات في الجزائر (1954- 1962) رسالة ماجستير مخطوطة ، جامعة باتنة معهد اللغة والأدب العربي ، الجزائر 1989م- 1990م . الدكتور مصطفى بيطام ، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1998م ص : 149 وما بعدها .

عزوي (محمد الطاهر) ، ذكريات المعتقلين ، تقديم الدكتور أبو القاسم سعد الله ، الطبعة الأولى ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر 1996م ص : 9 عبد الله خي ، صدى الثورة الجزائرية من خلال مجلة دعوة الحق المغربية (1957- 1962) ، مذكرة بإشراف مسعودة يحياوي ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر 1998- 1999 . ص : 55 .

4- احتمال استخدام هؤلاء الأنصار عند الاقتضاء وذلك بعد أن يتم تنظيمهم ضمن كتائب مطاردة خاصة .

أما العدد الحقيقي لهؤلاء الجزائريين الذي زج بهم في هذه المحتشدات فقد فاق المليونين : "**وقد بلغ عدد المحتشدات في الولاية الثانية فقط حوالي 122 محتشدا**" ، لكن الواقع كان خلاف ما كان يصبوا إليه الاستراتيجيون الفرنسيون "**فمراكز التجميع لم يكن لها أن تظم في الواقع وفي غالب الأمر إلا العناصر العاجزة من السكان ، ولهذا فقد تبين أنه من العسير أن تفضي إلى النتائج المختلفة التي كان يتوخاها منها المسؤولون الفرنسيون ، بل إنها على النقيض من ذلك أضحت بالإضافة إلى سلبية نتائجها العسكرية عبئا باهضا يثقل هؤلاء المسؤولين بكثير من التبعات المادية والتنظيمية والنفسانية**"[1] .

إن نتائج هذه المحتشدات كانت لصالح الثورة الجزائرية ، وهذا من خلال نقل الثورة من الأرياف والجبال إلى القرى والمدن : "فهؤلاء السكان قد عايشوا الثورة عند قيامها وخالطوا المجاهدين وسمعوا منهم وتعلموا على أيديهم ونمت في داخلهم فكرة الجهاد والحرية والاستقلال... كما أمكنت هذه الحالة ، سكان المحتشدات من الاطلاع على حقيقة ما يجري حولهم خصوصا عندما يخرج جنود الثكنات المحيطة بهم لمهاجمة الثوار في الجبال رفقة رجال ـ القومية ـ عند عودتهم كان سكان المحتشد يعرفون وببساطة عدد القتلى وعدد المجاريح من جنود الثكنة وعملائهم الشيء الذي كان يعزيهم عن وضعيتهم الصعبة ، ويبعث فيهم الأمل في الانتصار القريب" .

---

(1) عمّار قليل ، ملحمة الجزائر ، الجزء الثالث ، ص : 38- 39- 40 .

- ROBERT BONNAUD ,rapport de Michel Rocard sur les camps de regroupement 12- 14 Mai - Juiellet 1959 éditions de Minuit petite collection maspero Paris 1982 PP: 139- 152.

الإجراءات البربرية الفرنسية: تصنع تاريخ الأزمة الأخلاقية للثورة داخل المجتمع الفرنسي:

إن القمع والبطش والتنكيل[1] في نظر المسؤولين الفرنسيين هو الوسيلة المثلى للحد من انتصارات الثورة الجزائرية ، فانتشرت مراكز التعذيب التابعة للجيش الفرنسي وضباط المخابرات فوق التراب الوطني كما تنتشر خلايا مرض السرطان في الجسم لتعمل عملها في إنهاك وتحطيم هذا الجسم : "**فقد بلغت مراكز التعذيب على مستوى الولاية الثانية وحدها 122 مركزا تقريبا ، وقد كان هناك مراكز تعذيب في ولايات أخرى فاقت هذا العدد عدة مرات ، فقد مارست هذه المراكز إجرامها ضد كل من دخلها وهم يعدون بالألوف**" .

ولقد كان ديغول متخوفا جدا من "**الغلاة**" ، في اعتمادهم على العنف **فإن مناهج الرئيس الفرنسي ـ في هذا المقام ـ متباينة في التوائها وبتعقدها مع تطرف هؤلاء "الغلاة" وتصميمهم على اعتماد وسائل العنف دون غيرها في سبيل التوصل إلى إنهاء المشكل الحالي** " .

وتجدر الإشارة إلى أن التعذيب لم يكن خاصا بمن ينتمي إلى جيش التحرير الوطني بل يكفي أن يكون جزائريا ، لينال من التعذيب حقه : "**لم يكن جميع المعتقلين ينتمون لجيش التحرير الوطني لكن كونهم جزائريين يعد جريمة خطيرة لا تغفر في عرف هؤلاء الجلادين البرابرة**" .

إن **غلاة فرنسا** أسرفوا كثيرا في اعتمادهم على هذه الأساليب الجهنمية

---

(1) د . عبد الله حمادي ، الحركة الطلابية الجزائرية (1871- 1962م) "مشارب ثقافية وإيديولوجية" ، الطبعة الثانية ؛ منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر 1995م ص : 140 .

المروعة داخل الجزائر، فكان من ذلك تلك المشاهد الرهيبة التي تمثل على الأراضي الجزائرية والتي لا يزال الرأي العام يضج من هولها وخطورتها بشكل متزايد ومتواصل".

إن الذين يدخلون إلى مراكز التعذيب معظمهم يخرجون منها مباشرة إلى المقابر: "إن ثلاثة أرباع الذين دخلوا المراكز يخرجون منها عادة إلى المقابر، أما الربع الباقي فيخرجون معطوبين ومشوهين جسديا وعقليا نظرا لتعدد أشكال التعذيب".

ومن أجل الحد من هذه الإجراءات التعذيبية تم عقد مؤتمر خاص نظمته جمعية الحفاظ على المؤسسات القضائية والحريات الفردية فكان مناسبة هامة لشجب انعدام المشروعية التي تتميز بها الأوضاع داخل الجزائر، أعلن المؤتمر بالإجماع في المقررات الختامية أن الجمعية:

"تلاحظ ـ بكل امتعاض ـ استمرار النيل من الحريات الفردية في كثير من المناسبات، كما أنها تستنكر ما يتم في الجزائر من لجوء إلى أفظع أساليب القمع.. تلك التي تتجسم في أشكال من التعذيب الجسدي أو الحجز الإجباري أو غير ذلك من ألوان التنكيل غير الإنساني...".

وقد: "كان من المفروض أن ينعقد في باريس مؤتمر مضاد للتعذيب في الجزائر (18 مارس 1956م) تحت إشراف جمعية الحفاظ على حقوق الإنسان وجمعية الدفاع عن الحريات والسلام، إلا أنه لم يتم السماح لهم من قبل رجال الأمن، وهذا بأمر من السلطات الأمر الذي أفضى إلى اشتباكات دامية بين جهاز الأمن وأعضاء المؤتمر "ويمكن تلخيص أشكال التعذيب التي

تعرض لها المعتقلون في النقاط التالية[1] :

1- الكي بالنار (نار التلحيم) كما فعل جلادو الشهيد عيسات إدير النقابي الأول في الجزائر ، وقد أثار استشهاده موجة عارمة من التنديد بجرائم فرنسا ووحشية زبانيتها .

2- التعذيب بالتيار الكهربائي على أنغام الموسيقى .

3- غطس رأس المعذَّب في الماء الممزوج بالصابون ، وإرغام المعتقل على شربه .

4- غطس المعذب في الماء الساخن ثم نقله بعد مدة إلى الماء البارد وهو ما يتسبب في آلام لا حدود لها .

5- استعمال الكلاب البوليسية في نهش أجسام المعتقلين .

6- دق المسامير في أجسام المعتقلين ، وسلخ جلودهم ووضع الملح والبهارات مكان الجروح .

7- خلع الأظافر والأسنان وبتر الأصابع والأذان والأعضاء التناسلية .

8- حرق الأجفان بالسجائر ، وفقأ العيون وحرق شعر الرأس .

9- بتر الأصابع والآذان والأعضاء التناسلية وإدخال مقابض الفؤوس والعصي في الأدبار وإجلاس المعتقل على الزجاجات أو على مسامير في ألواح خشبية .

10- الجر على أرضية مثبت فيها مسامير تمزق جسد المعذب تمزيقا .

---

(1) المحتشدات أيضًا قوة للثورة ، مجلة المجاهد ، العدد 90 الجزائر 27 فيفري ، 1961 م الجزء الثاني ، ص 5 .

11- طلي الأجساد بالغاز الحار .

12- هتك الأعراض واغتصاب الفتيات الصغيرات .

13- الضرب بالسياط والعصي حتى الموت ، أو فقدان الوعي .

14- ربط المعذب إلى سيارتين تنطلق في اتجاهين معاكسين فينشطر المعذب إلى نصفين .

15- حفر المعذب قبره بيديه ثم يدفن حيا مكبلا بالسلاسل .

16- كنس الطرقات والساحات العمومية بالألسن .

17- حشد عدد كبير من المعتقلين وإلقاؤهم في الآبار التي تردم فوقهم أو تملأ بالمياه وتترك الجثث حتى تتعفن .

18- الشوي عن طريق التعليق فوق النيران المشتعلة[1] .

إن فضاعة ما سجله المجاهدون من شهادات وصور ، وعلى الرغم من الكتابات المتنوعة والمفصلة حول هذه الأساليب الجهنمية التي مارستها فرنسا الدولة الاستعمارية ضد الجزائريين ما لم نعرفه من أوصاف عذاب أصحاب الأخدود كما وصف القرآن الكريم عذاب الصابرين من المؤمنين أمام وحشية الرومان ، فقد فاق ما فعلته فرنسا ما تدعيه الدعاية الصهيونية حول اللاسامية وأفران هتلر .

---

(1) محمد الدرعي ، فظائع الجيش الفرنسي في الجزائر أثناء الثورة الجزائرية ، (مجلة الرؤية) ، مجلة تصدر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م العدد الثالث ، السنة الثانية ، الجزائر السداسي الأول 1997م . ص : 184 وما بعدها . جان بول سارتر ، عارنا . . . في الجزائر ، ترجمة عايدة وسهيل إدريس ، الطبعة الثانية ، دار الآداب بيروت لبنان 1958م ص : انظر شهادات المجندين ، ص : 34 ومابعدها .

الثورة الجزائرية أمام أحرار فرنسا من المثقفين:

إن المسألة الجزائرية أصبحت مثار انقسام شديد في الرأي العام الفرنسي[1]، فلم تصبح قاصرة على الخلاف التقليدي بين اليمين واليسار على المشكلات الاستعمارية بل انضمت فئات كثيرة إلى معارضة الحرب، وكان أشهرها صدور بيان عن مائة وواحد وعشرين شخصية يمثلون رجال الفكر والأدب الفرنسي[2]: "**ولأول مرة يقف الفرنسي والجزائري جنبا إلى جنب أمام المحكمة ليعلنا أنهما متفقان على ضرورة منح الشعب الجزائري حريته وعلى أن سفح الدماء البريئة، وسيلة دنيئة لخدمة أغراض الرأسماليين... وأن اليسار سيظل عاجزا عن مواجهة الموقف ما لم يوحد جهوده مع جبهة التحرير الجزائرية، القوة الوحيدة التي تكافح اليوم ضد عدو الحريات الجزائرية والحريات الفرنسية الذي هو عدونا المشترك، وشارك في العريضة التي وقعها مائة وواحد وعشرون أديبا من الفرنسيين لتأييد الشباب في رفض قانون التجنيد**"[3].

---

(1) بيير ـ هنري سيمون، ضد التعذيب في الجزائر، نقله عن الفرنسية إلى العربية بهيج شعبان، دار العلم للملايين بيروت لبنان 1957م ص: مقدمة الناشر). ص: 3 سارتر، عارنا في الجزائر ص: 21. انظر أيضا: أحمد مراد، الأدب الفرنسي ومشكلة الجزائر، مجلة دعوة الحق، العدد الأول، أكتوبر المغرب الأقصى 1959م ص 66- 67.

(2) Hervé Hamon - Patrick Rotman , Les porteurs de valises (la résistance française à la guerre d'Algérie) Albin Michel paris , France 1979 P: 92.

جان بول سارتر، عارنا في الجزائر ص: 21.

(3) سارتر، عارنا في الجزائر ص: 33. أحمد مراد، الأدب الفرنسي ومشكلة الجزائر ص: 66- 67. انظر أيضا روح المسؤولية وأزمة الضمير التي نطق بها أحد الجنود الذين شاركوا في مجزرة "جبل بوكماش بضواحي الشريعة ولاية تبسة "وهذا في 24 أكتوبر 1956م انظر:

- ROBERT BONNAUD ,La paix des Némentchas 1956, (ESPRIT) avril 1957- repris dans Itinéraire, éditions de Minuit 1962 PP: 49- 60(voir Les crimes de =

وقد انضم إليهم رجال الكنائس في التنديد بأعمال التعذيب وقامت مظاهرات في أواخر سنة 1961م معادية **لديغول** نادت بتولي الجيش السلطة .

إن العديد من النقابات لم يعجبها ما يحدث في الجزائر فطالبت بوضع حد لهذه المأساة : " **يضاف إلى كل ما سبق المقررات التي صوت عليها المجلس الوطني للسلم ونقابات المعلمين والعمال والتي تطالب بوضع حد للمأساة الجزائرية والاعتراف بحق تقرير المصير**"، ولقد كانت مواقف الجماهير الفرنسية حيال القضية الجزائرية سلبية إلى حد كبير رغم أن الثورة الجزائرية كان لها كبير الأثر في عدم استقرار الوضع الفرنسي .

إن الأزمة الجزائرية كان لها انعكاس كبير على الفكر الفرنسي خاصة أنها اتخذت طابعا أخلاقيا إنسانيا ، وهو ما سيدفع بأدباء ومفكري فرنسا إلى مراجعة أنفسهم وقول الحق ولو على أنفسهم : "**إن انعكاس الأزمة الجزائرية على الفكر الفرنسي سيتخذ طابعا أخلاقيا في أوسع معنى لهذه الكلمة أي : أنه سيدفع الأدباء والمفكرين إلى إيقاظ الضمائر الغافلة ، ويمكن أن نقول : إن المشكلة الجزائرية كحدث حياتي ضخم بالنسبة للشعب الفرنسي قد أصبحت ـ أكثر**

= l'armée Française dossier réuni par Pierre Vidal Naquet petite collection maspero Paris 1982 PP: 56- 62.
- Francis et Colette Jeanson, L'Algerie hors la loi, Alger, collection SAD, E. N. A. G. Editions 1993. P: 257

انظر أيضا : شهادة المجاهد الليبي أحمد بن علي الشيباني الذي شارك في معارك الجبل الأبيض وغيرها من معارك جيش التحرير الجزائري ، وكيف كان الجنود الفرنسيون يحرقون موتاهم (حديث مع مجاهد ليبي في جيش التحرير الوطني جريدة طرابلس الغرب الصادرة يوم الإثنين 30 رجب 1383هـ/ الموافق لـ 16 ديسمبر 1962م(الأستاذ محمد الصالح الصديق ، دور الشعب الليبي الشقيق في جهاد الجزائر ، الجزائر ، دار الأمة للنشر والتوزيع ، 2000م ص : 270 .

من أيِّ وقت مضى ـ محكا للطليعة المفكرة والجماهير الشعبية لتبرهن عن وعيها وعن قدرتها والاستمرارية في حماية القيم الإنسانية".

إن المشكلة الجزائرية أثرت تأثيرا بالغا على الأدباء والمفكرين في فرنسا ، فحاولوا فهم أبجديات الصراع ، فهذا الفيلسوف الوجودي "**جان بول سارتر** يحلل المأساة الجزائرية ومعظلة الظاهرة الاستعمارية فيقول: "**إن الاستعماري الجديد هو إنسان أبله ما دام يعتقد أن بالإمكان تحسين النظام الاستعماري ، أو هو إنسان خبيث يقترح إصلاحات لأنه يعلم أنها لا جدوى منها . إن هذه الإصلاحات ستأتي في أوانها ، والشعب الجزائري هو الذي سيحققها .**

والشيء الوحيد الذي نستطيع أن نحاوله ، وينبغي أن نحاوله ، ولكن المهم أن نحاوله اليوم ـ هو أن نكافح إلى جانبه لنحرر ـ في الوقت نفسه ـ الجزائريين والفرنسيين من الاستبداد الاستعماري". [1] ، ومنه يمكن أن نستنتج أن للثورة الجزائرية دورا كبيرا في هذا التأثير خاصة في فرنسا ، وإلا لماذا تدخلت القوة الطلائعية في المجتمع منددة ومطالبة المسؤوليين جميعهم بالإسراع إلى إيجاد حل عادل قبل أن تفقد الثورة الفرنسية قيمتها وتشوه صورتها ، وبأن هذه المشكلة تجاوزت الحدود فأصبحت المسألة مسألة أخلاقية وإنسانية ، ولذلك صرح رجال الفكر في فرنسا بتاريخ 1960/10/3 بما يلي :

1- نحترم رفض التجنيد وجمل السلاح ضد الشعب الجزائري ونرى أن هذا العمل له ما يبرره .

---

(1) سارتر ، عارنا . . . في الجزائر . ص : 9 .

2- نحترم سلوك الفرنسيين الذين يرون أن واجبهم يقتضيهم إعانة وحماية الجزائريين المضطهدين باسم الشعب الفرنسي ونرى أن هذا العمل له ما يبرره.

3- إن قضية الشعب الجزائري التي تساهم بكيفية حاسمة في القضاء على النظام الاستعماري هي قضية جميع الرجال الأحرار . . ".

لو تتبعنا المقالات والدراسات التي نشرت عن التعذيب وأعمال البطش التي ارتكبها **الجلادون الفرنسيون في حق الجزائريين** وبأقلام مثقفين أحرار بل ومن طرف أحرار كان مصيرهم الاعتقال والسجن والتعذيب "**كهنري علاق**" (**لوجدنا أن أحرار وشرفاء المجتمع الفرنسي قد ردوا حتى على رواد المدرسة الاستعمارية كما فعل جان بول سارتر في رده على أفكار وآراء جول فيري** (Jules Ferry) **الوزير والرأس المدبر للفكر الكولونيالي**[1].

لقد عبر **هنري علاق** في كتابه "**الجلادون**" وسارتر في كتابه " **عارنا . . في الجزائر وهنري سيمون** في كتابه" **ضد التعذيب في الجزائر**" عن الأساليب اللاإنسانية التي استعملها الاستعمار الفرنسي في الجزائر أثناء ثورة التحرير كما عبر كل من كتب عن المعتقلات والمحتشدات عن استياء كبير لما يقع في الجزائر من بؤس فرق بين عالمين إلى الأبد عالم الكولون وزبانيتهم من وحوش القرن العشرين وبين شعب يسعى إلى تحرير الضمير العالمي والإنساني من بربرية الجيش الفرنسي الذي سقط في وحل السادية والعنصرية البغيضة التي كانت من نتائجها هذا العدد الهائل من الضحايا وهذا البؤس

---

(1) انظر : PP: 56- 62. ROBERT BONNAUD ,La paix des Némentchas 1956

والشقاء الذي أصاب المجتمع الجزائري الصامد.

لقد تعددت مواقف المثقفين الفرنسيين بين مواقف **سارتر وبيير سيمون** وهنري أليغ وبين الجنود الفرنسيين الرافضين لأطروحة الاستعماريين وبين سلبية الرأي العام الفرنسي التي بقيت متذبذبة وسلبية إلى حد كبير، وقد كان موقف الأديب الفرنسي "ألبير كامو" أشبه بموقف الرأي العام الفرنسي الذي "اختار أمه" كما فعل ألبير كامو أو "جزائر أبي" (L'ALGERIE de PAPA) على الحرية وضمير وروح العدالة والإنسانية التي تدعو إليها القوانين في كل بلدان العالم.

وخلاصة القول:

أن الثورة الجزائرية بما تملك من وسائل إعلام ومن صداقات على مستوى كبير تمكنت من اختراق الأسوار الحديدية وحركت ضمائر ميتة.

كما أن ما يمكن التذكير به في هذه العجالة أن المثقفين الفرنسيين من رجال القانون والفلاسفة والمتعاطفين مع الجزائريين "**معذبو الأرض**" كما كتب ذات يوم "**فرانز فانون**"، **قد جاءت صحوتهم متأخرة فلم يتحركوا على حد علمي وعلى حد النصوص التي اعتمدتها** إلا منذ 1957م بصورة ملفتة للانتباه، ولكن إذا عرفنا السبب بطل العجب، فلم يتحرك ضمير معظم هؤلاء حتى شاهدوا أبناء جلدتهم يساقون إلى "**جهنم الجزائر**" إلى حيث الموت المحقق وإلى حيث يعاد في نعش مسجى بعلم بلاده الملوث بدماء الأبرياء العزل، ولم تتحرك ضمائرهم إلا بعد محاكمة شبكة "**فرانسيس جونسون**"، وما وقع "**لهنري علاق**" فأحسوا بانهيار كل قيم **فرنسا الجمهورية، فرنسا**

حقوق الانسان والمواطنة".

"إن النازيين إزاء هؤلاء القتلة تلاميذ ضعاف".

إن ما وقع في الجزائر خلال ثورة التحرير من تعذيب وتدمير للشعب الجزائري الأعزل، يبقى وصمة عار في جبين فرنسا والدولة الفرنسية، ولا يكفي اليوم أو غدا الاعتذار.

كيف ننسى من تمثل مقابرهم وأماكن اعتقالهم وتعذيبهم ذاكرتنا الجماعية كيف ننسى، ولما نطوي هذه الصفحة مع فرنسا الاستعمارية التي لا تزال تدبر المؤامرة تلو المؤامرة لتحطيم ما بنينا بدمائنا ودماء شهدائنا.

لقد كان الموقف الذي تبناه جان بول سارتر من الثورة الجزائرية، مشرفا لبلده لا للجزائر وثورتها على الرغم من أن التزامه كفيلسوف قد طرح عليه أزمة الحرية التي أضهجتها الآلة الاستعمارية الفرنسية، حيث قال: "**إن حريته هي حرية الغير**، ثم قال: **في أي جانب توجد الأعمال الوحشية؟ في أيٍّ جانب توجد الأعمال البربرية... ؟ فهي الآن توجد في الجانب الفرنسي**[1].

وعلى الرغم من هذا الاستنتاج المحتشم فإن سارتر حاول أن يراوغ القارئ الفرنسي والقارئ خارج دائرة الأفكار اليسارية الفرنسية أنه يقوم بواجبه كمواطن فرنسي حيث إنه وجد لذة كبيرة حينما اكتشف أن هنري أليغ قد كتب دراسة نفذت العشرون ألف الأولى؛ طبعتها في ظرف قصير فهل كان الفرنسيون يتألمون لعذاب هنري أليغ أم إلى عذاب فلاح أو مجاهد جزائري

(1) الدكتور عمراني عبد الحميد، جان بول سارتر والثورة الجزائرية، القاهرة، منشورات مدبولي، (د. ت): ص: 179.

صامد أمام زبانية فرنسا[1] .

(1) لقد كان الفيلسوف الوجودي من أولائك الشخصيات الكبيرة التي ناصرت الدولة العبرية المغتصبة لأرض الأقصى الشريف ، ولما وقف سارتر هذا الموقف العنصري الذي يعبر عن فساد الصورة وانحراف الرجل قامت السيدة فرانز فانون بإعادة طبع كتاب "معذبو الأرض" دون مقدمة سارتر الخاصة بالطبعة الأولى . وهذه إشارة واضحة أن سارتر لم يكن ينعي عذاب الجزائريين على يد غلاة الطغمة العسكرية الفرنسية وعلى يد الكولون حثالة المجتمعات الأوروبية منذ القرن التاسع عشر . بل كان يدق ناقوس الخطر الذي أصاب دولته العنصرية انظر : جان بول سارتر ، عارنا . . . في الجزائر ص : 50 وما بعدها . عبد الحميد عمراني ، جان بول سارتر والثورة الجزائرية ، ص : 210 . وللتوسع في مجال التعذيب والمحتشدات انظر :

M'hemed yousfi, les Otages de la liberté (MY) p: 79 ET SUIVANTE .

محمد الطاهر علية ، من ذكريات الشاعر السجين التحرر من نير الاستعمار واكتشاف للذات) (الثورة الجزائرية أمجاد وبطولات) الجزائر منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1996م ص : 213 وما بعدها .

ثالثا: فصل الصحراء الجزائرية عن الشمال

(أسلوب فرنسي جديد للحرب النفسية ضد الثورة[1])

الصحراء الكبرى في منظور الاستراتيجية الفرنسية منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى قيام ثورة التحرير الجزائرية

مدخل عام:

حينما قرأت منذ مدة طويلة كتابا للأستاذ **محمد محمد حسنين "حصوننا مهددة من الداخل"** اعتقدت في بداية الصراع السياسي والإيديولوجي أن الغرب قد نجح في تكوين نخبة متفرنجة تغريبية تشكلت في جامعات الغرب لا يمكن أن يتجاوز تأثيرها دائرة صغيرة من المريدين والأتباع في أماكن محدودة الزمان والمكان .

وبعد رحلة متواضعة **مع الأرشيف الفرنسي في وزارة الحربية الفرنسية وأرشيف الكيدورسي "وزارة الخارجية"وأرشيف مدينة فانسان وأرشيف ما وراء البحار بآكس آن بروفانس** اكتشفت أن خيطا فولاذيا يربط حلقات تاريخية ، تحتاج إلى خبير في التركيب والجمع بين حلقاتها المفقودة ، وإذا تمعنا

---

(1) ملتقي المقاومة الشعبية وذكرى مظاهرات 27 فبراير 1962 م . ورقلة يوم 27/28 فبراير 1999م . فصل الصحراء الجزائرية عن الشمال : أسلوب فرنسي جديد للحرب النفسية ضد الثورة .

خارطة المصالح والاستراتيجيات السياسية والعسكرية الغربية منذ مدة طويلة في التآمر على دار الإسلام ، وجدت أنها عملية مسرحية وخشبة ركح يتغير ديكورها وممثولها كل حين في كل عصر وحسب مقتضيات كل مرحلة تاريخية .

لم أقل عبثا في محاولة فهم جدلية الصراع بين الشرق الذي يلفظ أنفاسه وبين الغرب الصاعد العدواني ورموزه "**رموز الشرور**" وحملة كل جرائم الإنسانية أن قراءتي لكتاب الأستاذ الآنف الذكر " **حصوننا مهددة من الداخل**" إلا بعد أن عالجت في مقالات ومداخلات بعض محاور السياسة الفرنسية في الصحراء الكبرى من المنطقة الغربية التي أعرف بعض مسالكها ومفاوزها من السوس الأقصى إلى مدينة **تمبوكتو** من أيام الصراع العنيف بين الشيخ المجاهد **الحاج عمر الفولاني** وقوات الاحتلال الفرنسي وسياسته الاستعمارية إلى غاية الصحراء الشرقية بحكم اهتمامي بقضايا الحركة السنوسية منذ أيام مؤسسها الشيخ المصلح **محمد بن علي الخطابي المستغانمي المعروف بالسنوسي الكبير** (ت 1859م) .

وسوف أبدأ معالجتي للموضوع من خلال اهتمام فرنسا المبكر بالمنطقة الشرقية والتي وظفت لها جيشا من الجواسيس والعملاء للاستخبار والتعرف على منافذ الصحراء حتى تتمكن من إحكام سيطرتها على الصحراء الشرقية بإفريقيا الوسطى وهذا من مملكة البورنو (بتشاد) ثم محاصرة الحركة السنوسية وزواياها ، حلقات الدفاع عن العلم والشرف الإسلامي وبدرجة أخص منذ تمكنها من الانتصار مؤقتا على رجال المقاومة الليبية والتونسية في المنطقة الشرقية .

لقد كان الفرنسيون أذكياء في استمالة ضعاف النفوس من التونسيين والجزائريين لإرسالهم في عمليات اختراق استراتيجي للمنطقة والوثائق

المنشورة والمخطوطة تبرز الدور الخطير الذي لعبه **الطابور الخامس** من هؤلاء الخدم في ركاب السياسة الفرنسية التوسعية في الصحراء، ويأتي على رأس هؤلاء **محمد بن عثمان الحشائشي** الذي دافع عن فرنسا ومشاريعها الاستعمارية بكل ما يملك من جهد بدني وفكري، وألف الكتب والمقالات الصحفية في مديح السياسة الفرنسية منها: "**الدرة النقية في النوايا الصادقة للحكومة الفرنسية**"، وقد طبع بمطبعة كوني بباريس سنة 1883م[1] حيث كان جاسوسا داخل المقاومين التونسيين بالجهة الغربية من ليبيا، كما تمكن من الوصول إلى **أتباع محمد المهدي** (ت1902م).

وكتب دراسات وقدم ملفات وحقائق تفوق في أسرارها وعمقها ما كتبه الفرنسي (**ديفريي**) (H. DUVEYRIER) صاحب الكتاب المشهور الطريقة الإسلامية لسيدي **محمد بن علي السنوسي**، وقد تعلق بمشروع المغامر الفرنسي **المركيز دي موريس**[2] الذي عرض مشروعه في محاضرة ألقاها بالمسرح الفرنسي بتونس في يوم 29 مارس 1896م بعد قدومه مباشرة من الجزائر.

أما الشخصية الثانية التي وظفت في نفس المهمة التجسسية لإحكام فرنسا سياستها التوسعية في المنطقة الشرقية فهو الجاسوس المعروف **بالرائد قاضي**[3]

---

(1) محمد بن الحاج عثمان بن الحاج محمد بن الحاج قاسم الشريف الحشايشي، ولد في تونس العاصمة في 26 رمضان 1269هـ/ 12 جوان 1853م، .

(2) حول مشروع المركيز دي موريس انظر: محمد بن عثمان، الحشايشي، الرحلة الصحراوية، ترجمة محمد المرزوقي، تونس. 1987م

(3) شارك جزائريون ولمدة الخمسين سنة الأولى من الاحتلال بتقديم خدمات كبيرة لصالح الاستعمار الفرنسي ومشاريعه في تونس والمغرب والسنغال وليبيا والجزائر، ونذكر من هؤلاء الأوفياء للمشروع الاستعماري المقدم قاضي بن بالعربي المتجنس وإسماعيل بوضربة والشيخ محمد العيد شيخ زاوية تماسين التجانية والشيخ عثمان التارقي والشيخ محمد العروسي مقدم

https://albordj.blogspot.com

الذي يكتب وينطق في اللغة الفرنسية **بالكومندان كادي** صاحب المهمات الصعبة في القاهرة والحجاز وأخيرا في رحلته التجسسية إلى عمق الصحراء الجزائرية حيث الطوارق ومنطقة نفوذ **محمد المهدي** السنوسي بمدينة "**قورو**" في عمق بلاد تشاد ، وفي هذه السنة بالذات تمكنت فرنسا الاستعمارية من الانتصار الساحق على المجاهدين السنوسيين في "**بئر علالي**" حيث استشهد ما يزيد على مائة (100) شهيد وسقوط منطقة **بئر علالي** في يد الفرنسيين واستشهاد المهدي أو وفاته بالملاريا في 2 مايو 1902م ، هو أشبه بانتصارات الفرنسيين العسكرية في غرب إفريقيا بعد سقوط "فور لامي" حيث تمكنت من بسط نفوذها الكامل على الصحراء[1] وأحكمت قبضتها على كل الطرق التجارية والمحطات الشهيرة التاريخية التي تربط الشرق بالغرب ولم يبق لها إلا حلمها الذي رسمه جواسيسها

الزاوية التجانية بقمار ، كما كانت القادرية تنافس التجانية في ذلك التقرب من فرنسا انظر : أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء السادس ص : 102 وما بعدها .

(1) حول السياسة الاستعمارية في الصحراء الشرقية والمصالح الفرنسية في المنطقة راجع الدراسات الحديثة الموثقة الآتية :

- TRIAUD. (JEAN - LOUIS), TCHAD 1900- 1902 - UNE GUERRE FRANCO - LIBYENNE OUBLIEE (UNE CONFRERIE MUSULMANE LA SANUSIYYA, FACE A LA FRANCE) L'HARMATTAN PARIS 1987 P: 28.
- CIAMMAICHELLA (GLAUCO), LIBYENS ET FRANCAIS AU TCHAD (1897- 1914), préface de J. L. MIEGE Editions du centre National de la recherche scientifique PARIS1987 P: 83.

انظر أيضا : الدكتور محمد سعيد القشاط ، جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى (1854- 1988) ، 1989م ص : 95 .

وفي صميم هذا الإطار : راجع الدراسة القيمة والموثقة حول الصحراء والأساليب الفرنسية لبعثاتها التجسسية والاستكشافية وعلى الخصوص مهمة فلاتيرس : إبراهيم مياسي ، التوسع الاستعماري في الصحراء الجزائرية ، كتاب سلسلة الملتقيات (فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية) ص : 226 وما بعدها . انظر أيضا : إبراهيم مياسي ، التوغل الفرنسي في الصحراء الجزائرية ، (مجلة الثقافة)مجلة تصدرها وزارة الاتصال والثقافة السنة الثالثة والعشرون العدد116 الجزائر 1998م . ص : 164 وما بعدها .

من الرحالة والمكتشفين وهو احتلال منطقة "غدامس" وهذا أيضا بعد سقوط مدينة جنات سنة 1911م في يد القوات الفرنسية، وعلى إثر هذه الانتصارات التي رفعت من شأن القادة العسكريين بدأت البعثات العلمية والطوبوغرافية تقوم بعمليات مسح جيولوجي وجغرافي لتنفيذ المشاريع العسكرية والاقتصادية التي ستعوض لفرنسا خسائرها الاقتصادية خلال أعمال المقاومة المسلحة بالجنوب الغربي والجنوب الشرقي[1].

ولم تخف السياسة الفرنسية منذ دخولها إلى أعماق الصحراء الجزائرية أطماعها في هذه المنطقة الشاسعة التي كونت من الغرب إلى الشرق إمبراطورية الصحراء، وربطت بوسائل المواصلات بين المناطق المتباعدة؛ لأنها أعطت لهذه المشاريع الاقتصادية بعدها الاقتصادي العالمي وطلبت الخبرات والمساعدات العالمية في الفلاحة وتقنياتها، واستخدمت أحدث المعدات في التنقيب على البترول بداية من سنة 1941م، ووجدت المساعدة الأدبية والفنية والعلمية من الخبرات الأمريكية في التعامل مع الأراضي الصحراوية، وصرفت الملايين لتحقيق مشاريعها الاقتصادية، وهذا لتحقيق أحلام جنودها وضباطها وشعبها الذي عاش على أمل التفوق العلمي والعسكري على جيرانها وأعدائها التقليديين الإنجليز والألمان على حساب شعوب الشمال الإفريقي وإفريقيا ما وراء الصحراء[2].

---

(1) الدكتور محمد قنطاري، استراتيجية السياسة الفرنسية في محاولة فصل الصحراء الجزائرية (فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية) كتاب سلسلة الملتقيات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م ص: 167 وما بعدها.

(2) انظر: المشاريع الاقتصادية التي فكرت فيها السلطات السياسية والعسكرية الفرنسية بالأرقام الدقيقة المحسوبة حتى نزيل عن أذهاننا فكرة المناورة السياسية من أجل ربح الوقت =

فصل الصحراء خلال مرحلة الثورة (1954– 1962):

لقد اندلعت الثورة الجزائرية في الفاتح من نوفمبر 1954م في ظروف محلية وإقليمية ودولية مناسبة كما أشار إلى هذا مفجرو الثورة في البيان التاريخي أو من خلال "**شهادة ميلاد**" الشخصية الجزائرية التي جدد أحفاد طارق وعقبة رسومها ونزعوا عنها غبار المسخ والتزوير ، وفي هذه الظروف على مراتبها وتدرجها ، زادت الصحراء الجزائرية أهمية في الاستراتيجية الفرنسية خاصة بعد تتابع الاكتشافات المنجمية والبترولية التي بدأت تعطي نتائجها العملية المربحة بداية من اكتشاف الغاز عام 1954 في **جبل مرغة قرب عين صالح** واكتشاف البترول في مارس 1956م بمنطقة أجلي وتوجت الأبحاث في 12 جوان 1956م باكتشاف البترول بحاسي مسعود في حقل بمردودية عالية وبتكاليف إنتاجية مشجعة لدخول فرنسا الأسواق العالمية البترولية من جهة ومن جهة أخرى تحقيق متطلبات الآلة الصناعية والحربية الفرنسية[1] .

= والتنازلات الممكنة من الطرف المفاوض الجزائري :

- ALAIN PEYREFITTE, faut - il partager l'Algérie (tribune libre) librairie plon PARIS 1962 p: 167 (deuxième partie le dossier) .

انظر : مشروع تقسيم الصحراء من خلال قراءة السيد بن يوسف بن خدة كما صورها ألان بيريفيت :

- Benyoucef Ben khadda ,L'Algerie à l'indéndance (la crise de 1962) les éditions Dahlab, Alger 1997 P: 180.

انظر المحاولة والسؤال والإشكالية لمسألة فصل الصحراء الأستاذ : مسعود كواتي ، محاولات ديغول لفصل الصحراء عن الجزائر (مناورة أم حقيقة) (كتاب سلسلة الملتقيات) ص : 143– 156 (انظر بالخصوص : الملفات والكتب الخاصة بموضوع الصحراء والشخصيات الفاعلة في هذه المرحلة .

(1) انظر : الصحراء وسياسة فرنسا الاستعمارية (ملفات ووثائق حول محاولات فرنسا لفصل الصحراء الجزائرية) إعداد المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول =

ولكن ما لم تحسب له المشاريع الاقتصادية الفرنسية على المدى البعيد أو القريب هو قيام ثورة شعبية منظمة ومؤطرة تأطيرا كبيرا ومنظمة تنظيما صارما[1] أذهل جنرالات الكليات الحربية الفرنسية من خلال أساليب الحرب والمناورة، بالموازاة مع العمل الإعلامي في الداخل والخارج، كما كان إعلان تشكيل الحكومة الجزائرية المؤقتة في 19 سبتمبر 1958م نقلة نوعية في أعمال الثورة نظرا للضرورة الملحة لتهيئة الأجواء للأساليب العلمية وتكامل أعمال الثورة في الداخل والخارج وقد وجد حقيقة مفجرو الثورة ما تصوروه من خلال بيان أول نوفمبر التاريخي من تفهم لمطالب الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال.

لقد كانت الثورة بأعمالها الحربية وأساليبها في إقناع الشعب الجزائري بحتمية الصراع الطويل على مستوى كل الجبهات مدخلا لتفويت الفرصة على المغامرين والخونة من القوة الثالثة لجماعة بلونيس وأضرابه، كما كانت

= نوفمبر 1954 (فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية (سلسلة الملتقيات) منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م الجزائر 1998م. ص: 40 وما بعدها.

(1) انظر شهادة الأستاذ مسعود كواتي عن التأطير والتعبئة التي كان عليها المهاجرون الجزائريون في تونس من خلال الكشافة الإسلامية، فوج الجبل الأحمر كما أن الأستاذ مسعود كواتي قائد فوج الغزال أحد الأفواج الأربعة للكشافة الإسلامية بالجبل الأحمر (تونس العاصمة) كان شاهدا على استقبال جثمان المناضل الكبير فرانز فانون صاحب كتاب "معذبو الأرض"، هذا المارتنيكي الكبير الذي تشهد كتاباته بالسمو والإنسانية، مسعود كواتي، الكشافة الإسلامية، فوج الجبل الأحمر، (الكشافة الإسلامية الجزائرية) دراسات وبحوث الندوة الوطنية الأولى حول تاريخ الكشافة الإسلامية (سلسلة الندوات) منشورات المركز الوطني الدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م الجزائر 1999م. ص: 85 وما بعدها.

محاولات "حمزة بوبكر"[1] الدبلوماسية في مالي أو المحلية بين أعيان

(1) حمزة بوبكر ، شخصية علمية ودينية كبيرة لولا سقوطها التاريخي والحضاري في موالاته العجيبة للسياسة الفرنسية حول مشاريعها في فصل الصحراء ، حيث إنه وضع نفسه في خدمة المصالح الاستعمارية منذ 1959م ؛ إذ منذ طرح مشروع تقسيم الصحراء وتكوين "الجمهورية الصحراوية المستقلة" وهو المكلف بالحصول على تأييد الشخصيات المحلية فكانت له محاولات وصلت إلى حد استخدام العنف والاستعانة بالبوليس لإرغام الأعيان للوقوف معه في مشروع فرنسا الاستعماري والذي وعدته بأن يكون رئيسه بمساعدة بعض الخونة الآخرين وهم لا يزالون بيننا ، كما كان للشيخ إبراهيم بيوض من الالتزام والنظر أبعد من شهوة الكرسي حيث رفض المشروع من أساسه منذ المحاولات الموغلة في التآمر الفرنسي على وحدة التراب الجزائري ، ويذكر السيد محمود الواعي أن الشيخ إبراهيم بيوض قد رفض مشروع واقتراح : أوليفي قيشار مستشار رئاسة الجمهورية الذي أرسله ديغول إلى الصحراء سنة 1960م ليتصل بالمزابيين يعرض عليهم تكوين مملكة مزابية كما كلفه بالاتصال بسكان تمنغاست لنفس الغرض يقول أوليفي قيشار : اتصلت بالشيخ إبراهيم بيوض بغرداية فرفض هذه الفكرة وهذا العرض رفضا قاطعا . وقال له الشيخ بيوض : إن منطقة مزاب جزء لا يتجزء من التراب الجزائري . أما السيد أخاموخ : يقول المستشار أوليفي قيشار : حين طرحت عليه هذه الفكرة رد علي بشيء من الإنفعال" إن مصير منطقة تمنغاست (التوارق) مرتبط بمصير الجزائر كلها ، إن استقلت الجزائر فنحن مستقلون وإن بقيت مستعمرة فنحن كسائر الشعب الجزائري ، أما الشيخ حمزة بوبكر فهو الآن بين يدي ربه ، فلعل ترجمته الممتازة للقرآن الكريم إلى الفرنسية هي صفحته البيضاء التي حاول أن يغسل بها غروره السياسي وخطأه الخطير في حق البلاد والعباد . راجع الكرونولوجيا التاريخية للأحداث التي شارك فيها كل من الكولونيل الجزائري العميل " علي مراد "والشيخ إبراهيم بيوض من أعيان مزاب" والشيخ حمزة بوبكر ، ملف سياسة فرنسا لفصل الصحراء الجزائرية المشار إليه أعلاه : ص : 50- 51 .

ويمكن أن نذكر أحد الأعيان الذين شوهوا مسيرة النضال والوحدة الوطنية السيد : محمد مولاي الشريف (فوغاس) الذي لجأ إلى ليبيا في أيام الملك إدريس الذي ألزمه بعدم التحرك ضد المشروع الوحدوي للثورة الجزائرية ثم انخرط ضمن الشرطة الليبية وهو برتبة عقيد مع تخليه عن الجنسية الجزائرية بصورة تلقائية .

أما الشخصية المحورية التي كشفت سوء فهم محمد مولاي الشريف فهو كاتبه السيد : زغيمي عبد العزيز المناضل المثقف وهو من ضاحية" سيدي بوصلاح(إليزي) فهو مناضل

الصحراء أمثال **الشيخ بيوض** وغيره ، فمنهم من تجنب الوقوع في فخ مغريات الأعداء ومنهم من سقط ليحقق حلما دنيويا كافأته عليه فيما بعد فرنسا بإمامته لمسجد باريس إلى غاية وفاته .

إن أحداث الجزائر والأزمات السياسية التي عرفتها فرنسا في مرحلة نضج الثورة وسيطرتها على الميدان الحربي ، وتمكن المبعوثين الجزائريين في الخارج من كسب صداقات للثورة التحريرية مع الدعم العربي والإفريقي للرؤيا الخاصة للثورة لحل المعضلة الجزائرية التي أغرقت الساسة الفرنسيين في أزمات لا نهاية لها ، كانت كلها وراء مجيء **الجنرال ديغول** إلى السلطة لإنقاذ الشرف الفرنسي والاقتصاد والسمعة الدولية الفرنسية عقب الجرائم الهمجية والوحشية التي يرتكبها أحفاد **نابليون بونابرت** مع شعب أراد الحياة الكريمة فوق أرضه بعيدا عن تدخل الجيران والأباعد عنه .

= قديم تشبع بأفكار حزب الشعب الوطنية لهذا لما كان كاتبا للسيد محمد مولاي الشريف(فوغاس) ، تمكن من دحض أطروحته الانفصالية التي أساءت إليه ولا يزال سيئ الذكر إلى اليوم بالمنطقة ، وقد تجاوز اليوم السيد زغيمي عبد العزيز القرن بقليل ، وهو مثقف وفقيه على درجة كبيرة من الوعي السياسي والثقافي ، كما كان واعيا بخبايا الإدارة الاستعمارية في مرحلة سياسة فصل الصحراء عن الشمال وتقسيم الأرض الجزائرية كما هو مبين في قضايا الصحراء في السياسة الاستعمارية .

انظر أيضا : محمود الواعي ، ملحق بموضوع مفاوضات حول إتفاقيات إفيان (المرحلة الانتقالية للثورة من 19 مارس 1962 إلى سبتمبر 1962 ، إنتاج جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر 1416هـ/1995م ص : 381 .
انظر الوثائق الخاصة بوضع الصحراء وبني مزاب في السياسة الاستعمارية الفرنسية وثيقة 1853م . الشيخ إبراهيم بيوض بن عمر ، أعمالي في الثورة، نشر جمعية التراث القرارة غرداية الجزائر الزيتونة للإعلام والنشر باتنة ص : 149 وما بعدها .

ديغول ومسألة فصل الصحراء:

منذ مجيء ديغول إلى السلطة وهو يناور بعد أن جرب كل الأساليب العسكرية للقضاء على الثورة ، إن كل ما يمكن استخلاصه من كل ما سبق ذكره أن استمرار هذه الأوضاع الحربية القاسية وتطورها الخطير هو من أجل إقناع المسؤولين الفرنسيين بأن الأساس العسكري لحل المشكلة لا يجدي نفعا بل يزيد الأمر تعقيدا ، أما نتائج انتشار الثورة الجزائرية فيمكن تلخيصه في ثلاث نقاط هي :

أولا : إخراج الثورة من عزلتها ووصول صداها إلى كل أحرار العالم .

ثانيا : إفهام الشعب الفرنسي حقيقة الوضع في الجزائر .

ثالثا : تطوير وحدات جيش التحرير الوطني وإيفاد البعثات العسكرية إلى الخارج .

إن هذه النتائج هي ما أكدتها الثورة حيث : " كان للثوار من وراء توسيع أعمالهم عدة أهداف منها لفت نظر العالم قبل انعقاد دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة . . . وفي هذه الحالة يمكن تأسيس حكومة مؤقتة تسارع بتدويل القضية الجزائرية . . . ومن أجل اجتذاب أنصار جدد ، سواء بتخويف المترددين أو باستثارة بعض الفرنسيين في قلوب مواطنيهم وذلك بإظهار وحشيتهم في القمع" .

كل هذا كان دليلا كافيا على جعل الشعب يلتف حول ثورته ، وحافزا لإقناع ديغول بعدم جدوى أنصاف الحلول وحتمية التفاوض مع الجبهة كممثل شرعي للشعب الجزائري : "فهناك حقيقة واقعية ذلك أنه إذا انقضى عام 1959 ولم يتم التوصل إلى السلام بالتفاوض مع ممثلي الثورة فإن الأحوال ستسير في

فرنسا لغير صالح الحكومة... إن السلام في الجزائر سوف لا تتوفر أسبابه ـ سواء أحببنا أم كرهنا ـ إلا عن طريق المفاوضات بالرغم عن ضيقه وصعوبته".

المفاوضات الجزائرية الفرنسية وإعلان توقيف القتال[1]:

لقد كانت مظاهرات 11 ديسمبر 1960 حاسمة في ثلاث نواح:

1- إقامة الدليل للحكومة الفرنسية أنها لا توجد أيُّ قوة سياسية بالجزائر تتمتع بثقة الشعب ما عدا جبهة التحرير الوطني، وإلى هذا يرجع بعض الباحثين عزم ديغول على التفاوض مع جبهة التحرير الوطني.

2- إنها كانت حاسمة في دفع الاستعماريين إلى الظهور بمظهرهم الحقيقي الذي بدأ من خلال عمليات منظمة الجيش السري (O. A. S.).

أصدرت الحكومة الفرنسية بعد فشلها في القضاء على الثورة تنازلات مشبوهة، في تصريح لديغول في 16 سبتمبر 1959م قبيل مناقشة القضية الجزائرية في الأمم المتحدة ركز فيه على الاعتراف بحق الجزائر في تقرير مصيرها وإقامة جمهورية جزائرية تختار بين الاتحاد الفيدرالي مع فرنسا أو الانفصال مع التقسيم، وقد: "تم الإعلان الرسمي في 16 سبتمبر 1959 عن تصريح الجنرال ديغول"، وقد كان رد الحكومة المؤقتة الجزائرية سريعا، خاصة وأن فرنسا قد اشترطت للعمل بتصريح ديغول القاضي بالاعتراف بحق الجزائر في تقرير مصيرها، اشترطت وقف العمليات العسكرية من جانب

---

(1) عبد الله خي، صدى الثورة الجزائرية من خلال مجلة دعوة الحق المغربية (1957-1962)، ص: 66.

الثورة ، وعدم الاعتراف بالجبهة كمفاوض وحيد ، وتقسيم البلاد : "لقد أعلنت الجمهورية في 28 سبتمبر عن تقديرها لمبدأ تقرير المصير كمبدأ أساسي لحل المشكل القائم ويعني هذا الاعتراف لا "بالشخصية الجزائرية" فحسب بل بوجود شعب ذي كيان وسيادة وأمة ذات أهلية تامة لممارسة حقها في تحديد المصير الذي ينسجم مع إرادتها الحرة المطلقة " .

إن هذا الرد المفحم من الحكومة المؤقتة الجزائرية معناه : "أنه سيكون على فرنسا "أن تبادر إلى مغادرة البلاد فورا ـ في حالة ما إذا وقع الاختيار على الانفصال حيث يمكن للجزائريين حينئذ أن يتولوا تنظيم القطاع الترابي الذي يعيشون فيه ، والموارد التي يتوفرون عليها والحكومة التي يرغبون فيها" .

لقد عرض ديغول عرضا هزيلا : "تسيطر على فقراته الروح الرجعية الفرنسية وتتسم جمله بالحيلة والخداع ، غير أن الحكومة المؤقتة كانت له بالمرصاد ففضحت الدسائس المنطوي عليها مؤكدة على وحدتها الترابية ومؤكدة بأن الشعب الجزائري وحده فقط له حق التصرف في ترابه وثرواته" . لقد كانت المشاريع الفرنسية التي عرضها الدبلوماسي "آلآن بيريفيت" (Alain Peyrefitte) والكاتب الفرنسي القريب من لويس جوكس والجنرال ديغول : من خلال كتابه ومقالاته : التي جمعت في المشروع الفرنسي الخطير تحت عنوان هل يستلزم تقسيم الجزائر : ! FAUT- IL PARTAGER L'ALGERIE [1]

---

(1) (انظر شهادات الأحياء من المجاهدين) شهادة : الطاهر لعجال ، شهادة عمر صخري ، الفصل الثاني من كتاب سلسلة الملتقيات (فصل الشهادات) ص : 321 وما بعدها .

انظر كذلك : شهادة السيد : دحو ولد قابلية ليلة فاتح جانفي 2000م حول الذكرى 19 لوفاة المبروك صانع ملفات اتفاقيات إيفيان من خلال جهاز المالق (M A L G) . ندوات رمضان =

من الأساليب الخبيثة لآخر محاولة فرنسية للتأثير على الرأي العام الدولي وممثلي الشعب الجزائري الرسميين بمنطق التقسيم، حتى إنهم بحثوا في أعماق التاريخ منذ القرن الثالث عشر في سياسات الدول إلى نهاية الحرب العالمية الثانية وحاولوا وجود حالة تشبه الجزائر من أوروبا إلى الشرق الأوسط إلى شبه القارة الهندية، بل بحثوا في القواميس عن مصطلح تقسيم وقالوا: إنه بضاعة إنجليزية مسجلة يمكن الاستفادة منها في سياستنا مع الجزائر، كما رسموا مستقبل الصحراء كجمهورية مستقلة من خلال أبعادها الديموغرافية والاستراتيجية والاقتصادية والسياسية، وأرسلوا الممثلين إلى الأفارقة والأمريكان، والاتحاد السوفياتي، وكاد يقع في لعبة ديغول من خلال جرهم للاعتراف بأن الصحراء فرنسية[1] للبحث عن الدعم إلا أن كل هذه الأساليب الملتوية والحرب السيكولوجية سقطت أمام إصرار الثوار لحماية الوطن وشخصية البلد أمام كل مناورات السياسيين ومشاريع الاستعماريين وهو

= بالمركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954م الجزائر 31 ديسمبر 1999م. انظر كذلك ما جاء حول التقسيم من مصادره المختلفة من خلال مفاوضات الدبلوماسية الجزائرية مع السلطات الاستعمارية، سيدي موسى محمد الشريف، قضية الصحراء الجزائرية في المفاوضات الجزائرية الفرنسية من خلال ثلاث كتب، كتاب سلسلة الملتقيات (فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية) منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م الجزائر 1998م. ص: 295 وما بعدها.

(1) حول انتصارات الدبلوماسية الجزائرية آنذاك ومشاريع فرنسا انظر:

ALAIN PEYREFITTE, faut - il partager l'Algérie p: 167 et suivante.
YVES COURRIERRE, l'heure des colonels(marabout histoire) 1957- 1960 p: 402.

- مجلة المجاهد، الجزء الثاني، العدد 25 (1958/06/14م). انظر: شهادة السيد محمد يزيد، ذكريات من العمل الدبلوماسي، (سلسلة الندوات)، المركز الوطني للدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م ص: 105 وما بعدها.

ما دفعهم أخيرا إلى المفاوضات التي كانت معركة جديدة بين الثوار وممثليهم وبين صناع السياسة الفرنسية "كلوي جوكس" وجورج بومبيدو "وعلى رأس كل هؤلاء المتآمرين على الثورة "الجنرال ديغول" الذي كان من أقوى الشخصيات الفرنسية عبر تاريخ فرنسا في الجزائر خبثا وصلابة في محاولته القضاء على الثورة بكل الأساليب السياسية والعسكرية المعروفة حتى يحمي جمهوريته الخامسة من الإفلاس في جميع الجوانب. فكانت جبهته وأمله الأخير إنقاذ الشرف الفرنسي الذي مرغه جنرالاته الجبناء بين العزل في الجبال والمداشر والقرى والمدن.

الاتصالات السرية:

قبل أن تعترف فرنسا رسميا بالجزائر كطرف محارب، تم الاتصال الأول في 12 أفريل 1956 بالقاهرة بين **جوزيف بيغارا** النائب الاشتراكي في مجلس الاتحاد الفرنسي والسيد محمد خيضر ممثل الجبهة، وكان الاتصال الثاني في 25 جويلية 1956 **ببلغراد** بين محمد يزيد والدكتور أحمد فرانسيس عن جبهة التحرير الوطني وبيير كومين نائب الكاتب العام للحزب الاشتراكي الفرنسي **وبيير هيربوت** من الجانب الفرنسي.

أما الاتصال الثالث، فكان في 20 سبتمبر 1956م بروما بين **محمد خيضر ومحمد يزيد وعبد الرحمن كيوان** من جهة وبين **بيير كوميين وبيير هيربوت** من جهة أخرى. وتم الاتصال الرابع في 22 ديسمبر 1956م ببلغراد بين **محمد خيضر ومحمد الأمين دباغين وبين بيير هيربوت**[1]. لكن هذه الاتصالات

---

(1) انظر شهادة : دحو ولد قابلية حول محاولة فرنسا لجر رئيس الاتحاد السوفياتي إلى الجزائر =

توقفت بعد شهر من الاتصال الأخير بعد عملية القرصنة الجوية في 22 أكتوبر 1956م فقضى نجاح الاتصالات السرية : ثم أخيراً نقل "ابن بلة" ورفاقه إلى إحدى القلاع الحصينة بجزيرة "إيكس". وقد تم نقل الزعماء الجزائريين "**المختطفين**" إلى مقرهم الجديد في يوم السبت 7 مارس الماضي ، وذلك بعد أن أمضوا في سجن الصحة زهاء ثمانية وعشرين شهراً".

وعندما جاء ديغول كلف عبد الرحمن فارس وجان عمروش بالاتصال مع جبهة التحرير الوطني ، وأنه مستعد ليبحث معها إيقاف القتال على أساس الانتخابات ثم إيقاف القتال ثم المفاوضات ، فكان الاجتماع ما بين 20 أوت و20 أكتوبر 1958 لكن ديغول أعلن عن سلم الشجعان في 23 أكتوبر من نفس العام والذي كان إدماج في ثوب جديد باسم الإخاء : "**إنه كفاح شجعان ؛ لأن الشجاعة لا تنقص أرض الجزائر إلا أنه كفاح بين الأخوة**" ، لكن فرحات عباس رد عليه بأنه نسي أن الشعب الجزائري قد رفض الإدماج بكل أشكاله وهو في أشد حالات ضعفه ، فكيف يقبله اليوم وثورته في عامها الرابع ، ولقد كان هذا الرد بمثابة صفعة أسكتت كل من توهم يوما أن تصبح الجزائر فرنسية ، فقال : "**أفضل أن نكون عشرة ملايين من الجثث على أن نكون عشرة ملايين من الفرنسيين**"[1] .

ثم الصحراء لولا تدخل ديبلوماسية الجزائر ومصالح عبد الحفيظ بوالصوف المدعو المبروك حول إحاطة الاتحاد السوفياتي إلى اللعبة الخطيرة التي تلعبها فرنسا والعجوز ديغول في هذه المسألة الحساسة الخاصة بوحدة التراب الوطني الجزائري .

ولد قابلية : شهادة مسجلة ، ليلة فاتح يناير 2000م (المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية . (سبق الإشارة إلى هذه الشهادة الهامة) .

(1) لقد بينت السلطات الاستعمارية تمسكها بصورة الإدماج الجديدة من خلال إدماجها لبعض =

وبذلك عرف ديغول أن هذا الطريق غير نافع فقطع اتصالاته السرية ، إن كل ما سبق لا يعني رفض فرحات عباس للتفاوض : "**وقد عاد فرحات عباس**

الموظفين الجزائريين في السلك الإداري العالي ومن ذلك ترقية السيد : مهني بلحداد أصيل القبائل الكبرى المولود بالأوراس الذي ارتقى في السلم الإداري إلى رئيس دائرة من 37 دائرة بالجزائر ثم أصبح بعد إنقلاب 13 ماي 1958م . شخصية محورية لحفاظه على العلاقات السلمية بين الأوروبيين والأهالي المسلمين ، كما أنه أمضى فترة حرجة بعين البيضاء رغم معارضة الباشاغا بن بوزيد ، وقد اشتغل مهدي بلحداد تحت سلطة موريس بابون الذي أصبح كبير رجال باريس والذي ارتبطت به أفضع الجرائم في حق المهاجرين الجزائريين أيام باريس السوداء في 17 ديسمبر 1961م . كما يمكن أن نشير إلى أحد الشخصيات المهمة للقوة الثالثة في الجزائر وهذا بإشارتنا إلى الجنرال" أحمد رافع" المولود بموزاية قرب البليدة سنة 1906م ، ولما كبر دخل مدرسة التكوين وتخرج فيها في 25 سبتمبر 1937م برتبة ملازم في مادس بفرنسا وفي عام 1940 ألقي عليه القبض في الحرب العالمية الثانية لكنه هرب والتحق بالجيش الفرنسي التابع للجنرال "ديغول" وتم تعيينه بعد الحرب نقيبًا بالفيلق السابع للمشاة في أول جانفي 1953م .

شارك في قمع الثوار وهذا بطلب من شال من ألمانيا منذ 1959م ، وهو برتبة عقيد وعمل مع شال على رأس الفيلق السابع للمشاة ، قتل حسب بعض الروايات أزيد من 300 مجاهد وغنم أزيد من 228 بندقية منها أربعة مدافع وفي 1961/10/1م أسندت إليه مهمة تكوين القوة المحلية والإشراف عليها بالولاية الأولى أوراس النمامشة ، ورقي إلى رتبة جنرال ، وقد اجتمع بالقوم والجنود الجزائريين ، المطلوبين للخدمة العسكرية وطلب منهم أن يأخذوا أماكن المجاهدين الجزائريين وستتكفل فرنسا بعائلاتهم كما تدفع لهم مرتباتهم . لكن جيش التحرير الوطني كان لهم بالمرصاد واستمال البعض منهم فالتحقوا بأسلحتهم إلى كيمل مقر الولاية وكان على رأسهم "فروجي الصالح بن عمار من مركز فم الطوب ووقع مع هؤلاء ما وقع من ضعاف النفوس في كل الولاية الأولى رغم أن فرنسا قد زرعتها بمراكز الخونة وطوقت بهم المناطق الحساسة ، وبالرغم من كثرة الخونة والمراكز الخيانية ، فإن الجنرال أحمد رافع لم ينجح في تجنيده للقوة الثالثة المحلية ضد جيش التحرير وأحيل على التقاعد سنة 1964م وانتقل مع زوجته إلى الألزاس واللورين بفرنسا . انظر بتوسع : وضعية الولاية الأولى ودورها عند إيقاف الحرب في 19 مارس 1962م إلى 26 سبتمبر 1962م في أثناء المرحلة الانتقالية (كتاب المرحلة الانتقالية للثورة الجزائرية) ص : 135 وما بعدها .

Yves courrière,l'heure des colonels OP- CIT p/304 et suivante.
Yves courrière, les feux du déséepoirOP_CIT p/334 et suivante

في 3 ماي المنصرم إلى الإعراب مرة أخرى عن رغبة حكومته والشعب الجزائري في إيجاد قاعدة صالحة لإنهاء الصراع الحالي ، وقد عرض في سبيل ذلك استعداده للاجتماع بديغول أو أي مندوب يعينه الرئيس الفرنسي على أن يتم ذلك في أرض محايدة أو شبه محايدة". لقد أعربت الحكومة الجزائرية عن استعدادها : "للعمل على تصفية المعضلة طبقا لروح هذا المبدأ المقبول وذلك على أساس الدخول مع الحكومة الفرنسية في محادثات تستهدف مناقشة" المقتضيات السياسية والعسكرية التي يتم بموجبها توقيف إطلاق النار وتحديد الشروط والضمانات التي يطبق على أساسها مبدأ تقرير المصير" هذا ما جاء في بيان الحكومة الجزائرية المؤقتة .

المفاوضات الرسمية:

لقد حاولت فرنسا أن تخلق قوة ثالثة موالية لها لتضمن مصالحها ولم تعترف بجبهة التحرير ممثلا وحيدا للجزائريين ، ولما أبطلت جبهة التحرير ذلك اضطر ديغول أن يعرض علانية في 10 نوفمبر 1959 على قادة الثورة التفاوض ليبحث شروط إنهاء المعارك ، وردت الحكومة بتعيين الوزراء الخمسة المعتقلين لإجراء المفاوضات ، لكن ديغول رفض وقال : إنه لا يتفاوض مع رجال يوجدون خارج المعركة ، وأراد ديغول بهذا إيجاد قوة ثالثة بدعوى أن الحكومة لا تمثل كل الجزائريين ، لكنه ما لبث أن لمس الحقيقة بنفسه عند زيارته للجزائر في ديسمبر 1960م ليشرح سياسته الجديدة فاستقبلته جموع الجزائريين وهي تحمل علم جبهة التحرير الوطني وتنادي بشعاراتها فعاد من الجزائر وهو مقتنع باستحالة سياسته الجديدة يقول المفكر الفرنسي جاك

بيرك : "مع من يتعين علينا أن نتفاوض، مع الخصم بالطبع . ولا يعني ذلك أننا نعتبره الممثل الرئيسي والوحيد، إن الشعب الجزائري بكامله هو الذي له أن يحدد مستقبله بنفسه ولكن القوة التمثيلية لجبهة التحرير أو الحكومة الجزائرية أو كيف ما دعوناه تعتبر كافية لإنهاء الصراع وعلى هذا فإنه سيكون حتما علينا أن نجري المفاوضات معها" . والمفاوضات هي وسيلة تهدف تحديد أرضية تفاهم وعمل لوقف إطلاق النار والقيام بالإجراءات القانونية اللازمة من الطرف المعتدي ثم يعرض هذا البروتوكول للاستشارة الشعبية .

إن خوف السلطات الفرنسية ممثلة في ديغول قد ظهرت على حقيقته حينما استقبل الأوروبيون ميشال ديبري بالحجارة والمطالبة برحيل جنراله نفسه كما كانوا يحيون المارشال بيتان الذي هو رمز الخيانة والإستسلام للألمان في عرف ديغول وديبري والمقاومين أيام السيطرة النازية على فرنسا .

إن تصريح ديغول السابق الذكر هو نفسه الذي أشارت إليه الوثائق المعاصرة للصراع النفسي والسياسي والدبلوماسي بين فرنسا الاستعمارية ودبلوماسية جبهة التحرير الوطني إضافة إلى ما كان يجري في الجزائر من أحداث متسارعة (المظاهرات التي عرفتها المنطقة الجنوبية في 27 فبراير 1962م وغيرها من العمليات العسكرية في الصحراء الشرقية والغربية) إن هذا الحل يشترط معه التوصل إلى صيغة معقولة تحدد الرأي المشترك للجانبين المعينين، ولكي تستوعب هذه الصيغة مقتضيات الحالة القائمة في الجزائر فإنه سيكون من المعقول مراعاة كثير من النقاط في الموضوع ومن بينها :

1- **الفترة الانتقالية** : تحديد أمدها، وشروطها، وتعيين الوضع الإداري الذي يسودها والبت في مصير الجهاد القائم .

2- **تطبيق مبدأ تقرير المصير** : تحديد وسائل التطبيق وأساليبه .

3- **الجهاز التنظيمي** : تركيبه واختصاصاته ووضعيته .

ثم تركز على نقطة هامة جدا وهي أنه ليس من الضروري انتهاج خطة معينة في التباحث " **إلا أن الذي يعني في الأساس هو اجتناب تجزئة المشكلة إلى جانب سياسي وجانب عسكري**".

أولا : مفاوضات مولان :

في 14 جوان 1960م دعا الجنرال ديغول في خطاب له قادة الثورة إلى القدوم لباريس ، ووافقت الحكومة في 20 من نفس الشهر ، وحددت مدينة مولان[1] الفرنسية للقاء "بين أحمد بومنجل ومحمد بن يحي للتمهيد للمفاوضات بين الجزائر وفرنسا ، بعد أن طلب ديغول رسميًا من الحكومة الجزائرية للتفاوض معه بخصوص حل القضية الجزائرية" . وهذا من 25 إلى 29 جوان 1960م ، واصطدم الوفد الجزائري بالموقف الفرنسي ، فهي وحدها التي تقرر الحل وما على الجزائريين إلا أن يقبلوا ، كما حددوا شروط اللّقاء بكيفية انفرادية ، وهذا ما رفضه ممثل الحكومة .

وكان مراد فرنسا من هذا اللّقاء معرفة موقف الثورة ومدى صلابتها وتماسكها بمبادئها . وتم لقاء آخر في "لوسيرن" بسويسرا في نهاية 1960م بين أحمد بومنجل والطيب بولحروف ومثل فرنسا جورج بومبيدو وهوبيرلويس ، وكانت أكثر جدية من سابقتها وعلى قدم المساواة وذلك في فندق ترمينوس ، وادعت فرنسا بتسليم "استقلال الجزائر دون الصحراء" ولكن هذا اللقاء لم ينجح

---

(1) عبد الله خي ، صدى الثورة الجزائرية ، ص : 63 .

بسبب اعتراف الفرنسيين بمبدأ استقلال الجزائر الناقص السيادة على معظم أراضيها ، وهي مسألة مبدأية في دبلوماسية الثورة الجزائرية ، وهذا مما جعل ديغول في 15 مارس 1961م يطلب رسميا بإجراء مباحثات وأعلنت الحكومة في17 مارس موافقتها واتفقا على بدئها في 17 أفريل 1961 في مدينة إيفيان الفرنسية على الحدود السويسرية ، والتي دامت إلى 20 ماي 1961 ، وهكذا استطاعت الحكومة أن ترغم فرنسا على الاعتراف بالخصم والذي هو الجزائر والجلوس معه للتفاوض .

ثانيا : مفاوضات إيفيان :

أعلنت الحكومة في 3 مارس 1961 أن وقف القتال لن يتم إلا بالمفاوضات بين الحكومتين في 20 أفريل و5 مارس بين **علي بو منجل والطيب بو الحروف وجورج بومبيدو** ويرافقه **برونودو لوس** ، واتفقوا على بدأ المفاوضات في إيفيان في 20 ماي 1961 وتستمر إلى 13 جوان من نفس السنة : "ثم توقفت بسبب مناورات فرنسا داخل قطاعات المفاوضات ، وإصرارها على **فصل الصحراء الجزائرية عن الجزائر** ، وكذلك إصرارها على منح الجنسية المزدوجة للأقلية الأوروبية في الجزائر مما يجعل منها دولة داخل الدولة ، وتهديدها بتقسيم الجزائر إلى "**قطاعات جزائرية**" les territoires Algériens فإذا لم ترضخ حكومة الثورة الجزائرية لشروطها فيما يتصل بمشكلة الأقلية الأوروبية ، ووحدة التراب الوطني ، ووحدة الشعب الجزائري ، كذلك إصرار فرنسا على الاحتفاظ ببعض القواعد العسكرية في الجزائر إلى الأبد . وفي أثناء المفاوضات شهدت الجزائر مظاهرات من يوم الأحد 4 جوان إلى 7 منه مؤيدة الوفد الجزائري ، لكن المفاوضات توقفت في 12 جوان : "**لأن**

ديغول كان يريد للجزائر في مفاوضات إيفيان الأولى استقلالا شكليا مزيفا ، محاطا بقيود وسلاسل تجعل منه مهزلة مضحكة ، وبالطبع أدى هذا الموقف المتعنت من طرف فرنسا إلى تأجيل المفاوضات إلى أجل غير مسمى" ، ولأن فرنسا أصرت على نقاط ثلاثة أساسية رفضها الجزائريون وهي : تسليم الجزائر بوضع خاص للجالية الأوروبية في الجزائر ، وعدم اعتبار الصحراء جزءا من الجزائر وتوقيع اتفاق وقف إطلاق النار .

إن نجاح هذه المفاوضات متوقف **على** موقف **ديغول** : "فمنذ أن تم له القبض على أزمة الحكم وهو يؤكد دائما إرادته في الوصول إلى توقيف عاجل لإطلاق النار" ، وقد كانت هناك مبادرات من بعض **الأقطار** المجاورة للجزائر للضغط على الحكومة حتى تتنازل وتقبل بحل الفرنسيين ، وقد بدت من قبل كثير من البوادر في هذا المقام : "وقد انطلقت الإرهاصات الأولى للمبادرة غداة تأكد المحادثات مشروع **محمد الخامس ـ ديغول** ابتداء التي أجراها الحسن الثاني[1] ولي عهد العرش المغربي ، والواقع أن هذا الاجتماع المفترض سيهدف في أساسه ـ إلى معالجة كثير من نقاط الخلاف في العلاقات المغربية

---

(1) لمعرفة ملابسات المفاوضات الجزائرية الفرنسية انظر : الدكتور مياسي إبراهيم ، ذكرى عيد النصر (19 مارس 1962- 19 مارس 2000م) جريدة اليوم الجزائرية السبت 18 مارس 2000م ص : 21 . انظر قراءة الرئيس بن يوسف بن خدة (الملحق رقم17) وهو الاعتراف الفرنسي الصريح باستقلال الجزائر ولكن خبث ودهاء العجوز ديغول لازال حاضرا كما تنبه إلى ذلك الرئيس بن يوسف بن خدة انظر الهامش رقم : 1 من الملحق السابع عشر .

ANNEXE (17(Beyoucef Ben khadda, L'Algerie A l'indépendance LA FRANCE RECONNAIT SOLENNELLEMENT L'INDEPENDANCE DE L'ALGERIE (3 juillet 1962). P: 146.

YVES COURRIERRE, les feux du désespoir (1960- 1962) (marabout histoire) PARIS AVRIL 1988 P/540.

YVES COURRIERRE, l'heure des colonels OP- CIT P: 386. op

والفرنسية ، ولكنه يمكن أيضا أن يكون مناسبة لإثارة بعض النقاط الجوهرية التي تتصل بموضوع الجزائر من قريب أو من بعيد" .

وكان موقف المغرب الأقصى الذي يود على الأقل رؤية الفريقين يندمجان في جو تفاوضي ودّي هادف : "على أن هناك بين الجانبين ولا شك نقاطا لها أهميتها الأساسية والجوهرية ومن بينها الرغبة المشتركة في وضع حدٍّ للصراع المستعر في الجزائر" .

لكن رد الفعل كان سريعًا من قبل الجزائريين على هذا التدخل حيث قاموا بمظاهرات مساندة للوفد ومنددة بهذا التعنت الفرنسي الذي يدل على سوء النية في إيجاد حل معين : "أما تفاصيل هذا البرنامج الذي قد يتبناه ديغول ذاته فهو في نقطتين أساسيتين :

1- توقيف إطلاق النار مع السماح للقوات الحربية الجزائرية (وهذا هو الأهم) في الاحتفاظ بمواقعها الحالية التي تقع تحت سلطتها المباشرة .

2- إيجاد حل سياسي عن طريق الاعتماد على سلسلة من العمليات الانتخابية بعيدة المدى ، تلك هي الخطوط العريضة للمشروع" .

وهذا المشروع يكاد يلتقي في كثير من الجوانب مع المنهج "الذي قد تبناه "**غي مُولّي**" خلال فترة وجوده على رأس الحكومة الاشتراكية السابقة" .

ثم استؤنفت المفاوضات في جويلية "بلوغران" قرب الحدود السويسرية : "بين وفد الحكومة الجزائرية ووفد فرنسا ، واستمرت المفاوضات في هذه المرة أكثر من أسبوع ، ثم قطعت نظرًا لإصرار فرنسا على فصل الصحراء الجزائرية عن الجزائر ، رغم تسليمها بوحدة الجزائر في الشمال ، واعتبار

الصحراء الجزائرية مشكلة قائمة بذاتها ستسوى فيما بعد بين الجزائر المستقلة وفرنسا ، وكان هذا في 20 يوليو 1961" .

لكن ديغول تراجع عن رأيه فيما بعد: "وذلك في 2 أكتوبر 1961 في مؤتمر صحافي سلم بضرورة التفاوض مع **جبهة التحرير الوطني** على أساس استقلال كل الجزائر بما فيها **الصحراء** ، وفي نفس الأثناء اجتمع المجلس الوطني للثورة في طرابلس من 9 إلى 27 أوت 1961 لتغيير حكومة جديدة وتمت اتصالات سرية بين الحكومتين اتفقتا على اللقاء في إيفيان للمرة الثانية ، وتمت على مرحلتين الأولى في 11 فيفري 1962 إلى 19 منه وبعدها مباشرة استدعي المجلس الوطني للثورة في دورة استثنائية بطرابلس من 22 إلى 27 فيفري لدراسة مسودة الاتفاقية ومناقشتها والمصادقة عليها ، ثم استؤنفت المفاوضات من 7مارس إلى 18 منه 1962 ، حيث تم الاتفاق على اتفاقيات إيفيان وتوقيعها بين الطرفين .

وقف إطلاق النار واسترجاع الجزائر لسيادتها الوطنية المغتصبة:

تم الاتفاق على وقف إطلاق النار في منتصف نهار يوم الإثنين 19 مارس 1962م[1] ، ونصت الاتفاقية على وحدة التراب الجزائري ، وعلى استقلال الجزائر وتمتعها بكل مقومات السيادة: "وأهم بنود الاتفاقية المذكورة هي الاعتراف باستقلال الجزائر استقلالا تاما داخليا وخارجيا بعد استفتاء يجري إثر فترة انتقال قصيرة ، يفرج عن المعتقلين في فرنسا والجزائر في أجل أقصاه

---

(1) عبد الله خي ، صدى الثورة الجزائرية ، ص : 75 .

عشرين يوما من وقف إطلاق النار، وأن العلاقات تقوم على الاحترام المتبادل بين الطرفين ونصت على حرية الاختيار الجنسية للأوروبيين مع احترام تقاليدهم كالدين واللغة: ... اعتمادًا على النشرة السياسية لوزارة أنباء الحكومة المؤقتة الحالية، وإذا ما حللنا مضمون هذه الوجهة من النظر فإننا نلحظه يرتكز في الأساسين التاليين:

1ـ ضرورة التأكيد على حق الجزائر في الاستقلال، وحق الأقلية في مستقبل مضمون داخل إطار هذا الاستقلال.

2ـ استبعاد العمل على إقرار منشآت معينة ما دام ذلك خارجًا عن نطاق الكيان الجزائري الذي تحدد تشكيله النقطة السابقة.

وفي الجانب العسكري اتفق أن تبقى فرنسا في المرسى الكبير ـ ميناء وهران ـ لمدة 15 سنة قابلة للتجديد وتجلو القوات الفرنسية حسب جدول مضبوط ينخفض في ظرف العام بعد إعلان تقرير المصير بنسبة 90%، ونصت أن تمر الجزائر بفترة انتقالية قبل الإعلان عن الاستقلال، تبدأ من وقف القتال وتمتد مدة تتراوح بين 3 أشهر على أقل تقدير و6 أشهر على الأكثر.

وبعد هذه المدة يقع الاستقلال، وخلال هذه الفترة يتم التنظيم في الجزائر بسلطة تنفيذية مؤقتة محكمة للنظام العمومي تظم 3 فرنسيين و9 جزائريين برئاسة السيد عبد الرحمن فارس، والتي تنشط في أسوأ الظروف لمكافحة أعمال المنظمة السرية. وفي هذه الأثناء تم عقد مؤتمر طرابلس للمجلس الوطني للثورة في 27 جوان 1962، ورغم الخلافات التي حدثت فقد تمت المصادقة على مشروع ميثاق يحدد فيه اتجاه الجزائر بعد الاستقلال وتم

الاستفتاء في 1 جويلية 1962 وأعلنت في اليوم الثاني بأن 5975581 انتخبوا بنعم من مجموع 5992115 .

وفي مصادر أخرى عدد الذين انتخبوا بنعم : 5. 993. 754 أما الرافضون الذين صوتوا بلا : فعددهم : 16. 478 . [1] .

وفي مصادر أخرى أكثر تفصيلاً كالآتي :

المسجلون	6 . 549 . 736
المصوتون	6 . 017 . 800
الممتنعون	531 . 936
الأصوات المعبر عنها	5 . 992 . 215
الملغاة	25 . 565
المصوتون بنعم	5 . 975 . 581
المصوتون بلا	16 . 543

لقد كانت معركة فرنسا ذات أبعاد كثيرة في هذه الحرب التي جندت لها ما يزيد عن مليون عسكري فرنسي ، كما جندت لها جيشا من الإعلاميين في فرنسا وفي الجزائر وعلى رأس هؤلاء "**راديو صوت البلاد**" ، كما جندت عشرات المحققين من الصحفيين والكتاب والمؤرخين والمفكرين من اليمين واليسار ، كما جندت لمفاوضاتها مع الدبلوماسيين الجزائريين أصحاب الخبرة

---

(1) انظر :

- YVES COURRIERRE , les feux du désespoir (1960- 1962) , P: 646

بالمناورة ، كل هذا من أجل إنجاح ثمرتها التي غرستها في الجزائر حملة الحرف الفرنسي ، وبقايا الإدارة الاستعمارية "**لاصاص**" كما كانت تعمل على الحصول على مزايا البحث والتنقيب في الصحراء عن البترول والمعادن الأخرى ، وأخيرا الرهان على مستقبل أعوانها من الحركة وبقايا الجنود والضباط وأنصاف الضباط ، تعدهم لمهمات أخرى ، نحن الآن نشرب مرارة وفائهم لفرنسا داخل **الإليزي** وفي غيرها من المناطق ، ولكن مهما كان خبث العدو قديما ، ومهما كانت الألوان التي يتلون بها في التعامل مع بلدنا فلن تفلح فرنسا **ولا أحفاد ولا أبناء دفعة لاكوست وماكس لوجان** (le Max [1] jeune) في تمريغ أنف الجزائر في الوحل ما دام فيها من يقرأ عن تاريخ مغول القرن التاسع عشر والقرن العشرين في الجزائر[2] .

---

(1) المرحلة الانتقالية ، ونهاية اتفاقيات إيفيان بإعلان وقف إطلاق النار وملابسات المرحلة :

انظر : Malék ,Rédha (L'Algérie à Evian, éditions DAHLAB Alger 1995

(2) لمراجعة ما ذهبنا إليه حول الحرب النفسية التي عرفتها الثورة يمكن مراجعة الدراسات الآتية التي تتعلق بمعركة البترول وفصل الصحراء عن الشمال وملابسات الحرب النفسية المضادة يمكن مراجعة : إبراهيم لونيسي ، "المجاهد" ودورها في الحرب النفسية إبان الثورة التحريرية ، (كتاب سلسلة الملتقيات) الإعلام ومهامه أثناء الثورة ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م ص : 119 .

Olivier Long , les dossiers secret des accords d'Evian (une mission Suisse pour la paix en Algérie) préface de Max Petitpierre, O. P. U ALGER 1989 P: 37.

عاطف سليمان ، معركة البترول في الجزائر ، الطبعة الأولى دار الطليعة بيروت 1974م .

- الغالي الغربي : السياسة الفرنسية لفصل الصحراء وردود الفعل الدولية ، (فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية) ص : 259- 278 .

رابعًا: التجارب النووية الفرنسية بالجزائر
بين العَظَمَة المُزَيَّفَة والجريمة المعلنة[1]

إذا كانت الصحراء مجال السياسة الاستعمارية الفرنسية الجديدة في مرحلتها الأخيرة مع الثورة الجزائرية فإن التجارب النووية والأسلاك الشائكة أو طريق الموت كما كان يسميها المجاهدون كلها معًا سياسة معلنة من طرف السياسي العجوز "**ديغول**" فإن الحديث عن الخلفيات السياسية التي تقودنا إلى النتيجة المتوخاة من هذه السطور المتواضعة .

لقد كان "**ديغول**" يسعى من أجل الخروج من دائرة الطوق الأمريكي التي ظهرت عقب التطويق الاقتصادي والعسكري الذي جاء بعد التفوق الاقتصادي الذي ظهر بعد الهيمنة السياسية الأمريكية ، وفي غياب الوعي الإقليمي والدولي وجدت فرنسا في منطقة آمنة بالوطن العربي والقارة الإفريقية ، لتقوم بتجاربها النووية الباطنية والجوية ، وفوق الأرض الصحراوية الجزائرية الآمنة ، قامت فرنسا بتنفيذ مخططاتها الإجرامية دون أي اعتبار للبيئة والإنسان ؛ لأن الساسة الفرنسيين ما يزالون في حلمهم لفرض عقدة الرجل الأوروبي والدولة العظمى المتفوقة .

وبحكم تغير موازين القُوى في عالم الخمسينيات ، إذ لم تعد هناك قيمة تذكر للمستعمرات التقليدية والإمبراطوريات التي لا تغيب عنها الشمس ، بل

---

(1) مداخلة قدّمت في إطار الندوة الخامسة للتفجيرات الفرنسية بالصحراء الجزائرية المقامة بأدرار يوم 13 فبراير 2000م (الذكرى الأربعون لأول قنبلة نووية بالجزائر) .

صار عنصر القوة واحداً وهو امتلاك أحدث الأسلحة، وخاصة السلاح الاستراتيجي "**النووي**" الذي عرفته العلاقات الدولية من خلال " **توازن الرعب**" الواقع بين العملاقين الأمريكي والسوفيتي، ولهذا بدأت فرنسا في عهد ديغول بتنفيذ مشاريعها النووية حتى لا تُقْصى إلى الأبد من نادي الأقوياء؛ لأنها لا تملك القوة الاقتصادية القادرة على مواجهة المنافسة الشديدة داخل "**العالم الحر**" إذ إن قوتها العسكرية والاقتصادية قد تحطمت أثناء الحرب الكونية الثانية واستنزفت ميزانيتها الكبيرة في حربها الخاسرة بالجزائر لولا المساعدة الأمريكية من خلال مشروع مارشال الذي أدخلها تحت المظلة الأمريكية رغم مراوغات العجوز ديغول للتملص من الهيمنة العسكرية والاقتصادية للسيد الأمريكي الجديد محرر باريس وفرنسا جميعًا، وهي عقدة الفرنسي ساسة ونخبة ثقافية وعلمية إلى اليوم.

إن التجارب والدراسات والأبحاث الفلكية والجيولوجية التي هيأت فرنسا في الصحراء كانت كلُّها تصب في خانة المنافسة العالمية من أجل امتلاك "**قوة الردع**" وفرض سيطرتها في أوروبا وإفريقيا ومراقبة هذه المنطقة والالتحاق بركب أمريكا والاتحاد السوفيتي في إنجازاتها الفضائية والاستراتيجية نظرًا لما يحتويه هذا البعد من قوة لفرنسا وتعويض عقدة جيش فرنسا المنهزم عسكريًّا أثناء حروبها في أوروبا والهند الصينية والجزائر، إن الهدف الحقيقي الذي طرحه الجنرال "**ديغول**" كما تثبت الدراسات الحديثة هو ضرب الانقلابيين الذين قاموا بمناوراتهم في 13 ماي 1958م ورهن الثورة والشعب الجزائري من أجل إقناع الرأي العام الفرنسي والرأي العام الدولي أن فرنسا لا تزال الدولة

العظيمة والقوية[1]، لهذا فإن تجارب فرنسا النووية في الجزائر كان منطلقها العَظَمة المزيفة التي صاحبت الدولة الفرنسية طويلا إلا أنها لا تخفي جريمتها في حق الإنسانية الخرساء والشعب الجزائري الذي انتقم "ديغول" من ثورته التي لقنته الدروس العسكرية في الجبال والمدن والوهاد والسهول وحتى في عقر دار العدو فرنسا، ومع هذا فتجارب فرنسا النووية هي الورقة الأخيرة للضغط على المفاوض الجزائري وإقناع العالم بحتمية "فَرَنْسَةِ الصَّحْرَاء" لأنهم هم الذين مهدوا السبل ومدوا خطوط السكك الحديدية وأقاموا المنشآت البترولية، وأحدثوا مجالات للصناعة، كما أقنعوا شركاءهم بأن الصحراء مكان جيد لردم النفايات الأوروبية في فضاء خال هو ملك فرنسا وحدها دون بقية الدول الإفريقية والجزائر بصورة خاصة رغم الرفض العالمي لخطوات ومغامرات فرنسا منذ جوان 1958 إلى جويلية 1962م[2].

الجريمة المعلنة في حق الإنسانية والشعب الجزائري:

كيف يفكر السياسي والمؤرخ والملاحظ ونحن نتذكر 13 فبراير 1960م أين فجرت فرنسا قنبلتها النووية الأولى في الصحراء الجزائرية في ظل تعتيم إعلامي غربي وفرنسي كامل حول الظروف وسير التجربة وأخطارها على الإنسان والحيوان، إن أكثر من 17 قنبلة وتجربة نووية شهدتها المنطقة التي

---

(1) التجارب النووية الفرنسية في الجزائر، ملف من إعداد المركز، (كتاب سلسلة الملتقيات) المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م ص: 20.

(2) بوعزة بوضرساية، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، (كتاب سلسلة الملتقيات) المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م ص: 281.

نتواجد بالقرب منها الآن تفوق حدود المنطق العلمي والضرورة الاستراتيجية ، وهذا عندما استباحت الأرض وأصحابها بهذه الرعونة والإجرام وتدمر المنطقة وأهلها بهذا المستوى من الحقد الأسود البغيض .

إن فرنسا تريد أن تحقق عظمتها المزيفة من خلال جريمتها المعلنة على جماجم الجزائريين ، هل يمكن السكوت عن الجريمة التي تعد من أكبر الجرائم النووية في القرن العشرين ؟[1] .

إن السكوت عن المجرم الذي أدانته محكمة الشعوب في أفريل 1984م في باريس حيث عرفت الجريمة ضد الإنسانية هو ما وقع في الجزائر وتحت مسؤولية الدولة الفرنسية التي كانت ترواغ وتتفاوض مع الجزائريين وتهدد باستعمال القنبلة النووية مع المجاهدين وفي أكبر التجمعات السكانية دون خجل أو خوف أو إحساس بعقدة الذنب بحكم مسؤوليتها أمام العالم عن الجزائر إلى غاية مغادرة التراب الجزائري ، كما تفاوضت مع الجزائريين من أجل استقلال الشمال عن الجنوب ، وهذا هو الحلم الذي تحطم أمام الرفض التام للمفاوضين ومن ورائهم الشعب الجزائري في مظاهرات 11 ديسمبر 1960م ومظاهرات المهاجرين في 17 أكتوبر 1961م بباريس ومظاهرات 27 فبراير 1962م بورقلة وكل الأعمال البطولية التي قام بها الجيش الجزائري

---

(1) عبد المجيد شيخي ، القنبلة الذرية الفرنسية الأولى جريمة ضد الإنسانية والشعب الجزائري ، (مجلة الرؤية) ، نشرية تعني بالثقافة والمعرفة التاريخية ، العدد الأول السنة الأولى المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م ص : 191 . د : عبد الكاظم العبودي ، يرابيع رقان وجرائم فرنسا النووية في الصحراء الجزائرية ، الجزائر ، وهران دار الغرب للنشر والتوزيع ، 2000م ص : 4 .

صورة واضحة للرد على ديغول والساسة الاستعماريين حول رهن مستقبل وسيادة الجزائر[1].

إن تجارب القرن العشرين النووية جرائم حرب نووية، شهدتها اليابان والجزائر بإسقاط وتفجير القنابل الذرية الانشطارية على أراضي هذه البلدان[2].

وتسود دائمًا سياسات تضليلية وإعلام مقصود من قبل الدول الكبرى عندما يتعلق الأمر بمدى الأضرار والأخطار المترتبة عن التلوث الإشعاعي الناتج عن التجارب النووية أو عن دفن النفايات النووية في بعض المناطق من العالم. ويزداد التضليل كلما تعلق الأمر بمصير فئات كبيرة من سكان البلدان المنكوبة التي وضعتها سياسة الاحتقار للإنسان وجهًا لوجه مع الموت والمرض والتلوث، ويكفي أن نعرف أنه بعد أربعين سنة لا يزال أهل رقان ومثلث الموت الذي يزيد عن 1000 كلم^2 الذي يتعرض للإشعاع، وفي غياب الوعي النووي والوعي بتلوث المكان والجو والمحيط فإن الأمية النووية مقصودة من الجميع، ويكفي أن أهل المنطقة وإلى اليوم لا يزال معظمهم بما فيهم المتعلم يجهلون التأثير الإشعاعي للمكان والنفايات بل مراسل التلفزيون من بشار يسأل ويطلب من العلماء إذا كانت زيارة المواقع خطرة على الزوار وتلاميذ المدارس، ومما علمنا من أهل الاختصاص ومن الأطباء في الفيزياء

---

(1) Abderrahmane Kiouane, Les débuts d'une diplomatie de guerre (1956- 1962) journal d'un délégué à l'exterieur Alger éditions Dahlab mai 2000, p: 74

(2) عبد الكاظم العبودي، التجارب النووية الفرنسية ومخاطر التلوث الإشعاعي على الصحة والبيئة في المدى القريب والبعيد (كتاب سلسلة الندوات) (التجارب النووية الفرنسية في الجزائر دراسات وبحوث وشهادات، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م ص : 85 .

النووية والأشعة بما فيها ذات الاستعمال الطبي فإن مخاطر التلوث والتأثير على البيئة والإنسان لا تزال حاضرة في فضاء مثلث رقان ، وقد يبقى حسب الدراسات العلمية الحديثة الإشعاع آلاف السنين ، وعليه فإن تحسيس المواطنين بمختلف العواقب من الضرورة بمكان حتى لا تزداد التأثيرات النووية خطورة على المحيط والإنسان والحيوان .

خامسا: قادة أوراس النمامشة

وتساؤلات عن مصير الحقيقة التاريخية؟[1]

يثير تاريخ قادة المنطقة الأولى أوراس النمامشة الكثير من التساؤلات، حول بطولات هؤلاء القادة، وجهادهم وأهدافهم ومصيرهم.

ذلك أن تاريخ جهادهم قد طُمس بفعل فاعل، ومن هنا أُهملت الفترة الحاسمة من تاريخ ثورة التحرير المباركة ما بين 1954 - 1956م لأن السؤال المطروح هو عن مصير هؤلاء القادة كيف تقرر؛ من خلال القيادة السياسية بتونس؛ ثم أي زاد فكري وأي عمق ثقافي أو روحي الذي كان وراء هذا التهميش والإقصاء من دائرة الأضواء هل هي القناعات السياسية والفكرية التي آمن بها هؤلاء الرجال الكبار والقادة الأفذاذ ؟

إن التوجهات العربية الإسلامية لهؤلاء القادة واضحة المعالم من خلال تكوينهم الأسري أو تخرجهم من معهد عبد الحميد بن باديس فالزيتونة بتونس.

ولعل ما يثير السؤال أن هؤلاء القادة كانوا قلة قليلة وسط بحر غطى عليهم حقيقتهم ومكانتهم من خلال السيل الجارف "لِلحَقَاء"، بعد الاستقلال؛ حيث غلب على مرحلة ما بعد مؤتمر الصومام 1956م الذي أصبح المعلم

---

(1) قادة الثورة بأوراس النمامشة وتساؤلات عن مصير الحقيقة التاريخية مداخلة ألقيتها بمناسبة يوم الشهيد بمناسبة انعقاد الملتقى الولائي الأول عن قيادة الثورة بتونس 1954- 1957م بمدينة الوادي يومي 17- 18 فبراير 2000م.

والمنطلق للتأريخ للثورة الجزائرية ؛ حيث اعتبروا مؤتمر الصومام وكأنه بداية الثورة الفعلي بجميع ما يحمل في طياته من خبايا ومن مفردات واضحة وأخرى غير واضحة أو مبهمة ؛ وصار بيان أول نوفمبر 1954م وما جاء فيه من وضوح وتأكيد على الاتجاه الحضاري العربي الإسلامي للجزائر في خبر كان وكأنه لم يكن .

فصرنا نؤرخ مثلا لالتحاق الطلبة الجزائريين بصفوف الثورة انطلاقًا من تأسيس اتحاد الطلبة الجزائريين وهم أغلبيتهم طلاب المدارس الفرنسية[1] ، فأهمل بذلك طلاب المعاهد والزوايا والكتاتيب وحفظة القرآن الكريم الذين لبوا نداء الجهاد منذ انطلاق صيحة الله أكبر مدوية من ربوع الأوراس الأشم .

وصار هؤلاء الطلبة الفرنكفون هم الرواد ، وأصبح طلاب المدارس العربية محذوفين من سجل التاريخ لا شئ إلا لكونهم حفظة قرآن وعلوم اللغة العربية ، وليس هؤلاء إلا رواد الثورة ؛ إذ إن أول شهيد هو الطالب الزيتوني "قاسم زيتون" خريج معهد ابن باديس أصيل مدينة وهران[2] .

فقد ألقت عليه السلطات الاستعمارية القبض وعذبته إلى أن لفظ أنفاسه

---

(1) يوسف مناصرية ، نبذة عن حياة الشهيد لزهر شريط ؛ التراث (مجلة تاريخية أثرية تصدرها دوريًا جمعية التاريخ والتراث الأثري بولاية باتنة العدد 6 ربيع الأول 1414هـ/سبتمبر 1993م ص : 44 وما بعدها . انظر أيضا عن حياة وأعمال الأزهر شريط كما وصفته التقارير العسكرية الفرنسية في تبسة :
Callet (lieutenant colonel), Hiver à Tebessa p: 78- 109. 136

(2) استقيت هذه المعلومات من السيد : محمد الطيب العلوي بمناسبة الذكرى الثالثة لوفاة المغفور له مولود قاسم المنعقد بباتنة أيام ، 16 ، 17 ، 18 نوفمبر 1996م . وفي كتاب المحامي الفرنسي فيرجيس ، عن الثورة وتعذيب جميلة بوحيرد تحدثت لمعذبها عن تعذيب الطالب الجزائري قاسم زيتون واسمه الحقيقي "قاسم زدور" .

تحت تعذيب زبانية فرنسا الاستعمارية ثم ألقت بجثمانه الطاهر في ميناء الجزائر العاصمة في اليوم الثاني من نوفمبر 1954م .

ولابد من الإقرار أن إهمال تاريخ قادة المنطقة الأولى التاريخية التي ستصبح حدودها الإدارية والعسكرية بداية من 1956م تمتد من أعالي سطيف إلى الحدود التونسية والليبية ، هذا الإهمال عار يُنْدَى له جبين كل مخلص لهذا الوطن المفدى ولتلك الأرواح الزكية التي اصطفاها الله بالجهاد والشهادة[1] .

ومن هنا يظهر أن أمر إقصاء هؤلاء القادة من التاريخ وتصفيتهم من قبل أطراف جُلُّهُمْ من "اللُّحَقَاء"[2] . ومن الذين كانوا يخططون لما بعد الثورة من مكاتب بعيدة عنها واستفحل أمرهم خاصة بعد مؤتمر الصومام ، وهذا هو مصدر التساؤلات الكثيرة التي تستحق الوقوف عندها ، دون تردد أو خوف أو خجل من الحقيقة العارية من المساحيق الاصطناعية .

فمن منا لا يسمع عن **مصطفى بن بولعيد شيخ المجاهدين ، أو عن شيحاني بشير وعباس لغرور ، الأزهر شريط ، محمد لعموري ، وعمار الطالبي ، وأحمد نواورة وعلي النمر والزين عباد وحمَّة السوفي ، وطالب**

---

(1) يوسف مناصرية ، نبذة عن حياة الشهيد لزهر شريط ، المرجع السابق ص : 44 .

(2) مصطلح "اللُّحَقَاء" ليست غريبة بل من المصطلحات الرائجة في تاريخ الثورة ويقصد بها الذين ركبوا القطار وهو يسير بعد تأكدهم من انتصار الثورة واستمراريتها فكان هؤلاء اللحقاء أو الانتهازيون الذين يحسنون توقيت الركوب والاحتواء هم أولائك الذين قطفوا ثمار المخلصين من الشهداء والمجاهدين . راجع المذكرات القيمة للمجاهد الرائد سي لخضر ، شاهد على اغتيال الثورة ، الجزائر ، دار الحكمة ، ماي 2000م . ط . 2 . ص : 311 - 316 . انظر الملحق رقم : 1 . رسالة سي لخضر بوشمعة قائد الولاية الرابعة المؤرخة في 22 مارس 1960م الموجهة إلى الحكومة المؤقتة بتونس ص : 319- 329 .

العربي[1] **والجيلالي بن عمر شهيد زريف الواعر وعبد الحي السعيد** وغيرهم من الأبطال الذين صنعوا أمجاد الثورة بالأوراس حينما كان "اللُّحَقاء" يراهنون على أغسطين بارك وفرنسا الرؤوم ؟. إننا نعرف أسماءهم ولا نعرف أفعالهم ولا أفكارهم ولا حتى أهدافهم وعبقرياتهم إلا نتفاً قليلة مكتوبة على استحياء أو منها النصوص المزورة على ألسنة خصومهم، وهي أشبه ما انطبع في أذهاننا وأذهان الناس من تكرارها حتى كدنا تصديقها نظرا لأن أولائك الذين صنعوا تاريخهم المزيف إلا من رحم ربي قد آمنوا بنظرية وزير الدعاية الألماني النازي "**قوبلز** الذي يقول: "**إذا أردت أن يصدق الناس الكذب فكرر الكذبة الواحدة ألف مرة فتصبح بمرور الزمن حقيقة وربما صدقها صانعها نفسه**". ثم إن المدرسة التاريخية الفرنسية وأذنابها من الاغترابيين ومن سار خلفهم من الناعقين قد شوهوهم وأبرزوا أسماء غير أسمائهم وأعمالا غير أعمالهم فاضطربت أحوالنا ومفاهيمنا وفهمنا ثورتنا بمناهجهم، ذلك أننا اكتفينا بقراءة أخبارهم المزورة دون تمحيص؛ لأننا لا نجد من يكتب عن هؤلاء القادة من أجل إعادة الحق لأصحابه وإلا فقد خُنَّا أمانة وذاكرة الشهداء وكل مظلوم يستحق أن تعاد له حقوقه.

وسأقف في هذه الدراسة المتواضعة عند قائدين كبيرين ذهبا ضحية الغدر والحسابات الخاطئة وهما **الأزهر شريط والعقيد محمد لعموري**.

الشهيد الأزهر شريط:

هو الشهيد الأزهر بن بلقاسم شريط من عرش الجدور، من أبطال الثورة المباركة، وقائدًا من قادة المنطقة الأولى أوراس النمامشة، برز من خلال قيادته

---

(1) مناصرية، نبذة عن حياة الشهيد لزهر شريط ص : 45 .

للمعارك الحاسمة التي خاضها ضد الاستعمار وأشهرها معركتي الجرف (1955م) وأرقو (1956م) . فحفظت له جبال الأوراس والأبيض وأحمر خدو وغيرها صدى طلقاته وتكبيراته في وجه ظلم الاستعمار الفرنسي ، والأزهر شريط من أبرز الرافضين لوثيقة الصومام كونها ألغت صبغة العروبة والإسلام عن الثورة وزكت تفوق السياسيين على العسكريين فحيكت ضده وضد من شاركه الموقف ، المؤامرات والدسائس ولم يحد عن أصله الجهادي ، حتى لقي ربه شهيدا في سبيل الله والوطن[1] .

والشهيد **الأزهر شريط بن محمد بن حمزة وابن عائشة** " فتني" من الجدور من قبيلة النمامشة ، من مواليد 1914م بدوار " تازبنت" ما بين الحمامات وجبل القعقاع الشهير بضواحي تبسة مارس رعي الأغنام وفلاحة الأرض وتجارة السلاح ما بين تونس والجزائر ، أتم الخدمة العسكرية الإجبارية ما بين 1936- 1937م ثم جُنِّدَ كُرْهًا أثناء الحرب العالمية الثانية ولو لا تدخل قائد الدوار الذي شهد لدى الحاكم بمقتل أزيد من 14 فردًا من أسرته لأخذوه عنوة إلى جبهات القتال في أوروبا وإلى حرب لا ناقة له فيها ولا جمل ، ثم أتم تجنيده الإجباري مع نهاية الحرب العالمية الثانية ، وعاد إلى ممارسة أعماله التجارية والفلاحية كسابق عهده بروح نضالية وخبرة عسكرية أفاد بها الأفواج الأولى التي تمركزت بالجبل الأبيض وغابة بوجلال في فجر اندلاع شرارة أول نوفمبر المباركة .

تميز **الأزهر شريط** بخصال حميدة مع حبه لطلب العلم على يد **الشيخ العربي التبسي** ، كما يملك حِسًّا قوميا وإسلاميا واضحًا في مساره السياسي

---

(1) نفسه : ص : 46 .

والعسكري، ولما اندلعت حرب فلسطين شد الرحال بسلاحه إلى أن منعته السلطات الحدودية المصرية من دخول الحدود فعاد أدراجه إلى تبسة، واستفتى **الشيخ العربي التبسي** بإعلان الجهاد على الحركة وأعوان النظام الاستعماري وهذا منذ مرحلة مبكرة وقبل اندلاع الثورة، فأفتى له الشيخ بالدفاع عن العرض والشرف وعدم مناجزتهم إلى أن يحين الوقت، ثم شارك إلى جانب المجاهدين بتونس في ثورتهم كمتطوع تحت قيادة **البطل التونسي شرايطي لزهر الهمامي**، ولما سلم المجاهدون بتونس السلاح وقبول بعضهم بالاتفاق الفرنسي البورقيبي، عاد **الأزهر شريط** مع فوجه إلى **الجبل الأبيض** وبدأ يعد العدة للثورة التي كان يدرك بحسه الثوري أن شيئا ما يعد خفية عن أعين الخونة والبياعين وعيون البوليس الفرنسي. حيث بدأ بجمع السلاح وتكوين الأفواج كما جاء في شهادة المجاهد **أحمد الزمولي المحامي**[1].

ولما اندلعت الثورة بالأوراس التحق الأزهر شريط بالمجاهد ساعي فرحي إلى الجبل الأبيض، وكذلك **عمار بن سعيد** السعداوي وعبد الله النقريني **ودعاس عمارة والجيلالي بن عمر السوفي** وهم أهم فوج التحق بالثورة مبكرا في نواحي تبسة.

نهاية بطل:

إن **جهاد الأزهر** شريط وسجله الخالد مسجل في ذاكرة أهل المنطقة في

---

(1) الزمولي أحمد المحامي، الإعداد للثورة وانفجارها في ناحية تبسة، (مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية 1374هـ- 1954م. إنتاج جمعية أول نوفمبر لتخليد مآثر الثورة في الأوراس، باتنة الجزائر 1420هـ/1999م ص: 74.

أشعار تُردد إلى اليوم، فكان جزاء هذا البطل أن اتهم بالتمرد عن قادة الثورة بتونس فحكموا عليه وعلى رفاقه من المجاهـدين بالإعدام.

لقد كانت أهم محنة عرفتها المنطقة الحدودية أوراس النمامشة والقاعدة الشرقية (سوق أهراس) هي مسألة التموين بالسلاح وبسبب النزاع القائم بين القيادات في تونس والضغط على الداخل جمدت حملات نقل السلاح عن طريق الحدود التونسية والليبية، ولأن القيادة السياسية قد سقطت في لعبة الاتجاه البورقيبي الذي غلب من خلال تصفية الاتجاه الوحدوي الذي اتهم بأنهم عملاء القاهرة يتحدث المناضل التونسي الطاهر عبد الله عن تحالف بورقيبة مع تيار انتهازي داخل الثورة الجزائرية، ومن ذلك كانت تصفية جل المجاهدين والقيادات الوطنية الجزائرية لاتهامها بانتمائها الحضاري العربي الإسلامي، فكان الاتهام الجاهز هو التعامل مع مصر عبد الناصر، ومن ذلك مقتل الطالب العربي الذي تحالف مع جماعة صالح بن يوسف وتحت عنوان "محاولة التخريب داخل الثورة الجزائرية" يقول الطاهر أبو القاسم عبد الله: "وبما أن قسما كبيراً من جيش التحرير التونسي والمناضلين السياسيين في المعارضة من منطقة الجنوب بقوا يتعاونون مع الثورة الجزائرية وجيش التحرير الجزائري فإن الحكومة التونسية بدأت تضغط على الجانب الجزائري لكي يتخلى عن عناصر جيش التحرير التونسي أو يسلمهم للحكومة التونسية فرفض الجانب الجزائري هذا المطلب وبدأت الحكومة التونسية عندئذ تخلق للجانب الجزائري المتاعب والمشاكل. وأتت حكومة تونس بعناصر من داخل الجزائر وأوغرت صدورهم حقدا على إخوانهم الآخرين، وبدأ الاتجاه المساير

للحكومة التونسية داخل الثورة الجزائرية يتهم الجانب الآخر بأنه يسير في فلك القاهرة ، وبعد اختطاف طائرة (أحمد بن بلة) ورفاقه الأربعة سنة 1956 استغلت الحكومة التونسية هذا الحادث في تصفية العناصر الرافضة للاتجاه البورقيبي في الثورة الجزائرية معتبرة إياهم عملاء القاهرة وأداة تخريب وهدم ، وحدثت تصفيات رهيبة في التيار الوحدوي العربي فاغتيل الشهيد "عبد الحي (السعيد)" وعباس لغرور "وعلي الشكيري" وجندت الحكومة التونسية كل إمكانياتها للقضاء على التيار الوحدوي وذلك بالتعاون مع عناصر جزائرية تسير في فلك سياستها .

وبدأت عملية مطاردة الثوار الجزائريين واختطافهم بمناطق **الرديف وتوزر ونفطة** بمساعدة الجيش الفرنسي ، وعندما شعر "**الطالب العربي**" قائد المنطقة الصحراوية بالخطر يهدده هو وجنوده قرر الالتجاء إلى ليبيا فما كان من الحكومة التونسية إلا أن جندت مجموعات من المسلحين ولاحقتهم إلى منطقة "**رمادة**" قرب الحدود الليبية حيث حاصرتهم وألقت القبض عليهم وعلى "الطالب العربي" وأعدمته كما أعدمت الكثير من مساعديه وساقت جنوده وكل التونسيين المتعاونين معهم إلى السجن فماذا بعد هذه الشهادة المؤلمة[1] .

هكذا إذن كانت العملية ، ولهذا فمعرفة خبايا تصفية الأزهر شريط ورفاقه كانت القشة التي قصمت ظهر الجمل هي حينما أفزعت ـ **الأزهر شريط**

---

(1) انظر : الطاهر أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة ، سوسة تونس ، الطبعة الثانية 1990م ص : 170- 171 . انظر أيضا : العمامرة سعد العوامر الجيلالي شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف ، الجزائر بوزريعة ، مطبعة النخلة (د . ت) ص : 35 .

وجماعته ـ كان حينما اكتشفوا رسالة وقعت بين أيديهم على إثر عودتهم من القاعدة الشرقية (سوق أهراس) وجبال بني صالح تلبية لقيادة الأوراس والرسالة المكتشفة تعني جيش النمامشة حيث فجعتهم لأنها حكمت عليهم بالإعدام[1]، وكان جيش المجاهدين بقيادة الزين عباد والوردي قتال وعمر البوقسي ولزهاري دريد فاجتمع هؤلاء بالجبل الأبيض، هؤلاء هم المطلوبون وقيادة جيش النمامشة على رأسها ورتان بشير المعروف بـ"**سيدي حني** من الأوراس ونيابة الأزهر شريط أو مسؤول فوج في رواية أخرى[2].

---

(1) عن الصراع ما بين جيش النمامشة بقيادة الأزهر شريط والوردي قتال وجيش الأوراس بقيادة عباس لغرور وعاجل عجول انظر: التعليق الخاص للأستاذ المجاهد مسعود معداد من الولاية الثانية التاريخية وهي شهادة ناقصة لكنها تلقي بضوء خافت عن نظرة المجاهدين لمشاكل الولاية الأولى التاريخية:

Messaoud Maadad, Guerre d'Algerie(chronique et commentaires), Alger collection SAD,ENAG éditions P: 67 et suivante.

(2) بعد المجهودات التنظيمية الكبيرة التي قام بها الشيخ بشير شيحاني وقبل قيام معركة الجرف الشهيرة (سبتمبر 1955م) نظم الثورة وقياداتها بأوراس ـ النمامشة وحضر الاجتماع معظم قادة المنطقة وهم: عاجل عجول، عباس لغرور، عمر بن بولعيد الأزهر شريط، سيدي حني، الجيلالي بن عمر السوفي وغيرهم. وبعد تدارس الوضعية العامة للثورة تقرر تعيين مسؤولي النواحي الشرقية من المنطقة على النحو التالي:

1- بير العاتر: الجبل الأبيض: الأزهر شريط.

2- الونزة: علي عفيف.

3- سدراتة: عمر البوقسي.

4- سوق أهراس: الوردي قتال.

5- تبسة: سيدي حني (ورتان بشير).

6- ششار: كربادو.

7- عين الفكرون: الخروب: شعبان لغرور.

انظر: حقائق جديدة عن جهاد أوراس- النمامشة (مع المجاهد الوردي قتال) منبر التاريخ

وطلب المسؤولون من **الأزهر شريط** طرد "ورتان البشير" المعروف "**بسيدي حني**" وقيادة جيش النمامشة فرفض ؛ لأن سيدي حني شخصية كبيرة متفانية في الجهاد وعلى درجة كبيرة من الصلاح والورع فرفض وقال : إن كان ولابد من تغيير القيادة فإني أقترح عليكم الوردي قتال لأنه مجاهد متعلم .

وبلغت قيادة الأوراس إلى تونس تمرد جيش النمامشة وطالبتهم بعدم تزويدهم بالسلاح والذخيرة والمؤن ، وبعد محاولة إصلاح بدأت حركة تفاهم واتفاق بين جيش النمامشة وعباس لغرور ، واتفقوا على اجتماع بتونس ، ولما دخل قادة المنطقة الشرقية الاجتماع فاجأهم وابل من الرصاص فقتل على الفور **الشهيد الزين عباد** ، **وجرح الوردي قتال** وأصاب الرصاص **عين الأزهر شريط وجرح ساعي فرحي** ، وتمت مداواة هؤلاء الجرحى بتونس

إعداد محمد عباس ، جريدة الشعب الإثنين 29 ذو القعدة 1409هـ/3 جويلية 1989م العدد : 7984 ص : 6 .

وأما قيادة جيش النمامشة حسب شهادة الوردي قتال فتتكون كالآتي :

1- الأزهر شريط : قائدًا .

2- الوردي قتال : نائبًا .

3- الزين عباد ، وعمر البوقسّي : أعضاء .

ويؤكد الوردي قتال أن هذا التمرد على قيادة الأوراس (عباس لغرور عاجل عجول) قد تكونت بالاتفاق مع الشيخ مصطفى بن بولعيد حيث كانت تستهدف تهيئة الجو لوقفهما (عباس لغرور وعاجل عجول) لمحاكمتهما في قضية إعدام الشيخ المجاهد بشي شيحاني إلا أن اغتيال بن بولعيد قد ترك الحبل على الغارب واختلط الأمر على القيادة السياسية في تونس . انظر : مع المجاهد الوردي قتال ، إعداد محمد عباس ، منبر التاريخ ، المرجع السابق ص : 6 . انظر كذلك : علي كافي ، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري (1946- 1962) الجزائر ، دار القصبة للنشر 1999م ص : 212 . انظر أيضًا "د : مناصرية يوسف ، نبذة عن حياة الشهيد لزهر شريط ، ص : 58 وما بعدها .

وأبعدوا إلى القاهرة بمساعدة **الشيخ إبراهيم مزهودي ومحمود الشريف** هذا الأخير الذي أصبح قائد أوراس ـ النمامشة وحليف **كريم بلقاسم وبوصوف وبن طوبال**، فمنهم من ذهب إلى القاهرة كالوردي قتال ومنهم من التزم الصمت وقال لهم السياسيون : نحن الذين سنحارب بالجبل الأبيض أو سنوجه من يحارب بالمنطقة الحدودية .

وعلى الرغم من الفراغ الذي تركه الفيلق الحادي الفرنسي المرابط بالحدود التونسية الجزائرية والذي تمكن من الاستيلاء على موقعه جيش التحرير الوطني الذي يمتد توسعه على طرف **غار الدماء، تالة وقفصة** فإن المنطقة أصبحت أخطر مما يتصور من يؤرخ لحرب المنطقة الحدودية التي عرفت نزاعًا دمويا بين الجيش الفرنسي المرابط بالقرب من المنطقة الحدودية وبين جيش التحرير الوطني المدعم بقوات عسكرية بلغت مستوى الجيوش الاحترافية بشهادة المؤرخين والملاحظين الفرنسيين والأجانب[1].

وفي نفس السياق والصراع بين القيادات السياسية والعسكرية واختلاف الأهداف والمناحي الفكرية يقول المجاهد **الوردي قتال عن مقتل الأزهر شريط** : "**وتحت عنوان تصفية الأزهر شريط**" بعد مقابلة محساس جاء لغرور إلى تونس مرفوقًا بطلبة 19 ماي 1956 الذين قرَّرُوا الإضراب عن الدراسة والالتحاق بالجبال، ومن هؤلاء **الشهيد منتوري ومصطفى الدوباي**، وهناك اتصل **بجماعة عبد الحي** (**السعيد**) **وطالب العربي وطلب مساعدتهم لتحييد الوردي قتال** ورفاقه بطريقة أو بأخرى بدعوى التمرد على قيادة

---

(1) انظر : Le mire (Henri) Histoire de la guerre d'algerie (la bataille des frontères) p: 196.

المنطقة الأولى، ويبدو أن العلاقة بين **عباس لغرور وعبد الحي السعيد** كانت تتجاوز القضاء على هذه الجماعة إلى تكوين قيادة مستقلة للثورة، فكل من **عبد الكريم السوفي وطالب العربي** كانا على خلاف مع **أحمد بن بلة وأحمد محساس الأول**؛ لأن بن بلة أخرجه من القاهرة، والثاني كان ينتظر منه منصبا هاما في طرابلس فلما لم يحصل على ما يريد جاء إلى تونس غاضبا متمردا، والتحق الاثنان **بعبد الحي وانضم إليهم لغرور**، وأخذوا يفكرون في الخروج على طاعة قيادة الداخل وقيادة الخارج على السواء.

وفي هذا السياق تندرج محاولة تصفية قيادة ناحية النمامشة، يقول الوردي **قتال** في هذا الصدد: دعانا لغرور إلى اجتماع بمركز لجماعة عبد الحي كان في السابق عبارة عن زاوية فرفضت الذهاب وكنت أتوقع مكروهًا، لكن لغرور تمكن من إقناع **الأزهر شريط** وكان رجلا شجاعًا طيبًا أخلص للجهاد لوجه الجهاد، فقررنا الذهاب والمشاركة في الاجتماع.

دخل الأزهر والزين عباد وبابانا الساعي مكان الاجتماع وبقيت خارجه ألاحظ وأراقب.. في انتظار وصول **الباهي شوشان** وأنا أنتظر جاءني **عبد الكريم هالي** وقال لي: إن عباس لغرور يطلبك للشروع في الاجتماع فلا داعي لانتظار **الباهي** (**شوشان**). وبمجرد أن دخلت انقطع التيار الكهربائي وأشعلت الشموع وقام **عبد الكريم هالي** يدعو **عباس لغرور** لأمر خارج القاعة... وما هي إلا لحظة حتى انفتحت ثلاثة أبواب وإذا بالرصاص يتهاطل علينا من كل جهة.. فقتل **الزين عباد وجرح الآخرون جروحًا متفاوتة الخطورة**. وموضع السؤال المحرج في غياب التفاصيل: من كان وراء هذه الخديعة **هل هم جماعة عبد الحي** وطالب العربي؟ وهذا أمر مستبعد، ولِمَ

أخرج **هالي عبد الكريم عباس لغرور** من مكان الاجتماع وهل هو أمر دبر بليل ، في هذه الحالة لابد من تحديد المستفيد من هذه العملية الدنيئة ؟! .

كذلك في غياب الشهادات التاريخية الصارمة ما عدا **شهادة الوردي قتال** فنحن في هذه الحالة نعرف أن جيش النمامشة وجماعة **طالب العربي وعبد الحي السعيد** لهم نفس الأهداف والاتجاه فكيف وقع هذا السلوك ، هذه الأسئلة المشروعة تبحث لها عن شهادات تدعمها أو تردها ؟ .

لقد تُرِكَ **الوردي قتال** ورفاقه في تلك الحالة بعد أن ظن قاتلوهم بأنهم انتهوا عن آخرهم ، وجاءت السلطات التونسية لتسجل الحادث وتنقذ حياة الجرحى بمستشفى فرحات حشاد وكان ذلك تزامنًا مع اختطاف الطائرة التي تضم أحمد بن بلة ورفاقة الخمسة (22 أكتوبر 1956م) . وبعد هذه الحادثة وحادثة القبض على مبعوثي قيادة الداخل ومنهم **الشيخ حامد روابحية والمرحوم آيت حسن ، تدخلت السلطات التونسية لتصفية جماعة عبد الحي شر تصفية وسارع لغرور بالعودة إلى الجزائر لكن إلى حين اغتياله من أطراف جزائرية تواطأت مع السلطات التونسية كما سلف الحديث عن هذا الموضوع من خلال شهادة المناضل التونسي الطاهر أبو القاسم عبد الله .**

ثم عاد **الأزهر شريط** من جديد إلى الجبل الأبيض ، ولما رأى قلة في الرجال والعدة والسلاح ، بعد انتشار الفرقة بين المجاهدين استدرجته القيادة السياسية بتونس خدعة حيث ألقي عليه القبض فحوكم وأعدم وهو نفس المصير الذي لقيه مجاهدون مخلصون آخرون من أوراس النمامشة مثل **الباهي شوشان وحوحة بالعيد**[1] ومما يحكي حارس البيت الذي حُكم فيه الأزهر

---

(1) مناصرية ، نبذة عن حياة لزهر شريط ص : 45 . محمد عباس ، مع المجاهد الوردي قتال ، =

شريط أن جزاره لم يتمكن من ذبحه كلية وهرب بعد دفنه وتقطيع أطرافه ، فلما جاء المواطنون وجدوه في الرمق الأخير فقالوا له : أين نحملك ؟ . إلى الثكنة العسكرية الفرنسية أم إلى أيٍّ مكان فقال لهم : خذوني إلى أقرب مكان حيث يوجد مركز المجاهدين فحملوه فأجهزوا عليه ولفظ أنفاسه وذهب إلى ربه يشكو ظلم ذوي القربى ، وهناك لقاء الأحبة عند عزيز مقتدر حيث يعرف المخلص من المجرم[1] .

ص : 6 .

(1) لقد كان تحييد جيش النمامشة فرصة أو عاملا ارتبط بعملية انقلابية على أوراس النمامشة وهذا بعد ظهور العوامل الموضوعية للانقلابيين وتتمثل في :

1- اختطاف طائرة الوفد الخارجي .

2- العدوان الثلاثي على مصر .

3- استسلام عاجل عجول .

4- حجز باخرة آتوس(لآطوس) .

وعن تحييد الأزهر شريط يقول الوردي قتال في شهادته حول نهاية لزهر شريط : "إنني اطلعت على الرسالة التي بعثتها لجنة التنسيق والتنفيذ ، بعد نقلنا إلى طرابلس حيث تقرر تحييدنا وإبعادنا إلى القاهرة ، ولم يهضم الأزهر شريط وبابانا الساعي ذلك فطلبا العودة إلى تونس "لأسباب عائلية" ، ويقول الوردي قتال : "لقد كان الأزهر شريط يظن أنه سيعود لمنصبه كما كان ، وفي تونس أفهمه ممثلو لجنة التنسيق والتنفيذ أن ذلك لم يعد ممكنًا ، وقد تم تعيين قائدا آخر مكانه(محمود الشريف) . . فاحتج لذلك وصعب عليه البقاء بعيدًا عن جنوده ، ولما لاحظ أن احتجاجه لم يجد شيئا دخل الجزائر واستأنف نشاطه وبعد فترة استدرج إلى تونس خدعة حيث ألقي عليه القبض فحوكم وأعدم ونفس المصير لقيه مجاهدون آخرون أمثال حوحة بلعيد والباهي شوشان وغيرهم .

لقد كان الأزهر شريط لما تمكنوا من استدراجه غدرا قد صلّى صلاة العصر ، وكان أحمد بن إبراهيم الزمولي المحامي بمركز العبور وهو الكاتب المعروف بالإدارة الحدودية حيث أخبره المجاهد المكي جديات (شهيد) بمصيره وهو القتل فقال له : هل نقوم بتهريبك ؟ فقال الأزهر شريط : هل تريد أن نبقى عارًا في جبين النمامشة ، ذبحوه وقطعوا أطرافه . ثم ردموه

والرواية الثانية تقول: إنه عندما نفذ حكم الإعدام في محمد بن علي، وبوزيد ولزهاري والباهي شوشان وعبد الحفيظ السوفي، وعباس لغرور والأزهر شريط في ناحية جبل بوربعية على الحدود، ومات الجميع، بقي الأزهر شريط مجروحًا ولم يمت، وفي الغد وجده راع تونسي فسأله الراعي "من أنت"؟ فأجابه قائلا: أنا مجاهد جزائري، أوصلني يا بني إلى المجاهدين، ولا تسلمني لجنود الاستعمار، وأخبر الراعي مركز تاجروين التابع للتنظيم الجزائري حيث يوجد به الجنود الذين نفذوا فيه حكم (الإعدام) فسارعوا حيث الأزهر شريط واجهزوا عليه في المكان المسمى فريطيسة يوم 27 جوان 1957م، وقيل: إن مسؤولا كبيرًا حضر من تونس إلى المركز قبل أن يقتل، طلب من المسؤول السماح له بصلاة ركعتين قبل موته، فأجابه المسؤول قائلا: "أنا أقتلك وأنت روح لربك وصلي عنده".

ولا تزال صورة بطل الجرف (1955م) وأرقو العظيم (1956م)حاضرة في الأكاديمية العسكرية متعددة الأسلحة بشرشال شامخة شموخ الرجال الأوفياء

بالتراب فلم يمت، فلما قدم الأهالي وجدوه حيا. فأخذوه إلى المركز. فقطعوا أطرافه. ومحمود الشريف المعني مباشرة مع نائبه صالح بن علي إسماعلي عما وقع للشهيد الأزهر شريط. فإنه لما كانت المنطقة في خلاف كبير وكانت القيادات التي تتنافس على خلافة بن بولعيد هي الأزهر شريط (تبسة) الطالب العربي (سوف) عباس لغرور (خنشلة) فكان مصير عباس الغرور والأزهر شريط الإعدام لرفضهما قرارات مؤتمر الصومام. وطالب العربي الإعدام أيضًا بموافقة علي محساس كما يذهب إلى ذلك محمد حربي، وأما محمود الشريف فقد رقي إلى رتبة عقيد وتولى أوراس النمامشة. يمكن مراجعة حياة محمود الشريف في الدراسات الآتية :

Callet (lieutenant colonel), Hiver à Tébessa p: 107- 109 .

- Harbi , F. L. N. ,mirage et réalité des origines à la prise du pouvoir (1945-1962) les éditions Jeune Afrique S. T. D Paris 1985 P: 414 note n°31.

إلى دينهم ووطنهم شاهدة على بطولة الأزهر شريط ورفاقه من المجاهدين، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر كالوردي قتال الشاهد الوفي[1] على

---

(1) لقد كان الوردي قتال شاهدًا على بطولة أوراس ـ النمامشة أيام مصطفى بن بولعيد ونائبه البطل بشير شيحاني . كما كان شاهدا على وصية البطل مصطفى بن بولعيد حيث عقد هذا الأخير اجتماعًا على إثر هروبه من سجن الكدية بقسنطينة بمعية الطاهر الزبيري وبوقدوم حضره كل من : عاجل عجول ، فرحي ساعي ، بشير ورتان (سيدي حني) ، عثماني عبد الوهاب ، عبد الله أنواورية ، جبار عمر ، قتال الوردي ، عمر بن بولعيد ، ابن شائبة علي ، يونس محمد الربعي ، السبتي بودوح .

وبعد اطلاعه على سير معركة التحرير والقادة الذين استشهدوا والأسباب المؤدية إلى ذلك أكد في توجيهاته على مواصلة الكفاح المسلح بكل صبر حتى النصر القريب ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ صدق الله العظيم . قال في وصيته :" بلغوا كل المجاهدين وكل المناضلين الملتفين حول مواصلة الثورة التحريرية . "الثورة التحريرية التي اندلعت أول فاتح نوفمبر شعارها : {لا إله إلا الله محمد رسول الله} . أرضنا سقيت بدماء الشهداء . أرضنا تهجلت (ترملت) فيها النساء . يتمت أطفالها . الثورة كالبحر لا تقبل الجيفة . فرنسا لاحقتنا إلى الجبال ـ ستقضي عليها مهما كان الحال . جزائرنا ستأخذ استقلالها بشدة القتال . ستعاني الكثير من أعوان الاستعمار والمندسين في كواليس الإدارة . بعد الاستقلال من وُجِدَ غنيا ـ لا محالة يكون عدو الثورة .

– المجاهدون الذين بقوا على قيد الحياة بعد الاستقلال عليهم أن يتفطنوا ويأخذوا الحيطة من أعوان الاستعمار والمندسين . حرصا منا على ضمان حقوق الشعب المتعطش للحرية والحق وهو اسم من أسماء الله تعالى . انظر وصية قائد الثورة مصطفى بن بولعيد في المنطقة الأولى (أوراس– النمامش) سنة 1956 بعد فراره من سجن الكدية ليلة 11 نوفمبر 1955م رواية الوردي قتال (مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية (1374هـ/1954م) إنتاج جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس باتنة 1420هـ/1999م ص : 959 .

ويقول إبراهيم العسكري عن شخصية الوردي قتال مبديا عدم رضا مجاهدي القاعدة الشرقية عنه فقال : " . . . وبعد فترة وجيزة جاءت قيادة من الأوراس تحت مسؤولية الشيخ الوردي قتال لتترأس منطقة شمال شرق قسنطينة ، بالإضافة إلى الناحية الأولى التي كان يترأسها السيد باجي مختار ، إن هذه الخطة قد تم رسمها من طرف قادة الأوراس بما فيهم الشيخ شيحاني بشير ، عباس لغرور ، وفعلا أصبح الوردي قتال المسؤول الأول عسكريا وإداريا =

المنعرجات والصعاب التي عرفتها أقصى الحدود الشرقية ـ أوراس ـ النمامشة .

الشهيد الثاني العقيد محمد بن علي عموري (لعموري) وتساؤلات عن حقيقة أمره؟

بعد استشهاد القائد البطل مصطفى بن بولعيد وإلى غاية 1956م بقيت الولاية الأولى أوراس ـ النمامشة ، في ظروف لا تُحْسَدُ عليها ، من حيث الاختلافات بين قادة الجهاد في سوق أهراس (القاعدة الشرقية) فيما بعد وعلى رأسها (عمارة بوقلاز) وقادة الجهاد في أقصى الحدود الشرقية وعلى رأسها سيدي حني والأزهر شريط ، والقيادة العامة بالأوراس بقيادة عباس لغرور ، في هذه الظروف برزت أهمية العقيد محمد لعموري لإنقاض الموقف وتوحيد قيادات المجاهدين بأوراس النمامشة .

العقيد محمد بن علي لعموري شخصية بارزة في تاريخ الثورة بالولاية

على هذه المنطقة ، وبعد مجيء هذا القائد أصبح السيد عبد الله نواورية يحس بعدم الراحة والاطمئنان نتيجة لبعض التصرفات التي تصدر من حين إلى آخر عن هذا المسؤول الجديد ، والتي تمس بشخصية وكرامة السيد عبد الله نواورية مباشرة ، أما أسباب الخلاف فلا يعرفها إلا السيد عبد الله نواورية وقادة الأوراس ؛ لأن هذا الأخير هو الذي كان يتصل بقادة الأوراس مباشرة ، ففي هذه الحالة قرر السيد عبد الله نواورية الانسحاب نهائيا من هذه الناحية إلى المنطقة الثانية التي مكث فيها إلى غاية 1957 . "ولم نتمكن من معرفة أسباب الخلاف بين الوردي قتال وعبد الله نواورية ؛ لأن المجاهد إبراهيم العسكري سكت عن الكلام وترك الأمر غامضًا ، وربما لاحظ ألا فائدة ترجى من ذكر هذه الخلافات التاريخية انظر : إبراهيم العسكري ، لمحات من مسيرة الثورة التحريرية ودور القاعدة الشرقية ، الجزائر ، قسنطينة دار البعث للطباعة والنشر 1992م . ص : 139 .

انظر ما يعزز نظرة الوردي قتال ، مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج ص : 139 .

التاريخية أوراس النمامشة ومن المجاهدين الذين التحقوا باكرا بالثورة التحريرية (1955م) ، كان صاحب حس وطني وغيرة على حرماته من التدنيس ، ومما يعرف عن لعموري أنه من طلبة معهد عبد الحميد بن باديس صاحب نظرة مستقبلية وأفق واسع لحماية الثورة من الانزلاق الذي عرفته بعد مؤتمر الصومام ، كما كسب وعياً مبكراً على إثر انتقاله إلى فرنسا ، فكسب وعيا سياسيا مبكرا وهذا منذ التحاقه بالعمل السياسي في الحركة الوطنية بأوروبا[1] .

حتى لا نجازف لقلة المعلومات فإنني سأكتفي بعرض شهادتين تاريخيتين هما شهادة الأستاذ **أحمد توفيق المدني** في موسوعته حياة كفاح ، فقد خصص له جانبًا من مذكراته حيث قال **تحت عنوان** : "**مؤامرة العموري**" كان كل وزير من وزراء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ينهمك في تنظيم وزارته ، وترتيب أعماله ويباشر مسؤولياته بهمة ونشاط ؛ إذ انفجرت أمامنا على حين غرة أزمة من أخطر ما تعرضت له الثورة من أزمات : **مؤامرة الأخ العموري**" قائد المنطقة الأولى من ميدان الثورة . كما أختتم هذه المحاولة بقراءة متأنية للمؤرخ محمد حربي هي أكثر دقة من الناحية التاريخية مع وفرة المعلومات والتفاصيل ، وسوف أنهي هذه الدراسة بشهادة المرحوم **محمود الواعي** كاتب العقيد الشيخ **محمود العموري** .

يقول **أحمد توفيق المدني** : "بين يدي ملف ضخم عن هذه القضية ، رتبه

---

(1) استقيت هذه المعلومات من رفيقه في معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة الأستاذ محمد الصالح ملوح قنصل سابق بتونس وسفير في عدد من الدول وصاحب مشاركة طيبة في الندوات التاريخية ، وقد حادثته بهذا الأمر يوم الفاتح مارس سنة 2000م بالمكتبة الوطنية بالحامة أثناء اليوم الدراسي المخصص لتاريخ المنظمة الخاصة التي حضرت العمل المسلح لثورة التحرير .

وبوبه وقدمه الأخ كريم بلقاسم نائب رئيس الحكومة المؤقتة ووزير الدفاع لبقية الوزراء ، وطلب إليهم الإذن بتنظيم محكمة عسكرية لمحاكمة المتآمرين .

يقول تقرير الاتهام ولا أصفه بشيء لبعدي عن ذلك الميدان : إن **العموري** كان من بين أفراد القيادة العامة (C. O. M)[1] التي تشكلت بأمر من

---

(1) تأسست لجنة العمليات العسكرية (C. O. M) أسبوعين بعد تأسيس الحكومة المؤقتة وبالتحديد كما يذهب إلى ذلك الرئيس علي كافي على إثر اجتماع أول أكتوبر حيث وصلت برقية إلى الولاية الثانية ـ مثل غيرها من الولايات من وزارة الدفاع الوطني الجديدة تنص على تأسيس ما يسمى بلجنة العمليات العسكرية شرقية وغربية الأولى متمركزة في غار الدماء على الحدود التونسية الجزائرية وعلى رأسها محمدي السعيد ومعه عمارة بوقلاز بن مصطفى بن عودة، محمد لعموري وعواشرية، والغربية متمركزة في الناظور على الحدود المغربية الجزائرية على رأسها هواري بومدين ومعه سليمان دهيليس وقائد أحمد وهي هيئة لتسيير العمل العسكري من الخارج ، وقد أجمع كل الذين كتبوا عن هذه اللجنة بالفشل كما فشلت الحكومة المؤقتة وعلى رأسها وزير الدفاع كريم بلقاسم في تحريك العمليات العسكرية لولا إحساس المجاهدين بالداخل بالمسؤولية التاريخية التي تحملوها وكل شهادات قيادات الولايات التاريخية لهم نفس المواقف من حيث تمرير السلاح ، بل كانت الثورة في الداخل تعبر عن الخلاف الموجود بين السياسيين **إلا أن** إخلاص المجاهدين الرواد والمسيرة الطويلة للجهاد والتفاف الشعب في الريف والمدن الحضرية حول العمل الثوري لانتهى بنا الأمر إلى استقلال ذاتي هش كما تمنى ذلك اللحقاء . انظر : علي كافي ، مذكرات الرئيس علي كافي ، ص : 228 . انظر **أيضا :** Harbi , F. L. N. ,OP- CIT p: 229 .

ويقول المجاهد معداد مسعود : إن قضية الضابط الجزائري : "علي حمبلي" الذي انضم مع فيلقه في 16 مارس 1959م إلى الجيش الفرنسي طالبًا قبول المفاوضات على أساس سلم الشجعان التي طرحها ديغول وهي نفس المأساة التي وقعت فيها الولاية الرابعة من خلال قضية "سي صالح" وهو نفس المصير الخطير الذي وقفه أحد القياد مع سي الزبير الذي دخل تحت حماية الجيش الملكي المغربي والذي انتهى بإعدامه من قبل القيادة العسكرية العامة لجيش التحرير الوطني الجزائري وقضية الضابط : "علي حمبلي" الذي انضم ب 156 من جنوده إلى سلم الشجعان يعتبرها المجاهد معداد مسعود امتداداً لقضية العقداء وعلى رأسهم العقيد محمد لعموري والعقيد عواشرية حول هذا الأطروحة انظر :

. Maadad Messaoud, Guerre d'Algerie OP- CIT P 138

=

لجنة التنسيق والتنفيذ يوم 10 أفريل 1958 ثم عزلت عن العمل ؛ لأنها لم تقم بواجباتها ورضخ رجالها للأحكام التي صدرت ضدهم "**عمارة بوكلاز**" ، يبعد إلى بغداد ، **مصطفى بن عودة** يبعد إلى **لبنان ومحمد بن علي عموري** يبعد إلى جدة (**السعودية**) ـ وقد كلفوني شخصيا بتنفيذ ذلك ، ففعلت. لكن **محمد العموري** رفض وأبى الانقياد ، وأخذ يتصل حسب وثيقة الاتهام ـ بحكومة أجنبية (يعني مصر) يعينه في ذلك شخص يدعى "**سعدية الجمعي**" واسمه العسكري "**مصطفى الأكحل**" الذي قال عنه قرار الاتهام : إنه يعمل لحساب دولة أجنبية (**مصر**) .

وحل العموري بتونس خفية قادمًا من القاهرة **وعقد** اجتماعًا سريا حضره عدد من رجاله والمؤتمرين بأمره . وكان منهاجه يقتضي :

أ- عدم الاعتراف بالحكومة المؤقتة .

ب- حجز الوزراء وسجنهم في مكان بعيد .

ج- الاستيلاء على كل مراكز الحدود التونسية شمالا وجنوبا وإدارتها بصفة مستقلة ، إلخ .

وعلم وزير الحرب بالأمر فأرسل بقوة هاجمت محل الاجتماع بمدينة **الكاف بتونس** وألقت القبض على مجموعة المتآمرين وضبطت ما كان بين أيديهم من أوراق ووثائق ، وساءت وبصفة مفتعلة العلاقات بيننا وبين المخابرات المصرية إلى حين .

لنظر موضوع الضابط القبطان علي حملي الذي أصبح حركيا هو وجنوده حسب هنري لومير :
Le mire, Histoire militaire de la guerre d'Algerie p: 218

أمرنا بتشكيل محكمة عسكرية ووضعنا على رأسها **الكولونيل صادق** (**محاميا**) **وترأس المحكمة هواري بومدين** وأمرنا أن يجري التحقيق عادلا نزيهًا وأن يتمكن المتهمون من كل وسائل الدفاع ، وأن تستمع المحكمة إلى كل شهود الإثبات والنفي ، ثم تصدر حكمها وتقدمه لمجلس الوزراء للمصادقة عليه ، ويختتم المرحوم أحمد توفيق المدني كلامه عن ما سماه "بمؤامرة العموري" : وأعترف أنني لا أعلم كيف وقعت المحاكمة التي تولى أمرها وزير الحرب كريم بلقاسم خاصة إلى أن علمنا يومًا أن المحكمة حكمت بإعدام العموري وبعض المتآمرين معه وأن الحكم قد نفذ فعلا ، وتعكرت الحالة من جراء ذلك بين المدنيين والعسكريين في الحكومة وأخذت شقة الخلاف تتسع بيننا ، إلى أن تم الانفصال بعد ذلك"[1] . بين الحكومة المؤقتة وقيادة الأركان العامة .

ومن الذين كان على صلة بأحداث عزل **لعموري ومعاقبته بن مصطفى بن عودة** (**عمار بن عودة**) أحد التاريخيين فيقول في هذه القضية وهو معني بما وقع للعموري ومحمدي السعيد وغيره من المتهمين بالتقصير أو تجاوز أخلاقيات الثورة : "ومن الثابت أن **العموري** عاد إلى تونس بدل الالتحاق بمنفاه في جدة ، وأنه اتصل بفتحي الديب قبل ذلك ، أما عن مغزى إتصالاته بتونس فهناك رأيان :

1- رأي يقول : إنه عاد ليشرح لبعض الضباط أننا أبرياء مما ألصق بنا من التهم وأننا مظلومون .

2- رأي يقول : إنه عاد ليحرض الجيش على الحكومة المؤقتة .

---

(1) المدني أحمد توفيق ، حياة كفاح (مذكرات) الجزء الثالث مع ركب الثورة التحريرية ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ط . 2 ، 1988م ص : 405- 406 .

https://albordj.blogspot.com

بيد أن الحكومة المؤقتة لم تجد ما تستند إليه في إدانة **لعموري** ، غير تهمة الاتصال بفتحي الديب"[1] . (وتهمة الانقلاب على بورقيبة) .

لقد اتهمت القيادة السياسية وعلى رأسها **كريم بلقاسم** ، العقيد **محمد العموري** بالتخابر مع جهة أجنبية ، والجهة الأجنبية المقصودة في أوراق الاتهام هي مصر ، والأغرب في كلام **الأستاذ أحمد توفيق المدني** أنه تعذر عليه تقديم كل التفاصيل الممكنة لقيامه بزيارة للقاهرة ضمن أعمال الحكومة المؤقتة وعملها الإعلامي لصالح الثورة في الوطن العربي ، إن شهادة الأستاذ **أحمد توفيق المدني** شهادة عارية من الوقائع والأحداث المرفقة رغم أن الكتاب في قسمه الثالث صدر عام 1981م حيث إن الظروف مناسبة لذكر التفاصيل الممكنة دون التستر عما يسيء **لأحمد توفيق المدني** كمناضل ومجاهد ووزير له مكانة كبرى في تاريخ الكفاح الوطني والقومي في تونس والجزائر .

أما الشهادة الثانية فيرويها السيد الرئيس **علي كافي** في مذكراته التي فصَّلها من خلال ما استقاها من أحد الإخوان الليبيين حيث يقول : "يعود الفضل في معرفتنا بتفاصيل قضية لعموري إلى المناضل الليبي ـ **سالم شلبك** ـ الذي كان يحسن البربرية وكان لعموري في ضيافته حيث نقل أن لعموري عندما كلَّم جماعته بالهاتف في الكاف بتونس في منزل ـ **شلبك سالم** ـ **باللهجة الشاوية** وفهم ما قال لهم . وكان سالم مخلصًا للثورة ، وعندما لاحظ وجود شيء يُحَضر قد يمس بالثورة تحرك وأبلغ القيادات بما سمع مما جعل القيادة في تونس تتبع اتصالات لعموري وأتاحت له الفرصة ليجتمع

---

(1) محمد عباس (حوار مع بن مصطفى بن عودة ، ثوار ، عظماء) حديث الإثنين ، الجزائر مطبعة دحلب 1991م ص : 100 .

بمجموعته وألقت عليهم القبض أثناء ذلك وأدخل السجن ثم تمت محاكمتهم وترأس المحكمة العقيد هواري بومدين الذي جيء به من المغرب .

هذه القضية التي رواها وتناهى إلى أسماعنا أن لعموري وجماعته قاموا باتصالات مع مسؤولين في القاهرة ومنهم فتحي الذيب وربما الرئيس جمال عبد الناصر نفسه .

ويسجل الرئيس **علي كافي** هنا مآخذه على لجنة التنسيق والتنفيذ، خاصة بعد استشهاد مصطفى بن بولعيد والوضعية الأليمة التي عاشتها الولاية الأولى، وهو تعيين محمود الشريف عضوا في اللجنة، ولا يعرف الولاية الأولى أبدًا، وتعيين محمد لعموري قائدًا لها وهي تدرك جيدا أنه ليس في مستوى قيادة ولاية شامخة كولاية الأوراس، المعقل التقليدي للنضال والثورية منذ القدم، أيام الاحتلال، وقبل وأثناء الثورة . إنهم كرسوا الخلافات وزادوا في إضرام نار الفتنة والعشائرية والعروشية التي عملت الثورة منذ اندلاعها على إخمادها وتضحيات **ابن بولعيد** شاهد ـ على القضاء عليها وتكريس الوحدة الوطنية العمود الفقري للنضال والثورة . لقد أساءوا إلى شموخ الأوراس فذهبت وحدته ضحية المناورات، كان عليهم ـ ثوريا ـ أن يتوجهوا إلى الداخل، إلى قلب الولاية لدراسة الوضع والعمل على إيجاد الحل الجذري، باعتمادهم على الذين كانوا في الداخل ميدانيا ؛ لأنهم أكثر معرفة بالواقع وأشرف نضالا[1] .

حينما قرأت هذه الصفحات القليلة وجدت أن الأمر من العجب العجاب كيف تتهم جماعة العموري بالاتصال بالقاهرة وأصبح الاتصال بمصر **عبد**

---

(1) انظر : Harbi , F. L. N. , mirage et réalité p: 416

الناصر وضابط المخابرات المصري فتحي الذيب يحاكم عليها قائد ويعدم في مستوى محمد العموري ؟ .

فإذا كانت التهمة واضحة لما لا تعمم على الجميع ، فلما قتل عبان رمضان بالمغرب خلا الجو **لكريم بلقاسم وعمر أوعمران وعبد الحفيظ بوصوف وبن طوبال** وأقواهم على الأقل حينها هو **كريم بلقاسم** الذي بقي الشخصية الوحيدة ذات العلاقات الواسعة مع **فتحي الديب وجمال عبد الناصر** كما ذهب إلى ذلك محمد حربي في كتابه : "**جبهة التحرير الوطني سراب وحقائق**"[1] .

أما ما ورد على لسان **علي كافي** من خلال شهادة **سالم شلبك الليبي** صديق الثورة الجزائرية فإننا نوردها بتحفظ إذا لم يكن الرفض من أصله ؛ لأن ما ورد في شهادة علي كافي في بداية تقديمه لقضية **لعموري** وجماعته حيث يقول ولأول مرة يحدثني بطريقة غريبة شعرت كأنه ينتقد القيادة ويتهم البعض منها بالجهوية ، ويصفهم بالطماعين في زعامة الثورة ، نبهته إلى خطورة ما يقوله ، وقلت له : أنت صغير **ولا تعرف** المسؤولية ، وليس لك تجربة تؤهلك لتقييم المسؤولين ، ولم ينتصح لي واتهم **كريم بلقاسم وأوعمران** بالجهوية رغم أن نصف أعمارهم ذهبت في النضال ، ومن شدة حبي للعموري قلت له : "**إذا ما تماديت في حديثك بهذه الطريقة عن مسؤوليك فإنك ستدفع الثمن غاليا وكان هذا اللقاء آخر اتصال لي بالعموري**" .

هكذا إذن **فمحمد العموري يتهم كريم بلقاسم وأوعمران** باختراق الثورة

---

(1) بعد اغتيال عبان رمضان وإبعاد الرائد حاج علي يقول محمد حربي : لقد بقي عبد الحفيظ بوصوف ولمدة سنة كاملة المتحدث الأول مع السلطات المصرية ولكن نهاية شهر العسل ما بين عبد الحفيظ بوصوف والسلطات المصرية انتهت بمقتل العقيد محمد العموري . – انظر : Harbi, F. L. N. op - cit p: 416 note N°21

وتوجيهها توجيها جهويا يخدم منطقة واحدة. تمثل **مؤامرة لعموري** في محاولة ضباط ولاية أوراس ـ **النمامشة والقاعدة الشرقية** لقلب الحكومة المؤقتة وهذا من أجل خلع **كريم بلقاسم ومحمود الشريف** وكذلك التحالف مع جماعة **صالح بن يوسف** ومصر عبد الناصر من أجل تعميم النزاع الجزائري الفرنسي إلى تونس والوقوف في وجه التحالف الجديد التونسي المغربي والفرنسي في مواجهة التطلعات الوحدوية والقومية التي يتميز بها هذا التيار العسكري والسياسي.

وجذور المؤامرة (**والتعبير لمحمد حربي**) يكمن في عدم رضاه عن تعيين محمود الشريف على رأس الولاية الأولى أوراس النمامشة وهو نفس الأمر الذي كان وراء **رفض الأزهر شريط لقيادة محمود الشريف الضابط** السابق في الجيش الفرنسي ؛ ولأن العقيد محمد العموري المربي ومعلم العربية وصاحب التكوين الأصيل لا يرغب في اختراق الدخلاء والمندسين للثورة الجزائرية الأصيلة ، ولأن العقيد كان يحس بالانحراف الذي عرفته الثورة منذ مؤتمر الصومام[1].

فقد كان ضحية من دبر ليكون القوة الأولى في تونس وهو ما يدعو إلى طرح السؤال من جديد : **مَن اغتال عبان رمضان** ؟ وهل حقيقة أن **عبان رمضان** انحرف وكانت له اتصالات مع العدو ؟ أم أن الأمر يدخل في التنافس على القيادة

---

(1) لما تحدث الرئيس علي كافي عن الانحراف الذي حدث في الثورة بعد مؤتمر الصومام كانت ردود الفعل قوية من جهة واحدة وهي الولاية الثالثة لذا نذكر بمقال السيد : الضابط بوتلة محمد رضا في جيش التحرير وهو موقف آخر حول مؤتمر الصومام : انظر :

Boutella mohamed Reda, Réponse à Mer KAFI Le congrés de la soumam: debut de l'éspoir journal LIBERTE du mercredi 15 janvier 1997 p: 11.

بين **كريم بلقاسم وعبان رمضان وما حجة عميروش** التي استشهد بها الرئيس علي كافي إلا توافق ما بين قائد الولاية الثالثة وكريم بلقاسم، ولهذا رأى قادة أوراس النمامشة أن مهمة عميروش في الأوراس كانت من أجل إخضاع الولاية الرافضة للتوجه الجديد للثورة ما بعد الصومام[1] . وهي التي تفسر المرحلة الثانية من عمليات الاغتيالات والتصفيات التي أصابت الولاية الأولى من جراء نسف كل من يقف في وجه القيادة السياسية التي يسيطر عليها كريم بلقاسم .

وأما نهاية العقيد **محمد العموري** وأصحابه فقد تمت محاكمتهم وإعدام العقيد **محمد العموري** في مارس 1959م والعقيد **نواورة أحمد** والرائدان **عواشرية ومصطفى الأكحل** أما الرواد **عبد الله بلهوشات ، أحمد دراية محمد الشريف مساعدية ؛ الأخضر بلحاج** ومجموعة كبيرة من الضباط فقد سجنوا

---

(1) حول مهمة العقيد عميروش رحمة الله عليه وكيف فسرها المجاهدون بالأوراس انظر : شهادة المجاهد بوستة مصطفى ، يوم 7 أفريل 1993م تسجيل وصياغة الأستاذ محمد الطاهر عزوي والمجاهد مصطفى بوستة من مواليد 1915م بالهارة قرب بسكرة(جوانب من حياة مصطفى بن بولعيد)يقول مصطفى بوستة وتبين والعهدة على الراوي كما ينقل مسجل الشهادة بأن عميروش بعثه كريم بلقاسم وباتفاق بينهما لإيقاع الشقاق بين مجاهدي الأوراس وهو ما حصل بالفعل) . مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية إنتاج جمعية أول نوفمبر ص : 610 . وعن الصومام وتنظيماته انظر :

Benyoucef Ben khedda 43eme anniversaire du congres de la soummam (l'apport de Ramdane Abbane à la révolution)la tribune Algerie le mercredi 18 aout 1999 P: 12- 13- 14- 15.

وإثباتًا للتاريخ فإن العقيد عميروش والعقيد محمدي السعيد رحمة الله عليهما من أخلص القيادات العسكرية للثورة بالولاية الثالثة ، لتفانيهما في الجهاد وإخلاصهما للدين والوطن ، كما يشهد من عاشر العقيد عميروش أنه كان لا يقبل ضمن جنوده إلا من تمكن من حفظ وفهم سورة الأنفال وهي التي تعلم فقه الجهاد وأحكامه . كما أن المغفور له محمدي السعيد من القيادات الصادقة لوطنها ودينها كما هو معروف عليه خلال مسيرته الطويلة قبل وبعد الإستقلال .

إلى غاية 1960م وتعرضوا إلى أبشع أنواع التعذيب حسب رواية **المؤرخ محمد حربي**[1] لقد كانت نهاية رجال أوراس النمامشة والقاعدة الشرقية قد عبرت حقيقة عن صورة الفشل الذي تعاني منه الحكومة المؤقتة مع سكوت غير مبرر للعقيد عبد الحفيظ بوصوف (**الذي يعتقد المؤرخ محمد حربي أنه كان على توافق مع مؤامرة العقداء**) .

كما أصبحت نزاهة الحكومة المؤقتة موضع تساءل من قبل المجاهدين

---

(1) انظر تعليق محمد حربي حول اغتيال قادة أوراس النمامشة والقاعدة الشرقية (سوق أهراس) . ونهاية المسجونين .Harbi;Le F. L. N OP- CIT p: 228.

يقول المجاهد مسعود معداد حول نزاع العقداء "ن العديد من ضباط جيش التحرير الوطني المعارضين لتعيين محمود الشريف على رأس الولاية الأولى ، وبتشجيع من الرئيس جمال عبد الناصر ، وصالح بن يوسف "منافس الرئيس الحبيب بورقيبة" والزعيم عبد الكريم الخطابي ، والذين كانوا يأملون إعلان الحرب الشاملة في كل المغرب العربي ، هؤلاء الضباط أرادوا القيام بانقلاب على الحكومة الجزائرية المؤقتة لكنه بمساعدة بورقيبة ، والحرس الجمهوري التونسي استطاعت أن توقف هؤلاء في 18 نوفمبر 1958 بالكاف وأن تقاضيهم الحكومة الجزائرية وتحكم عليهم ، مثل العقيد لعموري ، والعقيد عواشرية ، والنقيب مصطفى الأكحل ، والعقيد أنواورة ، نفذوا فيهم حكم الإعدام في مارس 1959 بينما سجن كل من الرائد عبد الله بلهوشات وأدرارية أحمد والنقيبين بلحاج الأخضر ومساعدية محمد الشريف ، وكذلك السادة محمد ملوح ، وصالح قوجيل وأنهي عمل عمارة بوقلاز في 2 أفريل 1958 من على رأس القاعدة الشرقية (سوق أهراس) الذي بقي بليبيا إلى غاية الاستقلال ، وأما غيرهم من الضباط فقد تعرضوا أثناء التحقيق الذي كان يقوم به المحقق للشتائم والإهانات التي لا تليق بمجاهدين حتى ولو أخطأوا في نظر الحكومة المؤقتة ولا يمكن أن تصدر عن قيادة سياسية في مستوى ثورة التحرير الكبيرة الشامخة بعمقها الجهادي الواضح ونقلوا فيما بعد إلى الجبهة الجنوبية انظر : المجاهد مسعود معداد ، الجزائر وظاهرة إزالة الاستعمار (كتاب المرحلة الانتقالية للثورة الجزائرية من19 مارس 1962 إلى سبتمبر 1962) ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر 1995م ص : 36 . انظر لنفس المؤلف بالفرنسية :

Messaoud Maadad ,Guerre d'Algerie OP- CIT- P: 100 et note n°10 P: 93- 94.

في الداخل التي رأوا فيها حكومة رهينة النظام السياسي البورقيبي في تونس .

ولم يطلق سراح المسجونين إلا حينما احتاجت إليهم القيادة العامة التي دخلت في صراع عنيف مع الحكومة المؤقتة ، حيث بعثت القيادة السياسية كل من الرائد **بلهوشات وأحمد دراية ومحمد الشريف مساعدية** تحت قيادة النقيب عبد القادر (**عبد العزيز بوتفليقة**) لفتح جبهة لجيش التحرير الوطني بأقصى الحدود الجنوبية الغربية المجاورة لمالي والتعرف على إمكانية توسيع مناطق إدخال السلاح عبر منطقة **عين صالح الهقار ، قورارة ، توات ، وهضبة تيديكيلت** وغيرها من هذه الصحاري الشاسعة[1] .

إن استشهاد هذين القائدين ، وفي غياب الكتابة التاريخية الثابتة بالشهادة بعيدا عن كل الحساسيات ، قد طرح قضايا شائكة في تاريخ الثورة ، وعلاقة القيادات السياسية بالخارج عموما وتونس خصوصًا بالداخل في أشد لحظات الحصار الجهنمي الذي عرفته الجزائر من أقصاها إلى أدناها ومن الشرق إلى الغرب ، يطرح علينا تساؤلات مشروعة لإعادة الاعتبار للحقيقة التاريخية وإعادة الاعتبار لهؤلاء القادة الأفذاذ الذين صنعوا ملحمة الثورة بأوراس ـ النمامشة ، الولاية الصامدة والتي تعرضت أكثر من غيرها إلى مؤامرات كادت أن تعصف بالعمود الفقري للثورة بشهادة كل المخلصين .

إن تاريخ قادة أوراس ـ النمامشة ومنهم **الأزهر شريط ، والعقيد محمد العموري غني** بالبطولة والكفاح فلا يمكن لأيٍّ كان أن يقنعنا بالأكاذيب الملفقة بعيدًا عن الشهادات والوثائق الصحيحة .

---

(1) انظر : Harbi;Le F. L. N OP- CIT. p: 263. .

إن القيادات العليا ضحايا الصراع السياسي الداخلي في أوراس النمامشة أمثال : **عباس لغرور ، الأزهر شريط ، العقيد لعموري ، العقيد نواورة ، علي النمر ، السعيد عبد الحي ؛ هالي عبد الكريم ؛ الطالب العربي** وغيرهم ؛ يعبر عن إجماع على أن مأساة أوراس النمامشة والصحراء الشرقية خاصة **سوف** المنطقة الواقعة ضمن العمق الاستراتيجي للثورة التحريرية داخل التراب التونسي كانوا ضحايا توجهات جهوية وإيديولوجية داخل القيادة السياسية في تونس كما كانوا ضحايا الصراع السياسي داخل تونس من خلال تقاطعهم مع البعد الوطني والقومي لحركة صالح بن يوسف وهو ما يفسر الدور البورقيبي الخطير لإفراغ الثورة من كوادرها الوطنية ذات الأبعاد القومية والإسلامية التي تذكر القيادة التونسية بعبد العزيز الثعالبي وأمثال عالم القيروان الشيخ جعيط ، كما أن القيادات الوطنية تذكر النظام البورقيبي الذي **خان خط جيش تحرير المغرب العربي بزعامة عبد الكريم الخطابي** زعيم ثورة الريف الشهيرة وهذا من خلال عقدته من نظام عبد الناصر الثوري في مصر ، فلم يجد إلا التعامل مع عدو الأمس فرنسا الاستعمارية .

وأختم هذه الدراسة لأقول : إذا كان **الأزهر شريط** هو بطل أرقو التي جند لها (3000 **مجاهد**) لمقابلة **بيجار** (قائد الكومندو) الذي جئ به من الهند الصينية لحل المعضلة الجزائرية فقد أعطاه **الأزهر شريط** درسًا لن ينساه أبدًا ، ومما جاء في مذكرات الجنرلات الفرنسيين : أن الجنرال "**فانيكسيم**" (Vanexum) قال لبيجار بعنابة : إلى أين ؟ قال : **إني ذاهب إلى النمامشة لأقضي عليهم ، فقال له : أنت ذاهب إلى أبواب جهنم ، وكانت معركة** أرقو (1956م) هي المعركة الثانية التي كشفت عار وقلة خبرة **بيجار**

العسكرية في الميدان مع الفحول وهذا في معركته الثانية وكان قد أخذ الدرس الأول في معركة الجديدة التي كانت بقيادة الشهيد **عباس لغرور** . حينما اصطدم بهم وهو في طريقه إلى **الأزهر شريط** الذي وصف عباس لغرور بأنه منظم كبير ولا يحسن أمثال **بيجار وسوزيني** وغيرهم من الجبناء إلا منازلة العزل والتمثيل بجثث المسبلين والاعتداء على النساء، فماذا بقي للجيش الفرنسي المجرم بشهادة النزهاء من أحرار فرنسا ؟

هذا **الأزهر شريط** البطل الصنديد الذي تقبل مصيره بنفس أبية ولم يحسن الهروب حتى لا يترك معرة **للنمامشة فيقولون : إن الشيخ بابانا الأزهر شريط قد وَجَلَ** (خاف) **من الموت كما قالها له ذات مساء قبل إعدامه المجاهد المخلص جديات المكي**[1] .

---

(1) لقد قتل الشهيد جديات المكي في ظروف غامضة حيث عاش بالمنطقة الحدودية التي تعج بالمشاكل ، وقد لعب الاتجاه القبلي دوره في المنطقة حيث أصبح كل عرش له جيشه الخاص وهو ما سهل عمليات الفيالق الفرنسية في المزرعة وواد هلال وأرقو وجبل البطنة وسوكياس وجبل بو غافر وغيرها من المناطق التي كانت حمى الثورة الجزائرية ، كما كان الصراع على أشده بين أنصار الأزهر شريط ومحمود الشريف . ويمكن تحديد المجموعات العسكرية كما يرويها المجاهدون بعد مرور كل هذه السنوات ونحن رجاؤنا من هذا العمل هو تسجيل ما يمكن تسجيله ليكون لنا العبرة والموعظة حتى نتخطى الجانب الجهوي والطائفي حتى لا نقع فيما لا يحمد عقباه ، ولا نبغي من وراء هذا التسجيل سوى الحقيقة التاريخية . وهل يدخل هذا الصراع المرير ضمن دائرة البحث عن الزعامة والريادة التي هي في الأصل مسألة هامة في التاريخ الاجتماعي لأيّ شعب فتي يبحث له عن وجود بعد العدمية التي أوجده فيها الاستعمار الفرنسي منذ غياب الدولة الجزائرية الحديثة بعد نهاية جهاد الأمير عبد القادر الجزائري ؟
هذه كلها أسئلة مشروعة في هذه المرحلة المبكرة من الثورة الجزائرية . وأما المجموعات المشكلة للصراع في أقصى الحدود الشرقية للولاية الأولى أوراس النمامشة ونستثني من هذا التقسيم القيادة العامة للأوراس ومجموعات الجنوب التونسي وصحراء سوف التي كان على رأسها كل من عبد الحي السعيد وطالب العربي وعباس لغرور وعاجل عجول على الرغم =

أن المجموعتين ، مجموعة تونس وادي سوف والقيادة العليا بالأوراس قد دخلت في صراع وتصفيات مع المجموعات الخاصة بالنمامشة والأمر لا يعنينا في هذا الهامش بل هو مفصل في متن هذه الدراسة المتواضعة التي تتوخى الحذر والسقوط فيما لا تحمد عقباه أو ما قد يسيء للحقيقة التاريخية .

أولا : أنصار الأزهر شريط :

1- أولاد بوقسة : (الجلامدة أبطال واجهة عيد 1956م بمنطقة تروبية (بئر مقدم دائرة الشريعة) .

2- الجدور : (عرش الأزهر شريط) .

3- أولاد بلعيساوي . وكل هؤلاء يمثلون العلاونة .

وأما واجهة تروبية أو معركة الجلامدة التي يرويها العقيد كالي في كتابه : شتاء في تبسة . فقد كان أبطالها هم : الطيب بن سلطان (زردومي) ، الطاهر بن عثمان (زردومي) وهي كما يسميها أهل المنطقة : (معركة الجلامدة) . وقد كان شهداء هذه الملحمة حسب العقيد كالي (Callet) عددهم يزيد عن 177 وكان الفيلق الثالث للجيش الفرنسي المرابط بتبسة مع التعزيزات التي جاءت من شمال المنطقة وجنوبها التي شاركت في هذه الواجهة واجهة تروبية أو واجهة الجلامدة ، ويبدو أن هذا الرقم يخص كل الشهداء الذين قتلوا في معارك منطقة تروبية وغيرها حيث إن العقيد : كالي يذكر في مكان آخر أن عدد قتلى واجهة تروبية هم : 95 و4 : أسرى واسترجعت كمية ضخمة من السلاح هي : 58 قطعة سلاح حربي ، 23 مدفع رشاش من نوع باريتة ومسدسين آليين وطن من الذخيرة مع وثائق هامة جدا عن تقسيمات مناطق تبسة المستقلة راجع :

Tebessa secteur autonome in Callet (lieutenant colonel), Hiver à Tebessa OP-CIT. P: 136.

ثانيا : أنصار محمود الشريف :

1- مقداد جدي .

2- لحبيب قرفوف .

3- صالح صحراوي (بولحية) .

4- محمد بن عمارة (محمودي) .

5- علي بن يونس (براكني) .

6- بداي (جدري) (شهيد) (الحوية) .

7- بلقاسم النقريني وهؤلاء كلهم براشنة ما عدا :

فكيف كانت نهاية فارس وصالح بن علي الذي رماه بالرصاص ، أو الذي قطع أوصاله .

والأزهر شريط هو الذي أنقذ **محمود الشريف** من الموت المحقق على يد المجاهدين ، هذه كلها حقائق التاريخ لا شهادات الزور الملفقة على الذين أخلصوا النية لتحرير الوطن من فرنسا الاستعمارية .

كما أن مؤامرة العقداء ما هي إلا محاولة تصحيح وضع فاشل إلا أنهم **قوبلوا بمؤامرة وتواطئ الحكومة المؤقتة مع الخط البورقيبي وضاعت الحقيقة التي من أجلها دافع عنها حتى لقي المصير الذي واجهه بثبات دون إثبات الأخطاء المزعومة التي لفقت لأصحابه ، وكان الصراع الذي دار بين قيادة الأركان العامة والحكومة المؤقتة** ، قد أكدت أن جميع الاتهامات التي كانت موجهة إلى بعض القيادات المتهمة بالتطرف وبأنهم يشكلون ما يمكن تسميته "بالمتمردين" و"المشوشين" هي مجرد اتهامات صدرت عن أناس محدودي الثقافة ، ضيقي الأفق ؛ لأنهم لو قارنوا إيجابيات وسلبيات "**المتمردين**"[1] لظهر لهم بوضوح مكانتهم ودورهم في الأيام الأولى للاستقلال ؛ لأن لجم اللسان خطأ وفرض القيود على العقل خطيئة ولهذا إذا أردنا أن نسير

8- عثماني جلالي من العلاونة .

9- محمد الهادي رزامية ، أولاد أرشاش (خنشلة) .

(1) انظر : محمد جغابة ، الشهيد محمد لعموري (معاناة ثائر) . . . وما خطر على بال بشر! دار الأمة الجزائر 1997م ص : 129- 130 . محمد ملوح ، الشهيد محمد لعموري . . مرة أخرى (ضمن كتاب محمد جغابة) ص : 244 وما بعدها . ، محمد الأخضر عبد القادر السائحي ، ويظل محمد لعموري . . قضية ورمزا المجاهد الأسبوعي العدد 1921 (من27 إلى 03 جوان 1997م (محمد جغابة ، المرجع السابق ، ص : 248 وما بعدها) .

في طريق بمعالم واضحة فلا يمكننا الاستماع إلا لأصحاب الشهادات النزيهة بعيدًا عن الدجل والتلفيق وشهادة الزور .

كما لا يخفى على الباحث أن الجزائر في كل المراحل التاريخية عاشت مشكلة القيادة والزعامة[1] . وقد كان التحدي الذي عرفته الثورة في غياب القيادات الراشدة خاصة في الأوراس النمامشة بعد بن بولعيد قد عاشت الظروف القاصية التي أشرنا إليها في أزمة الولاية الأولى ، كما رأينا أن مسألة التحكم في توزيع السلاح وطرقه المتشعبة قد أفرز صراعًا عنيفا في أقصى الحدود الشرقية[2] وهو ما تشير إليه بكل وضوح رسالة الأزهر شريط التي

(1) عن الزعامة في التاريخ السياسي والعسكري الجزائري راجع : الأستاذ إبراهيم لونيسي ظاهرة الزعامة في التاريخ الجزائري الحديث والمعاصر ، (جريدة الخبر الجزائرية) الإثنين7 شعبان 1417هـ 6 جانفي 1997م ص : 19 . انظر أيضا الحلقة الخاصة بـ"مفجري الثورة وإشكالية الزعامة ، الحلقة الأخيرة ليوم 12 جانفي 1997م ص : 21 .

(2) الرسالة أوردها كالي : انظر :

. Callet(lieutenant colonel), Hiver à Tebessa OP- Cit P: 194- 195.

الملحق : رسالة خاصة وجدها الجيش الفرنسي في أوراق ووثائق أحد المجاهدين نوردها كما هي باللغة الفرنسية :

Des renseignements précis, fournis par les habitants, font état des difficultés survenues entre les bandes rivales de CHERIET LAZHAR et CHERIF MAHMOUD, les deux hommes seraient actuellement en Tunisie et se livraient à une lutte d'influence apurés de l'état - major F. L. N. Selon certaines rumeurs, CHERIF MAHMOUD aurait été victime d'un attentat aux environs du KEF. CHERIET LAZHAR soupçonné d'en être l'instigateur, se serait retiré dans le sud tunisien, auprès du chef Soufi TALEB LARBI et se préparait à revenir dans la zone du djebel abiod pour lutter contre l'influence que CHERIF MAHMOUD essaye d'y implanter.

Au cours d'un accrochage avec quelques «éléments rebelles, non loin de KEMAKEM, un chef de groupe a été abattu. dans son portefeuille se trouvait une lettre adressée par CHERIET LAZHAR, sous forme de circulaire et qui contenait la déclaration suivante.

24 mars 1957. LOUANGE A ALLAH

De l'armée de la libération dans le Djébel Abiod.

Secteur n°3.

Zone de Tébessa.

Cette armée qui s'est lancée dans les combats sanglants contre les forces =

نسجلها في ملحق هذه الدراسة .

colonialistes- l'histoire témoigne en sa faveur... , les lieux rougis par le sang des martyrs élèvent leurs voix pour se plaindre, au nom de leur armée héroïque qui a dompté l'ennemi et n'a pas laissé fouler au pied le sol libre. Ces lieux et ses montagnes clament le droit de leur armée perdue. ce droit bafoué, cette armée qui a défendu les montagnes suivantes:

- Djeurf ou le colonialisme n'est entré due récemment.
- Oum - El- Kemakem dont l'ennemi jusqu'ici ignore les grottes malgré les opérations successives.
- Le djébel Abiod ou le colonialisme n'est jamais entré grâce aux efforts déployés par l'armée pour sa libération et sa liberté.

Si vous avez été informé de tout ceci,pourriez- vous permettre d'« étouffer » le droit de cette armée et de l'abandonner affamée , nue et sale.

1° La faim: nous mangeons au jour le jour. Et parfois après cinq ou six jour de jeûne avons perdu nos forces. «Le sang est figé dans nos veines» ,nous ne pouvons plus remplir notre devoir.

2° Nous sommes nus: il en est parmi nous qui possèdent des pantalons à l'exclusion d'autres effets; certains ont une chemise et n'ont pas de veste. Nous sommes même arrivés à nous vêtir d'une couverture en plein jour.

3° La malpropreté: nous portons la chemise sans pouvoir l'enlever jusqu'à ce qu'elle se déchire. Celui qui la lave ne le fait qu'avec de l'eau. Si l'on regarde un soldat, on s'aperçoit qu'il se confond avec le sol

tellement il est mal habillé.

4° Nous sommes nu- pieds: ceux qui ont de vieilles chaussures les réparent plusieurs fois avec du fil et une aiguille. Celui qui trouve une très vieilles paire de souliers assure seul le travail des autres soldats car ils sont nu- pied, et ne peuvent agir. leurs pieds sont ensanglantés et malgré cela nous parcourons en une nuit 30 kilomètres au moins.

Nous avons tout supporté pour la discipline, pour la révolution bénie, pour l'Algérie combattante.

Mais il nous est arrivé bien plus que ce qui précède et que nous n'avons pas pu avoir la patience de supporter.

Si nous sommes obligés de le divulguer. IL s'agit des enlèvements d'armes effectués par certains agents de malheur ainsi que l'interruption du ravitaillement.

5°Enlévement. d'armes par LEHBIB QARFOUF et autres agents de CHERIF MAHMOUD. Ils ont, à plusieurs reprises, désarmé les patrouilles rencontrées parmi les populations ou des soldats arrivant de Tunisie.

De l'enlèvement des armes: Ils en sont arrivés à ligoter les membres du comité civil du secteur n°3 et à leur prendre leurs archives.

Ils ont aussi mis sous garde plusieurs soldats jusqu'à ce jour.

Le ravitaillement: Ils ont retenu tout le ravitaillement de la région CHERIA- ZORA laissant ainsi les troupes errer, affamées de l'Ergou au djébel Abiod.

Les responsables de l'armée, chefs de 300 soldats, sont témoins de tout ce qui a été déclaré.

CHERIET LAZHAR.

القسم الرابع

عصر السيادة الوطنية

أولا: الآثار النفسية للألغام بالمنطقة الشرقية[1]

شهادات حية من نفوس أبية معذبة

لقد عانت المنطقة الشرقية الحدودية بالولاية التاريخية الأولى أوراس النمامشة من سياسة التطويق الاستعماري منذ فجر نوفمبر 1954م من شتى أنواع الأساليب الفرنسية من الحجز إلى القمع إلى المحتشدات إلى بناء المراكز العسكرية وتشديد الخناق على السكان وتتميز المنطقة بتضاريسها الصعبة حيث تشتهر بمعالمها ومسالكها وغاباتها الصعبة ، وقد عرفت القوات الفرنسية الغازية شتى أنواع الصمود بهذه المنطقة في غابة وجبل بوجلال وبجبل أرقو العظيم والجبل الأبيض وفج أم الكماكم والردامة والقارة الصفراء وجبل الجرف وزريف الواعر وجبال السطح قنتيس وجبال غفوف الساهل والواعر الحدودية وجبال تازينت وغيرها من المناطق التي سجل تاريخها ضباط فرنسيون كما فعل صاحب كتاب "**شتاء في تبسة**" ، وكما جاء في شهادات المجندين الهاربين من منطقة تبسة وأم الكماكم بالشريعة[2] فإن شهادات هؤلاء تعبر فعلا عما

---

(1) مداخلة شاركت بها في الملتقى الوطني الأول للألغام وآثارها النفسية بالجزائر العاصمة يوم : 19 - أوت 1999م .

(2) جبل بوكماش واحد من الجبال التي تحمي الشريعة من الجنوب وتتحدث الوقائع التاريخية عن معركة جبل بوكماش التي وقعت أيام 24 ، 25 ، 26 أكتوبر 1956م وقد تحدث عنها أحد المجندين الفرنسيين الذي كان واحدا من : 200. 000 مجند لحماية الكولون بالجزائر كما يعبر هو نفسه عن الجزائر الفرنسية بشيء من الامتعاض ، وقد كانت عمليات المسح العسكري التي تقوم بها الجيوش الفرنسية قد أدت إلى أعمال إجرامية في

وصلت إليه نازية هؤلاء البرابرة الهمج من حقد عنصري وسادية لا مثيل لها، وقد ختم أحفاد بيجو السفاح وبيجار وسوستيل عبقرياتهم العسكرية التي تعلموها في أرقى الأكاديميات العسكرية، وأمام اتساع الثورة أجبرت فرنسا على تنويع وسائل التدمير وكان من بينها سد الأسلاك الشائكة والمكهربة وزرع حقول القنابل والألغام حيث تم زرع كل المنطقة الحدودية من عنابة شمالا إلى نقرين جنوب تبسة جنوبا، وقد زرعت الألغام بطريقة تمنع الاتصال بين الداخل وبين تونس حتى تتمكن من القضاء على كل محاولات التسلل إلى تونس من أجل تهريب وتمرير السلاح الذي تقتنيه القوات العسكرية للمجاهدين الجزائريين واعتبر الدارسون أن أصعب مرحلة من مراحل الثورة الجزائرية المباركة هي المرحلة الممتدة من 1957م إلى عام 1962م.

شهادات من أعماق المعركة والمنازلة الكبرى:

لن أتحدث إليكم عن تقنيات فرنسا الاستعمارية من خلال زرع الألغام المضادة للأفراد أو المضادة للكتائب العسكرية للمجاهدين أثناء الثورة الجزائرية بقدر ما أريد أن ألتزم بمحتوى الملتقى وسأخصص مداخلتي المتواضعة عن الآثار النفسية للألغام من خلال شهادتين لنموذجين من المجاهدين من منطقة الشريعة ولاية تبسة حاليا الولاية الأولى، أوراس

حق المجاهدين وعامة سكان المنطقة، ومما تحدث عنه هذا المجند في تصريح له لمجلة فكر الفرنسية تحت عنوان "سلم النمامشة 1956م" من خلال حديثه عن شاب من تلاميذ مدرسة الشريعة استشهد في معركة بوكماش(25 أكتوبر 1956م) وهو يبتسم مع عدم مفارقة محفظته المملوءة بكراسات واجباته المدرسية. انظر :

Robert Bonnaud, la paix des Némentchas. 1956 (les crimes de l'armée française, textes historiques,et dossiers réuni par Pierre Vidal Naquet, PCM/ petite collection maspéroParis 1982 p: 60

النمامشة المنطقة السادسة وتتمثل في شهادتين استقيتهما من مجاهدين لا يزالان على قيد الحياة : الأول : هو المجاهد **أحمد بن الصالح بلغيث** من مواليد **دوار أولاد سعيدان** بالساقية الصفراء بالضفة الجنوبية لواد الفرنسيس على بعد 30 كلم من **الجرف الشهير** ، وهو من شباب أولاد سعيدان الأقوياء ، وقد التحق بالثورة قبل **مؤتمر الصومام** بمرحلة ، وقد تم تجنيده من قبل أحد أبطال **معركة الجرف الشهيرة**[1] وهو المجاهد والعسكري المحترف سي بلغيث عبد المجيد بن الطيب أحد أبطال الجرف الأشم المعركة التي سجلت اسم أوراس النمامشة ضمن سجلات البطولة والجهاد بالجزائر الثائرة .

أما الشخصية الثانية : فهو **المجاهد الأزهر جبارة** من منطقة الشريعة[2]

---

(1) عن معركة الجرف الكبرى من 22 و28 سبتمبر 1955م من أكبر الملاحم التي عرفتها أوراس النمامشة بقيادة بشير شيحاني وكبار قادة جيش الأوراس واللمامشة/ وقد أسفرت الملحمة عن قتلى وجرحى من بين جيش عرمرم قدره المجاهدون بأزيد من 40 ألف فقتل منهم 507 وأسقط المجاهدون 4 طائرات حربية واستشهد 50 شهيدا وجرح 21 مجاهد انظر التفاصيل : عبد السلام بوشارب ، تبسة معالم ومآثر ، الجزائر ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1996م ص : 59 .

(2) دائرة الشريعة من أكبر دوائر ولاية تبسة حاليا ، كانت من أهم المناطق التابعة للمنطقة السادسة ، وقد قدمت ملكة القرى كما يسميها أهل المنطقة رجالا من الأبطال الذين لاتزال ذكراهم خالدة خلود الفداء والتضحية ومنهم البطل الشهيد الزين عباد (شهيد الغدر) والبطل الشهم الرائد جدي مقداد أحد أبطال معركة سوف الشهيرة وغيرها من مشاهد الثورة في أوراس النمامشة والطالب الشهيد عثماني أحمد تلميذ معهد عبد الحميد بن باديس رفيق البطل الوردي قتال والبطل عبد المجيد بن الطيب بن سي أعمر بلغيث (الجرف) ، وقد رددت النسوة بالقرية الهادئة الأشعار حول بطولات محمد بن عجرود بطل معركة فرفوطة ، كما تتذكر القرية الهادئة هجوم الشريعة الشهير على دار القاضي وقيادة الجندرمة ، وأما الذكرى الخالدة فهي نظرة الإكبار التي صاحبت أهل المنطقة وهم يشاهدون جثة البطل محمد الأصنامي الذي تمكنت من أسره القوات الاستعمارية في الجرف فقطعت رأسه وحملته على دبابة إلى الشريعة ، كما يتذكر أهل الشريعة الخائن عيدودي الذي قطع رؤوس المجاهدين ، ولا تزال حادثة بئر =

أيضا وكلاهما أصيب بلغم أثناء أدائه لواجبه الجهادي .

الأول **أحمد بن الصالح بلغيث** درجة أعاقته كبيرة حيث بقي مدة عقدين من الزمن وهو يعاني من أعمال **نزع الزقلاط** أي : بقايا القنبلة التي انفجرت على رجله اليسرى ولا يتحرك إلا بعد أن يلبس الحذاء الخاص المعد لمعطوبي حرب التحرير وكذلك الاستعانة بعكاز يلازمه إلى اليوم، وأكبر عائق هذا المجاهد هو أن الله عز وجل قد أعطاه بسطة في الجسم كأنه من بقايا الفراعنة حتى أنهم كانوا يروون أنه يستطيع أن يلوي عنق أشرس الجمال وهو يجري بأقصى سرعة ممكنة، لهذا فإن هذا الجسم القوي لا تحتمله رجلاه

التكاكة ـ التي أعدمت فيه فرنسا الأسرى من المجاهدين والمسبلين ـ حاضرة في ذاكرة أهل هذه القرية الهادئة على يد العقيد الجبان جون بيار الذي قتلته قوات المجاهدين في معركة مرمورة الشهيرة بنواحي سوق أهراس (القاعدة الشرقية). وتنتمي الشريعة إلى المنطقة السادسة التي عانت من استراتيجية الاستعمار الفرنسي حيث تعرضت المنطقة الرابعة والثانية والسادسة إلى دمار شامل حيث دمرت بهذه المناطق 199 قرية تدميرا كاملا، وكانت منطقة بوكماش شاهدة على دمار الطائرات الفرنسية كما تحتوي المنطقة السادسة الولاية الأولى أوراس النمامشة على 19 منطقة محرمة وبها ثلاثة أماكن للقتل والإعدام الجماعي المكتشفة إلى حد اليوم وتضم المنطقة السادسة 28 مركزا للتجمع والمحتشدات وأبراج المراقبة بها 19 برجًا عسكريا و12 قاعدة عسكرية، كما أقامت فرنسا بمنطقة مركزًا للحركة والقومية والبياعين، كما تضم المنطقة السادسة وجنوب الشريعة معتقل من أكبر السجون والمعتقلات في الولاية الأولى هو معتقل الجرف. والولاية الأولى لوحدها تضم 280 معتقلا مخصصة للتعذيب والإبادة والقتل الجماعي. انظر : محمد الطاهر عزوي، وضعية الولاية الأولى ودورها عند إيقاف الحرب في 19 مارس 1962 إلى 26 سبتمبر 1962 في أثناء المرحلة الانتقالية (كتاب المرحلة الانتقالية للثورة)، المرجع السابق ص : 128 وما بعدها. انظر : د : إبراهيم مياسي، أوت 1955 وادي سوف في خضم المعركة (المصادر) مجلة تعنى بشؤون الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 العدد الثاني الجزائر 1420هـ/1999م ص : 120. المجاهد الوردي قتال يسترجع أحداث معركة الجرف في ذكراها الأربعين (مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية) إنتاج جمعية أول نوفمبر) ص : 941.

المعطوبتان والناقصة من المشط إلى الكعب ولكن إرادة الحياة أقوى من أن تقف في وجه التحدي .

لقد أدمج المجاهد الأول ضمن الشرطة الوطنية الأولى[1] لقوات الثورة التحريرية بالعاصمة خلفا للقوات المشبوهة التي فرضت على حكومة الصخرة

---

(1) من سلبيات المرحلة الانتقالية : إنشاء القوة المحلية لحفظ الأمن والنظام حيث نصت اتفاقية إيفيان على إنشاء قوة للأمن خاصة بالجزائر تخضع لسلطة المجلس التنفيذي تتألف من 60 ألف رجل وتبدأ بأربعين ألف رجل وتتألف هذه القوات من صنفين من المجندين :

1- رجال الدرك والمجموعات الأمنية المتنقلة .

2- المطلوبين للخدمة العسكرية بالجزائر .

وهي الثغرة التي فتحت لتسرب الكثير من المندسين أعداء الثورة والشعب إلى داخل هذه القوات ابتداء من 19 مارس 1962 وأصبح الشعب يدعوهم من ذلك الوقت "مجندي 19 مارس" .

(1) تتكون حكومة الصخرة السوداء ببومرداس من :

1- الرئيس عبد الرحمن فارس (موثق وسياسي مخضرم) .

2- روجي بوت نائبًا للرئيس (ممثلا عن الأقلية الأوروبية) .

3- عبد السلام بلعيد مكلف بالشؤون الاقتصادية (جبهة التحرير الوطني) .

4- أمحمد الشيخ مكلف بالزراعة من الأعيان .

5- جان منوني مكلف بالمالية (ممثلا عن الأقلية الأوروبية) .

6- عبد الرزاق شنتوف مكلف بالإدارة (جبهة التحرير الوطني) .

7- عبد القادر حصار مكلف بالأمن العام . .

8- بومدين حميدو مكلف بالشؤون الاجتماعية (جبهة التحرير الوطني) .

9- شوقي مصطفاي مكلف بالشؤون العامة (جبهة التحرير الوطني) .

10- شارل كونيق مكلف بالأشغال العامة . (مندوب الأقلية الأوروبية) .

11- إبراهيم بيوض من الأعيان مكلف بالشؤون الثقافية .

12- محمد بن تفتيفة مكلف بالبريد (جبهة التحرير الوطني) . انظر ترجمة وافية عن حياة ومسار فارس :

Achour Cheurfi,Mémoire Algérienne,Alger,Les éditions Dahlab,1996 P: 359.

السوداء برئاسة **عبد الرحمن فارس**[1] ، إلا أنه سرح نهائيا من الجيش ، ومن قوات الشرطة للإعاقة التي أصابته في الجهة الشرقية في معركة شرسة على الحدود التي يعرفها من فريانة إلى **الحامة** ومن الحامة إلى قابس وكل الجريد التونسي ؛ إذ قد سبق له أن التحق بالمدرسة الزيتونية بفريانة لمدة سنتين إلا أن واجب الجهاد والالتحاق بصفوف المجاهدين كانت رغبة قوية من رغبات **المجاهد أحمد بن الصالح** .

لقد التحق المجاهد بعد هذه النكسة الأولى بالقطاع الصحي وعاش حياته حارسا ليليا رغم إمكانياته الكبيرة إلى أن تقاعد .

ولكن الجراح لا تندمل بسرعة وقد صاحبته سنوات وعرفت منه أسرار هذه الإعاقة والشعور الذي يحسه إنها بالنسبة إليه وساما من الأوسمة التي يعلقها المجاهد أينما ذهب وأينما حل فإذا شاهده حركي مندس من بقايا إدارة لاصاص أصابه خزي عظيم والكلام للسيد المجاهد **أحمد بن الصالح** ، وقد سبق أن قلنا : إن الرجل من أبطال المنطقة قبل الثورة وقد حباه الله بصحة وجسم قوي كأجسام العمالقة ، فإذا هو بين عشية وضحاها طريح الفراش وبين أيدي أطباء جيش التحرير بالمنطقة الشرقية بين الحياة والموت وأخيرا يخرج منها سالما ولكن بإعاقة ستصنع منه شخصية أخرى .

وأول ما واجه الرجل بعد أن تجرأ قليلو الأدب وتربية الشوارع والبارات والخمارات الليلية وأبناء وأحفاد الجبناء والحركة المندسين هي الألقاب

---

(1) محمد الشريف سيدي موسى ، الأسلاك الشائكة دراسة وعرض من خلال المصادر والمراجع باللغة الفرنسية ، (دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول الأسلاك والألغام) (كتاب سلسلة الملتقيات) ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة وثورة أول نوفمبر 1954م . الجزائر 1998م ص : 178 .

والنعوت التي تثير الاشمئزاز ، فمن بين الألفاظ المشينة التي صاحبته طيلة رحلته من 1962م إلى اليوم نذكر : **العايب** . **الأكعص** . **الكعوان** . **الدبابة** . **البلاندي المكسر أو المزنجر** .

هذه الألقاب والنعوت مهما حاول الرجل أن يتجاوزها إلا أنها لا تزال أحد الجراح التي أثرت على مسيرة رجل ، وأصبح أبناؤه من بعده يلقبون **بأبناء الكعوان وأبناء الأكعص ، وفي أحسن الأحوال أبناء "الكومباطي"** (**أي : المقاوم**) .

هذه الحياة القاسية التي يمر بها معطوب جيش التحرير في منطقة حضرية كبيرة كالعاصمة ، وفي محيط تغلب عليه روح الترفع عن كثير من السلوكات المشينة فإن الشخصية الثانية النموذج للآثار النفسية لإعاقة معطوبي جيش التحرير هو واحد من 1450 معطوب من مخلفات الحرب المدمرة خلال الثورة الجزائرية الذين لا يتحركون إلا بمساعدة دليل ، فقد أصيب السيد المجاهد **الأزهر جبارة** بشضايا قنبلة مضادة للبشر في أواخر سنة 1960م في عملية من عمليات اجتياز **خط موريس**[1] الرهيب فكانت هذه القنبلة قد أتت على رجليه معا ولم يبق من رجليه وساقيه إلا ما تحت المحاشم بحوالي شبرين فقط وهي إعاقة نموذجية من بين الإعاقات المرصودة عند جمعية معطوبي جيش التحرير ، وبعد الاستقلال خرج المجاهد سالما ، وأثناء العرس الكبير نسي المجاهد إعاقته نظرا لروح التعاون والتضامن الموجودة بالمنطقة الريفية التي يسكنها ثم التحق بالمدينة ليعيش حياته العادية ، وقد تغلب على إعاقته بعد التجربة الرائدة التي قامت بها الدولة الجزائرية من أجل ضمد الجراح ، وهذا من خلال تزويده بعربة ذات محرك تنقله لأداء حاجاته معززا مكرما .

---

(1) مسعود كواتي ، مقارنة بين خطي ماجينو وموريس ، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول الأسلاك والألغام . المرجع السابق ص : 99 وما بعدها .

والرجل على درجة كبيرة من الصلاح محبوب من طرف سكان حيه، وعلى الرغم من كفاحه وصموده وقناعاته التي تجعل من رجليه كما يقول قنطرة مضمونة يوم القيامة ستحملانه إلى حوض محمد بن عبد الله ﷺ ليشرب منه شربة ماء لا يضمأ بعدها أبدا. هذا رجل عزيز النفس تربى على حب الوطن منذ أن التحق صغيرا بزاوية الشيخ سيدي أحميدة شمال غرب الشريعة حتى أدركه الواجب الوطني فالتحق بالثورة باكرا تاركا زاويته إلى حين إتمام ما عاهد الله عليه، لهذا كانت حياته الثانية بعد الاستقلال يجد لها المبررات مما خلفه على أرض المعركة.

لقد كانت إعاقة المجاهد الأزهر جبارة إصابة كبيرة ولا يمكن أن يصمد أمامها إلا من كان في مستواه الثقافي وقوة إيمانه بقضاء الله وقدره وبشهادته الجهادية أيام الجهاد والثورة. إن معطوبي حرب التحرير من خلال هذين النموذجين تمكننا من كشف أغوار نفوس ثائرة على الظلم والاستعمار، فكانت رسالة المجاهد النصر أو الاستشهاد، وكان التسابق للفوز بالشهادة عنوان المجاهد المخلص، لكن إرادة الله كانت أقوى من طلب الشهادة فكلاهما طلب الموت فوهبت لهما الحياة، ولكن أي حياة بعد أن فقد الإنسان رجليه أو إحداهما أو فقد مشط أو كعب رجله اليسرى وأصيب بكسور ثائرة لا تقوى على حمل جسمه، هذه كلها من الآثار المادية التي ستبقى عنوان الحروب الظالمة التي عرفتها الجزائر أيام الثورة المباركة، ولن ننسى ما فعل زبانية الاستعمار وجلاديه في حق شعبنا الأبي مهما طال الزمن ومهما تغيرت الظروف والأحوال.

ما دامت مقابر الشهداء وأجسام نحيلة أو أرجل معطوبة أو مقطوعة تذكرونا بما فعل أحفاد بيجار وسوستيل ومن قبلهم دي روفيقو ودي سوسييه وغيرهم من القتلة والمجرمين.

ثانيا: الصراع الفكري في الجزائر المستقلة[1]

(من خلال مجلة الأصالة (1971 ـ 1981)

أعتقد أن العنوان المناسب لهذه الدراسة يندرج ضمن المرحلة الحاسمة لاستمرار الثورة الجزائرية للوقوف على أرض صلبة ؛ لأن "مجلة الأصالة" تمثل للدارس الحصيف مشروع مجتمع جديد ، يسعى إلى بناء قواعده الثابتة على ميراث الحركة الإصلاحية والوطنية .

وهي الأعمال التي لا تزال خالدة خلود هذه الأمة رغم العواصف والأنواء .

إن مجلة الأصالة بحجمها وشعارها ومحتواها ، تحمل رسالة إلى العالم ، مترجمة مفهوم الدولة الجزائرية إلى الإسلام والحضارة الإنسانية .

والصراع الفكري كمصطلح ورد ضمن عنوان هذه الدراسة يترجم الجدل السياسي والفكري الذي عرفته الجزائر في مرحلة السبعينيات ، من خلال مواقف وأبعاد داخلية وخارجية ، ومجلة الأصالة عنوان وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية وهي مؤسسة أخذت قيمتها وشخصيتها من مكانة المرحوم "مولود قاسم" الذي أراد من خلالها إثبات واقعية الإسلام "الدين" والعربية "لغة" في الحفاظ على الشخصية الجزائرية ومواكبة التّطور العالمي في جميع مجالات الحياة .

---

(1) نشرت هذه الدراسة في مجلة كلية أصول الدين جامعة الجزائر العدد الأول ، السنة الأولى ، جمادي الأول 1420هـ/سبتمبر 1999م

مجلة الأصالة ووزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية:

تأسست مجلة الأصالة في مارس 1971 على يد الأستاذ **مولود قاسم** يوم كان وزيرا للتعليم الأصلي والشؤون الدينية، وكانت تنشر برئاسة الأستاذ **عثمان شبوب**، وكانت مجلة الأصالة مجلة منتظمة على غرار ما يعرف على دقة مواعيد الوزير المرحوم قاسم عند الصغير والكبير إلى غاية فبراير 1981 م وكان العدد 91 آخر العنقود إلى يومنا هذا مع غياب مجهول لمدة 9 أشهر ما بين العدد 90/89.

أما على مستوى الشكل فقد تدرجت من العدد الأول إلى المجلد السادس على شكل مجلة نصف شهرية لمدة 5 سنوات ثم ما بين سبعة وتسعة أعداد في الأربع سنوات التي جاءت بعد 1975 إلى أن استقرت على خمس أعداد في السنة العاشرة، ولم يصدر في العام الحادي عشر إلا عدد واحد، ويعود هذا التذبذب إذا صح التعبير وعدم الانتظام في شكل وحجم المجلة إلى الظروف التي كانت تعرفها الحياة الثقافية مع توازي المقالات العلمية المنتظمة مع ما كانت تدفعه ملتقيات الفكر الإسلامي من أبحاث ومقالات جادة والتي جدد حضورها السنوي بدءا من عام 1971م وكذلك صدور الأعداد والمجلدات المزدوجة كما كان مع العددين 17- 18 المخصص للتعريب أحد ثوابت " الوزير الصارم مولود قاسم رحمه الله".

وتنوع شكل المجلة من حيث الشكل والشعار الذي تحمله وفي مجمل ما انطبع في ذهن الوزير "**مولود قاسم**" ومدير التحرير "**عثمان شبوب**" والفنان والخطاط الخاص بالمجلة حيث يمكن لنا أن نرى غلاف المجلة يحمل صورة

للبطل **النوميدي يوغرطة** بطل المقاومة في العهد الروماني ، إلى صورة الشيخ محمد المقراني الزعيم العسكري لثورة 1871 م ، إلى صورة لمسجد كتشاوة الذي أعادت له الثورة الجزائرية جنسيته الأصلية ، وكانت أول خطبة بالجامع العظيم من حظ المغفور له **الشيخ العلامة محمد البشير الإبراهيمي** ، إلى صور المعارك الكبرى للثورة الجزائرية ، كما عكس غلاف المجلة دائما مسيرة الثورة الجزائرية من خلال الذكرى العشرين (العدد 22 عام 1974) وهذه اللّوحات الفنية القيمة كانت بإمضاء الفنان ابن الشهيد " **أبو بكر الصحراوي** " الذي يعبر عن امتداد حديث لمدرسة **عمر راسم** في المنمنمات الأصيلة التاريخية للخط العربي في الجزائر .

كما تضمنت أعداد **مجلة الأصالة** صورا لزعماء وأبطال ومفكرين من الشرق والغرب منهم **جمال الدين الأفغاني وابن رشد والغزالي وابن خلدون، والغرب أفلاطون أرسطو ديكارت رينان، فيختة، نيتشة، هيغل** ، كما سجلت صورا كاريكاتورية لزعماء الغرب أيضا في عصرهم مثل هنري كيسنجر ، وكل صور المجلة تعبر عن مرحلة تاريخية عاشها وساهمت فيها الجزائر الثائرة في العالم آنذاك .

لقد مثلت "**مجلة الأصالة**" مرحلة حاسمة في العمل الفكري في الجزائر وأنتجت للباحثين أكثر من 15 ألف صفحة وهي في ميزان الحضارات المكتوبة ركيزة قوية لم تجد من يسندها إلى أن وقع التحول إلى مرحلة جديدة هي "مرحلة الشاذلية" بما فيها من محاسن وسلبيات (1979م - 1992م) "كل حسب تقييمه للمرحلة وهو موضوع لا يناسب المكان والمناسبة " .

وهذا الكم الهائل من الصفحات وعشرات الدراسات العلمية هي ميراث

كبير يحتاج إلى فريق علمي شاب ومؤسسة جادة لإحصائه وتنظيمه وتبويبه وطبعه وتجليده حتى لا يضيع كما ضاعت زمالة الأمير عبد القادر ومكتبته رمز الأمة المتعلمة أيام المقاومة الشعبية المسلحة في الجزائر .

مجلة الأصالة والانتماء الفكري:

إن مجلة الأصالة (1971 - 1981)[1] بحجمها الذي يتوزع في متوسطة بين 200 و250 صفحة وبأقلام جزائرية وعربية وأوروبية وأمريكية وإيرانية يمثل زبدة أقلام أعلام كبار في العالم المعاصر في المرحلة المدروسة[2] فإذا تحدثنا مثلا عن المجلة وقرائها في هذه المرحلة نقول : إنها جاءت كما يفكر مؤسسها في طلاب التعليم الأصلي[3] الذين يقدرون حسب الإحصائيات الرسمية بـ 40 ألف تلميذ وطالب إضافة إلى نخبة متعلمة بالعربية من أساتذة الثانويات والجامعات ورواد المساجد[4] ولا أعتقد أنه في هذه المرحلة

---

(1) لقد كانت وزارة الأوقاف منذ الاستقلال إلى ترسيم الاسم الجديد أيام المغفور له المسجل أعلاه بها عناية خاصة بالمطبوعات والمجلات وأول مطبوعة للوزارة بعد الاستقلال " مجلة المعرفة " من ماي 1963 إلى صيف 1965 وصدر من المعرفة 20 عددا ثم مجلة " القبس " بعد انقلاب 19 جوان 1965 (مارس 1966 إلى صيف 1970 (3 أعداد بمعدل مجلد في السنة) وبمجيء الأستاذ مولود قاسم إلى الوزارة في عام 1971م أسس مجلة الأصالة من مارس 1971 إلى غاية نوفمبر 1981 م إلى أن تحولت رسميا إلى مجلة الرسالة .

(2) انظر هذا التقييم بصورة أصدق :

LUC - Willy Deheluvels Islam et pensée contemporaine en Algérie - éditions du C. N. R. S. PARIS 1994 p: 34

(3) انظر : حول أعداد وإحصائيات تلاميذ التعليم الأصلي : المأمون القاسمي ، مولود قاسم . . . الوزير المسؤول ، محاضرة ألقاها صاحبها في أربعينية المرحوم مولود قاسم ببني يزقن في : 1992/11/01م .

(4) أُعْفِيَت هذه الورقة من ذكر كل هذه الأسماء ، وأتركها للباحثين فهم أجدر بتقييم هذه القمم =

المبكرة ، كان للمجلة خارج دائرة هذه العناصر مكانة . وقدكانت المجلة تصدر بمعدل 10 آلاف نسخة لكل عدد .

ولا أتصور أن المجلة كانت تسعى إلى أكثر من ترسيخ صورة الحرف العربي بروحه الإسلامية كما تصورته المؤسسة الرسمية الجزائرية ويحمل في روحه وعمقه رسالة كتابه وهم بدراسة أولية أصحاب انتماءات واضحة من خلال أعمارهم ومكانتهم العلمية وتكوينهم الفكري ، فلو أخذنا عينة من 184 مقالة لجزائريين لوجدنا بحسابات النسب أن 46٪ من كتاب هذه الأبحاث والمقالات هم من بقايا **حمعية العلماء المسلمين الجزائريين أو الجيل الذي تكون في مدارس الجمعية والحركة الإصلاحية الجزائرية بصورة أعم أو من الذين تخرجوا في مؤسسات علمية إسلامية مشرقية كالأزهر بمصر والزيتونة بتونس ، بل نجد أن مجموعة كبيرة منهم قد لعبوا أدوارا كبيرة داخل جمعية العلماء** ، ومن بعدهم يأتي الجيل الذي تكون في المشرق بعد الحرب العالمية الثانية وخاصة منذ 1951م ، وكل هذه الشخصيات ساهمت مساهمة فعالة في استمرار مجلة الأصالة بل مجموعة كبيرة منهم وصلوا إلى مناصب حساسة في الدولة واتجاههم الإصلاحي يظهر في مقالاتهم وأعمالهم بصورة لا تحتاج إلى تورية أو غموض .

ولتقريب الصورة أكثر لتحديد المدن الجزائرية الفاعلة من خلال كتّابها وأعلامها نجد الفئة الأولى تنتمي على المستوى الجغرافي إلى مدن قليلة حيث

العلمية والفكرية في دراسات مستقبلية ومدى مساهمة هذه الدراسات في إنارة الطريق ورد الجميل لهذه الأقلام بالدرس والتقييم ، للمؤانسة راجع :

Willy DEHEUVLS. op cit. pp 43- 63.

إن معظم الكتاب الذين أفرزتهم هذه الدراسة الإحصائية هم من سكان المدن القديمة ، وتحتل الجزائر العاصمة النصيب الأعظم بنسبة 91٪ ، وبهذا تكون العاصمة هي المركز السياسي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي ، وأما النسبة الباقية التي تقدر بـ 9٪ فتتوزع على المدن الرئيسية في الجزائر وهي قسنطينة ، وهران ، عنابة ، البليدة (مفتاح) وخنشلة .

وهذه النتائج تعكس التطور الحضري لهذه المدن ، كما أن مدنا مثل الجزائر العاصمة قسنطينة وهران ، عنابة تهيمن على 70٪ من الوظائف القارة في مؤسسات الدولة إضافة إلى العمل الزراعي ، ويعكس أيضا في هذه المرحلة الخلل الواضح في التوازنات الجهوية وموقع الجامعات الكبرى في المدن السالفة الذكر إضافة إلى المعاهد المعروفة بنشاطها العلمي والسياسي المعروف في أدبيات الجزائر في السبعينيات حيث تنتشر بشكل ملفت للنظر الصراعات الإيديولوجية بين الطلبة اليساريين والمعربين ثم الإسلاميين ، وكانت مجلة الأصالة برصانتها رافدا أساسيا لأصحاب التوجهات العروبية والإسلامية والإصلاحية رغم ما سوف نعرضه فيما بعد عند تعرضنا للمحتوى العلمي والفكري للمجلة وصاحبها المغفور له ، مولود قاسم نايت بلقاسم .

وحتى تتضح أكثر توجهات كتاب المجلة من الجزائريين أعرض النسب والانتماءات داخل وظائف الدولة والجدول لهذه العينة يكون كالآتي :

التعليم والوزارات المعنية	3 ، 59٪
جامعيون	3 ، 49٪
ثانويون	3 ، 4٪

المعاهد العليا	7 ، 0٪
موظفو وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية	14٪
المجلس الإسلامي الأعلى	5 ٪
موظفون سامون بوزارة التعليم الأصلي	3 ، 8٪
معهد تكوين الأئمة بمفتاح (البليدة)	7 ، 0 ٪
رئيس الدولة ، ووزراء	5 ٪
الصحافة ودور الطبع	4 ٪
سفراء	5 ، 3٪
علميون ، أطباء ، مهندسون	4 ، 3 ٪
الاقتصاد ، الصناعة ، البنك	6 ، 2 ٪
المكتبة الوطنية والمتاحف	6 ، 2 ٪
محامون	7 ، 0 ٪
الجيش	7 ، 0 ٪
موظفو حزب جبهة التحرير الوطني	07 ٪
نواب المجلس الشعبي الوطني	07 ٪
ودادية الجزائريين المغتربين بأوروبا	07 ٪
متقاعدون ووظائف مختلفة	1 ، 2 ٪

إن هذا الجدول يبين المساهمة القوية والفعّالة في التعليم بجميع مستوياته وكذا رجال وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية وجميع مؤسسات الوزارة المعنية

الذين ساهموا في الخطاب العربي الإسلامي الذي يحمل في عمقه روح السيادة في إطار ثوابت الأمّة ، ومواصلة لجهود سابقة للحركة الإصلاحية والوطنية .

إن هذه العينة التي خضعت للدرس تعمل وفقا لرسالة واضحة المعالم إنها تعزيز لرسالة المسجد والمركز الثقافي الإسلامي وكلّ الجهود المبذولة من أجل رسم صورة إيجابية لدور العالم والإمام والباحث المسلم في بناء المجتمع الجزائري الجديد ونفض غبار الكسل والتخلف وما انطبع عن هذا الجيل في أذهان الغرب الاستعماري وأذنابه من المتغربين ، بقايا المدرسة الفرنسية ومؤسسات **لا فيجري** ورجال التنفير وليس التبشير كما كان يحلو للمرحوم أن يسميهم .

لهذا كان عنوان الوزير المجتهد والمتحمس لرسالة الأصالة كمجلة وملتقيات الفكر الإسلامي السنوية وهي جامعات صيفية دائمة ومتنقلة استقبلت القمم الفكرية في العالم العربي الإسلامي وأوروبا وأمريكا .

والجدول الآتي يعرض نسبة المشاركة خارج دائرة الكتاب الجزائريين[1] :

العالـــم الإسلامي	٪65
الوطن العربـــي	٪60
أوروبا الغربيـة	٪25
أوروبا الشرقيـــة	٪4 ، 3
أمريكا الشماليـة	٪2

(1) انظر : LUC - Willy Deheuvels: op. cit.. p 56 .

إفريقيا الســـوداء	1٪
الشرق الأقصـــى	

ويلاحظ داخل دائرة الوطن العربي أن نسبة المشاركة تأتي في مقدمتها الأقلام المصرية بنسبة 28 ٪ ، تونس 21 ٪ المغرب الأقصى 11 ٪ لبنان 10 ٪ السعودية 8٪ ، ثم تتوزع بقية النسب الأخرى على بقية الدول العربية بين 2 و1 في المائة .

والباحث الملاحظ يرى أن مجلة الأصالة ، مجلة متفتحة على العالم الخارجي تحت شعار محبوب لدى الوزير مولود **قاسم أصالة ومعاصرة ، أصالة وتفتح** أو "آنية وأصالة" وهي كلها من الشعارات الثابتة في الخطاب العلمي والمعرفي للمجلة ، وأما الدراسات القادمة من الغرب فتأتي على رأسها فرنسا بنسبة 5 ، 49 ٪ ألمانيا الغربيـــة 20٪ أسبانيا 17٪ إيطاليا 5 ، 7٪ بريطانيا 3٪ بلجيكا 5 ، 1 الدانمرك 105٪ .

وبهذا تكون المجلة قد ربطت شبكة قوية من العلاقات الفكرية والإنسانية مع العالم الخارجي مسجلة للجزائريين والبحث العلمي معالم قوية وروابط تعزز مكانة الجزائر الدولية في الجوانب الثقافية والعلمية ، ويكفي أن أذكر أن الوزير **مولود قاسم** كان يعي المسؤولية الكبيرة الملقاة على الجزائر فجعلها من خلال المجلة **وملتقيات الفكر الإسلامي** والتعاون مع الشرق والغرب في مجال التعليم الأصلي أن نعرف أن كبار علماء الأزهر الشريف قد مروا من هنا وقدموا مساهمات فعالة في بناء الجزائر لمؤسساتها التعليمية وأيقظوا في الشباب الجزائري روح العزة التي جاء بها الإسلام .

وهذا الجهد الفاعل للمجلة ووزارة التعليم الأصلي يترجم الخطاب السياسي للجزائر المعاصرة الذي ساهم في ترسيخه جنود قد لا نعرف الكثير عنهم للأسف الشديد، لكن الوزير مولود قاسم كان مركز الدائرة نظرا لما تحلى به من أخلاق وعزة نفس وشموخ كان أذناب **دفعة لاكوست** من وراء الكواليس في مؤسسات الدولة الإدارية والإعلامية وغيرها تعمل على هدم ما غرس هذا الرجل في نفوس الجزائريين من حب للعلم وتطلع لاستكمال شخصيتهم العربية الإسلامية من خلال البناء الثابت الذي تصوره في أعماله الفكرية والتاريخية .

الخطاب السياسي لمجلة الأصالة والصراع الفكري:

لقد كان محتوى مجلة الأصالة في مجمله يطرح مجموعة كبيرة من المفاهيم السياسية والثقافية يمكن ذكرها كمعالم كبرى لمقالات ودراسات وندوات المجلة وهي: الأصالة، المعاصرة، الوطنية، التعريب، نظام الحكم العادل، والاشتراكية في إطار مبادئ العدل الإسلامي، التاريخ الوطني من نشأة الدولة الجزائرية منذ آلاف السنين وحركة المقاومة الشعبية في العصر الحديث، الصراع الحضاري، حركة التنصير ومخاطرها على هوية الأمة، الإمبريالية العالمية، الصهيونية، الصراع بين الشرق والغرب، دور الجزائر ومكانتها الدولية .

لا يمكن في هذه الدراسة **التي اعتمدت المنهج الإحصائي** التوثيقي لتقييم كل هذه المحاور الكبرى التي تمثل مفردات أعمال جامعية كبيرة، وباختصار شديد أقول: إن رسالة المجلة كانت واضحة في تعاملها مع مسائل الهوية

وثوابت المجتمع بالدليل العلمي والتاريخي ، وقضايا الوحدة المغاربية وقضايا التحرر في العالم ، كانت هي الأخرى من ثوابت المجلة لما تعنيه هذه القضايا الإقليمية والدولية في خطاب الثورة الجزائرية ؛ ولهذا كان أعداء المجلة وصاحب المجلة ورواد الاتجاه العربي الإسلامي لهم بالمرصاد من خلال الإدارة الجزائرية وهي إدارة متعفنة من بقايا الإدارة الاستعمارية ، كما كانت وسائل **الإعلام** الفرنكفونية بدعم من فرنسا ومؤسساتها التعليمية ومراكزها تمثل الجبهة المضادة لتوجهات المجلة وأصحاب المجلة المتهمين بالتخلف والرجعية والعمالة للأجنبي والبعثية والناصرية بل ومحافل الماسونية العالمية[1] .

بل شوهوا كل الرموز الرائدة واتهموها بالعمالة والخيانة **كالأمير عبد القادر والشيخ المقراني وعبد الحميد بن باديس** .

كانت الجزائر من خلال هذا الجدل ضحية لطموحها الكبير في التنمية واسترجاع "**السيادة**" لهويتها العربية الإسلامية وكل الذين عاصروا المرحلة يعلمون "**الردة**" والعمالة التي ميزت كثيرا من رموز النظام السياسي رغم الشخصية الكاريزمتية للرئيس الراحل "**هواري بومدين**" الذي كان يعلم ويعرف خصومه الذين هادنوه وغرر به بَعْضُهم فأخطأ في القضاء على التعليم الأصلي وطعن النظام السياسي آنذاك "**المجلة**" في عمقها من خلال خوفه الشديد من ظاهرة عودة الشباب

---

(1) كان الوزير مولود قاسم بحكم ثقافته العربية الإسلامية واحتكاكه بالغرب يميز بين علماء جبلوا على الإبداع والحرّية الفكرية ، وكان أكثر ما يشيد بأعمال ابن رشد والغزالي والجويني وابن خلدون خلاصة هذا الفكر المبدع ، كذلك كان يدعو إلى اكتشاف عبقرية أمثال هؤلاء في الشرق والغرب دون إحساس بالدونية أو عقدة النقص ؛ لأنه يعلم أنه سليل الفاتحين في السياسة والعلم ويمقت الجمود وأهله في كل مكان وزمان .

الجزائري إلى إسلامه الذي يبحث من خلاله عن شخصيته[1].

وبحكم التنافر والقطيعة بين المجتمع والسلطة في أواخر السبعينيات، وهي ظاهرة تاريخية معروفة؛ لأن الأمة كانت ضحية الاستبداد السياسي قديما ورهينة للدجالين المتاجرين بالدين من رجال الطرقية العميلة للاستعمار بحكم جهلها بالدين والصراع الحضاري الذي عرفته الأمة ولا أعمم فأقول: إن الطرق الصوفية في الجزائر ورجالها الذين أخلصوا كالرحمانية وزوايا الصومام وهو الموضوع الذي عالجته المجلة ومؤتمرات "ملتقيات الفكر الإسلامي" بشيء من الدقة والموضوعية قلما عرفتها هذه المرحلة التاريخية للأمة الإسلامية عامة والجزائر خاصة.

يتمحور خطاب **مجلة الأصالة** في ترسيم مجموعة من المسائل الحساسة التي تشكل المبادئ العامة للشخصية الجزائرية التي تكونت في أحضان حضارة عربية إسلامية حيث إن العروبة والإسلام التي تعمل المجلة على إبرازهما ضمن القواعد الأساسية لفهم أبعاد هذه الشخصية، وهي بذلك ترد على بقايا جيل متفرنج، يحارب العربية والإسلام بوسائل الدولة الجزائرية وهذا من خلال التوازنات السياسية التي أوجدتها المرحلة الحرجة لبداية السبعينيات،

---

(1) غادر المرحوم مولود قاسم الوزارة عام 1977 إلى منصب جديد برئاسة الجمهورية بعد الانقلاب الداخلي الخطير الذي وقع على مشروعه الحضاري الذي بناه لبنة لبنة، ولتوحيد التعليم كما تحجج المسؤولون، فقدت المجلة مؤسسها وزعيمها الروحي ولكن روحه بقيت حاضرة طيلة السنوات المتبقية من عمر هذه المجلة الرائدة حتى سقطت في نوفمبر 1981 للأسف راجع كل ما جاء في هذا الهامش: "مأساة التعليم الأصلي حوار مع المغفور له أجراه كل من حسن عمار وعيسى، بـ. لحساب مجلة الإرشاد، ماي 1992 ضمن " مولود قاسم نايت بلقاسم " ـ رمز كفاح أمة ـ إعداد: أحمد بن نعمان، مطبعة دار الأمة الجزائر 1993 ص: 142 وما بعدها.

حيث كان النظام يبحث فيها عن الشرعية (1971م - 1978م)[1] .

فإذا فحصنا المحاور الأساسية الكبرى التي عالجها كتاب المجلة إضافة إلى خطابات الرئيس **هواري بومدين** ، فإننا نتمعن في محاولة ترميم ما هدم الاحتلال العسكري والاستعمار الاستيطاني والغزو الثقافي الشامل والمسخ الديني العنيف والتدمير الهمجي للمؤسسات الجزائرية بكاملها ، ونهب ثرواتها فإننا نستطيع بنظرة فاحصة أن نتعرف على هموم الجزائريين في هذه المرحلة الحساسة ، وهي مرحلة الترميم والبناء والعمل على إثبات الوجود في هذا العالم الذي يتطاحن فيه قطبان كبيران هما أمريكا زعيمة الكتلة الليبرالية الرأسمالية أو عالم المستكبرين ، وعالم روسيا أو الاتحاد السوفياتي وما كانت عليه الكتلة الاشتراكية والدول حديثة الاستقلال التي وجدت نفسها سائرة في فلك هذا القطب أو حاولت أن تجد لها هوية سياسية وإيديولوجية داخل ما كان شائعا " دول الجنوب" أو الدول النامية أو "دول العالم الثالث" أو "دول عدم الانحياز" ، وقد كانت الجزائر في هذه المرحلة تحتل مكانة كبرى داخل المحافل الدولية بفضل مواقفها من كثير من القضايا العادلة في العالم .

أهم محور عالجته "مجلة الأصالة" في هذا المضمار الذي نحن بصدد الحديث فيه عن الشخصية الجزائرية ، طرحت المجلة في مقالات عديدة ودراسات موثقة ، كلها تصب في خانة "التخلف السياسي[2] ، والنظام السياسي

---

(1) انظر :

P. Balta, Houari Boumédiène (revue Maghreb - Machrek) n° 69, juillet - septembre Paris 1975 P: 20- 24 .

(2) حول التخلف السياسي وآثاره الحضارية انظر : التخلف السياسي وأبعاده الحضارية (مجلة الأصالة العدد 86/85 . سبتمبر أكتوبر ، الجزائر 1980 ص : 77- 78 .

المنشود في إطار الإسلام وميراث الحركة الوطنية، كما طرحت المجلة في كثير من نصوصها مسألة هامة على الصعيد السياسي والتاريخي والمتمثل في إعادة التذكير بمبادئ ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م، الداعية إلى وحدة الشمال الإفريقي في إطاره الطبيعي العربي الإسلامي[1].

لقد كانت القيادة السياسية في الجزائر في هذه المرحلة قد بذلت جهدا كبيرا لبناء قاعدة اقتصادية ضخمة تمكنها من أن تصبح يوما ما: **يابان البحر الأبيض المتوسط**"[2] ولتحقيق هذا الأمل كان على الجزائر أن تلعب على ورقتين: رمزية الثورة والريع النفطي، كما كانت القيادة الجزائرية تنطلق دائما من الاعتقاد بأن الشعب الجزائري قد لاقى من العذاب تحت الاستعمار ما يستوجب تجنيبه التغيرات ذات الثمن الباهظ وستسمح الموارد، وخصوصا الريع النفطي - بتطوير البلاد من دون إخضاع الشعب إلى حرمان شديد، ولكن لهذه السياسة ثمنها هي الأخرى أيضا، ذلك أنها سوف تشجع على انتهاج مسار تنموي تستفيد منه الطبقات الشعبية، في الوقت نفسه الذي تفرز فيه

---

(1) انظر هذه النصوص المبكرة التي طرحت هذه المبادئ والأفكار الوحدوية :

Ferhat Abbas, la nuit colonial, édition de PARIS, 1962: PP 220- 224.

وقد طبع هذا الكتاب وترجم إلى العربية منذ مدة، وقد طبع هو الآخر في المغرب الأقصى وهو من النصوص النادرة للسيد فرحات عباس. انظر أيضا : LUC - Willy Deheuvels: op. cit., p 234.

(2) هذا الطموح الجزائري المشروع كان حلم الصغار والكبار، ولكن للأسف الشديد فقد انحرفت القاطرة عن سكتها الطبيعية وظهرت للعيان الخطط غير المدروسة، وضيعنا الفرصة من الخروج من دائرة التخلف المادي والفكري، وهذه سنة الله في الناس الذين ابتعدوا عن المنهج السليم، واتبعوا نصائح الذين في قلوبهم مرض، حتى وصلت الشماتة بجار لنا " فكتبت صحيفة من صحفهم السيارة بالبنط العريض، وعلى الصفحة الأولى منها بعيد أحداث أكتوبر الأليمة : " أرادت الجزائر أن تكون "يابان إفريقيا" وأراد لها قدرها أن تكون "بنغلادش إفريقيا".

صيغة خاصة لنمو فئة تكنو بيروقراطية تتحكم في مستقبله[1] ، وهو ما يحدث الآن للأسف الشديد[2] .

لقد كانت "**مجلة الأصالة**" منبرا من خير المنابر للتعبير عن قضية حساسة ، هي من الخطوط العريضة التي تناولتها المجلة بشيء من التحليل العلمي الرصين ، وهي قضية التاريخ الوطني والإسلامي والانتماء الحضاري للأمة الإسلامية ، ففي الأعداد التي قمت بتصفحها أو قراءة أو تلخيص موضوعاتها تبين لي من خلال عملي الإحصائي أن المجلة كانت من بين همومها مسألة "**تحرير التاريخ والكتابة التاريخية**" من الاحتواء والغزو والتسلط الغربي في المفاهيم والتوجهات ، كما أن تحرير التاريخ رسالة كانت تعبر عنها المجلة من خلال المنهجية العلمية التي تعتمد على التوثيق والتركيب والتحليل لأحداث التاريخ الجزائري على مر العصور ، ولهذا نجد التنوع العلمي الخاص بمادة التاريخ ، ففي "**مجلة الأصالة**" تسجيل وتدوين وتركيب وتحليل للتاريخ الجزائري عبر العصور ، كما أخذت الفترة العثمانية والمقاومة الشعبية المسلحة للغزو الفرنسي الصليبي الشامل للجزائر حيزا كبيرا من خلال مقالات ومداخلات **مولود قاسم** ، **ويحي بوعزيز** وأحمد **توفيق المدني** وغير هذه

---

(1) **الهرماسي** (محمد عبد الباقي) ، المجتمع والدولة في المغرب العربي ، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1987م ص : 76 .

انظر أيضا : Djeghloul (A) 1979: 25 ans de mutations (in huit etudes) ibid PP: 197- 204 .

(2) الهرماسي(محمد عبد الباقي) ، المجتمع والدولة في المغرب العربي ، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1987م ص : 76 .

انظر أيضا : Djeghloul (A) 1979: 25 ans de mutations(in huit etudes)ibid PP: 197- 204 .

الأسماء الحاضرة في معظم أعداد المجلة .

وهكذا أعدت مجلة الأصالة من خلال هذه الدراسات العلمية لتضرب المخططات الاستعمارية التي تواصلت بعد استرجاع السيادة الوطنية ، ثم تأكيد استقلالية الجزائر ثقافيا وحضاريا عن فرنسا والمنظومات الفكرية الغربية .

وكأن كتاب المجلة من خلال الندوات العلمية والفكرية الدورية كانت تصب في منطلق لصنع الاستقلال الحضاري في مجالات الثقافة والسياسة والاقتصاد والتربية والاستقلال في تحديد الأهداف المرجوة التي تعبر بصدق عن ضمير الغالبية الشعبية . إن عدم التجاوب مع كثير من حركات السياسة والسياسيين في الوطن العربي والعالم الإسلامي ، ليس سببه الفقر في ثقافة الشعب ، وتخلف في وعيه السياسي كما يدعي بعض "**الاغترابيين**" ، وإنما سببه السياسات والعقائد المستوردة والتي تهدف إلى القضاء على الشخصية الحضارية الإسلامية ؛ لأنه كما عبر الأستاذ مالك بن نبي في كتابه مشكلة الثقافة حيث يقول : "**نستطيع أن نقرر بصفة عامة أن من المخاطرة أن نقتبس حلا أمريكيا أو حلا ماركسيا فيما نطبقه على أية مشكلة تواجهنا في العالم العربي والإسلامي ، لأننا هنا أمام مجتمعات تختلف أعمارها أو تختلف اتجاهاتها وأهدافها**"[1] .

إن أهم القضايا التي عالجتها مقالات المجلة في إطار تحرير الإنسان الجزائري من عقدة النقص التي يشعر بها قديما ، هي مشكلة الأفكار والصراعات الإيديولوجية ، تدخل ضمن مشروع المجلة وأصحاب المجلة هي

---

(1) الدكتور أسعد السحمراني ، مالك بن نبي ((مفكرا إصلاحيا)) ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان 1984م ص : 185 .

"**المسألة الثقافية في الجزائر المعاصرة**" والرد على تخرصات الأبالسة من الاغترابيين الذين يتهمون المجلة وتوجهاتها بالرجعية والتخلف وكيل الشتائم السياسية والحط من قيمة أصحاب الأقلام العربية ، وكذلك اتهام أصحاب العمائم بالعمالة للغرب الرأسمالي والرجعية العربية بل والخيانة الموصوفة بأبشع الصور . لقد كانت المجلة وفية لمنطلقها الحضاري ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ .

لهذا كانت مشاريع المجلة دوما تحرص كل الحرص على تأصيل الدور الحضاري للمسجد ، وقد خصص كتاب المجلة لهذه المؤسسة الجامعة دراسات متنوعة حيث أكدوا على أن المسجد إذا أبعد عن رسالته الحضارية في بناء المجتمع المنشود ، كأننا حولناه إلى مقبرة ، ولهذا كان المسجد مجال شد وجذب بين الأطراف المتصارعة على الشرعية السياسية وباسم حماية المسجد لهذا دارت معظم الدراسات التي تناولت هذا الموضوع على أهميته وفعاليته في جمع الأمة وشدها إلى أصالتها وشخصيتها[1] .

---

(1) سعيد بن عياد ، بناء المساجد كان مدرجا في مخططات التنمية ، حوار مع الأستاذ مولود قاسم (جريدة الشعب في 2 فبراير 1992م) (مولود قاسم رمز كفاح أمة) ص : 228 وما بعدها . انظر أيضا مواقف المجلة من خلال مقالات تصب في نفس الاتجاه على إثر خطاب الرئيس الراحل هواري بومدين في مؤتمر كاراتشي ، عاطف يونس ، الإسلام نظام شامل والنقص فينا (حوار صريح مع السيد مولود قاسم وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية (الأصلة) العدد 20 ماي جوان 1974م ص : 191- 199 . انظر أيضا : LUC Willy Deheuvels: op. cit.. p 241 .

انظر ما قال شيخ الإسلام في تعريفه الجامع للمساجد ورسالتها في الإسلام : جاء فصل "مواضع الأئمة ومجامع الأمة كانت المساجد" قوله : وكانت مواضيع الأئمة ، ومجامع الأمة هي المساجد : فإن النبي ﷺ أسس مسجده المبارك على التقوى : ففيه الصلاة ، والقراءة والذكر ، وتعليم العلم ، والخطب ، وفيه السياسة ، وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء ، وفيه يجتمع

كما عالجت المجلة في مجموعة كبيرة من المقالات ذات صلة بالمشروع السياسي المرتقب، وغالبية المقالات الموجودة تعالج مسائل السلطة في الإسلام منها البيعة والشورى في الإسلام "**الإسلام وأصول الحكم**"، "**الخلافة في الإسلام لا علاقة لها بالإرث**"، "**الإمامة وأهميتها وشروط من يُنتخب لها**"، "**الإسلام ومشاكل التخلف**" هل يصبح العالم الإسلامي كتلة دولية ثالثة في القرن الخامس عشر، هذه المقالات والدراسات، كلها تصب في البحث عن الحكم المنشود، والتأصيل للنظام السياسي الشوري في عالم الأفكار التي سادت المنطقة، والصراع الفكري والسياسي الذي عاشته المجلة بكل ما تملك من ثقل علمي رصين، ولو تتبعنا الأسماء التي عالجت هذه المحاور الكبرى لأكبرنا فيها الوعي السياسي والتاريخي والعلمي الذي يدل على قضية أساسية هو وجود نخبة ثقافية واعية برسالة الإسلام في القرن العشرين، كما أن البحث الإحصائي الذي هو منهجنا في هذه العجالة من الأمر لا يسعنا أن نتعمق في فهرسة الموضوعات وتحليل الأبعاد كلها التي صنعت من المجلة منبرا علميا وأكاديميا لا يمكن أن يكون الإخلاص والوعي والتحدي الذي يحدو أصحابه إلا المنطلق والهدف الذي كان من وراء هذا الجهد الكبير، ولا أنهي هذا العمل إلا أنني أشعر، وقد كنت أحد قراء هذه المجلة الرصينة إلا أن أكبر في شباب

المسلمون عنده لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم، وكذلك عماله في : مثل مكة، والطائف وبلاد اليمن . وغير ذلك من الأمصار والقرى، وكذلك عماله على البوادي ؛ فإن لهم مجمعا فيه يصلون ؛ وفيه يُساسون " انظر : شيخ الإسم ابن تيمية، الخلافة والملك تحقيق حماد سلامة، مراجعة : الدكتور محمد عويضة شركة الشهاب الجزائر(د، ت) . أنظر أيضا : الدراسة الجادة للأستاذ مهدي فضل الله :

Mahdi Fadlallah «La pensée politique et réligieuse de l'Islam d'apres le coran (la tradution et la pensée musulman), thèse de doctorat d'Etat université de Paris I directeur de thèse Thillet Pierre) Paris 1985

الجزائر أن يعودوا إلى ما أنتجته هذه المجلة وما تركته ملتقيات الفكر الإسلامي الرافد والينبوع الأصيل لمقالات وأعمال ودراسات المجلة ليجدوا بين أوراقها كنوزا بإمكانها أن تكون مدخلا لنظام بيبليوغرافي وتحليلي لسد ثغرة في الدراسات الإسلامية والتاريخية والفكرية في الجامعة الجزائرية .

وحتى لا يضيع الجوهر وننتهي في نهاية المطاف ونعرف أننا كنا نتبع خيط دخان وهذا بعيدٌ عن الأمور الجادة النافعة قال تعالى : ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ .

أولا: (الإسلام الطرقي)

وصدمة الظاهرة الاستعمارية بالجزائر

"دراسة وترجمة وثيقة أصلية نموذجية"

يبدو كما ذهب أحد الباحثين أن الكلمة قد عادت إلى أصحابها الآن وذلك بعد أن استحوذت الدولة الوطنية على التاريخ مع السيادة التي عادت إلى أصحابها الطبيعيين بعد أن كان الأجانب رواد المدرسة الكولونيالية يركزون اهتمامهم منذ احتلالهم على دراسة إسلام البلدان المستعمرة ، اعتقاداً منهم بأنه سيكون قلعة الجهاد وبأن الطرقية هي قناته الشعبية المباشرة ، بقدر ما كان اطمئناننا نحن في الجانب الوطني كبيراً إلى ما ظنناه حقيقة ثابتة في أن مسألة البعد الديني لتاريخنا المعاصر قد حسمت في إطار المعركة الوطنية ضد الاستعمار المباشر ، وأن انتصار القوى الإصلاحية والوطنية كان انتصاراً نهائيا لفكرة تحرير التاريخ الوطني من مناهج وقوالب المدرسة الفرنسية[1] .

إن واقع الخارطة السياسية والجغرافية للطرق الصوفية في الجزائر كان مجال دراسات وأعمال السلطة الاستعمارية بمختلف وسائلها ، وفي هذا السياق يمكن فهم أشكال السلطة التي واجهت الصدمة الغربية القادمة من وراء البحر تتمثل في سلطة الدولة العثمانية ، سلطة الطريقة الصوفية ، وسلطة القبيلة ،

---

(1) لطيفة الأخضر ، الإسلام الطرقي ، دراسة في موقعه من المجتمع ومن القضية الوطنية ، تونس ، دار سراس للنشر ، 1993م ص : 3 وما بعدها .

ويمكن أن نسحب هذه السلطات على المقاومة الشعبية الجزائرية أوالمقاومة الوطنية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين .

الوثيقة المترجمة : هي صورة طبق الأصل لأيّ وثيقة تخص مراقبة الطرق الصوفية على اختلاف مواقفها من الاحتلال الفرنسي لبلاد المغرب (الجزائر ، تونس ، المغرب الأقصى) ، ومن الطرق الصوفية التي كانت حاضرة أثناء المقاومة في تونس والجزائر وليبيا نذكر **القادرية**[1] الرحمانية ، وأما التيجانية فمواقفها التقليدية في الجزائر كانت معروفة لا لبس في تعاملها المخزي مع بداية الاحتلال مع فرنسا الاستعمارية ، وقد كانت مواجهتها لجهاد الأمير وصمة عار في جبين هذه الطريقة ، ويمكن أن نحدد المسار الذي نعالجه في هذه الدراسة لتحديد مواقف الطرق الصوفية في الفضاء الجزائري في بداية الاحتلال بين الصدمة الاستعمارية وردود الأفعال الشعبية التي كانت تنظمها وتؤطرها هذه الطرق الشبيهة في عصرنا بالأحزاب السياسية والجمعيات

---

(1) القادرية هي الطريقة المهيمنة في تونس والغرب الجزائري ، ففي تونس تستحوذ الطريقة على نصيب الأسد من حيث الأتباع : بـ117681 من الأتباع وبـ 109 من مجموع الزوايا التونسية ، وقد يعود هذا الامتياز إلى سبب بسيط يكمن في أنها من أقدم الطرق الصوفية التي دخلت البلاد التونسية وإن جاء تأسيس زواياها متأخرا نسبيا . وأشهر زوايا القادرية الزاوية التي أسسها محمد المازوني أصيل مازونة بالجنوب الوهراني ، وكان التأسيس بالكاف التي دخلها سنة 1834م وهو كما يظهر عقب أحداث الاحتلال الفرنسي للمنطقة ونتيجة لظروف لا نعلمها وتوفي محمد المازوني سنة 1878م بالكاف . وأما الزاوية القادرية الثائرة فهي زاوية نفطة ، وقد أنشئت سنة 1843 عن طريق إبراهيم بن أحمد الكبير ، الذي كان منذ 1830 من المناهضين للتدخل الفرنسي بالجزائر ، وقد ارتبطت حياته بمحاولات الأمير عبد القادر في مقاومة هذا التدخل ، ويبدو أنه قد سخّر نه الجنود ، وذهب حتى للدعوة للجهاد . وهو أقرب الشبه بزعيم الخانشة السيد محمد الحسناوي بمنطقة أقصى الشرق الجزائري على الحدود التونسية . انظر : لطيفة الأخضر ، الإسلام الطرقي ، ص : 44- 45 .

الاجتماعية أو المجتمع المدني ، وحتى نقرب الصورة إلى القارئ نحاول رصد أشهر الطرق الصوفية التي مثلت ما يعرف في الأدبيات التاريخية اليوم : "**بالإسلام الطرقي**" ، وهذا في الجدول الآتي :

المقاطعة	عدد السكان	الرحمانية	الطيبية	القادرية	درقاوة	التيجاز	الزيانية
الجزائر	718. 691	225.299	35.299	30.417	64.499	17.781	3117
وهران	443. 745	2.701	22.684	11.823	897	313	6.510
قسنطينة	1.038.962	67.139	15.645	8.342	.....	4.952	.....
المجمو	2.201.398	295.139	75.558	50.582	65. 396	23.046	9.627
المقاطعة	عدد السكان	الحنصالية	طرق مختلفة				
الجزائر			3.571				
وهران		62	3.573				
قسنطينة		1.172	2.634				
المجمو		1.234	9.778				

وحسب هذه الإحصائيات فإن ما يقارب من 533. 026 جزائري كان لهم انتماء لهذه الطرق الصوفية المبينة بالجدول أعلاه ، وهو ما يقارب ربع سكان الجزائر الذين تمكنت السلطات الاستعمارية من إحصائهم[1] .

---

(1) راجع الدراسة القيمة للأستاذ أحمد نذير :

AHMED Nadir,» Les Ordres Religieux et la conquete Française» Revue Algérienne des sciences juridiques économiques et politiques,volume IX. N° 4 Décembre Alger 1972 P: 821.

راجع أيضا : بن يوسف تلمساني ، الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني ، الأمير عبد القادر ، الإدارة الاستعمارية) رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، معهد التاريخ جامعة الجزائر السنة الجامعية 1997/1998م .

=

إن التعنت والإلحاح الذي تبديه السلطات الاستعمارية تجاه تنقلات الشيوخ والأتباع كانت وراءه عدة هواجس منها الاحتياط لتنقل الأخبار التي يمكن أن تخل بالأمن الاستعماري بالبلاد ؛ ومنها السعي إلى تحجيم العلاقة الروحية التي تربط بين الشيوخ وأتباعهم ، كرصيد لسلطتهم ؛ ومنها خاصة ضرب العلاقة المادية التي بينهم والمتمثلة في جمع الصدقات ، وهي تمثل قناةً موازية لجمع الضرائب ، لذلك اعتبرتها السلطات الاستعمارية منافسًا جبائيا لابد من القضاء عليه .

لكن هذا التعنت الكبير من طرف الاستعمار في هذا الشأن قد قابله تعنت كبير أيضًا من طرف الشيوخ والأتباع في عدم الامتثال لهذه القوانين ، قد كان ذلك باستعمال طرق ملتوية للإفلات منها أو بالتصادم المباشر معها . لذلك فإن محافظ الشرطة ماكيناز وفي هذه الوثيقة يتحدث عن مواقف الأتباع الذين ألقت الشرطة عليهم القبض وزجت بهم في السجون .

وهذا التذمر والتهديد الصادران عن السلطة البوليسية يدلان على جدية هذه المعركة الخفية التي رفض فيها شيوخ الزوايا الاستسلام للأمر الواقع[1] .

وتدخل الوثيقة النموذج المترجمة ضمن مبادرة الأنتربولوجيا العسكرية عبر تقارير الضباط المهتمين بالأحوال العامة بما في ذلك الواقع الديني ومؤسساته ، وبعد استقرار الأمور على إثر القمع الاستعماري برزت فئة ثانية

عمر بوخروفة : دور بعض الطرق الصوفية "الرحمانية ـ التجانية" وموقف الحكومة الفرنسية منها "1870ـ1900" ، مذكرة السنة الأولى ماجستير إشراف الدكتور أبو القاسم سعد الله ، جامعة الجزائر ، معهد التاريخ السنة الجامعية 1988 ـ 1989 .

(1) لطيفة الأخضر ، الإسلام الطرقي دراسة في موقعه من المجتمع والقضية الوطنية ص : 98- 99 .

من المهتمين بإدارة شؤون الأهالي من خلال العلم بظروف تكوين المجتمع الجزائري من جميع المناحي حيث نجد في مرحلة مبكرة اهتمام كبير للإدارة الاستعمارية بوضعية الطرق الصوفية فأنتجت كميات وتسجيلات كبيرة حول العادات والتقاليد والزيارات والفلكلور والزواج وغيرها من مظاهر المجتمع الأهلي ، ولذلك ألف كل من ديبون وكوبولاني كتابهما الشهير حول الطرق الصوفية بطلب من "**جول كامبون**" حاكم الجزائر العام وألف لويس رين كتابه الضخم "**الإخوان**"[1] .

وفي هذه الظروف بالذات كتب ديفريي كتابه الشهير" طريقة سيدي محمد بن علي السنوسي الإسلامية وبعدها الجغرافي عام 1300هـ/1883م .
Duveryier(H),laconfrérie musulmane de sidi Mohamed Ben Ali Essenoussi et son domaine géographique en l'année 1300 de l'hégire et 1883 de notre ère . وهذا من خلال دراسة الحركة السنوسية الحركة التي أزعجت التوسع الاستعماري الإيطالي والفرنسي في الصحراء الكبرى . وهذه النظرة العامة للطرق الصوفية نجد لها في التاريخ استثناءات ، فهناك طرق صوفية صديقة وعميلة انخرطت مباشرة في الآلة الاستعمارية كالتيجانية في الجزائر والطيبية في المغرب الأقصى والجزائر أيضًا .

وقد اتسمت الحركة السنوسية بنفس طويلة في الدفاع عن الكيان الإسلامي ، كما نجحت نجاحًا باهرًا في ليبيا حيث كانت القوة الوحيدة التي استطاعت أن تجابه القوى الاستعمارية المختلفة وخاصة منها إيطاليا وفرنسا منذ مرحلة متقدمة من التوسع الفرنسي ثم الغزو الإيطالي للقطر الليبي كما

---

(1) نفسه ، ص : 39 .

تحقق الآستقلال عن طريق نضال الحركة السنوسية ، وبطبيعة الحال فإن تجارب التيجانية والطيبية المخزية وتجارب المهدوية والسنوسية والقادرية في ليبيا والسودان والجزائر تدفعنا للتساءل عن سبب تميزها الجوهري عن مسار بقية الطرق الصوفية ، في الجزائر وتونس بل عبر مختلف مناطق العالم الإسلامي[1] . **"وبالنظر إلى القضية عن قرب كما ذهب إلى ذلك أحد الباحثين تبرز لنا خصوصية هامة اتسمت بها هذه الطرق الثلاث القادرية (الجزائر) المهدوية (السودان) السنوسية (ليبيا)**[2] .

وتمثلت في اعتماد كل منها فكريا على نوع من الإيديولوجية الإسلامية القريبة بطريقة أو أخرى من الحركة التجديدية في الحجاز وهي الوهابية التي استطاعت عبر هذه التجارب السياسية والدينية بفعل صبغتها السياسية المركزية أن تفرض من فوق نوعا من اللحمة لم يكن تحقيقها في فضاء شعبي بسيط التكوين وتسوده علاقاته الفوضى التي فرضها التفكك القبلي من جهة والسيطرة الاستعمارية من جهة أخرى .

وقد كانت الإجراءات المتخذة أيام جيل كومبون ضد الطرق الصوفية تتمثل في تفتيتها وإضعافها والاستفادة منها ، دون القضاء عليها أو مواجهتها ، وسيكون لهذه السياسة عواقبها خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن

---

(1) نفسه : ص : 147 . عمر بوخروفة ، دور بعض الطرق الصوفية ، ص : 40 ، تلمساني بن يوسف ، الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائرص : 145 .

(2) لطيفة الأخضر ، الإسلام الطرقي ، ص : 147 . انظر أيضًا" الدجاني(أحمد صدقي) الحركة السنوسية ، نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر (1202هـ/1320هـ) طبعة 1988م ص : 163 . محمد فؤاد شكري ، السنوسية دين ودولة ، دار الفكر العربي القاهرة 1948م ص : 145 .

H. Duveyrier,La confrérie Musulmane de sidi Mohammed ben Ali Essenousi p: 12 et suinante.

العشرين ، وكأن هذه الطرق قد استنفذت طاقتها وأدت دورها وكان عليها أن تترك المجال لموجة جديدة من "حماة الدين" وهم رجال الحركة الإصلاحية ، ثم بعد ذلك الدور الفعال الذي قامت به الحركة الوطنية الاستقلالية التى دخلت في معركة جديدة مع الإدارة الاستعمارية وأعوانها بأساليب جديدة[1] .

وقبل أن نختم هذا المدخل الخاص بالوثيقة المترجمة أحببنا أن نقول : إن السنوسية ومؤسسها محمد بن علي السنوسي شخصية امتازت بالطموح والهيبة ، وكان من العلماء الذين تركوا سمعة كبيرة في حياة أتباعه الذين كانوا من المخلصين كما كان محاطًا بفريق من الكوادر العلمية والأدبية مما أهله وأهل ابنه محمد المهدي إلى تكوين حركة كان لها الدور الكبير في مواجهة المصالح الاستعمارية في المنطقة .

(1) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء الرابع : ص : 292 .

https://albordj.blogspot.com

قسنطينة في 14 أكتوبر 1876 الجزائر

مدينة ودائرة قسنطينة

دار الشرطة المركزية

رقم : 4429

الموضوع : شؤون الأهالي

الطرق الدينية .

السيد الوالي

لقد تكرمتم بإبلاغي تعليمات سيادة الحاكم العام فيما يخص الموقف العدواني للسنوسية . وطلبتم مني تزويدكم بمعلومات عن بقية الطوائف الدينية بالمقاطعة .

فبتاريخ 12 أفريل 1874 أرسلت إلى سيادة رئيس بلدية قسنطينة التقرير التالي عن السنوسية . ولد الشيخ سي محمد السنوسي في قبيلة قرب مكناس بالمغرب ، أين زاول دراسته واهتم بالعلوم وصار ، كما يقال عنه ، عالمًا كبيرا . وما بين الخامسة والثلاثين والأربعين[1] من عمره حجَّ راجلا من مكناس إلى

---

(1) حسب المعلومات المتعلقة بأسباب هجرة السنوسي وخروجه من فاس فإن ظروفًا سياسية قد طرحت عليه ترك المكان وأخذ طريق الحج المغربي القديم عبر الصحاري والفيافي ، وكان ذلك حسب المعلومات المتناقضة في أواخر الحصار الفرنسي على الجزائر (عام 1829م وسنه آنذاك 37 سنة حسب مؤرخ الجيل سعد الله) . راجع : سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء الرابع ص : 249 .

مكّة ، وعند وصوله إليها أعلن نفسه رسولاً لمحاربة الدجال ؛ إذ إن العرب يؤمنون فعلاً أنّ شعباً همجيًّا (يأجوج ومأجوج) سينتشر في كل أنحاء الأرض فيفسدها ويقتل سكانها في نهاية العالم (القيامة) المنتظرة بعد 11 سنة ، ولن تنجو إلا مكة لبعض الوقت وخلال هذه الفترة وصل أخيرًا السنوسي إلى الجبل الأخضر وهو جبل يقع قرب بنغازي (بيرينيس سابقا وهو ميناء بمملكة طرابلس) . أين أقام مسجداً يحمل اسمه وبدأ دعوته من جديد . فوجد صدًى في أوساط العامّة الجاهلة القاطنة في هذه الشّعاب التي جرَّها إلى طريقته وانتهى إلى السّيطرة عليهم .

وكلّ تلك البلاد اليوم تتبنَّى مبادئه ، وتبجّله حتى أن أتباعه يقسمون به كما يقسون بالرسول ﷺ .

الإمام السنوسي متزوج وله ثلاثة أطفال أصغرهم يبلغ 34 سنة ورث نفوذ أبيه ويشرف على زاويته ، للسنوسي في قسنطينة عدد لابأس به من الأنصار ، وكل الفزانيين يقسمون به ويقيمون صلاتهم حسب مذهبه ، وبعض سكان طرابلس يتبعون طريقته لكن ليس عندهم مسجدٌ ولا مقدمٌ ، ويراسلون ابن السنوسي مباشرة في مسجد الجبل الأخضر ، أين دُفِنَ الشيخ[1] . الصلاة حسب الشعائر السنوسية جد محمسة للمؤمنين ؛ إذ إنها تكاد تشبه ممارسات الملهمين القديمة ، ولا يمكننا الجزم بأن هذه الممارسات تهدف إلى معاداة السيطرة الفرنسية على المنطقة ومع هذا أضيف أن الشريف (محمد بن عبد الله)[2] من جنوب تونس

---

(1) دفن الشيخ بالجغبوب باتفاق المصادر المعاصرة . انظر : د . علي محمد محمد الصلابي ، الحركة السنوسية (الإمام محمد بن علي السنوسي (ومنهجه في التأسيس التعليمي والتربوي والدعوي والسياسي) الجزء الأول ، عمان الأردن ، دار البيارق ، 1420هـ/1999م . ص : 87 .

(2) انظر ما كتب الأستاذ الكبير أبو القاسم سعد الله عن السنوسية وعلاقتها بشريف ورقلة =

الذي قام بالكثير من الجولات في منطقتنا " تقرت ، سوف ، ورقلة" من أقرباء هذه العائلة الشيء الذي يستدعي تكثيف مراقبة السنوسية عن قرب .

ومن تلك الفترة موقف تلك الطريقة لم يتغير ولم تتدهور ؛ إذ ليس لها حتى الآن مسجدٌ في المنطقة ولا مقدم الطريقة ، ولكن أتباعها يتلقون مرارا زيارات المغاربة والتونسيين الذين يجعلنا نعتقد بأنهم حملة رسائل ؛ لذا تطبق عليهم رقابة شديدة .

فمن 24 نوفمبر إلى 4 ديسمبر 1876م تمكنا من مراقبة واحد وثلاثين شخصا متجرّدين من أيّ وثيقة ، وهم غير قادرين على إثبات وسائل عيشهم ولا إثبات هويتهم الشيء الذي يعطينا الحق في الاشتباه بهم وتقديمهم إلى العدالة بتهمة التشرد ، ولا يزال أغلبهم في السجن ولا شك في أن إجراءات صارمة ستتخذ اتجاههم .

الفرق الدينية الأخرى ، كإخوان سيدي عبد الرحمن والعيساوية والحنصالية بقسنطينة والتيجانية ، وأتباع سيدي عمَّار بوسنة بقالمة فإنهم مستمرون في مزاولة طقوسهم دون إظهار دلائل توحي بالعدوانية ، إلا أن العيساوية وأتباع سيدي عمار يجب أن يراقبوا عن كثب بسبب تكوينهم ، وهذه الطرق الدينية تضم في صفوفها عددا كبيراً من التونسيين والقبائل الذين لا

وعلاقة السنوسية بالحاج أحمد التواتي المعروف بالعالمك العضد الأيمن للسنوسي ، وكان أحمد التواتي هذا يعيش طالب علم في تيديكلت كما كان ناقمًا على الفرنسيين الذين يتهمونه بالتعصب ، وبتزكية من الشريف محمد بن عبد الله ذهب أحمد التواتي إلى السنوسي فعينه مقدمًا على المنطقة الغربية أي : فزان ومرزق وتوات وبلاد الطوارق . انظر : أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء الرابع ص : 254- 255 .

يضمن لنا شيء ولاءهم ، والشيء الذي يجب فعله حسب رأيي هو المنع ، وعند الضرورة قمع زيارات الشرفاء والمقدمين أو المدعين ذلك سواء كانوا من أصل تونسي أو مغربي أو حتى جزائري ، والذين يزعمون تحت غطاء جمع التبرعات من إخوانهم في الدين ، يتجولون في المدن والقرى والعروش يستغلون الصدقات ، يشدون على حبل التطرف جاعلين أنفسهم همزة وصل بين الجهات المعادية مهيئين الأهالي للثورة ، وبهذا الصدد أسمح لي سيادة الحاكم أن ألفت انتباهكم للأخطار والمتاعب التي يخلقها السلطات الممنوحة للمثل القنصلي لصاحب السمو باي تونس ببونة (عنابة) وهذا بإعطاء جوازات سفر لهؤلاء المواطنين القاطنين وغير القاطنين المسافرين داخل القطر الجزائري بنصوص القوانين ، كقانون 10 نوفمبر السنة الرابعة ، وللتعليمة العامة لـ 23 أوت 1816 المثبتة في الإجراءات الأساسية من طرف منشور 1 مارس 1858 والمؤكدة بمنشور 13 أفريل 1871 ؛ إذ على الغرباء القادمين إلى فرنسا أن يرفقوا بتصريح سفر والممنوح لهم من سلطات بلدهم إضافة إلى تأشيرة ممنوحة لهم من طرف أحد وكلائنا الدبلوماسيين في الخارج باستثناء ساكني الحدود الذين يمرون في الذهاب والإياب ليمارسوا مهنهم أو لزيارة أقاربهم .

لم يكن الأمر كذلك بالنسبة إلى تونس فعدد لابأس به من التونسيين يغادرون بلادهم مجردين من أيّ نوع من الأوراق الرسمية ، ومخادعين لرقابة سلطاتنا الحدودية وينتشرون في الجزائر . أين يقومون بأعمال كثيرا ما تكون محظورة (استيراد السلاح والذخيرة) أو بعمليات خطيرة وإن تابعتهم السلطات المحلية لجأوا إلى قنصلهم الذي يعطيهم جوازات سفر ، فلا يمكننا الامتناع أبدا عن إعطاء تأشيرات ، أما إذا لم يلحضهم أحد فإنهم يمارسون أعمالهم ولا

يعودون إلى بلادهم إلا بعد إنهاء مهامهم . مما يشكل خطورة حقيقية ؛ لذا يسعدني رؤية الإدارة العليا العودة إلى التشريع القديم مجبرين الوكيل القنصلي لصاحب السمو باي تونس بمنعه من تقديم جوازات السفر لغير المواطنين الطالبين الرجوع لوطنهم أو السفر داخل البلاد ـ وفي هذه الحالة لا يكون جواز السفر صالحًا إلا بعد تأشيرة صادرة عن السلطات المحلية ، وكل تونسي يصل الجزائر دون تصريح سلطات بلده يرجعه أحد الوكلاء الدبلوماسيين إلى الحدود على حساب خزينة الباي .

ونلفت انتباهكم ـ سيدي الوالي ـ إلى طريقة أخرى في طريق التكوين إنهم بنو عالية ـ إنهم بصدد التكوين ، ولكن المحاولات المعمول بها في مناطق شتى من المقاطعة لتكوينها كجمعية دينية وبتواطؤ زعمائها ، وقربها من تونس أين يوجد عدد لابأس به من السنوسيين ، كل هذا يجعلني أخشى أن تصبح خطيرة ؛ لذا يجب منعها من التكوين وتقبلوا منّي سيدي الوالي ـ خالص الاحترام .

محافظ الشرطة المركزي مايير

ثانيا: من وثائق السياسة الجزائرية المعاصرة

(رسالة مصالي الحاج البرنامج من باريس يوم 12 نوفمبر 1936م)[1]

– هذا النداء (أو الرسالة البرنامج) وجدته عند الأستاذ خالد مكي ابن المرحوم الشاذلي مكي تحصل عليه وهو يبحث عن وثائق تتعلق بوالده . وقد لاحظنا على وثيقة نداء مصالي الحاج أنها ضمن أرشيف حزب الشعب الجزائري كما هو مبين في الختم الدائري الذي يتضمن نجمة وهلال مكتوب تحتهما حزب الشعب الجزائري بالعربية وعبارة أرشيف بالفرنسية .

(1) هذه الرسالة تلخص مفاتيح قاموس الحركة الوطنية الاستقلالية بزعامة مصالي الحاج رأيت أن أدرجها للفائدة العامة . والرسالة حسب محادثة مع الأستاذ : المناضل محمد قنانش من أفكار مصالي الحاج ولكن صياغتها تمت على يد شاعر الجزائر : مفدي زكريا . الملفت لانتباه الباحث أن هذه البلاغة التي تدخل هذا الكتاب ضمن عيون الروائع السياسية لا يمكن إلا أن نشبهها برسالة طاهر بن الحسين إلى ابنه عبد الله والي الكوفة . راجع رسالة طاهر بن الحسين : راجع الأستاذ محمد الأمين بلغيث ، دروس في السياسة الشرعية (دراسة ونصوص) ، منشورات بغدادي الجزائر 1999م . ص : 94- 106 .

بسم الله الرحمن الرحيم

من رئيس الحزب الوطني الجزائري مصالي الحاج إلى الأمة الجزائرية الكريمة .

أيها الشعب الجزائري الكريم :

سلام عليك من ابن لك أقسم بالله أن يضحي في سبيل حريتك وسعادتك إلى آخر قطرة من دمه ، وآخر نفس من رمق حياته: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ ، سلام عليك يا شعب يوم ولدت حرا عزيزا ، ويوم نشأت حرا شريفا ، ويوم تصبح بإذن الله حرا طليقا ، ترفرف على هضاب المجد أعلامك ، وتتناول نجوم السماء أحلامك وينتصر لك في العالمين إيمانك وإسلامك بفضل تضحيات أبناءك البررة المفتولي السواعد ، المفعمين قوة وفتوة . وطنية وإيمان ، الواثقين بقول رب العالمين : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ .

أيها الشعب الجزائري الكريم :

إني أشكر لك عظيم احتفائك بي ، وجليل تقديرك لهذا الابن الضعيف والتفافك حوله ، وحسن إقبالك عليه ، وأن هذا الإقبال المدهش الذي لقيتني به الأمة أنّى حللت وهذه الإحساسات الشريفة التي كانت تغمرني أنّى نزلت ليست إلا برهانا صحيحا على أن هذه الأمة المباركة أدركت واجبها في الحياة ، وأصبحت تميز بين من يريد لها الخير والحياة وبين من يريد لها الفناء والاضمحلال! على أن هذا الإكبار وهذا التقدير ليس لشخصي الضعيف الفاني ـ إنما هو لهذا المبدأ السامي الشريف ـ وتلك الأمانة الوطنية المقدسة التي أخذنا

عهدا أمام الله والملائكة والناس أجمعين أن نصونها من يد العابثين في تحقيقها ولو قطعوا منا الوتين وبلغت الروح التراقي وانقطع آخر رمق من حياتنا التي وهبناها راضين مطمئنين حبسا ووقفا لهذا الوطن العزيز المفدى ، وأن وطنا يشعر هذا الشعور ، ويحس هذا الإحساس ، ويتعلق هذا التعلق بالمخلصين من رجاله لهو شعب حي يجب أن يتبوأ مقامه فوق الشمس المشرقة رافع الرأس ، شامخ الأنف ، موفور الكرامة!! فحياك الله أيها الشعب وبياك!

أيها الشعب الجزائري الكريم :

قد تبين لك في بحر هذه الحوادث السياسية الأخيرة من هو المخلص المجاهد ومن هو المذبذب المقامر ، ومن هو المنافق المتاجر ، وقد رأيت حزبك الوطني الجزائري الوحيد يخرج من وسط المعمعة ساطعا كفلق الصبح صافيا كالضمير الحر .

لم يتزعزع في جهاده ، ولم يتزحزح قيد شبر عن مبادئه ، ولم يتسامح قط في أصغر حقوقك المقدسة . وذلك لأنه يعمل بإخلاص وضمير وثبات وثقة بالله ولأنه يدين بأن (كل من يتسامح في حقوق بلاده ولو مرة واحدة يعد أبد الدهر مزعزع العقيدة سقيم الوجدان) : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ وقد برهن لك في تاريخ جهاده خمسة عشر سنة في سبيل إسعاد هذا الوطن وما لقيه من ضروب التنكيل والتعذيب والتشريد والاضطهاد في أعماق السجون وغياهب السيلونات ، أنه حزب يعمل لغاية شريفة ويجب أن ينالها طوعا أو كرها ، قصر المدى أم طال! وأنه هو هو بالأمس أيام العسف والجور الفاشستي الغاشم . هو هو اليوم في عصر الواجهة الشعبية الباسم ، وأن مطالبه هي هي لم

تتغير ولم تتبدل ، وأن رجاله هم هم لم ينسلخوا ولم يتجنسوا ولم يندمجوا ولم يتفرقوا ، وسيبقون كذلك ما دامت الأرض أرضا والسماء سماء ، وما دام الشرف يسمى شرفا والوطنية تسمى وطنية والآية صارخة" : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

إن للحزب الوطني لتاريخا ذهبيا مكتوبا بدم الشرف على دواوين البطولة وماضيا مفعما بجلائل الأعمال . فقد صاح صيحته في أذن الاستعمار الغاشم بباريس حين سكت الناس ، وأقدم حين أحجم الناس ، وتشجع وأستبسل حين جبن الناس وخارت قواهم وأسكتهم الخوف عن كلمة حق يصرخون بها أمام دهاقين الجور والعسف!! إذ ذاك صرخ رجال الحزب الوطني وحدهم في وجه الاستعمار : إن الجزائر خلقت حرة سعيدة يجب أن تحيا حرة سعيدة . فلاقوا من جراء ذلك ألوانا من العذاب : ﴿ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ﴾ وأنهم يعاهدونك أيها الشعب الكريم أنهم سيبقون على تلك المبادئ لا يخافون ولا يجبنون ولا يتزحزحون مهما كلفهم ذلك من الضحايا ، فلقد امتحنتهم أيها الشعب في أيام البلاء فوجدتهم صابرين فامتحنهم في أيام الرخاء تجد : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ **وليسوا كهؤلاء القنافذ الهداجين ، كانوا مختبئين أيام المحنة فظهروا اليوم يساومون ثقة الشعب الغر الكريم** ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ - ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ .

أيها الشعب الجزائري الكريم:

إن مبادئ حزبك الوطني الذي أسس على الملية من أول يوم هو السعي لتحريرك بالطرق المشروعة في دائرة إسلامك وجنسيتك الغالية المتألقة في بطون الأجيال والدفاع عن كرامتك والذود عن حماك في محيط ذاتيتك الشريفة المقدسة، تلك هي مبادئنا التي فطرنا عليها ونشأنا عليها وقدمناها للحكومة في كراس يوم 23 جوان 1936 بواسطة وفد من رجالنا، **وعليها نبقى، وعليها نحيا، وعليها نموت ـ إن وجب الموت!... نحن نريد أن تكون لغتك العربية لغة رسمية بالبلاد، نريد أن تكون مساجدك وأوقافك بيدك تتصرف فيها بحسب القرآن العظيم. ونطلب لك برلمانا جزائريا يضمن لك ذاتيتك وحقوقك أمام الأغلبية الساحقة من المستعمرين. ولا نريد إذلالك على يد أقلية ضئيلة في البرلمان الفرنسوي قد لا تنجوا ضمائرهم من عبث العابثين!**... ولا نطلب إلحاقك بفرنسا لتكون فرنسويا عزيزا كما يقولون ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ **إنها لإحدى الكُبر! يالله للجزائريين! الاندماج أو الإلحاق، أو الارتباط، أو الامتزاج، أو الاقتران أو الموت أو الفناء، أو الاضمحلال... مترادفات معناها واحد يلوكها قوم ولا يفهمون معناها ويفتخرون بطلبها في عهد الواجهة الشعبية ولا يدركون** مقدار ما تحويه من الخزي والعار ومن المضحكات المبكيات في آن واحد:

وكم بالجزائر من مضحكات ولكنه ضحك كالبكاء

اليوم ضحك الشرق بملء شدقيه على سخافتنا، وسخر الغرب بملء فكيه على أذقاننا، وتبرأ شمال إفريقيا من هذه السياسة التي قد لا يتشرف بانتسابنا إليه بها!.

أما آن لهذا النوم من يقظة ؟ أما آن لهذه الذبذبة من نهاية ؟ أما آن لهذا الليل من آخر ؟ بعد (مائة عام وست سنين استعمارا نطلب الاندماج! ؟) يا للعار ويا للفضيحة! .

الاندماج ، الإلحاق ـ ما أفظعها كلمة ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ ـ ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ .

إن شعبا يطلب الاندماج في شعب آخر لهو شعب قطع الصلة بينه وبين ربه ، بينه وبين تاريخه وأجداده ، وبينه وبين أبنائه من بعده .

ونحن الجزائريين لنا تاريخ ماجد ، ولغة شريفة ، وذاتية مقدسة ، وضمير حي ، وهذه كلها تأبى علينا أن نقطع الصلة بها ونطلب الإلحاق . تنذرنا إن فعلنا ـ قبرا محفورا ـ وكفنا منشورا ، وهناك ندعو ثبورا ، فلا نجد نصيرا ، ولا نلقى ظهيرا .

ولئن **طلب السينيغال إلحاقهم فهل** ذاتيتنا كذاتيتهم ؟ وهل تاريخنا كتاريخهم ؟ كلا وألف كلا! فنحن أشراف من أشراف من أشراف ، يجب أن نبقى أشرافا لأشراف لأشراف! وإنا لنختار أن نبقى مضطهدين جزائريين من أن نصير أحرارا فرنسيين .

تلك كلمة وإن أحرجت بعض الناس إلا أنها كلمة حق نقولها ولا نبالي ليحق الحق ويبطل الباطل . ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران : 118] .

على رسلكم يا طلاب الإلحاق!! .

ومهلا يا خصومنا السياسيين لا تظنوا أن الأمة معكم ، فلسنا نظن أن

جزائريا واحدا يعلم أنكم تطلبون الإلحاق ويفهم معناه يرضى بذلك!

ولكنكم جرفتم معكم البسطاء باسم المطالب الأخرى الشريفة التي طلبناها وقلدتمونا فيها! ولو علموا أن الإلحاق(رسمال)تلك المطالب لكان لهم معكم موقفٌ غير هذا! .

فعلى رسلكم لا تتسللوا لواذا من المسؤولية الثقيلة ولا تتضايقوا من مفاجآت **المصالي** وتعقبه لاجتماعاتكم ، **فللمصالي** الحق وللأمة جمعاء أن تناقشكم الحساب العسير . تحاسبكم على النقير والقطمير ؛ لأن الموقف موقف حرج والمسألة ، مسألة حياة أو موت والحكم حكم في مصير أمة كاملة لا في مصير شركة تجارية وهذه الأمة لا ترضى أن ترجع فرنسوية أحببتم أم كرهتم ، ولا ترضى أن يقامر أحد بحقوقها على مائدة ـ الأخذ بالخاطر ـ أو أن يُماكسها في سوق ـ مراعاة الظروف فلا منزلة بين المنزلتين يا قوم!

إما وطني صميم! وإما خائن أثيم! ولن نتسامح معكم في التلاعب بأصغر حقٍّ من حقوق هذه الأمة المسكينة التي أخذنا على عاتقنا عهد التفاني في سبيلها والتضحية لتحريرها!

ما أسخف من يعتقد منكم بأننا في دور ـ التجربة ـ وما أخف عقله على حد قول العامة ـ **يتعلموا الحجامة في رؤوس اليتامى** ـ وهذه التجربة التي تتبجحون بها بمثابة المقامرة لتجريب البخت أو كمن يجرب شرب كأس من الخمرة ليعلم هل هي مسكرة أم لا ؟ أو كمن يجرب وضع السماء تحت الأرض والأرض فوق السماء ، فما أبرد هذه السخافات وما أسمجها فلا تجربة في البديهيات ولا مقامرة بحقوق الأمة ، وما أسكر كثيره فقليله حرام ، وهيهات

أن تستخرج من الحنظل عسلا ، ومن القار لبنا خالصا سائغا للشاربين . !

فو الذي خلق الجزائر وخلقنا جزائريين وملأ قلوبنا بالعقيدة الراسخة والإيمان الصحيح . لا نفتأ نقوم اعوجاجكم في مسألة الإلحاق ولا ننفك نباهلكم أمام من شئتم وإذا أردتم الإنصاف تعالوا نستفسر الأمة في مؤتمر لا نخلفه نحن ولا أنتم مكانا سوي . وتعالوا نستفسر العالم الشرقي كله ونكاتب زعماء الأقطار الإسلامية أجمعين ولنجعل الإنصاف رائدنا والحق حكما بيننا وبينكم ـ فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الظالمون ـ !

أيها الخصوم السياسيون :

طالما قاومتمونا بطرق شريفة وغير شريفة . وطالما أقمتم الدعايات ضد حزبنا الوطني وضد برنامجنا الملي .

أما نحن فلا نجيبكم بالمثل لأننا قوم أشراف ومصلحة الجزائر فوق الجميع بل نشفق لحالتكم التي تستدعي الشفقة ونجيبكم بإخلاصنا وأعمالنا وثباتنا فهولوا أو عرقلوا أو عولوا فلن يزيدنا ذلك إلا ثباتا ورسوخا وانتشارا لدعوتنا ولن يزيدكم ذلك إلا ذبذبة وافتراقا وفشلا ، وها هي الحوادث شاهدة فأنتم لم تبرهنوا حتى على قدرتكم على الاحتفاظ بوحدتكم ولو شهرا واحدا فكيف تحتفظون بالأمة سنوات ؟!

فها هي فلولكم في كل ناحية ، وها هي طلائعكم تنصب لكم الحبائل وتدس لكم الدسائس يوما بعد يوم ، وها قد أصبحتم متناقضين شيعا يكفر بعضكم بعضا ويلعن بعضكم بعضا . !

أما نحن فقد ثبتنا مدة خمسة عشر سنة كاملة على برنامج واحد وعلى سيرة

واحدة ، ولن نتفرق أو نتزحزح بإذن الله ما دام فينا قلب يخفق وعرق ينبض بحب هذا الوطن العزيز المفدى ولم يطعن أحد منا قط في لغة آبائه ولا تاريخ أجداده وليس بيننا متجنسون! أما أنتم فها هو أحد متجنسيكم يخطب باسمكم في "**تيزي وزو**" ويسب اللغة العربية ويتهكم على من طلب أن تكون لغة رسمية للبلاد ، **وها هو بوهران يطعن التاريخ الجزائري في الصميم وأنتم ساكتون تصفقون! وها هو نفسه عينه بعد ذلك بيومين يطعن سمعتكم وسمعة الإسلام والجزائر في أكبر هيئاتها بتناوله الخمر نهارا جهارا أمام نخبة الشعب في مأدبة الشعب** ! وها هو اليوم ينصب الحبائل للوقيعة بكم وإسقاط جامعتكم مع عدوكم اللدود الذي كان بالأمس رئيسا عليكم وكان يطعنكم سرا وعلانية وأنتم سامدون ـ من أعان ظالما ابتلي به ـ وها هو الآخر والآخر والآخر كل ذلك مسجل في كتاب معلوم ليوم لا ريب فيه وما دام صنائع الاستعمار يلعبون بكم فلن تأمنوا على كرامتكم وكرامة هذا الوطن المنكود .

يعتمد البعض منكم في الدعاية ضدنا أننا متطرفون متهورون نطالب بالاستقلال ، نعم نطلبه بكل شرف لكن بالسعي في سبيله ولسنا نطلبه اليوم بل نقول لكم : إن برنامجنا هو السعي لتحرير الجزائر بالوسائل المشروعة ولم نحدد لذلك أجلا بل إن الخط الذي نسلكه في جهادنا هو خط التحرير وليس خط الاندماج والتجنيس وشتان بين السعي وبين التنفيذ ، فالأيام وقوة الشعب وحدهما كفيلان بتحديد أجل التنفيذ ، والله من وراء ذلك محيط . فهل كفاكم يا دعاة الاندماج والاضمحلال ويا أعداء الحرية والاستقلال! . .

حسبنا أنكم مهما نشطتم في طعننا وتفننتم في الدعاية ضدنا وتغاليتم في تصويرنا للحكومة وأمعنتم في إصدار قوانين (الأندجينا الأهلية) علينا ، تقوى حزبنا وانتشرت أشعة دعايتنا ودخل الناس دين الله أفواجا : ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ

نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ . أطعنوا فينا وقاومونا وارتكبوا الغلطات السياسية دائما فإننا سوف نبني صرح دعايتنا على كاهل غلطاتكم الفادحة التي هي في آن واحد خزي عليكم وخدمة لنا وسينبلج الصبح لذي عينين وستندمون يوم لا ينفع الندم : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان : 27 ـ 29] .

وأنت أيها الشعب الجزائري الكريم، أيها الشباب الوطني المسلم الصميم : اعتمد على ربك وحده ، واتبع الحزب الوطني وجنده ، ومحص ثقتك وإخلاصك وطاعتك لزعمائك الوطنيين الصريحين وليكن إمامك القرآن . ورائدك الإيمان . وثق بقول رب العالمين : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ فسيأتي يوم وليس ببعيد تصبح فيه أيها الشعب الجزائري الماجد سابحا في سماء الحرية حرا طليقا باسم الثغر وضاح الجبين ! .

والسلام عليك ورحمة الله .

من ابنك المخلص (الماصالي الحاج)

باريس يوم 12 نفامبر سنة 1936 .

المطبعة العربية بالجزائر . Imp. El. Arabia. Alger .

أولا: الوثائق

المجموعة الأولى

فتوى قورارة[1]: النص العربي الأصلي أعدتها مصالح المخابرات الفرنسية في عهد جيل كامبون حاكم الجزائر العام

(1891 ـ 1897م)

---

(1) أعتقد أنني أول من ينشر النص العربي الذي يحتمل أنه قد جاء به الصحفي جيفري كورتيلمون صاحب رحلة إلى الحجاز الذي يشير إليه شيخ المؤرخين الدكتور : أبو القاسم سعد الله . ـ انظر : نص الفتوى (النص العربي) وترجمته من طرف مصالح كومبون .

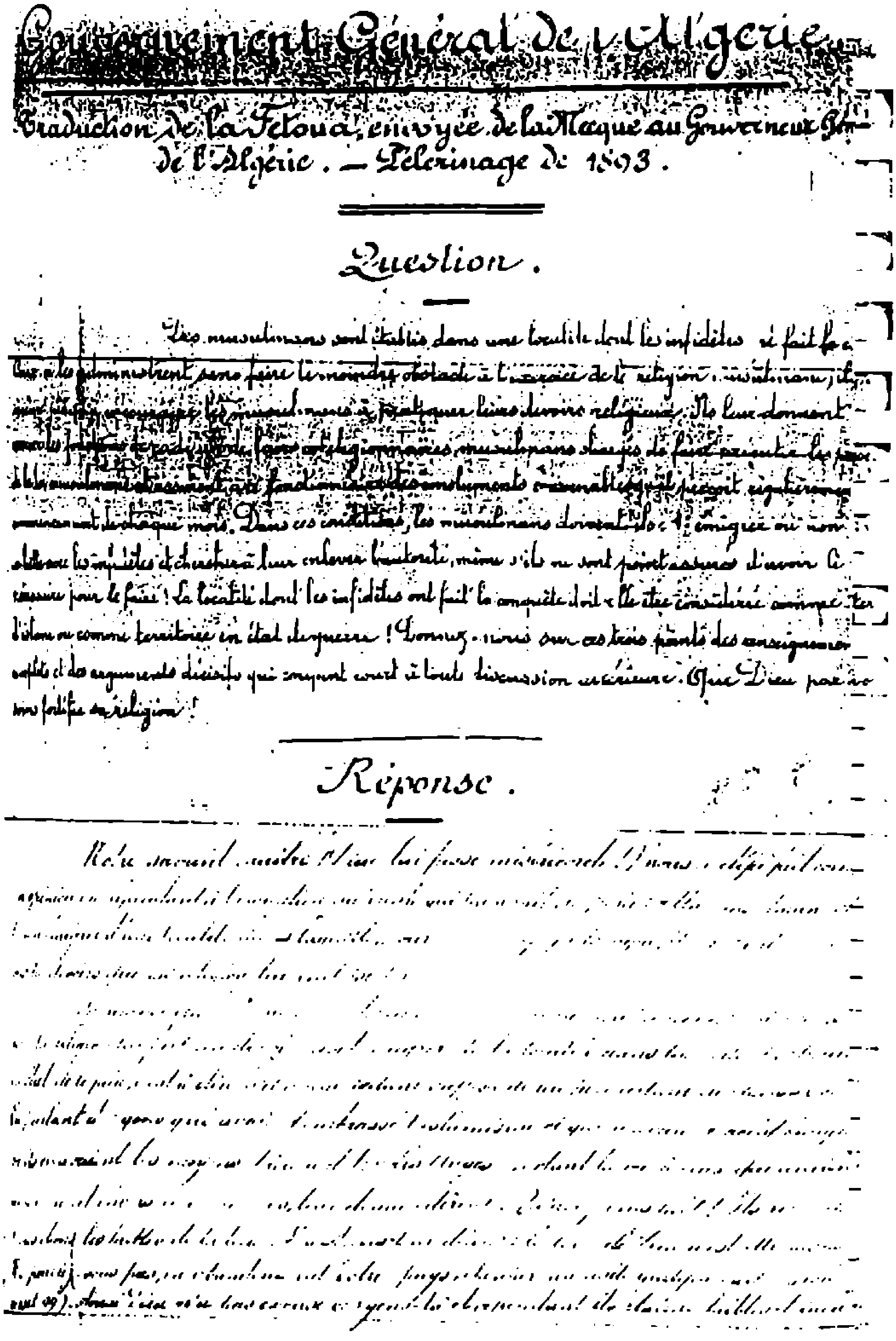
Exercice de la religion de l'Islam dans les pays infidéles, d'une fetoua des trois chorfas de la Mecque (Hanafite, Malekite, chaféite), A. O. M. 22H35.

- انظر ترجمة الفتوى :

G. G. A. la zaouia de Temassine- Traduction de la fetoua, Pèlerinage de 1893 A. O. M. 22H35.

الوثيقة العربية :

الوثيقة الأولى الفرنسية لقورارة :



Gouvernement Général de l'Algérie

Traduction de la Fetoua, envoyée de la Mecque au Gouverneur Gén. de l'Algérie. — Pèlerinage de 1893.

Question.

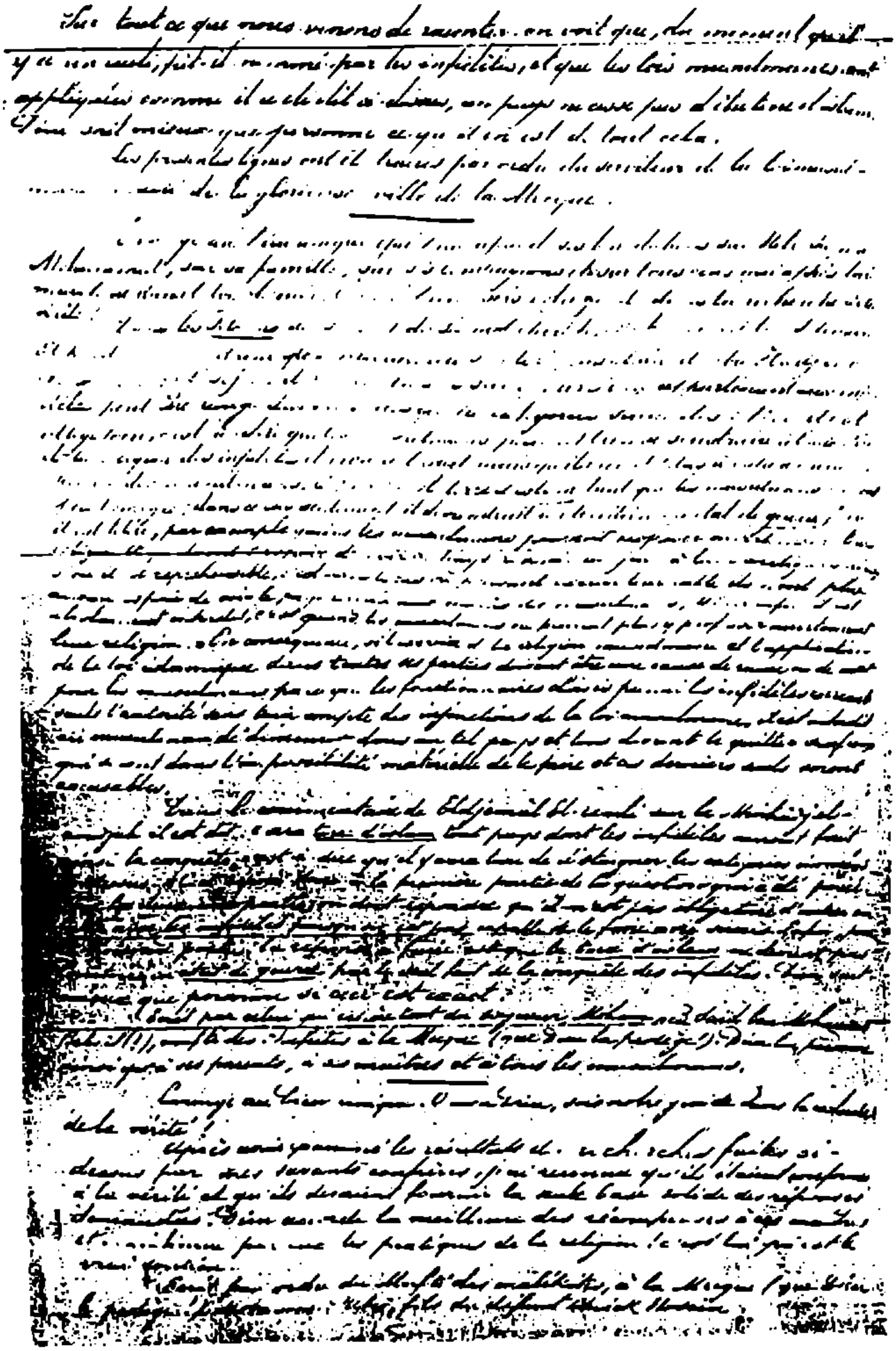
Des musulmans sont établis dans une localité dont les infidèles se sont faits les maîtres et les administrent sans faire le moindre obstacle à l'exercice de la religion musulmane; ils y ont même encouragé les musulmans à pratiquer leurs devoirs religieux. Ils leur donnent [illegible] religieux musulmans chargés de faire exécuter les [illegible] émoluments [illegible] qu'il perçoit régulièrement [illegible] chaque mois. Dans ces conditions, les musulmans doivent-ils : 1° émigrer ou non ; 2° attaquer les infidèles et chercher à leur enlever l'autorité, même s'ils ne sont point assurés d'avoir la [illegible] pour le faire ? La localité dont les infidèles ont fait la conquête doit-elle être considérée comme terre d'islam ou comme territoire en état de guerre ? Donnez-nous sur ces trois points des enseignements [illegible] et des arguments décisifs qui coupent court à toute discussion ultérieure. Que Dieu par vous fortifie sa religion !

Réponse.

Notre seigneur maître [illegible] lui fasse miséricorde ! [illegible]

[illegible]

الوثيقة الثانية الفرنسية لقورارة :



آثار فتوى قورارة ومواقف حاكم السودان الفرنسي منها كتابة ونسخ النص الفرنسي

1- نص قرودي حاكم مالي (الوثيقة) .

2- رد كاتب الدولة للمستعمرات . (الوثيقة) .

3- نسخ الوثائق .

Koyo le 17 Janvier 1894

M. le Gouverneur du Soudan

Monsieur le Sous Secrétaire d'Etat

des Colonies

Monsieur le Sous Secrétaire d'Etat

Par lettre en date du 9 Décembre dernier N° 243 vous m'avez fait l'honneur de me transmettre des exemplaires d'une Fetwah dans laquelle les Chefs des trois ordres religieux établis dans le Nord de l'Afrique les Hanefites ; les Chafites et les Malekites répondent, comme l'avait demandé le Gouverneur Général de l'Algérie, à la question de savoir si les musulmans peuvent obéir à des infidèles. Vous me prescrivez de remettre ces exemplaires à ceux de nos agents officiers ou fonctionnaires qui se trouvent en pays musulman.

J'ai l'étude attentive de ce document me porte

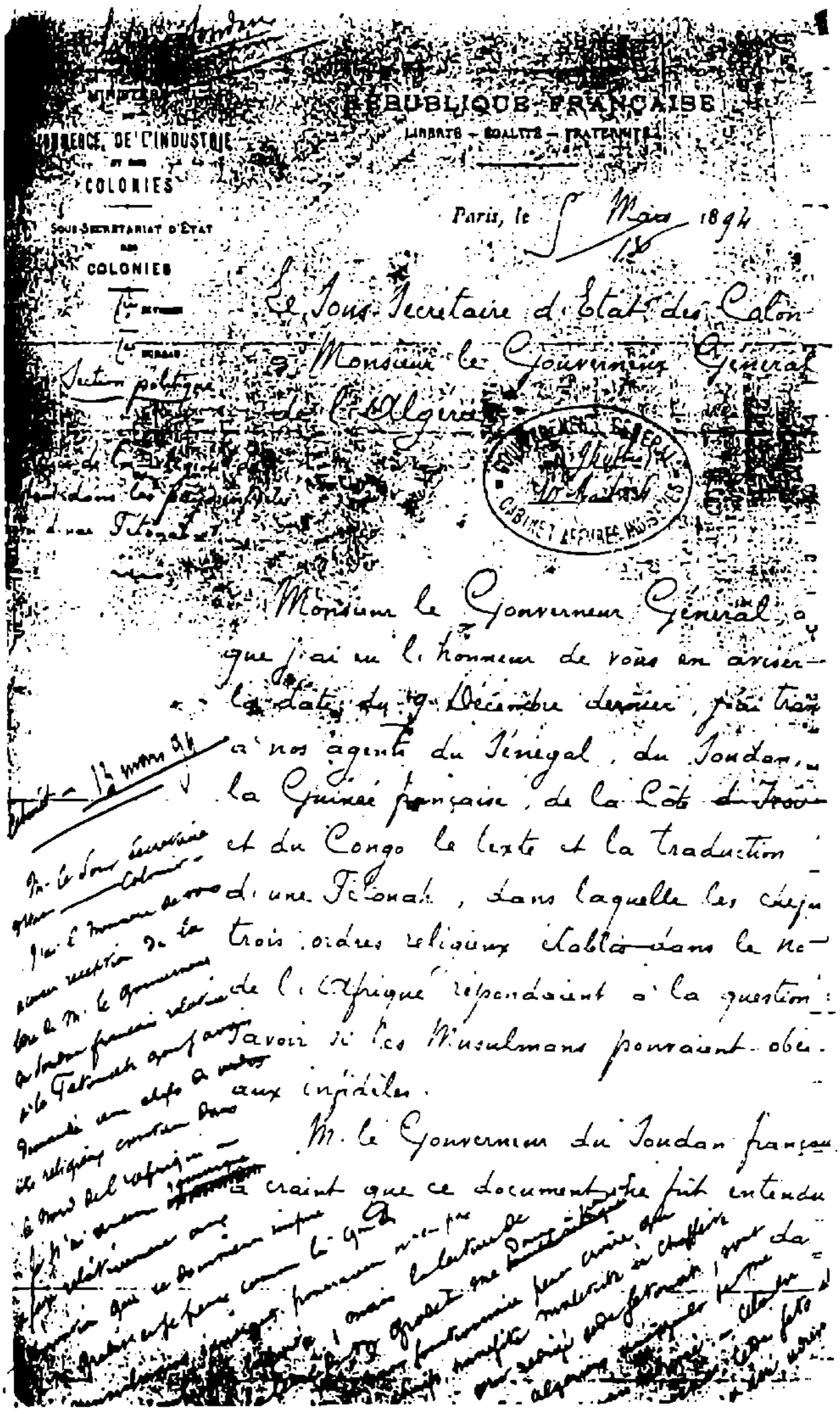
porte à penser qu'il n'est peut-être pas exp
de le communiquer aux adeptes de l'islam
le Soudan français. Les populations noires d
Colonie, qui suivent les préceptes du Coran
d'abord les Concoulems, ensuite les ani
fétichistes gagnés peu à peu à la religion
Mahomet à la suite des conquêtes d'El
Omar. Si les premiers ont été et sont en
les véritables propagateurs de l'islam dan
Soudan, si aidés jadis par leur puissan
militaire, ils ont pu imposer leur religion
plusieurs peuplades fétichistes, ils sont rest
cependant, peu instruits du Livre Sacré et de
ses commentateurs. Ils n'ont point reçu
l'éducation religieuse complète des Arabes
d'Algérie et leurs marabouts ne sont que d
fanatiques ignorants. Quant aux anciens fétichis
devenus musulmans, ils sont encore beaucoup
moins éclairés dans leur nouvelle religion que le
Concoulems. Ils ne savent même pas parler
lire l'arabe; quelques-uns seulement se servent
des caractères arabes pour écrire en leur propre
dialecte. En résumé, ni ces uns, ni les autres n
peuvent être comparés, au point de vue de la
Foi

Jeune religieuse, aux populations du Nord de l'Afrique et encore moins à celles de l'Orient. Mais, tous suppléant à ce défaut de connaissance des lois du Prophète, par un fanatisme sourd aux raisonnements et non susceptible de réflexion ou d'examen.

Dans ces conditions, et étant donné surtout le style plein de détours de la Fetouah, il serait à craindre, je crois, que l'effet produit par la communication de ce document ne soit tout autre que celui sur lequel nous pourrions compter. Les Marabouts en retiendraient les réticences, les subtilités favorables à la cause de l'islam plutôt que l'esprit même des réponses faites à la question du Gouverneur Général de l'Algérie. Il m'a paru donc, préférable de ne pas publier la Fetouah pour le moment, sauf à l'utiliser si on rencontrait un Marabout assez intelligent et assez instruit pour l'expliquer aux Musulmans dans un sens favorable à nos intérêts et à notre prédominance au Soudan français./.

Je suis etc.

Signé : A. Grodet.



RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
LIBERTÉ – ÉGALITÉ – FRATERNITÉ

MINISTÈRE DU COMMERCE, DE L'INDUSTRIE
DES
COLONIES

SOUS-SECRÉTARIAT D'ÉTAT
DES
COLONIES

Paris, le 5 Mars 1894

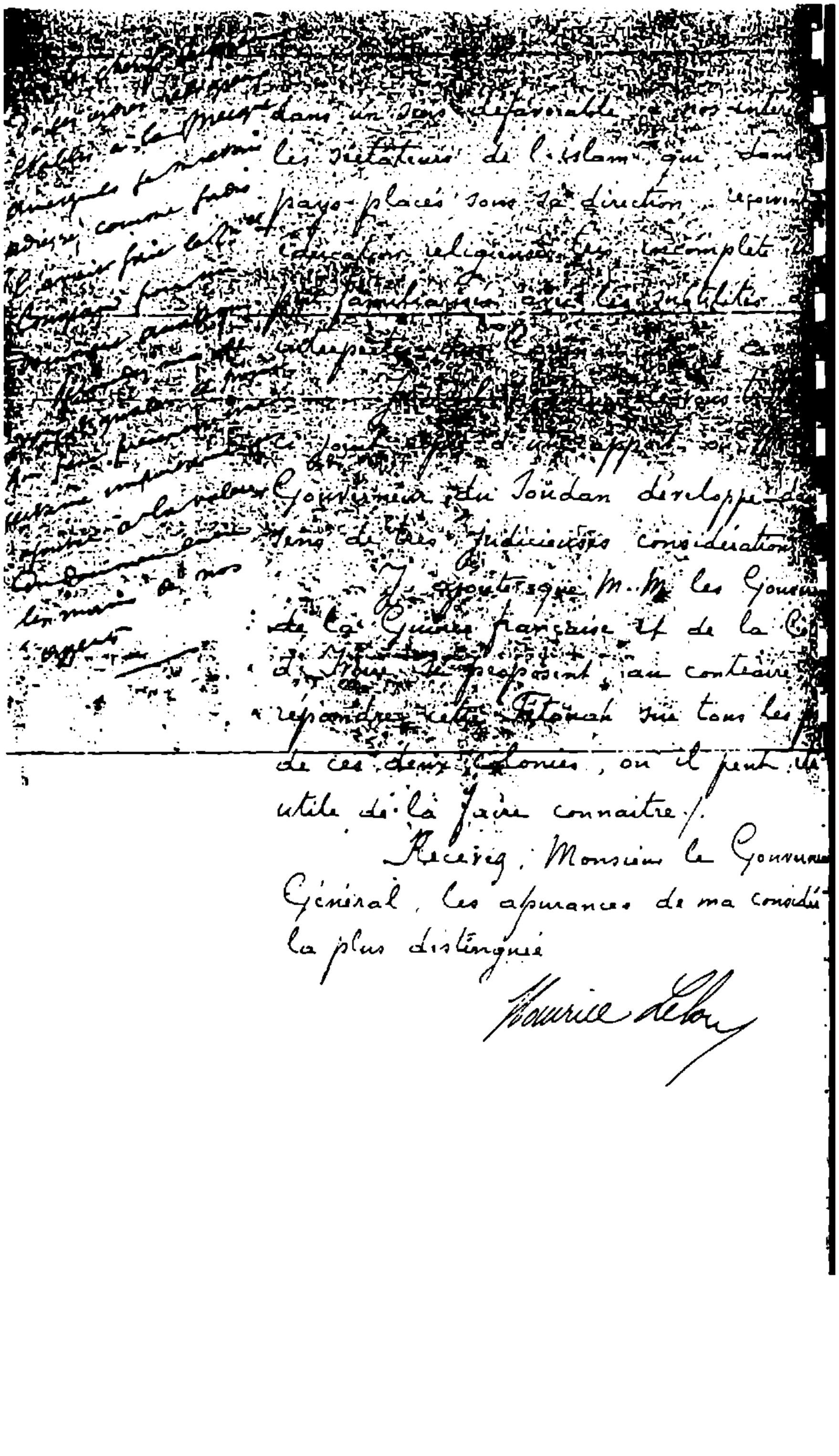
Le Sous-Secrétaire d'État des Colonies

à Monsieur le Gouverneur Général
de l'Algérie

Monsieur le Gouverneur Général,

J'ai l'honneur de vous informer que j'ai, par la dépêche du 19 Décembre dernier, prescrit à nos agents du Sénégal, du Soudan, de la Guinée française, de la Côte d'Ivoire et du Congo de me transmettre le texte et la traduction d'une fetwah, dans laquelle les chefs des trois ordres religieux établis dans le nord de l'Afrique répondaient à la question : savoir si les Musulmans pouvaient obéir aux infidèles.

M. le Gouverneur du Soudan français a craint que ce document fût entendu par les indigènes comme une déclaration de la guerre sainte contre les Français, et a cru devoir suspendre l'envoi qui lui était prescrit.



Description de la lettre du gouverneur du Soudan français.

Kayes Le 17 Janvier 1894.

M. A. Grodet, Gouverneur du Soudan à Monsieur le Sous- secrétaire d'Etat des colonies.

Monsieur le Sous- secrétaire d'Etat

Par lettre en date du 9 Décembre dernier N°243, Vous m'avez fait l'honneur de me transmettre des exemplaires d'une «Fétouah», dans laquelle les chefs des trois ordres religieux établis dans le nord de l'Afrique,les Hanafites, les Chaféites et les Malekites- répondent, comme l'avait demandé le Gouverneur Général de l'Algérie, à la question de savoir si les musulmans peuvent obéir à des infidèles, vous me prescrivez de remettre ces exemplaires à ceux de nos agents officiers ou fonctionnaires qui se trouvent en pays musulman.

L'étude attentive de ce document me porte à penser qu'il n'est peut- être pas expédiant de la communiquer aux adeptes de l'Islam dans le Soudan français.

Les populations noires de la colonie, qui suivent les préceptes du Coran, sont d'abord les Toucouleurs, ensuite les anciens Fétichistes gagnés peu à peu à la religion de Mahomet à la suite des conquêtes d'El- Hadj Omar. Si les premiers ont été et sont encore les véritables propagateurs de l'Islam dans le Soudan, si aidés jadis par leur puissance militaire, ils ont pu imposer leur religion à plusieurs peuplades Fétichistes, ils sont restés, cependant, peu instruits du Livre sacré et de ses commentateurs. Ils n'ont point reçu l'éducation religieuse complète des arabes d'Algérie, et leurs marabouts ne sont que de fanatiques ignorants, quant aux anciens Fétichistes devenus musulmans, ils sont encore beaucoup moins éclairés dans leur nouvelle religion que les Toucouleurs, Ils ne savent même pas parler et lire l'arabe; quelques uns seulement se servent des caractères arabes pour écrire en leur propre dialecte.

En résumé, ni les uns, ni les autres ne peuvent être comparés, au point de vue de la science religieuse,aux populations du nord de l'Afrique et encore moins à celles de l'orient mais, tous suppléent à ce défaut de connaissance des lois du prophète, par un fanatisme sourd aux raisonnements et non susceptible de réflexion ou d'examen.

Dans ces conditions, et étant donné surtout le style plein de détours de la «Fetouah», il serait à craindre, je crois, que l'effet produit par la communication de ce document ne soit, tout autre que celui sur lequel nous pourrions compter.

Les Marabouts en retiendraient ces réticences, les subtilités favorables à la cause de l'Islam plutôt que l'essence même des réponses faites à la question du Gouverneur Général de l'Algérie. Il m'a paru, donc, préférable de ne pas publier la «Fetouah» pour le moment, sauf à l'utiliser si on rencontrait un Marabout assez intelligent et assez instruit pour l'expliquer aux musulmans dans un sens favorable à nos intérêts et à notre prédominance au Soudan français. /.

Je suis etc.

Signé: A. Grodet.

Paris le 5 mars 1894.

Sous secrétariat d'Etat des colonies.

le sous secrétaire d'Etat des colonies.

A monsieur le gouverneur général de l'algérie.

Monsieur le gouverneur général de l'Algérie; ainsi que j'ai eu l'honneur de vous aviser à la date du 9 décembre dernier, j'ai transmis à nos agents du Sénégal, du Soudan, de la Guinée française, de la Cote d'Ivoire, et du Congo le texte et la traduction d'une «Fétouah», dans laquelle les chefs des trois ordres religieux établis dans le nord de l'Afrique répondaient à la question de savoir si les musulmans pouvaient obéir aux infidèles.

M. le gouverneur du Soudan français a craint que ce document ne fut entendu dans un sens défavorable à nos intérêts, par les sectateurs de l'Islam,qui, dans les pays placés sous sa direction, reçoivent une éducation religieuse très incomplète, et si peu familiarisés avec les subtilités des interprètes du Coran.

j'ai l'honneur de vous transmettre ci- joint copie d'un rapport ou M, le gouverneur du Soudan développe dans ce sens de très judicieuses considérations.

J'ajoute que MM. les gouverneurs de la Guinée française et de la Cote d'Ivoire se proposent au contraire de répandre cette «Fétouah» sur tous les points de ces deux colonies, ou il peut être utile de la faire connaître. / .

Recevez, Monsieur le Gouverneur Général, les assurances de ma considération la plus distinguée.

. Maurice Lelou

المجموعة الثانية

القضية الجزائرية في نهاية القرن التاسع عشر

من خلال وثائق إبراهيم سراج المدني

1- رسالة إبراهيم سراج المدني إلى الجزائريين يحثهم على الجهاد والاتحاد (بالعربية) انظر دراستنا حول الطلبة الجزائريين بجامع الأزهر) .

2- وثيقة استعلام من مالطا حول شخصية إبراهيم سراج (بالفرنسية) .

3- تقريران لشارل فيرو لحاكم الجزائر العام تريمان عن إبراهيم سراج (فيرو سراج وجهًا لوجه) (بالفرنسية) .

4- خطبة إبراهيم سراج منقولة عن جاسوس لصالح فيرو واستعلامات القنصلية الفرنسية العامة بطرابلس الغرب . (بالفرنسية) .

5- ريكار نائب قنصل فرنسا ببنغازي حول إبراهيم سراج مراسلة موجهة إلى القنصل العام شارل فيرو (بالفرنسية) .



وكيف للعرب عند لقاء الله اذا بخلوا بنصرة ثم سفكوا دمائهم مدافعة عن قوم كافرين
وماجراءهم ان تركوا المدافعة عن دينهم وعرضهم وطنهم وديارهم ونسائهم واطفالهم واموالهم ولغاتهم
ومعابدهم وكل مؤلوف احبوه الا ان يدافعوا عدوا هو اقوى من عدوهم عن وطن عدوهم الذي يريد
محقهم وعمادته من انواع الكفر والكبائر
واذا ارادت قوم ان يقوموا لله فعليهم ان يتواثروا وان يكثروا من السياحة فيسلون المسلمين
الى نصر الله ورسله وعليهم ان يحتلوا مقاتل عدوهم وهي استمالة رؤساء وابناء العروش و
القبائل وغيرهم من اهل الارتباط والعصبيات فان الكلام مع غير الروحي قليل نفعه وحقيق وقعه
والغيرة على من في دار الحرب من المسلمين واجبة ولا سيما اذا كان المهاجر ممن ينتفع المقتلون بعقله
او قلمه وتعلمه وعمله . وعلى كل من يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة
والمسلم ان كان قادرا على الجهاد فالجهاد واجب عليه بيده ولسانه وان كان عاجزا فعليه
ان يبكي وان استبكى القاسية قلوبهم على المستضعفين من الرجال والنساء والولدان من المسلمين
في مشارق الارض ومغاربها . وينبغي لكل عربي ان يعلم انه من اشرف اجيال العرب الذين حفظوا
لغتهم وشرفهم منذ خمسة آلاف سنة تقريبا الى هذا اليوم ان لم ينصروهم فانهم حفظوا واضاع ثم صا
ترسا لعدوهم يقيهم سهام عدوه اسراعا لحقه واستعجالا الى النار

اهل الجزائر والاسلام دينكم ... وكلكم سيد لا يقبل العارا
لستم قليلا وفي الارض اضاعة ... اما لكم او على الكم فاحذروا النارا

كتبه في طرابلس الغرب اخوكم المصلح
ابراهيم سماح
المدني

GOUVERNEMENT GÉNÉRAL CIVIL
DE L'ALGÉRIE

SERVICE CENTRAL
de
Affaires Indigènes

N°

OBJET :

Alger, le 14 Avril 1883

DÉPÊCHE TÉLÉGRAPHIQUE

Le Gouverneur Général de l'Algérie *(Service central des affaires indigènes)*,

A Monsieur le Ministre Résident
de France à Tunis faisant Consul Général
Tripoli voie de Malte.

Brahim Seraj de Medine vint
en Octobre 1877 de Tunis avec passeport
Egyptien daté du 15 Août 1877 s'établir
librairie rue de la Lyre à Alger. Sa
conduite paraissait bonne, lorsque
de sa dénation le fait de Mr [illegible]
d'escroquerie, mais reconnu coupable
agent actif de propagande panislamique, il fut expulsé en Novembre 1881
et dirigé sur Constantine alors qu'il

aurait voulu aller au Maroc.

A sa charge on relève entre autres choses,

1° des intrigues en vue d'organiser une souscription destinée pour la reconstruction des aqueducs de la Mecque.

2° le patronage qu'il donna au prédicateur chafi Mohammed ou Ali ben el Caher el Loulé, expulsé en février 1881 pour prédication panislamique et anti-française dans la mosquée d'Alger et signalé au Ministre des Affaires Etrangères. Brahim, aussi a été signalé au Ministre en Caire - 1881 comme étant au Caire le rédacteur en chef du journal arabe le Hedjaz.

CONSULAT GÉNÉRAL
DE FRANCE
A TRIPOLI DE BARBARIE

Tripoli le 2[illegible]

GOUVERNEMENT GÉNÉRAL CIVIL DE L'ALGÉRIE
SERVICE CENTRAL
DES
AFFAIRES
INDIGÈNES

S. 4.

V

A Monsieur le Gouverneur-Général

Pour faire suite à ma dépêche
30 du mois dernier j'ai l'honneur de
adresser copie d'un rapport que je viens
recevoir de notre vice-Consul de Benghazi
à qui j'avais demandé des renseignements
sur le canal à Abdahum serait
susceptible d'une navigation sur tout le trajet
de Tobrouk à Benghazi et de l'importance
des relations avec le pays et les
Bédouins. Abdahum serait le point
sur lequel Abdahum serait toujours
situé du canal et de [illegible]

Agréez Monsieur
Gouverneur Général de l'Algérie.

Alger

qui poursuit minutieusement son enquête su
les agissements révolutionnaires.

Il est arrivé à Bryole avec l'intention
d'y établir une boulangerie française en outre
Casimir Rosier se disant d'origine lorra
Cet homme est sans papiers mais dispos
comme on en a assez considérable et le bruit
que déserteur de l'armée fédérale, il a ens
engagé dans notre légion étrangère de la
province d'Oran d'où il a déserté encore. Pu
cité l'argent dont il disposait provient il d
vol ou d'escroquerie. Prière de me renseigner et
me faire connaître s'il y aurait lieu ou pa
des démarches pour obtenir son arrestation./.

Veuillez agréer Monsieur le Gouverneu
Général l'assurance de ma très haute
considération

Le Chef
du Service
des Affaires
Indigènes

CONSULAT GÉNÉRAL
DE FRANCE
A TRIPOLI DE BARBARIE

Tripoli, le 12 juillet 1833.

SERVICE CIVIL
GOUVERNEMENT GÉNÉRAL

Monsieur le Gouverneur Général,

J'ai enfin pu obtenir secrètement la copie textuelle d'une partie de la Khotba ou prédication du Mollah Ibrahim Sennusy. Ce feuillet détaché donne sans doute ici la traduction suffira pour nous faire définitivement sur les tendances du comité de fanatiques actuellement entre les mains de la porte ; l'appel aux armes en faveur du Mehdi semble désormais certain et s'il restait encore quelques doutes sur la réalité des dangers que la personnalité mystique peut faire courir à un moment à l'autre faire fondre sur les contrées

Son excellence

Monsieur le Gouverneur Général de l'Algérie.

Alger.

, Africaines occupées par les Chrétiens, nous
avons aujourd'hui la preuve matérielle que
la vigilance la plus active nous est imposée /.

Veuillez agréer, Monsieur le Gouverneur
Général, l'assurance de ma très haute considération

Ferrand

l'enquête judiciaire sur les agissements d'Abdelkader ben
Si Chikh Hamza Boffar et autres fonctionnaires de Tombouctou
et à leur procès terminé en chacun. Hamza est un autre
compromis gravement dans une autre affaire de vente d'une
autre territoire à des étrangers. Les preuves de toutes ces
charges il y a lieu d'espérer que Hamza sera prochainement
appelé à la Législature pour répondre de toutes ces
autres faits graves.

Ferrand

Copie M. le Vice-Consul de France à Benghazi à M. Franc. Consul Général de France à Tripoli de Barbe

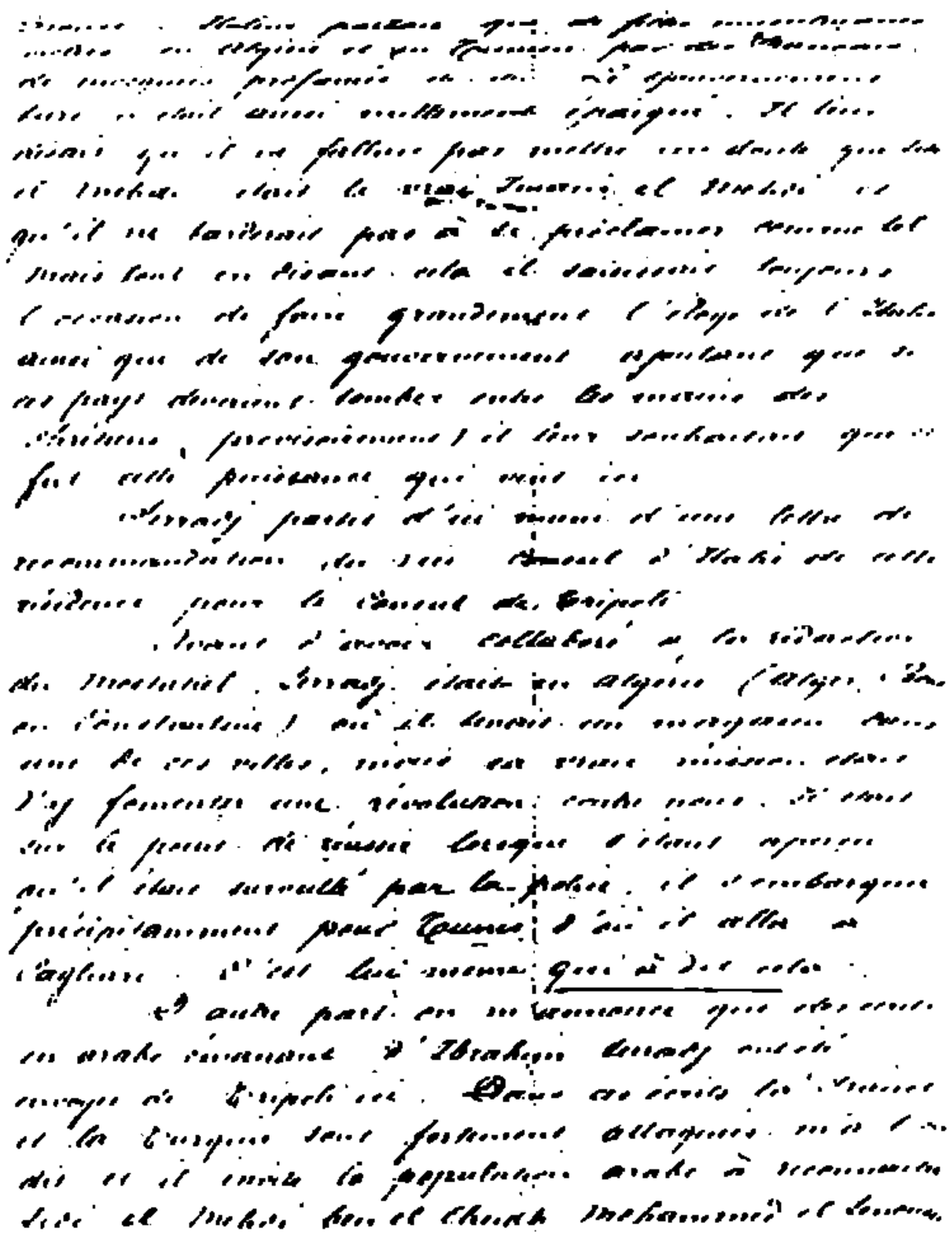
Benghazi le 5 mai 1883

Monsieur le Consul Général,

Quand j'ai reçu votre demande d'informations au sujet d'Ibrahim Lenaje, je m'occupais déjà de lui, me proposant de vous rapporter la conduite tenue ici afin que vous fassiez surveiller à Tripoli

Ibrahim Lenaje rédigeait au Caire un journal arabe intitulé Mouktber el Djerait el Couitat. Après la capture d'Arabi Pacha, il quitta le Caire par terre et se rendit à Djo' où il a un oncle maternel, nommé Sidi Mouftah très influent auprès de Sidi el Mehdi Senoussi. Ensuite il alla à Derna et après un court séjour dans cette ville il retourna auprès de ce chef religieux. Il de temps après il fit son apparition ici et descendit chez Hadj Ahmed el Mehtioui, l'ex-caïd de Derna actuellement président de la Municipalité d'Inebdour d'impression de la contrée ou vice-versa d'Ibrahim et pendant son séjour il eut de fréquents entretiens avec mon collègue Italien. Un grande allure également le drogman chez le Mehtioui

Sous ces sous il y avait de nombreux rumeurs d'arabes chez l'ex-caïd et Ibrahim devait se rendre de préférence la haine contre la



Traduction de la Khotba d'Ibrahim Terradj.

O gens asservis semblables par votre immobilité à la pierre servant d'arc boutant ! L'exemple de ce qui est arrivé à la Tunisie et de ce qui est arrivé à l'Egypte ne vous instruira donc pas ? L'Algérie a été violentée et le Nil ensanglanté resterez vous encore impassibles. O magnificence de Dieu, qui donc a pu rendre l'homme aussi insensible que la pierre ? Vous vous figurez que vous avez un Sultan, mais c'est que vous êtes plongés dans le sommeil. Préparez vous donc à combattre vos ennemis, les ennemis de vos pères et de vos ancêtres ; à combattre celui qui est cause que votre gloire et votre empire s'éclipsent. Vous avez le devoir d'acheter des armes de nouvelle invention et d'apprendre à vous en servir, afin de pouvoir vivre en repos pour la sécurité de vos personnes, de vos biens, de vos enfants et de votre patrie sacrée.

N'avez vous pas devant les yeux l'exemple de vos frères, lesquels comme vous n'avaient d'autre occupation que de commercer, vendre ou acheter, d'autre souci que de penser à ce qu'ils boiraient ou mangeraient, se stimulant réciproquement dans cette voie. Aussi quand l'ennemi est arrivé chez eux, il les a asservis misérablement et leur situation antérieure

s'est ensuivie, leur faisant abandonner comme butin à l'ennemi tout ce qu'ils avaient ramassé. Tout cela est advenu à cause de leur insouciance, de leur manque d'intelligence, de leur confiance aveugle en des discours et des promesses embellies de la surface et de mauvais aloi au fond. Le délire n'a fait que l'accentuer.

Réfléchissez y avec attention, ô mes frères, écoutez et suivez les conseils de vérité qui vous les donne, lequel a été mis à même d'apprécier les phases de la situation depuis l'avilissement jusqu'à l'indépendance la plus complète, ainsi que la noblesse des différentes races humaines.

Prêtez aide et appui au Mehdi en vous acquenez ainsi l'amitié des Chérifs issus du Prophète, des Ulémas (Docteurs de la loi), d'après les prescriptions desquels agissaient les Imams véridiques et les Sultans.

C'est à ceux là que doivent d'abord s'adresser les invocations, c'est par leur intercession que les pures récompenses divines se répandent.

L'obligation de se conformer à leurs prescriptions est une condition religieuse et celui qui est ici présent a le devoir d'assister celui qui est absent. Il obtiendra alors de Dieu maître des Deux Mondes les rétributions de Ceux Elevés.

Veillez de l'avant avec zèle et effort persévérants à l'aide du Mehdi et pour la guerre sainte contre l'infidèle.

Si prenez et exercez ainsi, l'exemple des habitants des deux villes sacrées de la Mecque et de Médine, afin que vous méritiez les récompenses de ce monde et de l'autre. Sur ce terminons. Proclamons la Puissance à Dieu maître des deux Mondes.

المجموعة الثالثة

تقرير المقدم قاضي حول الطلبة الجزائريين بجامع الأزهر

https://albordj.blogspot.com

COPIE

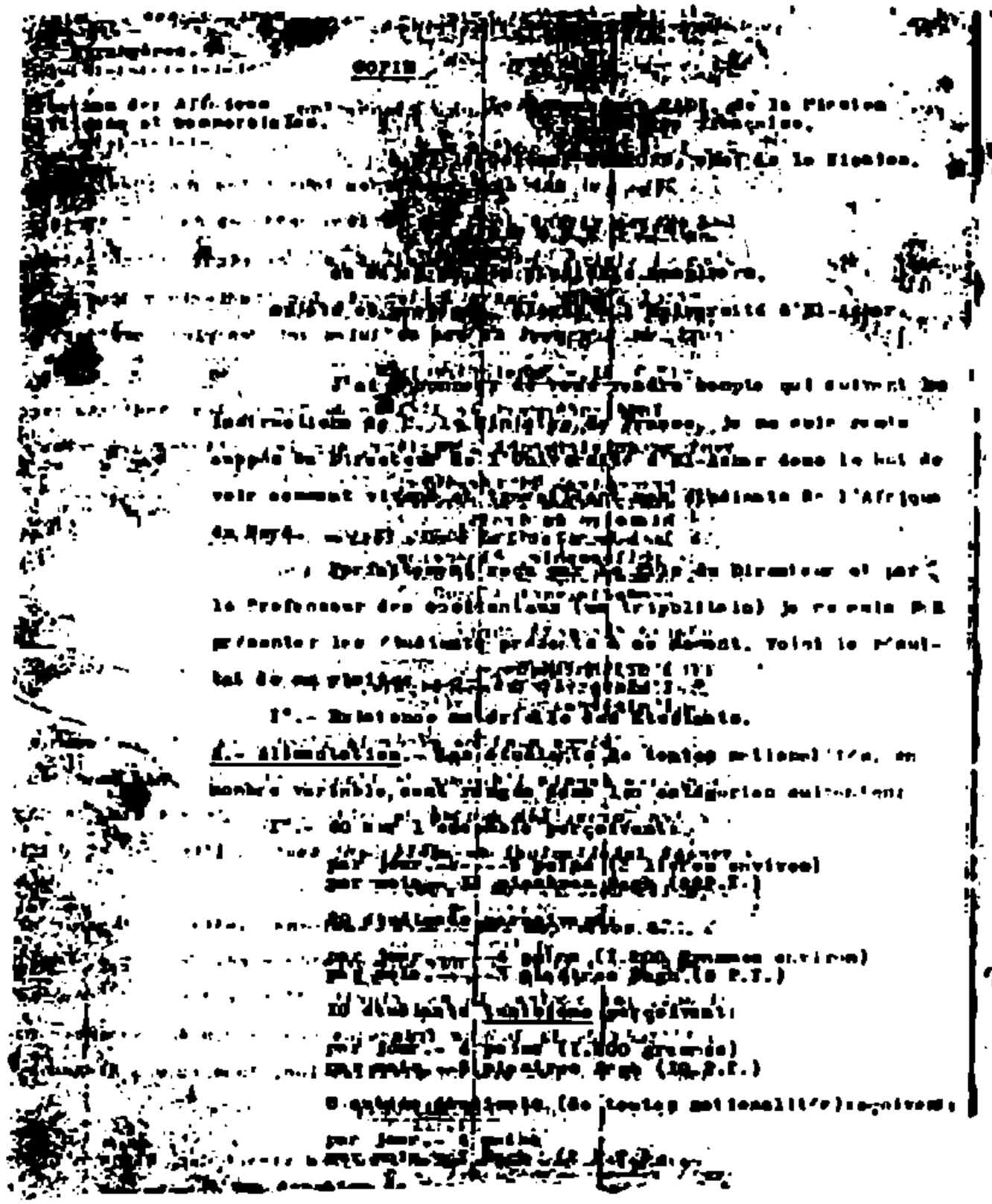
DEPARCQ, Ministre Plénipotentiaire
chargé de l'agence et consulat général de
au CAIRE

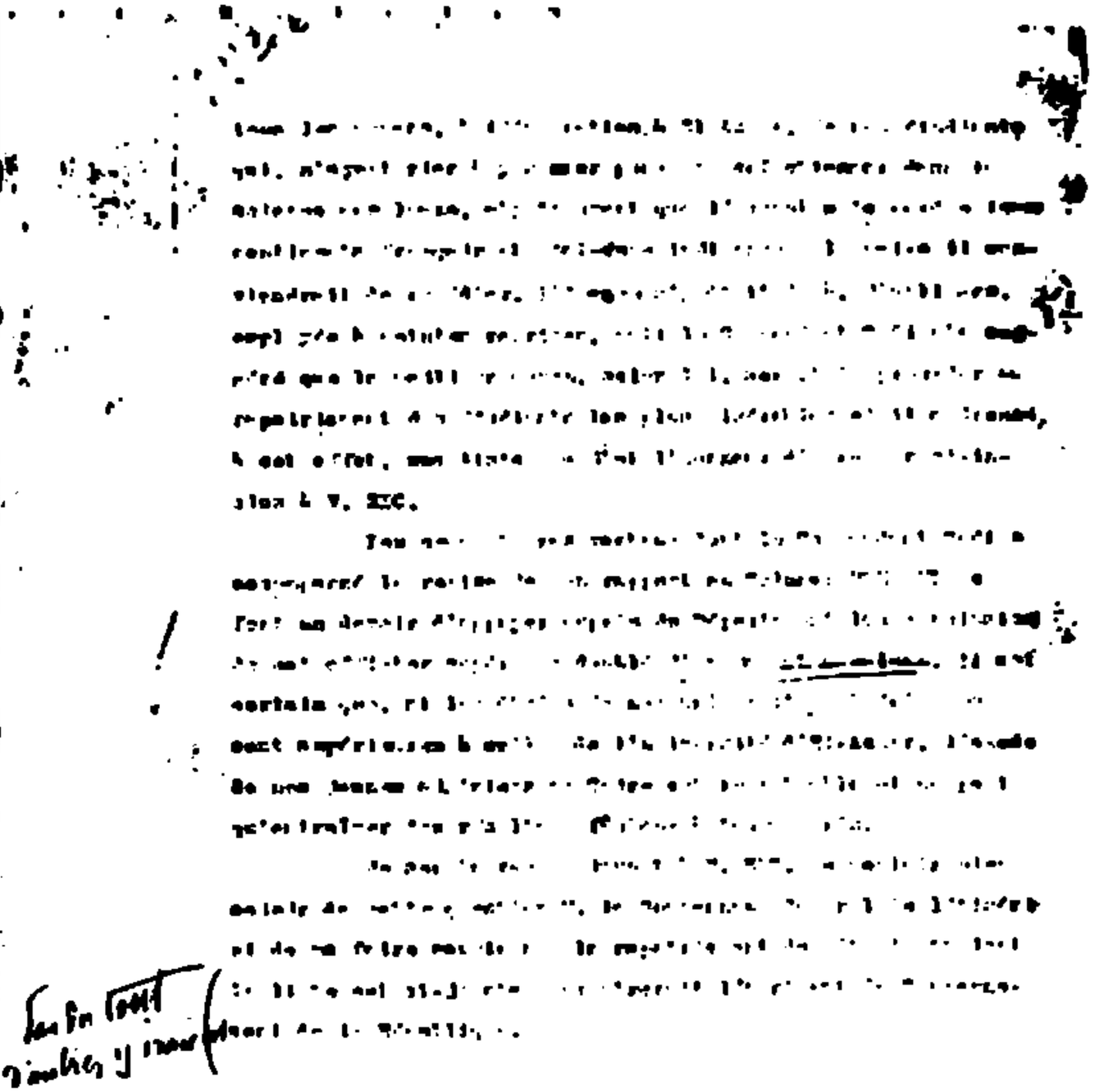
B. BRIAND, Président du Conseil, Min
des Affaires Etrangères

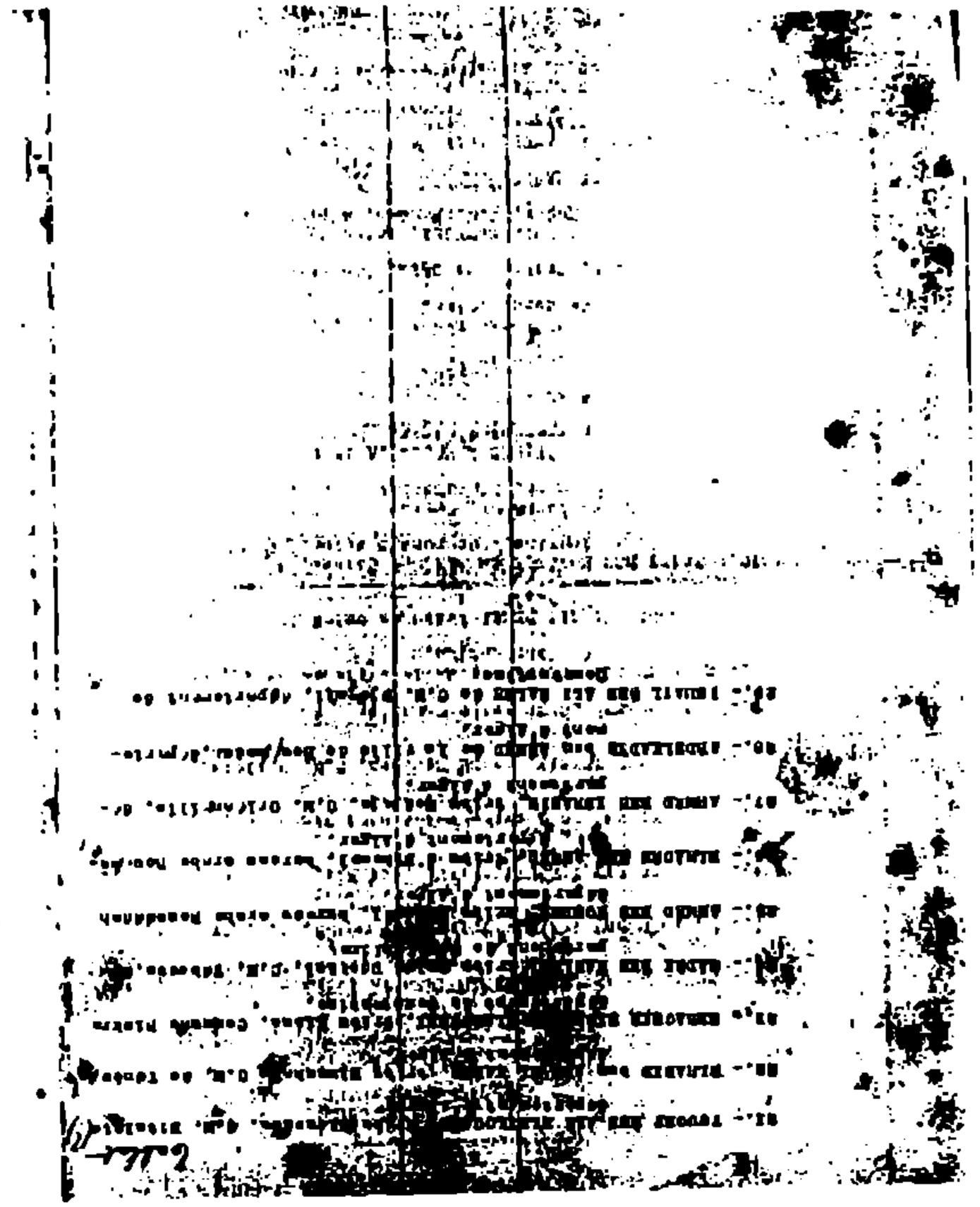
Le Caire, le 17 Septembre

Le Département connaît déjà par la correspondance de l'Agence, la situation des étudiants à l'Université d'El-Azhar. Ils y forment une section spéciale (de Algérie, Tunisie, Tripolitaine) dirigée par un professeur qui est actuellement un Tripolitain. J'ai voulu profiter de passage au Caire d'un membre musulman de notre mission militaire, le Commandant Cadi, de grande science islamique et officier très distingué au titre français, pour me rendre compte, par moi-même, des conditions générales dans lesquelles se trouvent en ce moment, nos étudiants. Le Commandant Cadi s'est donc rendu à El Azhar, et dans un rapport, ci-joint en copie, adressé à son chef hiérarchique, le Colonel BREMOND, a consigné les observations que sa mission lui avait suggérées.

Je crois donc inutile de m'étendre davantage sur l'attention de V. Exc. à ce document. En termes succincts, le Commandant Cadi a démontré la situation précaire, souvent misérable, d'un grand nombre de nos étudiants. Il a fait ensuite que les études sont, à El-Azhar, très inférieures à celles de nos universités d'Algérie . Il exprime enfin la conviction que le milieu de cette célèbre université ne peut qu'exercer une influence anti-française sur l'esprit de nos maghrébins. Il conclut en déclarant d'une manière nette que, dans de pareilles conditions, il serait préférable [illegible]







المجموعة الرابعة

وثائق شرفاء وزان والطريقة الطيبية

المغرب الأقصى والجزائر وعلاقاتهم الودية مع فرنسا الاستعمارية أيام حاكم الجزائر العام جيل كامبون

1- وثيقة أهل السمندو (زيغود يوسف حاليا إلى حاكم الجزائر العام (بالعربية) .

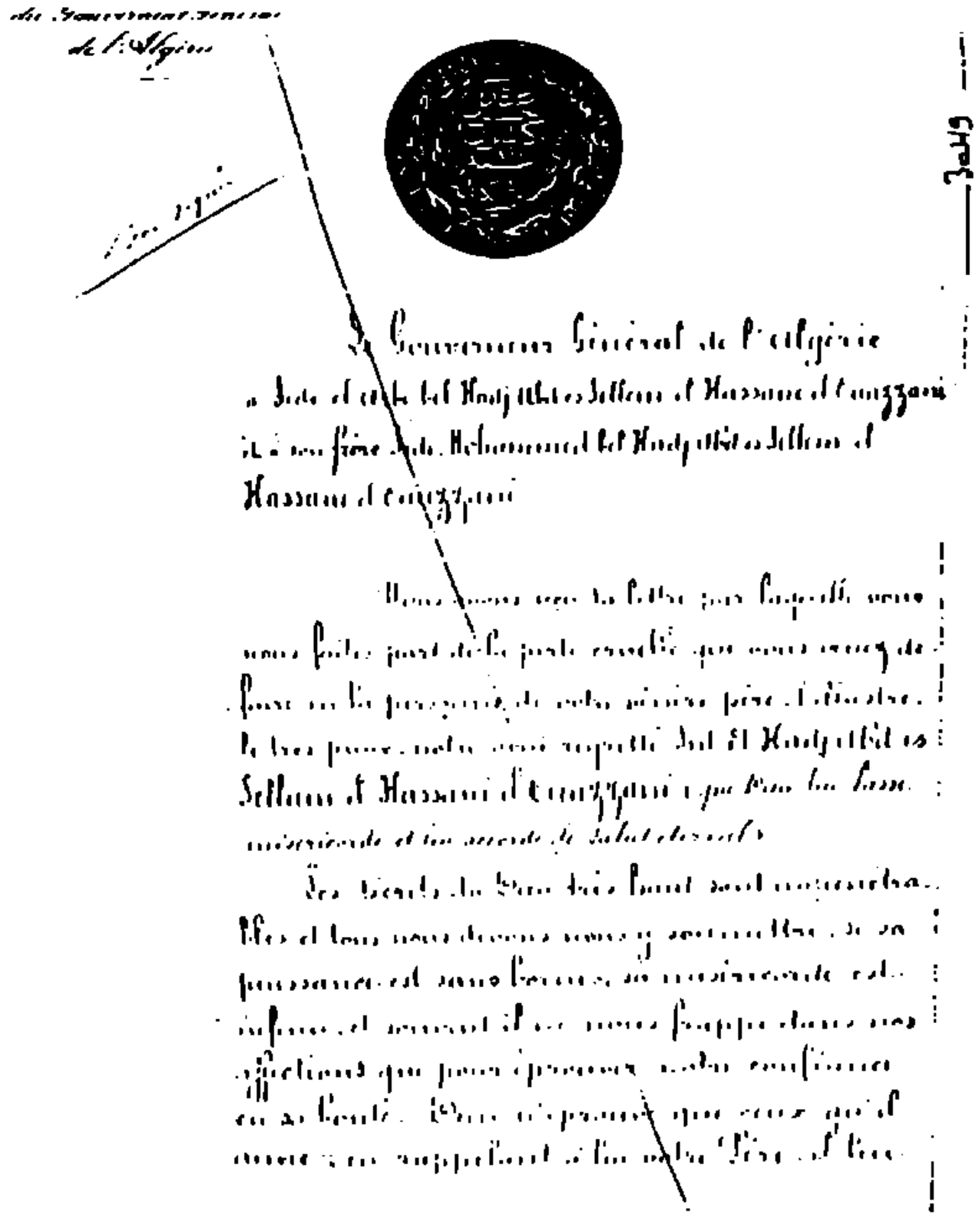
2- تعزية جيل كومبون للطيبية وبيت شرفاء وزان بعد وفاة كبير الطريقة (بالعربية والفرنسية) .

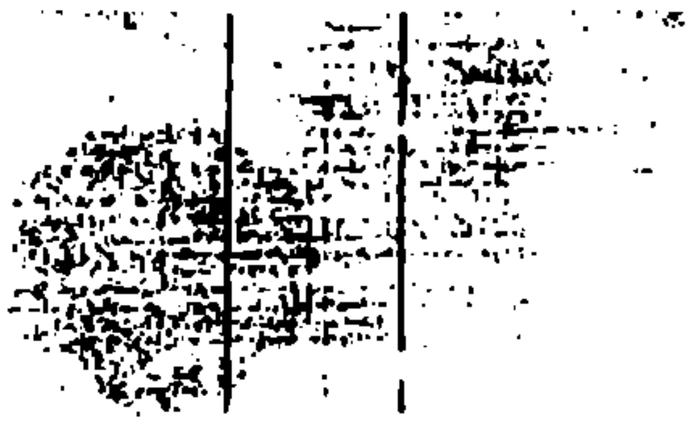
3- الأموال والتدعيم الذي تقدمه فرنسا للطيبية وشرفاء وزان .

4- إعلام حاكم الجزائر العام بوفاة علي بن محمد بن عبد السلام بن العربي الحسني الوزاني . (بالعربية والفرنسية) .

5- الطيبية تحارب الشعوذة .







a donné la récompense promise et a voulu vous créer à vous-même de nouveaux titres à sa protection toute puissante.

Certes, votre vénéré père était pour nous un vrai ami et nous ne sommes pas surpris des conseils et des recommandations si sages qu'il, de son vivant, il n'a cessé de vous prodiguer à notre sujet.

Ainsi, si la mort de cet homme de bien nous a causé un profond chagrin, nous avons éprouvé une grande joie en recevant de vous l'assurance que vous considéreriez toujours comme un devoir sacré de conformer votre conduite à notre égard aux sages conseils de celui qui repose aujourd'hui dans la miséricorde du Très-Haut.

Nous comptons sur votre empressement à faire parvenir à votre grand père et à tous les vôtres ce que nous avons de votre grandeur et légitime influence auprès de nos fidèles, quelque soit le prix de leurs résidences pour leur faire comprendre que leur intérêt est d'entretenir pour toujours des rapports d'amitié avec notre gouvernement et avec tous ceux qui lui sont soumis à notre autorité.

Le même soin nous avons honneur de répondre aux fils de Si El Hadj Abd es Sellam l'amitié que nous vouons à leur père : notre protection continuera à s'étendre sur eux en sorte qu'il plaise à Dieu qu'ils en puissent utiliser l'excellence des rapports que par sa volonté toute puissante se sont établis entre nous

N O T E

AU SUJET DE LA SUBVENTION DES CHERIFA

D'OUAZZAN

En février 1893,M. CAMBON alors Gouverneur Général de l'Algérie,obtenait de Si Abdesselam,chérif d'Ouazzan une déclaration écrite par laquelle ce marabout s'engageait à ne nommer aucun mokeddem des Taibia en Algérie sans l'agrément du Gouverneur Général.En revanche,M. CAMBON promettait son concours pour l'entretien des établissements de l'ordre en Algérie.

En même temps,le chérif s'engageait verbalement à agir auprès de la chérifa (sa femme anglaise) pour l'empêcher d'accepter la protection que lui offrait,pour elle et ses deux fils,le Ministre d'Angleterre à Tanger.

En annonçant au Ministre des Affaires Etrangères le résultat de ses conférences avec Si Abdesselam,M. CAMBON indiquait qu'il serait sans doute avantageux pour nous d'agir en même temps au Maroc en vue de soutenir les intérêts matériels du chérif dans son propre pays.

C'est alors que notre chargé d'affaires à Tanger, M. SOUBAHY exprima l'avis que,tant pour Si Abdesselam que pour ses enfants,le moyen le plus pratique de les attacher à nos intérêts serait de leur accorder des subsides réguliers que nous serions toujours libres de ne pas renouveler si nous avions à nous plaindre de leur attitude ". M. RIBOT,Ministre des Affaires Etrangères se montra disposé à partager cette manière de voir.

Sur ces entrefaites la santé du chérif ayant donné de l'inquiétude,M. d'AUBIGNY,Ministre de France à Tanger crut devoir proposer en raison de la situation que pourrait nous créer la disparition de ce personnage,d'allouer à son fils et successeur désigné une pension de 20.000 francs, et une allocation annuelle de 6.000 francs à chacun de ses autres quatre fils.M. RIBOT accepta en principe,offrant de mettre à la charge des Affaires Etrangères,la moitié de la dépense (22.000 francs) et demandant à l'Algérie de contribuer pour l'autre moitié.M. CAMBON accepta (12 Mai 1898) tout en faisant des réserves sur la quotité de la pension de 6.000 francs allouée à chacun des 4 fils.Il y mit seulement comme condition, que les sommes qui lui étaient alors allouées pour fonds secrets seraient toujours maintenues.

Le 23 Mai suivant,M. d'AUBIGNY modifiait ses propositions antérieures après un entretien avec Si Abdesselam. Il proposait d'allouer au chérif à partir du 1er Juillet une pension de 30.000 francs en lui laissant entendre qu'elle serait reversible sur son héritier si celui-ci nous donnait satisfaction et sollicitait notre protection.En outre 6.000 francs seraient mis à la disposition de la Légation à titre de secours éventuels à la famille du chérif.En transmettant ces nouvelles propositions,M. RIBOT ajoutait qu'il comptait toujours sur le concours de l'Algérie,rien ne semblant pouvoir s'opposer à ce que les fonds spéciaux alloués au Gouverneur Général fussent maintenus à leur chiffre actuel.

Enfin,en Janvier 1893 à la suite de la mort du chérif,M. d'AUBIGNY proposait une nouvelle répartition du

subside annuel à verser aux chourfa d'Ouazzan. Elle consistait à donner :

1° à Moulay Larbi, le nouveau chef de l'ordre,	15.000 frs.
2° à Moulay Mahammed son frère,	6.000 .
3° à Moulay Ali fils de l'anglaise,	5.000 .
4° à Moulay [illegible] fils de l'anglaise,	5.000 .
5° aux anciens serviteurs de Si Abdesselem, gardiens de son tombeau,	5.000 .
6° et à réserver pour secours éventuels à la maison d'Ouazzan (laissés à la disposition de la Légation),	3.400 .
T O T A L :	50.000 frs.

M. CAMBON se rallie complètement à ces propositions et se déclare disposé à prendre à sa charge la moitié de ce subside à la condition que les fonds secrets mis à sa disposition soient maintenus au taux actuel.

C'est sur cette base que la pension fut payée à partir du 1er Janvier 1895 et le 28 Février de cette année M. DEVELLE Ministre des Affaires Etrangères faisait connaître que la contribution de son Département serait envoyée par ses soins au Ministre de France à Tanger au moyen de traites. En même temps M. d'AUBIGNY demandait à M. CAMBON de lui faire parvenir sa quote part soit en la versant au commencement de chaque trimestre à M. DOLLFUS, banquier du Ministre à Paris, soit par l'envoi d'un groupe ou d'une traite sur Tanger.

C'est le 1er mode qui fut adopté. Tant que M. d'AUBIGNY fut à Tanger, les fonds furent ainsi adressés chaque trimestre (5.750 francs) à M. DOLLFUS. Lorsque M. de MONTAL lui succéda, ils furent transmis au banquier de ce dernier à Paris, M. FLURY - HERARD.

Les choses restèrent en cet état jusqu'en 1897. A ce moment, M. LEFEBVRE, nommé Gouverneur Général de l'Algérie, écrivit au Ministre des Affaires Etrangères que tout en reconnaissant l'intérêt que nous avions à attacher à notre cause la maison d'Ouazzan, c'était une mesure d'intérêt général qui ne devait entraîner que des dépenses d'Etat. Dans ces conditions, la contribution de l'Algérie à ces dépenses ne paraissait pas justifiée et M. LEFEBVRE annonçait son intention de supprimer son concours pécuniaire à partir du 2e semestre de 1898.

M. HANOTAUX, dans sa réponse, rappela la genèse de la question. Il fit observer que c'était sur la demande de M. CAMBON qui voyait un intérêt considérable pour notre autorité en Algérie à resserrer les liens unissant à nous les Chourfa d'Ouazzan, que la Légation de Tanger avait été amenée à rechercher les moyens de soutenir les intérêts matériels du chérif.

En même temps le Ministre rappelait que sur la demande du Département des Affaires Etrangères, M. LOUBET, Président du Conseil, avait jadis approuvé la participation de l'Algérie, directement intéressée par l'intervention de la famille d'Ouazzan dans le Sahara, à la pension versée à ces chourfa et qu'il avait alors affirmé son intention de ne pas diminuer la somme de 180.000 francs affectée à cette époque aux fonds secrets de l'Algérie.

Ce ne fut cependant qu'après une nouvelle démarche

des matières particulièrement délicates et sans même qu'il eut été possible d'envisager une autre solution.

En terminant le Ministre demandait le retour à l'arrangement précédemment intervenu.

A la suite de cette correspondance le Président du Conseil fut amené à rechercher le moyen de régulariser, à l'occasion du Budget de 1900 ce qu'avait d'anormal le paiement de la pension des Cheurfa sur les fonds mis à la disposition du Gouvernement Général. Il estima que le Budget de la Colonie ne pouvait continuer à supporter une dépense qui en raison de son caractère essentiellement diplomatique trouvait sa place toute marquée au Budget des Affaires Etrangères. Mais M. DELCASSÉ ayant fait observer que depuis 1898, la contribution de l'Algérie était compensée par la majoration au même taux du chiffre des fonds secrets mis à la disposition du Gouverneur, le Président du Conseil pria celui-ci d'examiner s'il ne serait pas possible de prélever sur les fonds mis à sa disposition une somme annuelle de 18.000 francs qui serait rattachée au Budget des Affaires Etrangères. Le Gouverneur Général adhéra à ces propositions. Toutefois elles ne furent pas appliquées et la contribution de l'Algérie, reprise comme par le passé, [illegible] fut dès lors adressée chaque trimestre à Tanger en un chèque sur le Comptoir d'Escompte au nom du nouveau chef de la Légation M. [illegible]. C'est ce qui s'est pratiqué jusqu'à ces derniers temps.

En 1898 la Légation de Tanger demanda l'allocation d'une nouvelle pension de 6.000 francs à la veuve de Si Abdesselam, d'origine anglaise. L'Algérie accepta de cooférer pour 1000 francs à partir du 1er Octobre 1898 à cette pension qui fut définitivement fixée à 4.000 francs par le Ministre de M. HANOTAUX, que M. LEPINE consentit à revenir sur sa décision première, à condition toutefois que l'allocation annuelle pour les fonds secrets ne subirait pas de diminution. M. HANOTAUX s'empressa de lui en renouveler l'assurance.

En 1899, des difficultés vinrent à se produire dans le paiement de la pension des Cheurfa d'Ouazzan. Ils étaient dus : 1° au retard apporté au vote du Budget; 2° à l'inscription du crédit nécessaire au chapitre 4, article 4 du Budget de l'Intérieur (subsides et secours à des serviteurs indigènes). La conséquence de cette dernière mesure, qui avait été prise d'accord avec le rapporteur du Budget pour permettre de subvenir aux nécessités particulières de surveillance qui s'étaient produites alors en Algérie, fut que les mandats ne purent être ordonnancés qu'au nom des parties prenantes. D'où l'obligation de faire délivrer au banquier chargé de les toucher à Paris une procuration de Mouley Larbi. Tanger protesta contre cette complication et le Ministre des Affaires Etrangères fit remarquer que l'Algérie s'était engagée à prélever ces sommes sur les fonds secrets qui à cause de cela n'avaient subi aucune diminution.

Mais le Président du Conseil mis au courant de l'incident par le Ministre des Affaires Etrangères, émis l'avis que ces dépenses d'un caractère tout diplomatique devraient plutôt figurer au Budget de ce Département. Le Ministre tout en ne se refusant pas à rechercher une autre combinaison de nature à satisfaire les intérêts en cause, insista tout particulièrement sur les sérieux embarras que ne pouvait manquer de causer à notre Légation de Tanger une innovation survenant d'une manière aussi imprévue dans

Le Gouverneur
énéral
ion de la
rdonnée arabe

Lettre de MOULAY ALI, Chérif d'Ouezzan
Monsieur le Gouverneur Général

Louange à Dieu seul ! Il n'y a de durable que son empire.

De la part du Serviteur de son Dieu ALI ben MOHAMMED ben ABDESSELAM ben EL ARBI EL HARRANI EL OUEZZANI.

A notre ami le très illustrement, notre très affectionné le très cher, le très puissant, S. Excellence le Gouverneur Général de l'Algérie;- que Dieu garde et protège son gouvernement!-

Nous ne cessons de nous enquérir de nouvelles de V. Excellence et de former pour vous de bons voeux en rapport avec votre haute situation, souhaitant que vous jouissiez toujours du bien, de la santé et de la joie et que vous vous élevies constamment dans les degrés de la puissance et de la prospérité ;- Dieu veuille nous exaucer !-

Nous venons vous apporter nos condoléances et vous exhorte à la résignation pour la perte de notre frère le très bienfaisant MOULEY AHMED qui est entré dans le lieu de délices éternel .

C'est là un malheur qui nous atteint au même degré ;- Dieu veuille nous gratifier,en compensation de la constance nécessaire et vous conserver par un effet de sa bonté .

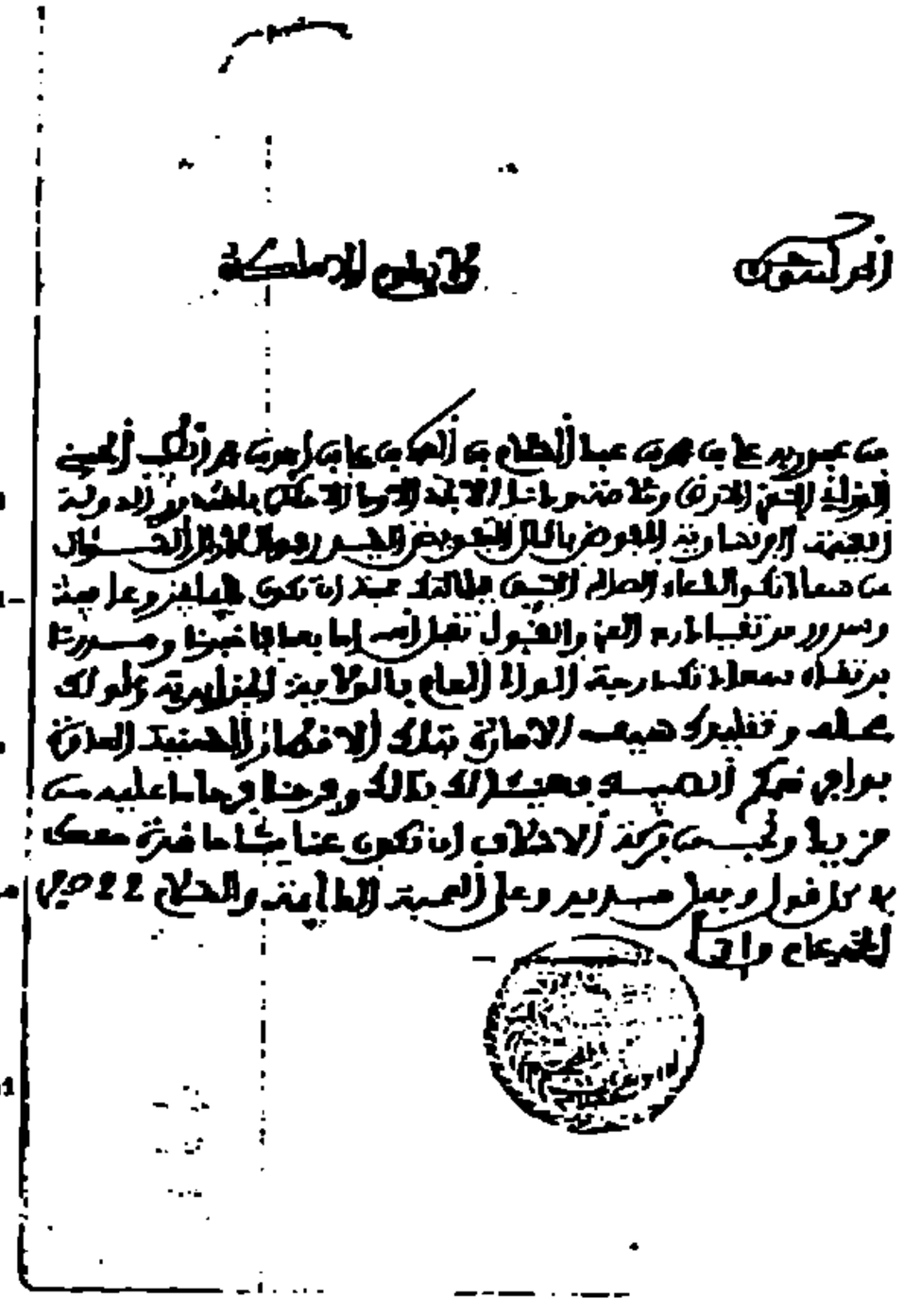
Les liens étroits qui nous unissent nous faisaient un devoir de vous informer de ce triste événement.

Nous sommes toujours fidèles à l'amitié. Salut

08 Rabia Second 1326

Suit le cachet de l'auteur.

Pour traduction conforme,
signé: MIRANTE.



Copie textuelle

الحمد لله وحده

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الحاج محمد بن محمد عبية الفلي بلسانه وصل الى روضة الشيخ الكامل القطب
الرباني الشريف الحسني الذاكر على الله بجاه الحاج سيدي مولاي محمد
بن عيسى وتلاقا مع اولاد الشيخ ودعوا محمد بخير غاية وحسنوا محمد تحكم
تحسنوا محمد وتطلاوبيه وتوفروه وتعينوا به على وجه الشيخ الكامل
وبعد سلامنا على الفقراء كافة وكبيرهم الشيخ ماود وهم الشرفاء والا الشيخ
يدعوا محمد بخير في ضريح جدهم الكامل عند الله وبعد وصلنا خبركم
يصلكم السر ويسب للشيخ وحسن معهم ولكن لا بد من الفقراء اذا
وصل اليهم احد لا بد لهم ينبشا على نسبته واعلم بان النسب الشيخ لا
يخفى واعلم بان كناس فريب على اهل الحب وهذا عيب عليكم لا تصل للشيخ
من عندكم لا زيارة ولا كسوة ولا تتكلوا اولاد الشيخ لا بقليل ولا بكثير والله لا
نرضى عليكم هذا لانكم محسبين وكسبين للشيخ انتم واولادكم لاكن
دخلنا الشك في نسبتكم على الشيخ من هذا التاريخ لا يصلنا من عندكم لا قليل
ولا كثير لان الشيخ مقام عال عند الله ونحن على محبتكم والسلام وفي تسعة
ايام من جماد الثاني عام 1293

عبد ربه الحاج العسالي مقدم الروضة
وجماعة اولاد الشيخ كافة اصلحهم الله

Sous réserve conforme
Beurier

المجموعة الخامسة

1- الصراع بين فرنسا الاستعمارية والطريقة السنوسية على أرض الجزائر (الوثيقة الأصلية ونسخها) انظر الترجمة أعلاه .

2- نسخ الوثيقة .

3- وثيقة إعلان السلطان العثماني الحرب على فرنسا وبريطانيا وتكليف السيد أحمد الشريف السنوسي بإفريقيا . (وثيقة بالعربية)[1] .

---

(1) انظر : وثيقة إعلان الجهاد من طرف أحمد الشريف .

Jean- louis Triaud,La légende noire de la sanusiyya (une confrérie musulmane saharienne sous le regard français (1840- 1930) volume II Institut de recherches et d'études sur le monde arabe et musulman, Aix - en- Provence (IREMAM); éditions de la maison des sciences de l'homme, PARIS FRANCE 1995. p: 973.

ALGÉRIE

VILLE D'ARRONDISSEMENT

DE CONSTANTINE

COMMISSARIAT CENTRAL

DE POLICE

N° 4129

OBJET :

Affaire religieuse

Confrérie religieuse

Constantine, le 11 Xbre 1876

Monsieur le Préfet

Vous avez bien voulu me communiquer la instructions de Monsieur le Gouverneur Général au sujet de l'attitude hostile des Tolbas et me demander quelques renseignements sur la secte religieuse de la Kouria.

A la Date Du 12 Avril 1874 j'adressais à Monsieur le Maire de Constantine le rapport suivant sur la Kouria :

Le Nommé Si Mohamed El Kouri natif Dans une tribu près de Mezouna (Kabylie) ou il fit ses études. Il s'adonna ensuite Durant Dix ans, dit-on, au grand savoir. A l'âge De 35 à 40 ans il quitta sa tribu de Mezouna et fit le pélerinage de la Mecque. Arrivé Dans cette ville, il s'y fit remarquer comme prêcheur et comme le prophète Dotué à combattre l'Antechrist. Les Arabes avant en effet qu'à la fin Du monde qui Doit arriver Dans cinquante ans, une grande famine se répandra sur toute la terre, la dévastera en tuera les habitants. La Mecque seule sera exceptée quelques temps et pendant cette période

Monsieur le Préfet Constantine

[illegible]

Depuis cette époque l'attitude de cette race n'a été ni modifiée ni aggravée. Elle n'a pas cessé de manifester dans le Bornou et le Makkadam, mais en dépit [illegible] aucun succès n'a été remporté par les nouveaux envahisseurs qu'on a dû considérer comme les maîtres du pays. Ainsi la plus grande confusion règne dans le Bornou.

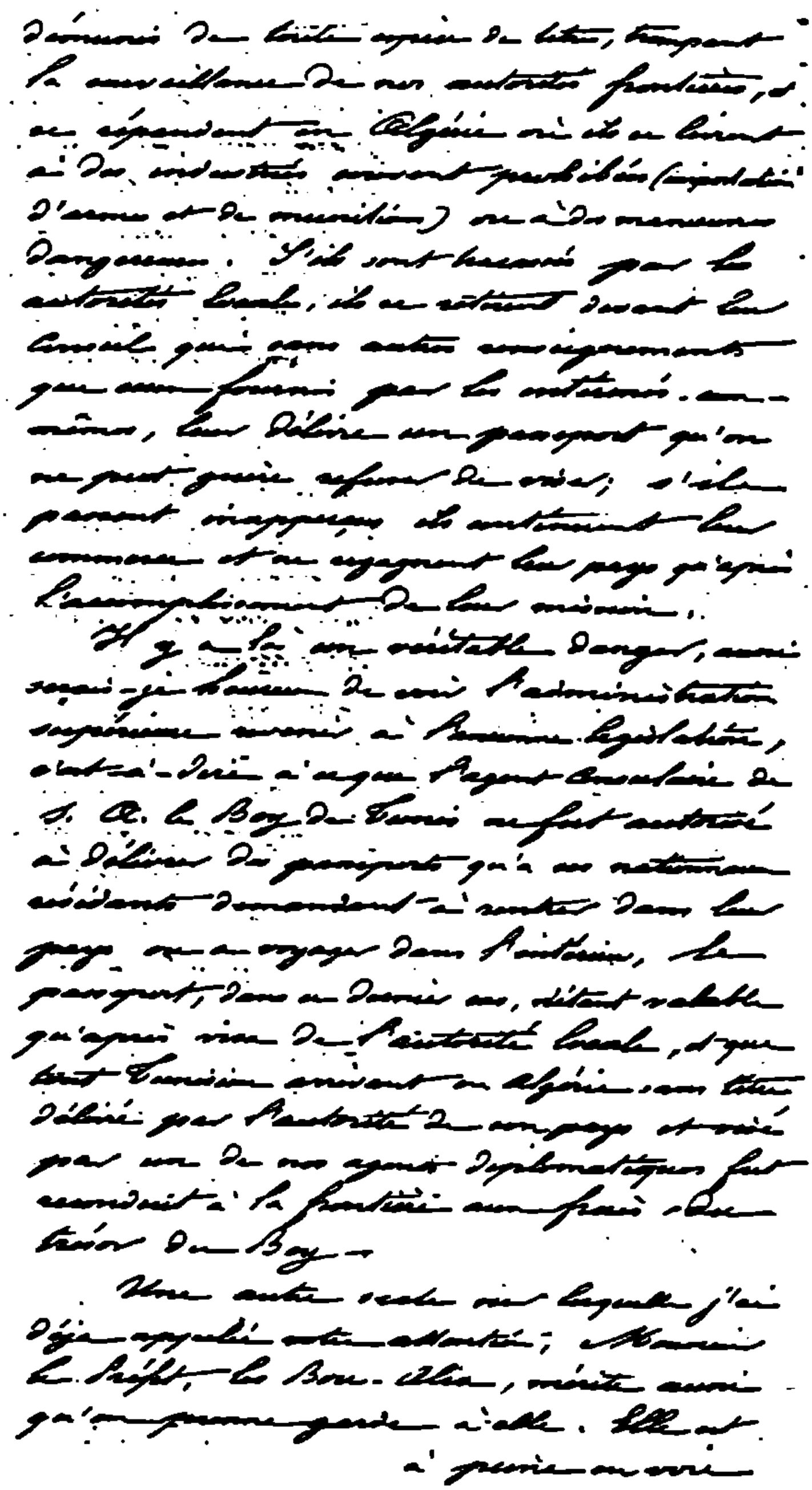
Du 24 Novembre au 4 Décembre 1876, 31 de ces individus, formant la tête de la piste de Ouadaï, de Kobé, Maro, Abougoudam, Dar Tama étaient arrêtés pour vagabondage. La plupart d'entre eux sont venus à Khartoum, alors qu'ils ne pouvaient pas ignorer qu'ils seraient saisis à leur [illegible].

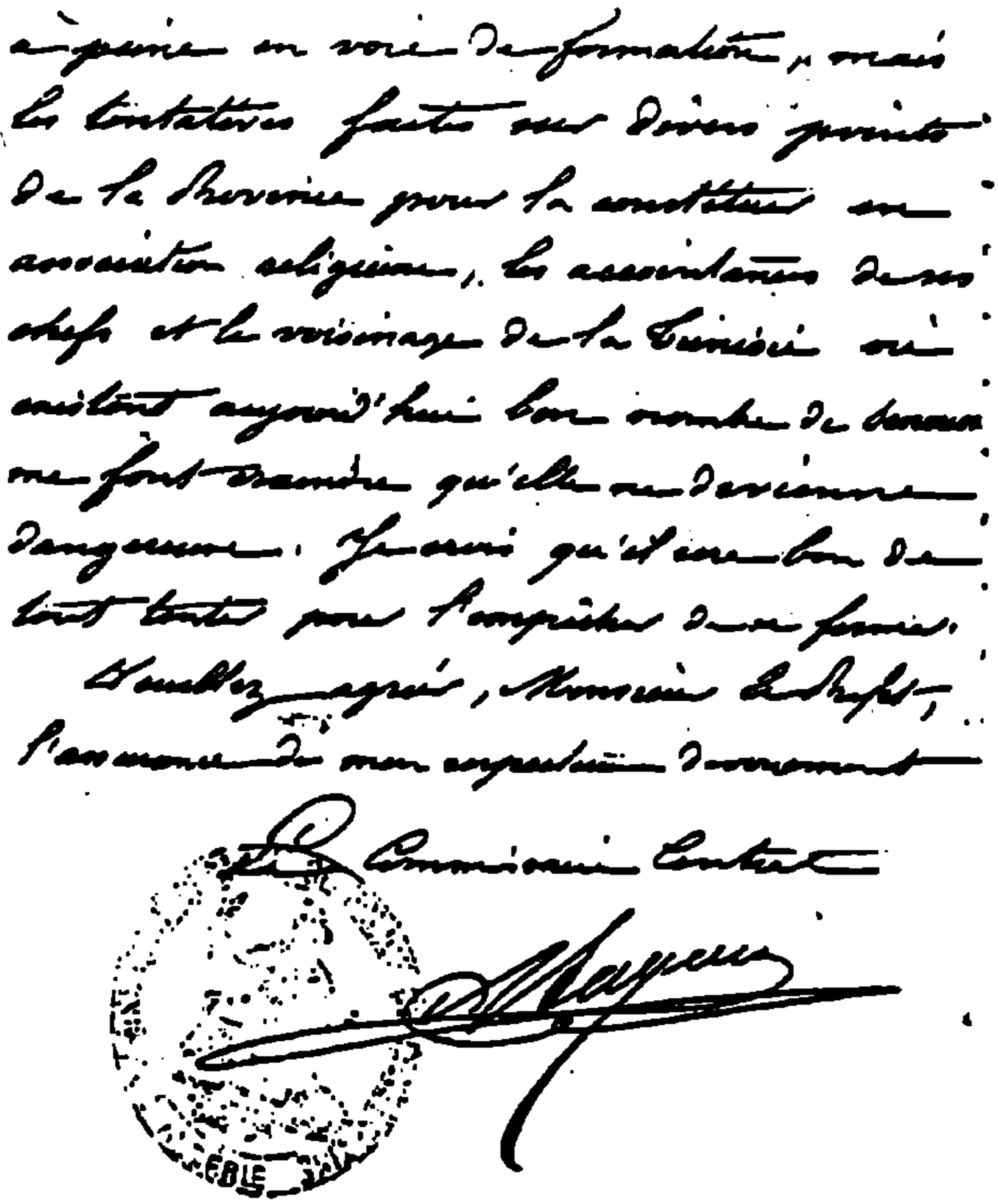
Les autres sont originaires tels que les Kouara, de Dar Abouchara, les Birgua, les Awaka (Gaberma) les Tajini, les Foukara de Dar Banda Birgua (Gaberma) contiennent des pratiques non pas moins d'analogie d'origine avec celles des Kouara et les Foukara de Dar Banda. Les Birgua et les Foukara de Dar Banda paraissent également devoir être considérés comme de la même [illegible]. Ils ont [illegible] de la même [illegible] et de Kabyle (pour les Foukara) dont ils ne nous garantit la fidélité. Mais ce qui semblerait indiquer, selon moi, d'identité et de même origine, c'est que les noms de Dar Banda, de Dar Makkadam [illegible]

un prétendu Roi, originaire de la Tunisie
du Maroc et même de l'Algérie, qui -
une province de quelconque
possèdent la ville et le titre, exhibent la
liberté, actuellement la fonction, sous
d'éminents auspices toute dépendance
la protection à la existence.

Il n'est pas nécessaire, Monsieur
le Préfet, d'appeler une seconde fois votre
attention sur le danger que présente et la
difficulté que nous crée l'autorité abusive
accordée à l'agent Consulaire de S. A.
le Bey de Tunis à Bône de délivrer des
passeports à des nationaux résidant en
non résidant voyageant à l'intérieur de
l'Algérie. Aux termes des règlements
notamment de la loi du 10 Vendémiaire
an IV et de l'ordonnance générale du
23 Août 1816, maintenue dans ses dispositions
principales par la circulaire du 1er Mars
1858 et expliqué par celle du 23 Août 1859
le changement survenu dans votre domicile
doit être muni d'un titre de voyage délivré
par les autorités de leur pays et visé de
vous de Rue de vos agents Diplomatiques
à Pétersbourg. Il n'y aurait d'exception à
cette règle que pour les habitants de pays
qui jouissent d'un établissement fixe
Bastion à Tanger, ont pour seule
nationalité des intérêts, ont pour
chefs les Consuls, ont pour unique but
passer

Il n'en est pas ainsi avec Tunis, Ses
sujets de Tunisie quittent leur pays
librement sans





نص الوثيقة المترجمة (من نسخنا)

Constantine, le 14 octobre 1876

ALGERIE

VILLE & ARRONDISSEMENT

DE CONSTANTINE

COMMISSARIAT CENTRAL

DE POLICE

N° 4429. Monsieur le Préfet

OBJET

Affaires Indigènes

Confréries religieuses.

Vous avez bien voulu me communiquer les instructions de Monsieur le Gouverneur Général au sujet de l'attitude hostile des Senoussia, et me demander quelques renseignements sur les autres sectes religieuses de la Provence.

A la date du 12 avril 1874 j'adressai à Monsieur le Maire de Constantine le rapport suivant sur les senoussia:

Le Cheik Si Mohamed El Senoussi naquit dans une tribu prés de Mequinez(Maroc), ou il fit ses études, Il s'adonna aux sciences et devint, dit-on, un grand savant, à l'âge de 35. Ā 40 ans il partit à pied de Mequinez et fit le pèlerinage de la Mecque, arrivé dans cette ville, il s'y fit annoncer comme prêcheur et comme le prophète destiné à combattre l'Antéchrist, les arabes croient en effet qu'à la fin du monde qui doit arriver dans onze ans, une peuplade sauvage se répondra sur toute la terre, la dévastera et en tuera les habitants. La Mecque seule sera respectée quelque temps et pendant cette période vint enfin se faire au Djebel Lakhdar montagne située prés de Benghazi (Autrefois Bérenice), port de mer de la Tripolitaine), sur cette montagne il fit construire une mosquée qui porte son nom, et recommença ses prédications. Il trouva de l'écho parmi les populations ignorantes de cette contrée qu'il ramena bientôt à ses doctrines, et finit par les dominer.

Tout ce pays est rallié aujourd'hui à la secte d'El Senoussi qui est

respectée et vénérée, on jure par lui comme par le prophète. El Senoussi était marié et a eu trois enfants, le plus jeune, âgé de 34 ans, a hérité de son influence et régît la mosquée de son père.

à Constantine le Cheik senoussi à un certain nombre de partisans. Tous les Fazani jurent par lui et font la prière selon ses doctrines. D'autres habitants de Tripoli suivent ses enseignements, mais ils n'ont pas de mosquée ni de Mokadem,ils correspondent directement avec le fils d'El Senoussi à la mosquée de Djebel Lakhdar ou a été inhumé le Chéik.

La prière selon le rite El senousi éxalte beaucoup les croyants, elle ressemble presque aux anciennes pratiques des inspirés. On ne saurait trop dire cependant que ces pratiques aient un but hostile à la domination de la France. J'ajouterai néanmoins que le Chérif Abdallah qui du sud de la Tunisie vient faire de fréquentes excursions sur notre territoire (Tuggurt, Souf,Oued) et parent de cette famille, et a ce titre la secte El Senoussi mérite d'être activement surveillée.

Depuis cette époque l'attitude de cette secte ne s'est ni modifiée ni aggravée. Elle n'a pas encore de mosquée dans la Provence, ni de Mokkadem, mais ses adeptes sont assez souvent visités par des Marocains et Tunisiens qu'on est en droit de croire porteurs de messages. aussi la plus grande surveillance est- elle exercée à l'égard de ces derniers.

du 24 novembre au 4 décembre 1876, 31 de ces individus, démunis de tous papiers de sûreté, de tous moyens d'existence, sans domicile fixe, et dont nous étions en droit de suspecter les allures, ont été livrés au parquet sous l'inculpation de vagabondage.

La plupart d'entre eux sont encore à l'instruction, et je ne doute pas que des mesures sévères ne soient prises à leur égard.

Les autres sectes religieuses telles que les Kouans de Sidi Abderahman, les Aissaoua, les Ansala (Constantine) les Tejani, les Foukras de sidi Amar Bousenna (Guelma) continuent leurs pratiques sans que rien d'extérieur dénote chez elles de l'effervescence. les Aissaouis et les Foukras de Sidi Amar ne paraissent néanmoins devoir être surveillés de très prés, en raison de leur composition. Ces sectes comptent, en effet dans leur sein, un grand nombre de Tunisiens et de Kabyles (pour les Foukras) dont rien ne nous garantis la fidélité. Mais ce qui conviendrait surtout, selon moi, d'interdire et de réprimer au besoin, ce sont les voyages de ces Chérifs, de ces Mokkadem ou prétendus tels, originaires de la Tunisie, du Maroc et même de l'Algérie, qui sous prétexte de quêtes chez leurs coreligionnaires parcourent les villes et les tribus,exploitent la charité, entretiènnent le fanatisme, servent d'émissaires aux partis hostiles et prédisposent les populations à la résistance.

Et à ce sujet permettez- moi, Monsieur le préfet, d'appeler encore une fois votre attention sur les dangers que présente et les difficultés que nous crée l'autorisation accordée à l'agent consulaire de S. A. Le Bey de Tunis à Bone de délivrer des passeports à ses nationaux, résidants ou non résidants,

voyageant à l'intérieur de l'Algérie, aux termes des règlements, notamment de la loi du 10 Vendemiaire an IV et de l'instruction générale du 23 Août 1816, maintenue dans ses dipositions principales par la circulaire du 1er Mars 1858 et rappelée par celle du 13 Avril 1871, les étrangers arrivant en France devaient être munis d'un titre de voyage délivré par les autorités de leurs pays et revêtus du visa de l'un de nos agents diplomatiques à l'étranger.

Il n'y avait d'exception à cette règle que pour les habitants des frontières qui passent et repassent habituellement d'un territoire à l'autre, soit pour exercer momentanément leur industries,soit pour écouler leurs denrées, soit pour visiter leurs parents.

Il n'en est plus ainsi avec Tunis, bon nombre de Tunisiens quittent leur pays démunis de toute espèce de titres, trompant la surveillance de nos autorités frontières, et se répandent en Algérie ou ils se livrent à des indusries souvent prohibées(importation d'armes et de munitions) ou à des manoeuvres dangereuses. S'ils sont harcelés par les autorités locales, ils se retirent devant leur consul qui sans autres renseignements que ceux fournis par les intéresses- eux mêmes, leur délivre un passeport qu'on ne peut guère refuser de viser; s'ils passent inaperçus ils continuent leurs commerce et ne regagnent leur pays qu'après l'accomplissement de leur mission.

Il y a là un véritable danger, aussi serais- je heureux de voir l'administration supérieure revenir à l'ancienne législation, c'est - à- dire à ce que l'agent consulaire de S. A.. le Bey de Tunis ne fut autorisé à délivrer des passeports qu'à ses nationaux résidants demandant à rentrer dans leurs pays ou à voyager dans l'intérieur. le passeport, dans ce dernier cas, n'étant valable qu'après visa de l'autorité locale, et que tout Tunisien arrivant en Algérie sans titre délivré par l'autorité de son pays et visé par un de nos agents diplomatiques fut reconduit à la frontière aux frais du trésor du Bey.

Une autre secte sur laquelle, j'ai déjà appelé votre attention, Monsieur le Préfet, les Bou- alia, mérite aussi qu'on prenne garde à- elle, Elle est à peine en voie de formation, mais les tentatives faites sur divers points de la Provence pour la constituer en association religieuse, les accointances de ses chefs et le voisinage de la Tunisie où existent aujourd'hui un bon nombre de Senoussis me font craindre qu'elle ne devienne dangereuse. Je crois qu'il sera bon de tout tenter pour l'empêcher de se former.

Veuillez agréer, Monsieur le Préfet, l'assurance de mon respectueux dévouement.

le commissaire central

MAYERCO.

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب المرشد الكبير ورجا الاسلام الخطير القائم بالجهاد في سبيل الله والتمسك بشريعة محمد رسول الله نجدة العمايلة السنوسية ورفع راية النبوة

الاستاذ العظيم السيد احمد الشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصلني مكتوبكم بجميع ما عرضتم

سلوه مال والحمد لله على ما انعم به من نصركم وتأييدكم فنسأله دوام ذلك لكم بجميع المسلمين وانكم ايها السيد على علم تام مما جا بالعالم الاسلامي

من اعداء الله سيما الفرنسيس والانكليز والموسكوف فقد عقدوا النية على بحر وبر وسياسة واوفر جهدهم وراء ذلك واعلم ان يطفئوا نور الله

بافواههم ويكره الله نصف وابى الا ان يتم نوره فنحن على اعدائه واعداء دينه بمرتبة تعالى واثبت بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة

ويظهر هذه الحرب العجوز بينهم ويملك العالم الاسلامي من فرضة قالوزيم بها الزمان وبما قلدني ربي وعلى من شرف الخلافة الاسلامية

ويجب على كل مسلم الفرض ان ينتدب لها ويقيم الجهاد في سبيل الله لتخليص الاسلام ورفع شانه بين البرية فقد بادرت باعلان الجهاد على الموسكوف

والانكليز والفرنسيس معتمدا على الله ومستمدا من مدد رسول الله وامرت كل المسلمين حيثما كانوا ان يشاركوا في ذلك كل بحسب استطاعته

حسبما امر الله كما قال وهو اصدق القائلين ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله ويقتلون

المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين وانفقوا في سبيل الله انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم

في سبيل الله وهاكم عز بسيد الدين الحنيف والاخلاص فيه والصبر من الله علينا وعليكم وايانا بالنصر والظفر وبان نحضركم من اقاصي

بلاد الخلافة ودعايم الاسلام فقد اتيتكم واتيتكم مقاربة لاقامة الجهاد في سبيل الله مع الاسلام المنتشرين بطرفكم الى نهاية الجزيرة

الغربية الشمالية واوصي جميعهم بالسمع والطاعة لكم والاتفاق حولكم للقيام بهذا الشان الخطير بالنفس والمال الذي باقامته حياة

كل الاسلام وتامين مستقبله وبامهاله محو لاقدر الله وكل من شذ عن ذلك فقد سقط في وعيد قول النبي الاعظم صلى الله

عليه وسلم من شذ شذ في النار. فعلى الاسلام كافة ان يتحدوا ويتفقوا ويعملوا بقول الله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا

ولا تفرقوا والله يؤيدنا وينصرنا بسر نبيه الامين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين

المجموعة السادسة

نماذج من سياسة فرنسا التعليمية بالجزائر

1- وثيقة وتقرير ألفريد بيل .

2- تعليم الفرنسية في الكتاتيب القرآنية .

3- قصاصة من وهران الجمهورية حول وضعية التعليم في الجزائر عام 1937م .

NOTE SUR L'ENSEIGNEMENT OFFICIEL ARABO-MUSULMAN EN ALGERIE
(Medersas et Médersas)

Des modifications s'imposent tant pour les cours des mouderrès que pour l'enseignement arabe-musulman des Médersas en raison des 1°- l'importance de l'enseignement de l'arabe tel qu'il est donné aux élèves des écoles primaires d'Indigènes; 2°- Le manque d'unité dans les programmes et les méthodes d'enseignement dans les trois Médersas, programmes et méthodes qui doivent être rendues plus modernes et plus en rapport avec l'évolution des études islamiques.

Le relèvement des études arabes dans les Médersas dépend l'essentiel de celui des cours des Mouderrès, on examinera d'abord le cas des Mouderrès.

1°)- L'enseignement des Mouderrès officiels tel qu'il est donné aujourd'hui, ne répond ni au désir des parents, ni aux vues de l'Administration. Si dans le département d'Oran il donne quelques résultats et a triomphé parfois des écoles libres "badicistes", il n'en est pas de même dans le département de Constantine, où j'ai pu le constater notamment à Sétif, Constantine, Djidjelli et Bougie. Il faut tenir moins au savoir des Mouderrès, que je crois souvent supérieur à celui des badicistes, qu'à un manque d'organisation rationnelle de cet enseignement. On doit en préciser des points suivants :

A- Les Mouderrès doivent réunir les titres et qualités suivants :

a) avoir le diplôme d'Etudes Supérieures des Médersas (ne jamais nommer en échange des Médersas, parmi les étudiants venus d'Universités musulmanes étrangères). Pour former cadre de candidats (tant pour la fonction de mouderrès que pour celle de bachaouat) il faudrait porter le recrutement de la 10ème année [illegible] 20 ans au plus qu'on décomposerait entre : 9 - les 3 premiers de chaque médersa aux examens du diplôme de la 4ème année + 9 ou 10 autres, recrutés au concours (à Alger, devant un jury de professeurs des trois médersas) parmi les anciens élèves, diplômés de 4ème année depuis trois ans au plus.

b) avoir une formation pédagogique qui leur manque aujourd'hui. On la leur donnerait par des professeurs spécialistes (de la Bouzaréa, par ex.) donnant quelques heures aux élèves de la D.S. à la Médersa d'Alger).

c) avoir l'habitude de la conférence, de la causerie en arabe sur un sujet parlé et devant un public, au lieu d'être toujours rivés à un texte qu'ils se bornent à expliquer.

C'est cette facilité de parole et d'exposition en arabe moderne qui fait la force et assure la réussite des mouderrès libres venant de l'Université Az Zitouna de Tunis.

Il faudrait introduire le discours arabe au programme dès la 4ème année de Médersa, en 5e et 6e et l'inscrire parmi les matières d'examen (ainsi que la pédagogie) pour l'obtention du diplôme d'Etudes supérieures des Médersas.

d) montrer la plus grande exactitude dans leur service et ne jamais perdre de vue qu'ils travaillent à former les jeunes générations musulmanes dans l'attachement à la France. Beaucoup sont capables de le faire déjà.

B - L'enseignement .Quand un Mouderrès exerce seul dans une ville il doit consacrer un tiers du temps de son enseignement aux hommes et deux tiers aux jeunes écoliers (ceci est conforme à la circulaire gouvernementale de 1918) et à l'école primaire d'Indigènes. Des changements doivent intervenir dans les horaires et les programmes.

.....

semaine; un professeur de théâtre et lycée en fait environ 18; le mouderrès devrait avoir de 20 à 22 h. de service par semaine. Il donnerait environ 6 h. par semaine aux hommes, à la Mosquée; le reste irait aux écoliers indigènes.

Au lieu de la réglementation actuelle de l'enseignement du mouderris aux élèves de l'école, facultatif et en dehors des heures de classe, une réglementation nouvelle prise d'accord avec le Recteur serait instituée dès Octobre 1936 : 1° l'enseignement de l'arabe classique par le mouderris se fait obligatoire pour les classes primaires des cours élémentaires 2e année : 3h 1/2. - Cours moyen 1er et 2e année, chacune 2 h. - Cours Supérieur : 2h 1/2 - Cours complémentaire: 2h 1/2. A ces dix heures 1/2 par semaine à l'école, le mouderris ajouterait de 5h. à 6 h. à des jeunes musulmans fréquentant en nombre les écoles françaises, qu'il réunirait soit à la mosquée, soit, de préférence, dans un local indépendant et outillé pour cet enseignement. 2° Cet enseignement de l'arabe à l'école serait incorporé à l'enseignement général et se ferait aux heures habituelles de cet enseignement.

Ce n'est qu'à ce prix que l'enseignement du mouderris donnera des résultats que l'on répondra à un désir des parents indigènes que je leur ai entendu m'exprimer pendant une quinzaine d'années au moins, que l'on pourra enfin tenter de réduire l'enseignement libre des maîtres hadistes qui ont échappé et payant [illegible]

(1) Je tiens à souligner l'enseignement libre, tous les renseignements [illegible] recueillis confirment cette poussée dans l'Afrique française sous [illegible] signataires de rapports, M. Bernard, J. Hanoteau, etc...] le développement [illegible] l'enseignement libre dans l'ouest algérien, contre la France [illegible] on de [illegible] qui fonctionnent surtout à Djidjelli [illegible] Il serait [illegible] de trouver par [illegible]. On se serait demander un tel [illegible] des Mouderris officiels qui ne jouissent même pas bien souvent de [illegible] les écoles libres, politiques, des lois laïques de [illegible] les instituteurs indigènes [illegible] aux inspecteurs primaires et [illegible] on est pas qui développement [illegible] l'enseignement de

[illegible] Les Mouderris actuellement sont soumis aux seules.....directives que leur donnent - ou ne leur donnent pas - leurs inspecteurs, les directeurs des trois Médersas. Il s'ensuit une certaine diversité, disons une incohérence fâcheuse dans les horaires, les programmes et les manuels employés.

Il y aurait lieu, après entente entre les Directeurs de Médersas, d'unifier (avec une certaine souplesse toutefois) les programmes et les manuels classiques principalement.

Le programme d'enseignement aux adultes à la Mosquée, pourrait comprendre : a - langue et littérature arabes (suivant les méthodes et les livres d'arabe moderne du Caire et de Syrie); b -théologie et droit religieux suivant les ouvrages habituels des Malékites; c - une causerie-conférence d'une heure chaque semaine, sur un sujet d'histoire religieuse, politique ou littéraire de l'Islam et surtout de l'Islam Nord-africain (en écartant soigneusement les récits tendancieux des historiens réformistes et nationalistes comme Ahmed Taoufik El Madani, ou Mubarek el-Mili).

Pour les écoliers le programme comporterait uniquement l'enseignement de la grammaire et de la langue moderne, suivant la norme de la pédagogie occidentale (devoirs, leçons, exercices etc..) comme le font d'ailleurs la plupart des jeunes Mouderrès et en se servant sur les ouvrages modernes publiés au Caire et à Tunis. Un choix de ces ouvrages pourrait être fait sur les indications des Directeurs et des jeunes professeurs d'arabe des Médersas et une liste établie en serait imposée aux Mouderrès de façon à donner une unité qui manque totalement à cet enseignement.

Il est entendu que, à l'inverse des Mouderrès libres et réformistes, qui attaquent le maraboutisme et parfois (comme à Tlemcen) le Maqlid malékite au profit de l'Idjtihâd, les Mouderrès officiels, dans leurs leçons, devraient rester dans la tradition

....

du malhab malékite, ainsi que dans le respect du maraboutisme et des confréries religieuses. Ils ne furent pas non plus de politique, ni nationalistes, ni autres.

Pour la mise en oeuvre de ces réformes il faudrait que les Medersas relèvent, pour leur service à l'école, l'application des horaires, dans les limites de l'autorité du Directeur de l'école; pour l'enseignement, des Directeurs de Médersas, leurs inspecteurs du point de vue politique, de leur vie publique et privée, du Sous-Préfet ou de l'Administrateur de la Commune.

II .- L'Enseignement des Médersas.- Le mouvement de rénovation des Etudes Islamiques, entrepris par Cheikh Mohamed 'Abdou, vers la fin du siècle dernier, en Egypte, a emprunté à l'Occident ses méthodes et ses manuels scolaires. Pour vivifier la langue arabe, si riche en mots et si pauvre quand il s'agit d'exprimer des idées et des faits précis, pour en faire une langue de culture, les Egyptiens et les Syriens s'efforcèrent de forger les mots nécessaires à l'expression de la pensée et des idées modernes, en se servant de radicaux arabes; ils en ont aussi simplifié la grammaire. Cette langue nouvelle, cet arabe moderne sera désormais fixé dans son vocabulaire, grâce à l'institution récente de l'Académie arabe du Caire. Ces intéressantes transformations de l'enseignement et de langue arabe en Egypte se sont propagées en Syrie et en Tunisie,puis en Algérie. Les Médersas n'y sont pas restées indifférentes. Depuis plusieurs années à Tlemcen, dès l'entrée à la Médersa du jeune professeur Mouliéras, méthodes et manuels égyptiens ont pénétré dans les cours de langue et littérature arabes. M. Mouliéras, aujourd'hui à Alger, excellent dans cette voie,tandis que son successeur à Tlemcen, M. Chemakh,et aussi son jeune collègue M. Mouhli, poursuivent leur enseignement suivant

425

ces mêmes principes. Une entrevue que j'ai eue à Constantine, avec le jeune professeur Ben Azzouz de la Médersa m'a montré que celui-ci était en train d'y renouveler dans le même sens, l'enseignement de la langue arabe. Ces tentatives isolées méritent mieux que d'être encouragées; elles doivent être généralisées, unifiées, coordonnées dans des programmes nouveaux.

D'autre part, il faut aussi relever progressivement le niveau des études des Médersas. Mais ce relèvement se fera aisément au fur et à mesure que se relèvera le savoir en arabe des candidats mieux préparés, lorsque sera appliquée la réorganisation proposée de l'enseignement des Medersas.

Les décisions à prendre pourraient l'être sur des propositions concrètes faites par le conseil des Professeurs de chaque Médersa et revisées par la réunion des Directeurs (avec adjonction d'un professeur de langue arabe de chaque Médersa).

Ces propositions porteraient sur les points essentiels suivants : 1°- Fixation d'un programme des études arabo-islamiques : On pourrait prendre comme base de discussion pour la langue et la littérature arabes, le programme actuellement en vigueur à la Médersa de Tlemcen. On introduirait en outre, en 4e,3e,2e année, une heure par semaine de "discours arabe" pour accoutumer les élèves à parler correctement en public, sur un sujet donné.

L'étude du droit musulman et de la théologie dans nos Médersas est à répandre sur des bases nouvelles, en partant de ce principe qu'il faut que les élèves aient une idée d'ensemble des origines et du développement de l'Islam, des sectes, écoles et schismes, parallèlement à l'étude pratique de la doctrine et de la loi, selon les manuels officiels en usage jusqu'ici.

2°- Détermination des méthodes (traditionnelles, type égyptien moderne) d'enseignement et des manuels ou livres scolaires à inscrire au programme de chaque année de Médersa.

On fera une part à l'étude des textes littéraires arabes des époques classiques (notamment mamlouke et abbaside) et aussi surtout à l'arabe moderne et aux ouvrages publiés au Caire et en Syrie depuis une trentaine d'années. Il faut que l'élève se accoutume pas à ne voir dans la langue arabe qu'une abondance synonymie servant à la parure d'un verbiage, vide d'idées et vague de sens mais qu'il arrive à exprimer avec simplicité et clarté les idées et les faits.

3°- Dans les matières françaises actuellement enseignées on ajouterait (en 5e et 4e année), selon un vœu des Directeurs des Médersas en décembre 1934, la pédagogie qui manque totalement aux medersas.

On verrait aussi accorder relativement une plus large place à l'enseignement de l'histoire de l'Islam et de sa civilisation -surtout en Espagne et en Afrique du Nord- conduite parallèlement avec celle de la France.

II .- Une action Générale : Cette fonction n'existait autrefois que pour les Médersas; elle doit être rétablie et étendue aux Medersa qui demeureraient cependant soumis à l'inspection des Directeurs des Médersas. Contrôlant l'enseignement, l'Inspecteur Général veillerait à l'application des méthodes, programmes et manuels imposés; il donnerait à ces enseignements le lien et l'unité d'action qui leur manquent. Il aurait aussi à se renseigner sur l'activité politique, religieuse et sociale des cellules "Badissien". Il adresserait chaque année à M. le Gouverneur Général un rapport officiel sur le fonctionnement des Médersas et des cours des medersas ainsi qu'un rapport confidentiel sur les écoles libres et les cellules badissiens.

Un tel fonctionnaire ne devrait être qu'un Français d'origine habitant l'Algérie; il serait assez versé dans la connaissance de l'arabe pour suivre une leçon ou une conférence d'arabe classique, pour faire par lui-même de l'information directe, en arabe, chez les indigènes. Pour l'instant, je ne vois guère que ... Derbe, professeur à la Faculté des Lettres d'Alger qui puisse tout en conservant sa fonction être chargé d'une telle mission./.

Alfred BEL.

PREFECTURE D'ALGER
Dre d'Information et d'Etudes
N°564 C.I.E.

COPIE

Alger, le I9 Mai I94I.

N O T E

sur l'enseignement du Français dans les écoles coraniques.

(Cette note remplace la Note 5IC du 6 Mai I94I).

15/D/4

SITUATION ACTUELLE.-

Le Projet HARDY, qui prévoit la scolarisation complète, d'ici à une dizaine d'années, de toute l'enfance musulmane les v les, a reçu le meilleur accueil, et sa réalisation fera beaucoup pour l'intégration définitive de l'Algérie dans l'Unité Françai

Il ne s'agit cependant, pour le moment, que d'un projet. Sa mise en application laissera subsister, pendant plusieurs a nées, un nombre important de jeunes citadins non scolarisés (2.0 à 3.000 actuellement à Alger). Ces enfants, appartenant pour la plupart à des familles misérueuses, traînent à longueur de jou dans les rues au grand détriment de leur santé physique et mo Leurs parents s'inquiètent de leur avenir, dont ils accusent l' ministration de se désintéresser.

Les maîtres d'écoles musulmans recueillent dans la faible mesure de leurmoyens, une partie de ces enfants (I). Mais la s tuation de ces maîtres devient de plus en plus précaire, nomb de familles n'ayant plus les moyens de leur verser, chaque mo les dix francs accoutumés. L'amertume qu'ils en ressentent ne fait pas, de ces maîtres, des collaborateurs enthousiastes du R dressement National. Ils ne savent, d'ailleurs, enseigner que éléments d'Arabe coranique. Leurs élèves restent ignorants du Français, désarmés pour l'existence, accessibles à toutes les p pagandes pernicieuses.

PRINCIPE DE LA SOLUTION ENVISAGEE.-

Un palliatif peu coûteux pourrait être trouvé par l'utili- tion, au mieux des possibilités, des écoles coraniques exista Le principe serait le suivant:

I°/ Faciliter le fonctionnement des écoles coraniques ex tantes par une interprétation libérale de leur réglementation qu'en local pour lequel les services d'Hygiène ont limité à 25, par exemple, le maximum des élèves, en recueille une trentaine, cela met-il en danger la santé publique? De même le refus de l'hygiène publique, les enfants ne sont-ils pas mieux dans une école, même fermée, que dans la rue? Le souci que nous montrons du cubage d'air des écoles ne risque-t-il pas d'appara tre comme une dérision aux habitants de certains douars?

2°/ Demander, en contre-partie, à ces écoles, la prévoir un enseignement rudimentaire de notre langue (lecture, écriture, calcul (au moins deux heures par jour, voire un peu d'arithm

(I)- Statistique des écoles coraniques en I938:

Ecoles:	3.I46 en Algérie,	dont 352	dans le département d'Alger
Maîtres:	3.I89	"	" 357	" "
Elèves:	30.293	"	" 7.524	" "

Le Département de Constantine compte I.373 écoles, avec

[illegible]

Il est douteux qu'aucune école indigène puisse prendre à sa charge le rémunération d'un maître de Français. Dans quelques cas, on trouvera peut-être des personnes de bonne volonté pour assurer gratuitement cet enseignement. Le plus souvent, il faudra payer ces maîtres, mais deux jeunes gens du niveau du brevet élémentaire suffiraient largement. Dans la plupart des cas, ils se contenteraient sans doute d'une mensualité de 800 francs par exemple. Chacun d'eux se consacrerait le matin à une école, l'après-midi à une autre, ce qui réduirait à 400 francs par mois la subvention mensuelle de chaque établissement (1).

La tâche de ces maîtres devant être, non seulement d'instruire mais d'éduquer, il est indispensable qu'ils soient Français. Un indigène, même d'un niveau supérieur, ne saura jamais implanter l'idée française comme le fera un jeune métropolitain.

Dans certains cas, il faudrait également accorder aux écoles, soit une subvention pour améliorer leur installation, soit une quote-part du loyer. Il ne s'agirait, en tous cas, que de sommes assez minimes en regard des services qu'on est en droit d'en attendre pour la diffusion de l'idée française.

CONTROLE ET SURVEILLANCE.-

Il est douteux que les principes administratifs permettent à l'Université de se charger du recrutement, du contrôle, et de la surveillance de ces maîtres de Français. Il faudrait, soit avoir recours à une personnalité française s'intéressant à la question, soit à une oeuvre privée, à qui l'on verserait les subventions nécessaires, et qui jouerait un peu le rôle que jouait naguère l'"Alliance Française" à l'étranger.

Un contrôle des maîtres français, on pourrait passer, progressivement et avec tact, au contrôle officieux des maîtres indigènes. Le problème essentiel serait, là encore, de choisir une personnalité ne portant ombrage à personne: le Cheikh Abderrahmane DJILALI, par exemple, mouderrès à Alger et professeur à la Chaïba, ferait peut-être l'affaire.

REPERCUSSIONS POLITIQUES.-

La mise en application de ce système, faite avec le progressivité et le doigté nécessaires, rencontrerait sans doute le meilleur accueil. Quelques écoles sont déjà entrées dans cette voie. Plusieurs autres s'offrent à les suivre. Tous les parents, sans exception, seraient heureux de voir leurs enfants apprendre le Français. Les instituteurs coraniques, dont la situation serait améliorée par cette intervention de l'Etat (car l'effectif de leurs élèves ne manquerait pas d'augmenter) ne pourraient que nous en remercier. Bien des enfants, enfin, condamnés actuellement à devenir des voyous auraient la possibilité de s'intégrer utilement dans le système social de l'Algérie française.

Sur tous les plans, il y aurait un bénéfice certain pour la collectivité et pour l'idée française.

...

(1) Il serait également utile qu'un jour ou l'autre l'Etat prît à sa charge l'assurance des élèves contre les accidents.

[illegible]

Plusieurs écoles, notamment [illegible], sont déjà entrées dans la voie que nous venons d'indiquer.

1°/ Il s'agit surtout de l'école "Ech-Chabiba" de la Casbah, école déjà ancienne, [illegible] fréquentée [illegible] par le Cheikh [illegible] et où l'enseignement fran[illegible] a pris, [illegible] sur l'initiative du Commandant [illegible] et grâce au dévouement de [illegible], une place importante.

L'école compte actuellement 4 maîtres auxiliaires: le Cheikh [illegible], son directeur, écrivain et poète de valeur, vient chaque jour de Blida. C'est un ami personnel d'[illegible], dont il partage les idées.

Le Cheikh [illegible], qui assure un enseignement au Collège du Sacré-Coeur, est originaire de Djidjelli. Très lié de guerre avec le Cheikh [illegible], il fut un collaborateur [illegible] de la revue "Ech Chihab". Il reste tout à fait "Oulema" mais semble nettement acquis à la politique de collaboration.

Le Cheikh [illegible], d'Aïn-el-Kebir, a un cousin germain [illegible] fusillé avec le Cheikh [illegible] avec [illegible] Mohammed.

Le Cheikh Abderrahmane DJILALI, enfin, mouderrès à la Mosquée Safir, ancien étudiant à la Zeitouna, parlant le Français, très évolué, représente un élément plus "administratif" que les précédents. Outre [illegible] de professeur [illegible], il a écrit un ouvrage sur celui-ci, très "algérien", très fidèle aux traditions musulmanes, il s'intéresse au folklore local et projette une mythologie [illegible] populaire. Diplômé, il aurait adopté les conceptions [illegible] une [illegible] version, il [illegible] "[illegible] entre" au multi, ou [illegible] la Commission du Culte. Il est lié avec le Cheikh [illegible]. C'est lui qui assure actuellement, et à titre gratuit, les fonctions d'imam de la grande mosquée [illegible] (1).

Deux autres déjà cités aux deux écoles pourraient assurer, le cas échéant, la fonction d'inspecteur officieux [illegible] libres musulmanes.

L'enseignement français est assuré à la "Chabiba":

a)- En classe enfantine, par Mlle. [illegible]
b)- En classe préparatoire, par Mme. [illegible]
c)- En classe élémentaire, par Mlle. [illegible]
d)- En classe de Certificat et en cours complémentaire, par Mlle. [illegible], qui a bien voulu [illegible], et une [illegible] d'arabe.

Ces professeurs sont payés de 7 à 8 [illegible] francs par mois.

e)- Les lundi et vendredi, [illegible] sont [illegible], car elles fonctionnent le jeudi et le dimanche, jours où les professeurs d'arabe [illegible] cette langue à [illegible] des écoles communales.

Les lundi et vendredi, donc, tous les élèves des 3 classes travaillent avec leurs professeurs de Français. Ceux-ci sont renforcés, ces jours-là, par Mlle. [illegible], qui touche 300 francs [illegible] travail. Il tous a, par ailleurs, 150 francs pour un travail [illegible] une heure et demie par jour à l'école [illegible].

...

(1) Le Cheikh [illegible] touche 45] francs à l'Etat [illegible]

[illegible] Prof. Le directeur [illegible] tout le diplôme, mais ils font également une heure ou une heure et demie de Français par jour. Des résultats ont été obtenus: plusieurs élèves ont pu se présenter au concours de la médersa d'Alger.

Le salaire des maîtres, le loyer de l'immeuble, son éclairage, etc.., représentent une dépense mensuelle de 2.000 francs environ, couverte en principe par des dons. Le déficit mensuel de plus en plus important, a été jusqu'ici couvert par la Maison des CHERCHALI. La situation de cette médersa est néanmoins précaire. Une aide de l'Etat serait particulièrement bien accueillie, et permettrait d'y organiser solidement l'instruction du Français (1)

4°/ Aïn-Bessem.- Un prêtre arabisant, l'Abbé AVIGNON, ami de Cheikh El OKBI, qu'il a contribué à aiguiller dans la voie de la collaboration, projette d'y fonder une école artisanale, pour laquelle il dispose d'un atelier, d'un préau, et d'un logement pour deux maîtres. Son rôle se bornerait d'ailleurs à lancer la chose pour rester ensuite dans la coulisse.

Il songeait, comme maître, à un Kabyle chrétien, mais son recrutement est à déconseiller, pour ménager les susceptibilités musulmanes. Un jeune Français, réfugié du Nord, élève de l'Ecole Industrielle de Lille, se propose comme maître et se contenterait sans doute d'une mensualité de 700 francs. Il lui faudrait l'aide d'un artisan indigène à 300 francs. Presque aucun des élèves ne pourra payer d'écolage. Une mensualité totale de 1.000 francs serait donc nécessaire pour faire fonctionner cette école, sans compter quelque mille francs pour son équipement.

-i-i-i-i-

Ce mouvement une fois lancé, d'autres écoles demanderont certainement à entrer dans le même voie.

-i-i-i-i-i-i-i-i-

(1) Le Conseil d'Administration songe à organiser une matinée au profit de l'oeuvre en même temps qu'au profit du Secours National

[illegible] en vadrouille, et qui traînent dans les rues. Le [illegible] nécessaire serait de 2.000 francs environ, la dépense [illegible] le fibro-ciment serait nécessaire.

Une subvention serait [illegible] l'enseignement du Français dans cette école. Un jeune Kabyle, [illegible], s'en chargerait sans doute l'après-midi, pour 400 francs par mois.

2°/ Ecole coranique et artisanale du Cheikh Ben Azouz Mohamed 2, rue de Tlata (près de la Fontainerie). [illegible] (voir ci-dessus) se chargerait d'y enseigner le Français et l'artisanat, chaque matin, pour 400 francs (ce qui porterait sa mensualité à 800 francs). L'après-midi serait consacré à l'Arabe et au Coran.

3°/- Ecole du Club Galandier, ouverte en Avril 1941, Palais [illegible] Joubert. Le Français y est enseigné, en une heure, de 8 H 30 à 10 H. par M. HAZELLA, qui mérite la nouvelle 150 francs supplémentaires pour ce service. De 10 H à 11 H. les élèves étudient le calcul. Seuls l'après-midi est consacré à l'Arabe et au Coran. Le tout devrait également recevoir une mensualité d'encouragement de 150 francs, ce qui porterait à 300 francs la dépense mensuelle pour cette école, qui compte près de 80 élèves, dont la plupart ne peuvent payer un écolage régulier. Tendances maraboutiques.

4°- Médersa Ez-Zaïtia, de Belcourt. L'enseignement du Français y est assuré, depuis plusieurs années déjà, dans des conditions assez analogues à la "Chebiba", tendances tout à fait administratives. Cette école aurait récemment reçu une subvention de 100.000 francs de M. le Gouverneur Général CHATEL (sous toutes réserves).

MEDEA-Ville (voir 1883).-

1°/- L'école "El-Tarbia" (l'Educatrice) 20, Allée des Orfèvres, à Belcourt. Directeur: Cheikh Hadj Hamid. Tous a fait 5 ans de service aux Affaires où le Colonel [illegible] lui faisait donner des cours d'Arabe. A épousé la fille du Lieutenant d'Artillerie BEN ACHOUR, qui parle très bien le Français.

110 élèves en tout, répartis en 3 classes.

Cette école, bien installée, est grevée d'un loyer excessif de 950 francs au total (le ement du maître compris).

2°/- Hussein-Dey.- L'école coranique du quartier Léveilley qui fonctionne sous le patronnage de la Société "En Naciha" projette d'inaugurer un enseignement Français. Une aide de l'Etat serait indispensable. Il s'agit d'un important quartier indigène, sans école d'Etat.

Affaire à l'enquête, des renseignements locaux ayant été recueillis sur le président de la société.

3°/- Blida- Ecole "El Islah", fonctionne à Blida depuis 1931, sous l'égide des représentants locaux du mouvement réformiste, et avec l'appui du Docteur BENDIB.

Son Directeur est le nommé BENHAMOUR Mohamed, fils, petit-fils et arrière-petit-fils de Muftis qui se sont succédé à Blida depuis la conquête. Gain mensuel: 1.500francs. Il est assisté des nommés [illegible] Mohamed (gain mensuel: 300 francs à la médersa, et 300 francs comme balayeur de la mosquée) et [illegible] (gain mensuel: 250 francs de la médersa, et une certaine somme comme Mouzab de la mosquée).

Les élèves sont au nombre de 200 garçons et 50 filles environ, qui n'ont pu trouver place dans les écoles de l'Etat. Ce nombre s'est [illegible]

ORAN RÉPUBLICAIN
18 JUIL 1937

L'enseignement en Algérie

Voici quelques chiffres qui ne manqueront pas d'intéresser les statisticiens.

Les facultés de droit, de médecine et de pharmacie, de sciences et de lettres de l'université d'Alger comptaient, en 1936, 1.250 étudiants, qui se répartissent ainsi :

Français : 800 hommes, 1.012 femmes, total 1.812.

Indigènes : hommes, 84 femmes, total

Etrangers : hommes, femmes, total

Pour l'enseignement secondaire public l'effectif global, réparti dans les lycées et collèges de l'Algérie, était en 1936, de :

Garçons : 8.773, dont 7.822 français ; 881 berbères ou Arabes et 70 étrangers.

Filles : 3.863, dont 3.721 françaises, 99 berbères ou arabes et 43 étrangères.

L'enseignement secondaire privé compte, en Algérie, 16 établissements qui totalisaient, en 1936, 1.561 élèves, se décomposant ainsi : 1.487 français, 251 berbères ou arabes et 23 étrangers.

Il est bon de faire ressortir que ces établissements n'ont souvent de secondaire que le titre, 7 sur 16, en effet, groupant 1.044 élèves, sont primaires.

Le nombre des élèves de l'enseignement primaire des européens pour l'année 1936, se divise ainsi :

Ecoles normales

Garçons : 333 ; filles : 173.

Ecoles primaires supérieures et cours complémentaires

Garçons : 5381, dont 4.451 français ; 864 arabes ou berbères ; 76 étrangers.

Filles : 3.219, dont 3.149 françaises, 39 arabes ou berbères et 25 étrangères.

Ecoles primaires élémentaires

Garçons : 79.153, dont 53.921 français ; 18.528 arabes ou berbères ; 6.804 étrangers.

Filles : 66.831, dont 52.290 françaises ; 7.534 arabes ou berbères ; 6.797 étrangères.

Les enfants indigènes fréquentant les écoles primaires européennes sont au nombre de 78.191, dont : 68.961 garçons et 9.230 filles.

En ajoutant à ces derniers chiffres le total des élèves indigènes fréquentant les écoles européennes, on obtient, pour les indigènes, le chiffre global de 101.361 unités, dont : 82.329 garçons et 19.032 filles.

المجموعة السابعة

وثائق مراقبة بعثات جمعية العلماء إلى الأزهر الشريف

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

Ministère des Affaires étrangères
Direction des Affaires politiques et commerciales

COPIE

Le Caire, le 10 Avril 1914.

M. KEYRAMON, Ministre Plénipotentiaire de la République française au Caire,

à M. POINCARE, Président du Conseil, Ministre des Affaires Etrangères.

N° 164

Cours de français à l'Université d'El-Azhar.

Par une lettre du 27 Octobre dernier, le Département a bien voulu encourager l'Agence à étudier la réorganisation éventuelle de cours de français à l'Université d'El-Azhar. De concert avec notre Consul, j'avais soumis cette question à l'étude, en raison de l'importance qu'elle présentait pour la propagation de notre langue dans les milieux musulmans du Caire; et je suis heureux de faire connaître aujourd'hui à V. Exc. que nos efforts viennent d'être couronnés de succès.

Il y a quelque jours, en effet, j'ai inauguré les cours qu'il s'agissait de faire revivre et qui se sont ouverts dans les meilleures conditions de succès.

Ils s'adressent dès aujourd'hui à 342 étu-

PREFECTURE DE CONSTANTINE

Cabinet du Préfet

N° 2.226 A.I.2.

Objet : OULEMAS

LE PREFET de CONSTANTINE

le 27 Décembre 1930

A Monsieur le GOUVERNEUR GENERAL de l'ALGERIE

- Cabinet -

ALGER

SECRET

Le Cheikh BENBADIS, chef du mouvement Oulémas à l'intention d'envoyer en Egypte, à l'Université d'El Azhar, six étudiants et quatre étudiantes de l'Ecole Djamiat et Turbia, de Constantine.

Prévoyant des difficultés dans la délivrance des passeports il aurait imaginé (ceci vient de m'être signalé) d'acheminer les intéressés, par la Tunisie.

L'un des amis du Cheikh BENBADIS, le nommé MOHAMED LAMINE, libraire à Tunis, 18 rue el Kountbia, qui se rendrait plusieurs fois par an en Egypte, aurait chargé de s'occuper du voyage clandestin des élèves en question.

J'ai l'honneur de vous informer, que, par courrier de ce jour, je porte à la connaissance de M. le Résident Général à Tunis, le projet du Cheikh BENBADIS, en lui demandant de vouloir

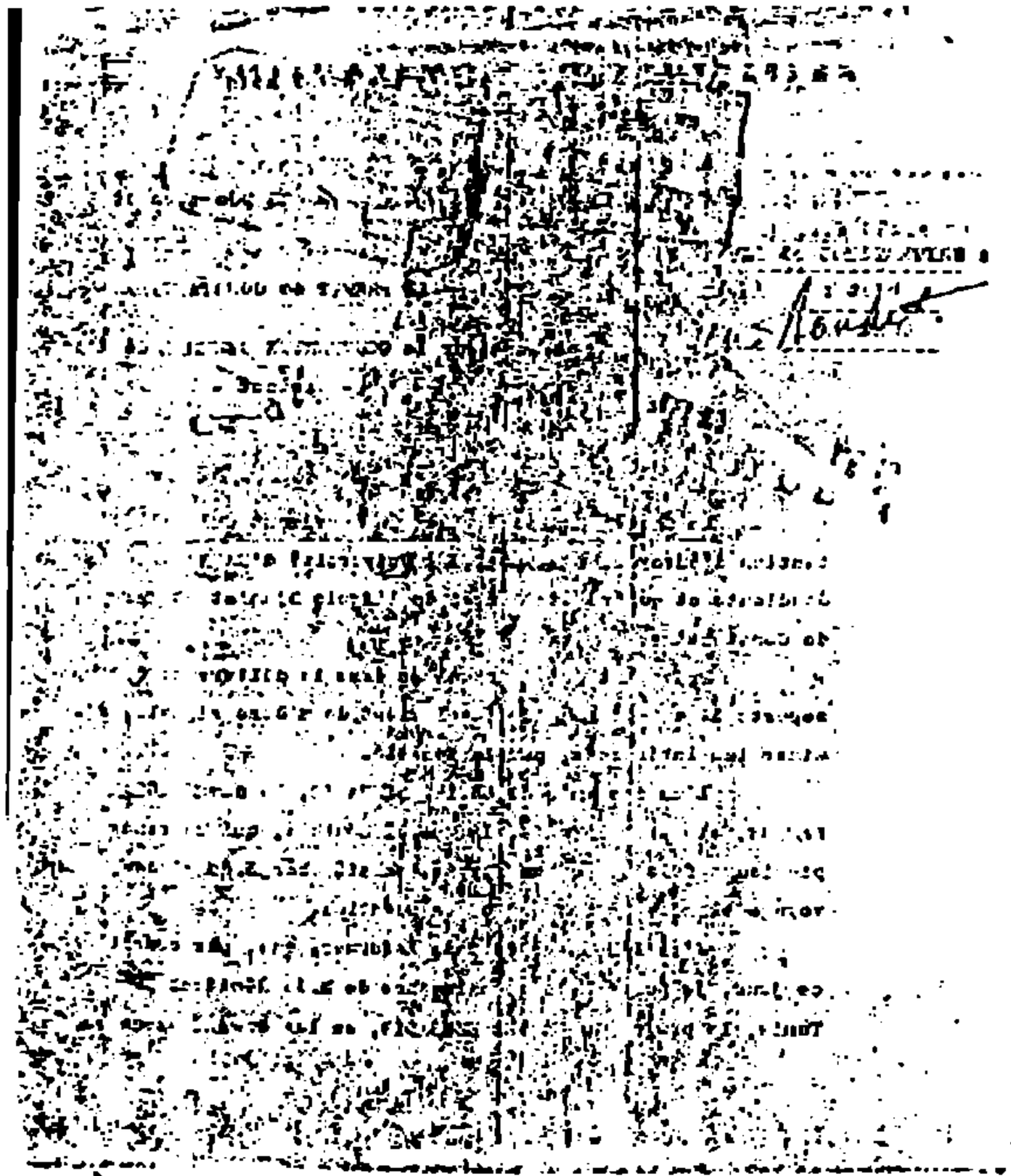
.....

diante inscrite, la plupart maghrébins, quelque tous les indigènes sans distinctions d'origine qui en emprimant le désir puissent être admis à des cours; et il y en a déjà un certain nombre. L'école est inspallée dans un local spacieux, au premier étage d'une maison située dans les environs de la mosquée d'El-Azhar. Trois professeurs y font chacun deux heures de cours, quotidiennement. Ce sont: M.M. Chérif Tembakr, diplômé de l'Université d'Alger; Lion Bassani, ancien élève de l'Ecole normale de St Cloud et de notre école de Droit du Caire et Mohammed Ould El Hak, professeur d'arabe au Lycée français. Ces trois professeurs, dont la compétence est éprouvée, se contentent de la somme modique de 125 francs par mois. Ils ne sont pas les seuls, au surplus, à avoir témoigné d'une générosité réelle. L'éclairage et l'ameublement ont été aménagés par des membres de la colonie dans des conditions particulièrement avantageuses. Quant au loyer, il sera supporté par nos ressortissants tunisiens, algériens et marocains.

C'est principalement au Sous-Comité organisé à cet effet par l'Alliance française et placé sous la présidence de notre Consul, M. Beaume, qu'appartient le mérite d'avoir réussi dans cette entreprise. Il est composé en outre de M. Milliard du Roure, Directeur de l'Ecole française de Droit et Président du Comité de l'Alliance française, de M.M. Gérard, Hassan Bey Cha- bass, Hassan Bey El Hiwa et d'un autre marocain de marque. Ce Sous-Comité a pu mener à bien la nouvelle organisation, grâce à la subvention annuelle de 4.000 francs que l'Alliance française avait récemment accordée pour la réouverture de ses cours.

A ce propos, je crois devoir attirer l'attention du Département sur l'activité remarquable du Comité de l'Alliance française du Caire, dont M. Milliard du Roure est ici le représentant. Je suis heureux de rendre hommage au zèle ainsi montré par ce français très distingué et par ses collaborateurs.

L'inauguration des cours a été brillante. Près de 300 étudiants étaient réunis pour me recevoir, et j'ai constaté avec satisfaction l'empressement et la chaleur de leur accueil, leur bonne tenue et la bonne volonté dont tous sont animés pour l'étude de notre langue./.



STANTINE

N°

Cabinet du Préfet

N° 1.987 P.C.E.

S.P.E.

Objet :

S/s. Instituteurs de la Pépinière Djidjelli et Taffia de Constantine

Projet d'envoi d'étudiants musulmans au Caire.-

Signalé

Constantine, le 16 Novembre 1934

LE PREFET DE CONSTANTINE

A Monsieur le GOUVERNEUR GENERAL de l'ALGERIE

- Cabinet -

ALGER

Les Cours qui ont fonctionné régulièrement à la Médersa de la Pépinière et Taffia Artéliens ont permis de constater que le nombre des élèves fréquentant cet établissement scolaire est beaucoup plus élevé que celui de l'année écoulée.

Le Cheikh BENBADIS aurait corrélativement décidé d'envoyer quelques-uns de ses élèves, choisis parmi les meilleurs, continuer leurs études à l'Université d'El Azhar au Caire.

Le but poursuivi serait de nouer avec les milieux dirigeants de cet Institution des relations beaucoup plus suivies que celles existant actuellement, et d'établir une sorte de filiation entre les milieux réformistes Algériens et ceux du Caire.

Cela paraît d'autant plus plausible, qu'au cours de conversations que le Cheikh BENBADIS a eues récemment avec des notabilités indigènes de Constantine, il a tenu les propos suivants :

" ... les débouchés d'ici seraient grandement facilités

1

[illegible] l'attention de [illegible] s'attache surtout à découvrir et à soustraire les [illegible] les dirigeants, et qui [illegible]

Il semble [illegible] projet que certains ont relations avec le [illegible] OURTILANI, qui était encore en 1935 partagé [illegible] Syrie, en Egypte et celui de [illegible] du journal "El Bassair" du 4 Novembre).

Il convient également de rapprocher du prochain départ du nommé [illegible] et KAHLOUL, originaires de Khenchela pour el Akbar, départ qui a donné lieu à des correspondances entre le [illegible] FOUDIL et ce jeune [illegible] (cf. rapport, Police Spéciale Djidjelli [illegible] Octobre 1938).

D'autre part, le [illegible] enseignant de la Djemaa et [illegible] doit s'embarquer [illegible] pour [illegible] la personne du nommé AHMED el Kebir [illegible] originaire de Khenchela, lequel vient [illegible] la Grande Université [illegible], de qui a pu [illegible] encore des relations avec ses anciens professeurs.

Cet ensemble de faits, venant à la suite du voyage à Ouargla de FOUDIL et OURTILANI, semble prouver que le mouvement [illegible] Cheikh ABDLAH et vraisemblablement [illegible] pour l'Afrique du Nord, le Cheikh OQBI de Tunis, tient à renforcer les liens qui l'unissent au Foyer [illegible] et au Congrès Musulman de Jérusalem en particulier.

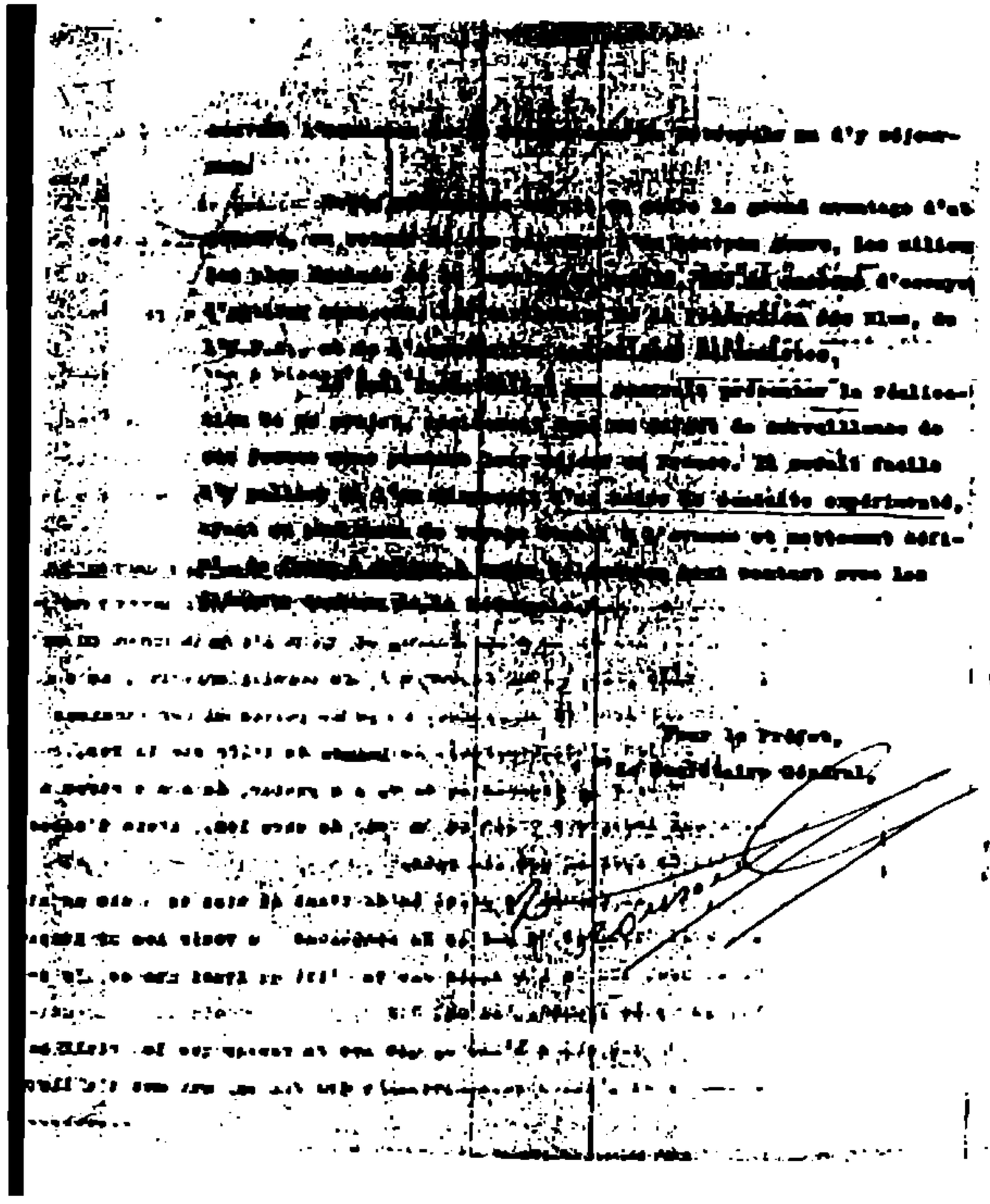
Le Cheikh [illegible] 19 qui jouit dans ces milieux d'une réputation bien établie. Docteur ès sciences mathématiques, ayant senti qu'il ne pouvait assurer personnellement la liaison du fait de la surveillance dont il est l'objet, aurait ainsi trouvé le moyen de l'assurer de façon permanente sans attirer l'attention sur lui.

Le départ de ces étudiants pour l'Egypte ne constitue à l'heure actuelle qu'un projet. On prête également au Cheikh l'intention d'envoyer quelques jeunes filles de la Société Musulmane de Constantine continuer leurs études en Egypte.

Etant donnée la personnalité et la zone d'action des Chioukhs FOUDIL et OURTILANI et CHAFAI BOUZEDINE, il est vraisemblable que des projets analogues verront sous peu le jour dans les milieux Algérois et Tlemceniens.

Pour ma part, j'ai attiré l'attention de mes services sur cette question et ne manquerai pas, Monsieur le Gouverneur Général, de vous tenir informé de tout fait nouveau susceptible de se produire dans cet ordre d'idées./.

LE PREFET de CONSTANTINE :



RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

PREFECTURE DE CONSTANTINE

CABINET DU PREFET

N° 1208 C.I.E./A.I./E.

Objet : Propagande dans les milieux musulmans.-

Constantine, le 18 Janvier 1939

LE PREFET de CONSTANTINE

A Monsieur le GOUVERNEUR GENERAL de l'ALG
Direction Générale des Affaires Indigè
et des Territoires du Sud

ALGER

SECRET

La propagande italienne marque, depuis le début de
glacage diplomatique entre nos deux pays, une très nette re
dépendance dans les milieux musulmans. Le Poste de Radio-BARI
le nouveau poste de Radio-TRIPOLI, consacrent presque chaque
une partie de leur programme, à des harangues anti-françaises
destinées à nos populations musulmanes de l'Afrique du Nord.

J'ai eu l'occasion de vous signaler, dans mon rapp
n° 8.208 SUR/A.I./E. en date du 28 Décembre 1938, l'une d'el
qui présentait un certain intérêt, puisqu'elle mettait en l
re, les attaches des dirigeants de l'Association des Oulém
furaistes avec les services de propagande du Gouvernement It
et le pôle joué à cet égard par les milieux étudiants de l'U
versité d'El Azhar au Caire.

Certains indices permettent de penser que le Cheikh
BADIS, à la suite d'instructions réitérées en provenance d'I

....

[illegible] l'intention [illegible] leurs études à cette Uni-
versité, un certain nombre [illegible] dont 6 jeunes gens
[illegible]
[illegible] des services de Poli-
ce [illegible] les mesures prises avaient
[illegible] de cette nature.
[illegible] leurs difficultés,
les dirigeants Cultéens [illegible] décidé d'envoyer ces jeunes gens
[illegible] sur l'Egypte, par les
[illegible] Comme le nombre [illegible] dépassait le seuil des
[illegible] cette dernière [illegible] de nationalité égyptienne, au-
rait pu avoir [illegible] pour se rendre en Egypte, ce qu'elle
[illegible]
[illegible] permettant d'empêcher le
départ de ces étudiants, qui devaient se procurer sans difficulté
[illegible] les billets de [illegible] places exigées pour leur
entrée dans la Régence. D'autre part, quelle est la po-
sition prise par les autorités du protectorat, à l'égard des étu-
diants qui manifestent le désir d'aller [illegible] suivre les cours de
l'Université d'El Azhar.

Je saisis cette occasion pour vous signaler l'envoi à
deux groupes scolaires de Constantine, d'un circulaire de propa-
gande émanant du service de propagande allemand (Service des Etud
ants - Institut d'Orientation de la ville de Berlin). Ces propos-
[illegible], destinés à être diffusés dans les milieux indigènes, invi-
tent les jeunes algériens à se rendre en Allemagne, en s'ils ne le
peuvent pas, à écrire à un service pour obtenir toute documenta-
tion sur ce pays, de quelque nature qu'elle soit, en faisant

appel aux membres spécialistes allemands au courant des choses
de l'Islam.

Je me permets d'attirer respectueusement votre attention, sur l'intérêt que présenterait, pour combattre cette propagande étrangère qui ne cesse de s'intensifier, l'envoi en France, par analogie à ce qui avait été réalisé il y a quelques années, d'une délégation choisie parmi la jeunesse musulmane algérienne des campagnes.

Cette partie de la population a échappé moins d'ennemis que les milieux citadins, peut être à même de connaître la Métropole, dont elle n'entend parler qu'à travers le prisme de journaux plus ou moins tendancieux.

Il serait assez facile de trouver dans les cadres subalternes des Administrations algériennes, un certain nombre de jeunes gens, avides de s'instruire, et ayant l'esprit assez ouvert pour faire part, à leur retour, à leurs coreligionnaires, de ce qu'ils auraient vu en France. Le petit personnel des Communes Mixtes (Khodjas - Secrétaires), le corps des cadis stagiaires, certains membres de djemaas locales, les présidents des centres municipaux indigènes créés ou en voie de création, seraient susceptibles de fournir ces éléments.

Il serait en effet intéressant de montrer à ces agents, qui sont destinés de par leurs fonctions à devenir les principaux collaborateurs de l'Administration d'ici quelques années, le vrai visage de la France. Ils ont beaucoup plus besoin de documentation dans cet ordre d'idées, que les représentants des vieilles familles ou l'élite intellectuelle des villes, qui ont d'ailleurs

.....

المجموعة الثامنة

1 ـ صورة طبق الأصل لنص رسالة الدكتور سعد الله التي أرسلها إلى مؤلف الكتاب.

2 ـ نص الرسالة.

الأستاذ المحترم محمد الأمين بلغيث ، المحترم

فقد سعدت بالرسالة التي حملها إليّ الأخ البار يوسف مناصرية وسعدت بما جاء فيها من أخبار شخصية وعلمية ، وكما سررت عليها عندما اكتشفت أنك تشعل طابع البحث والتنقيب عن الأرشيفات والوثائق الوطنية والأجنبية . فبلادنا في حاجة ماسة إلى أمثالك من الشباب الذين يعكفون عليها ويجتهدون في سبيل المعرفة إلى الجيل بل الأجيال ، الصاعدة التي تتلاعب بها الزعانف الذين لا ذمة لهم ولا عهد.

وقد لاحظت شيئا عند الفقرة التي سعى جول كامبون إلى إذاعتها عند طريقه لكورتيلمون (جيرفو) كما أذاع بوجو لفقرة التي حصل عليها - كما قال - عند مشايخ بعض الزوايا وجامع القيروان والأزهر والمسجد الأموي بدمشق ، وقد توصلت على نسخة عند رحلة كورتيلمون إلى الجزائر ، وكذا بكتاب ديبون و كوبولاني قد نشر فيه جزء هذه الفقرة ، ولكني لم أطلع عليها (لا نسخة ولا كتاب) فإذا كان لا يزعجك فأني سأكون ممنونا إذا تطلعت على نسخة منها .

المدعو ابن العنبر سراج كان مشاركا أيضا ، وأذكر - إذا لم تخني الذاكرة - أنه قرظ كتاب (القول السالك) لخير الدين التونسي ، وقد أشرت إلى ذلك في دراسة قصيرة عند أثر صدور الكتاب في الجزائر ، وهي منشورة في أبحاث وآراء (ج 2 أو 3) . لكني لم أطلع على حياته في الجزائر والمشرق ودوره . لماذا لا تكتب أنت عنه دراسة تعريفية ، سيما إذا كانت حياته تهم القارئ الجزائري في عهدنا . وبذلك تضيف إلى كتابك تاريخ الجزائر المعاصر .

لا شك أن الإغراب عن التاريخ المعاصر تجعلك أكثر حيوية عند إبداء آرائك ، ذلك أن أفكاره ونظرياته ما تزال غير مستقرة ، ولذلك يمكنه للجميع أن يدلوا بدلوهم فيه بخلاف الإسلام (الوسيط) والمغرب قبله . ومهما كان الأمر فإن كل التاريخ مفيد وفيه عبرة ولذة وحكمة ...

إذا كان لديك أي انزعاج بشيء فإنه لا تكتب عنه وحتى ذلك الحين فإن تشجيعك للإخوة والمشاركات والاجتماعات ، مني أبعد ما تكون عن البحث العلمي المجرد عن الأهواء والمراعاة ، وحشاك عن ذلك .

مرة أخرى تمنياتي لك بالتوفيق ولعل الأخ مناصرية سيزورك قريبا عن طريقي وحالتي ، عصمنا الله عن الخطأ والزلل . والسلام عليكم ورحمة الله .

أبو القاسم سعد الله

2000/4/2 الموافق 24 ذو الحجة 1420

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ المحترم محمد الأمين بلغيث ، أبقاه الله ورعاه ، وبعد ،

فقد سعدت بالرسالة التي حملها إليّ الابن البارّ يوسف مناصرية ، وسعدت بما جاء فيها من أخبار شخصية وعلمية ، وكان سروري عظيمًا عندما اكتشفت أنك تشد طريق البحث والتنقيب في الأرشيفات والوثائق الوطنية والأجنبية ، فبلادنا في حاجة ماسة إلى أمثالك من الذين يعلمون ويبحثون ويوصلون المعرفة إلى الجيل ، بل الأجيال الصاعدة التي تتلاعب بها الزعانف الذين لا ذمّة لهم ولا عهد .

وقد ذكرتم شيئًا عن الفتوى التي سعى [جول كامبون] إلى إذاعتها عن طريق [كورتلمون جيرفي]، كما أذاع بوجو الفتوى التي حصل عليها ـ كما قال ـ من مشايخ بعض الزوايا ، وجامع القيروان والأزهر والحرمين الشريفين ، وقد تحصلت على نسخة من رحلة [كورتلمون] إلى الحجاز ، وكان كتاب ديبون وكوبولاني قد نشر خلاصة هذه الفتوى ، ولكني لم أطلع عليها [في نصها العربي][1] . فإذا كان لا يزعجك ، فإني سأكون ممنونًا أن تُطلعني على نسخة منها .

أظن أن إبراهيم سراج كان شاعرًا أيضًا ، وأذكر ـ إذا لم تخني الذاكرة ـ أنه قرّظ كتاب [أقوم المسالك] لخير الدين التونسي . وقد أشرت إلى ذلك في دراسة قصيرة عن أثر هذا الكتاب في الجزائر ، وهي منشورة في أبحاث وآراء

---

(1) وقد سلمت بالفعل للأستاذ الدراسة كاملة بجهاز الحاسوب قبل نشرها في مجلة المصادر .

[جـ : 3 ، أو جـ : 4][1] ، لكني لم أطلع على حياته في الجزائر والشرق ، ودوره . لماذا لا تكتب أنت عنه دراسة تعريفية[2] ، سيما إذا كانت حياته تُهِمّ الجزائر بالخصوص ، ولعلك فعلت ذلك في كتابك تاريخ الجزائر المعاصر .

لا شك أن الاقتراب من التاريخ المعاصر يجعلك أكثر حيوية من الناحية الفكرية . ذلك أن أفكاره ونظرياته ما تزال غير مستقرة . ولذلك يمكن "للجميع"[3] أن يدلوا بدولهم فيه بخلاف الإسلامي [الوسيط] والمغاربي خاصة . ومهما كان الأمر ، فإن كل التاريخ مفيد وفيه عبرة ولذة وحكمة . . .

إذا كان لي أن أنصحك بشي ، فهو أن تكتب من وحي ذاتك وبوحي ضميرك ولا تَنقَدْ للدعوات والمشاركات "الإخوانية" ؛ فهي أبعد ما تكون عن البحث العلمي المجرد من الأهواء ، وحاشاك من ذلك .

مرة أخرى تمنياتي لك بالتوفيق ، ولعل الأخ مناصرية سيذكر لك طرْفًا

---

(1) راجع الدراسة بعنوان : "صدى دعوة خير الدين باشا التونسي في الجزائر" [أبحاث وآراء] المجلد العاشر من الأعمال الكاملة ، الجزائر ، دار الغرب الإسلامي ، 2005م : 4/ 163 وما بعدها .

(2) كتَبتُ دراسات عدة عن إبراهيم سراج . وأَدِين في معرفة هذا الصحفي الثائر إلى أرشيف ما وراء البحر ، بأكس آن بروفانس ، فقد تحصلت على ملفه كاملا في صورته الفرنسية ، ونشرت بعض الوثائق في هذا الكتاب وفي كتابي الجديد "فصول في تاريخ الجزائر المعاصر" ، الذي سيصدر ضمن أعمالي غير الكاملة ، كما تحصلت على الصورة الثانية لشخصية إبراهيم سراج من خلال الوثائق العثمانية في دور الأرشيف الليبي التي نشرها الدكتور أحمد صدقي الدجاني رحمه الله .

(3) كم هي رائعة هذه الكلمة التي جعلها شيخ المؤرخين بين شولتين ؛ لأن "الزعانف" عندنا يريدون أن يحتكروا الحقيقة المحضة ، ولا يشارِكهم أي باحث . وكأننا جئنا من جزائر الواق الواق ، ولم نستوعب مناهج المؤرخين ، رغم أننا فُطِمنا على حب الجزائر وتاريخها المعاصر عند [المحضن الأمين] على الأمة وتاريخها منذ أن وعينا الكتابة التاريخية .

من حالي وحالتي، عصمنا الله من الخطأ والزّلل، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

[أبو القاسم سعد الله][1].

27 ذي الحجة 1420هـ الموافق: 2/ 4/ 2000م

---

(1) بعث شيخ المؤرخين الرسالة من جامعة آل البيت بالأردن بتاريخ : 27 ذي الحجة 1420هـ الموافق : 2/ 4/ 2000م .

https://albordj.blogspot.com

ثانيا: الصور

صور نادرة تغطي بعض موضوعات الكتاب

1- صورة نادرة للسيد محمد بن علي السنوسي الكبير رائد الحركة السنوسية في ليبيا والصحراء الإفريقية وصانع تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر ، وهي من وثائق ابنه محمد المهدي .

2- صورة لأحد الخونة القائد الأزهر : حتى لا ننسى الخونة . (أباد نصف قبيلة أولاد ملول المجاهدة في ثورة الأوراس لعامي 1916م و1917م) .

3- صورتان للزعيم مصالي الحاج .

4- صورتان نادرتان للمناضل المرحوم الشاذلي المكي أحد الرواد الأوائل في تاريخ الحركة الوطنية الاستقلالية من خلال لجنة التفكير في تحضير العلم الجزائري الحالي ودوره المحوري في أحداث الثامن ماي 1945م ، والدور العظيم الذي قام به في باندونغ ومكتب المغرب العربي بالقاهرة إلى جانب الحركة الاستقلالية لدول المغرب العربي .



سيدي محمد بن علي السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية



Le Kaid Si Lazhar Ben Nuceur,
Officier de la Legion d'Honneur.

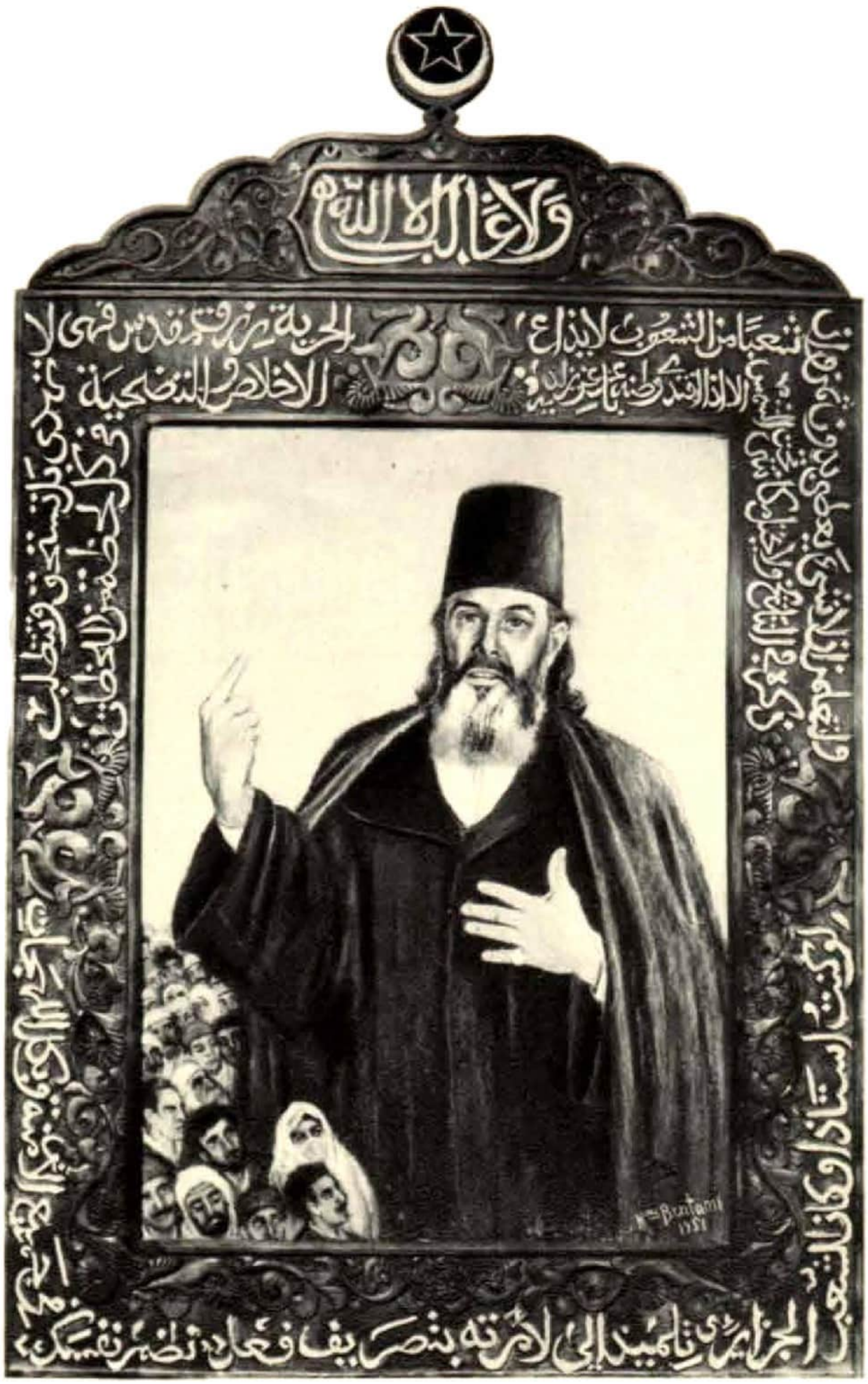


سلكس
إرسلية

UNITED NATIONS NY 1757 42 30 2115 TELEF. 7-9-55

DIEU seul responsable notre victoire qui est en vérité celle de démocratie et fraternité des peuples stop vos trois messages ont été lus devant assemblée stop Dieu vous protége.

Bouhafa.



صورة دعائية نادرة للزعيم أحمد مصالي الحاج أبو الحركة الوطنية الجزائرية
من أرشيف المرحوم الشيخ الشاذلي مكي



صورة نادرة للأستاذ الشاذلي مكي (1913-1988 م) متنكراً
في لباس تقليدي ليبي وهذا حينما لجأ إلى القاهرة في
1945/10/20م



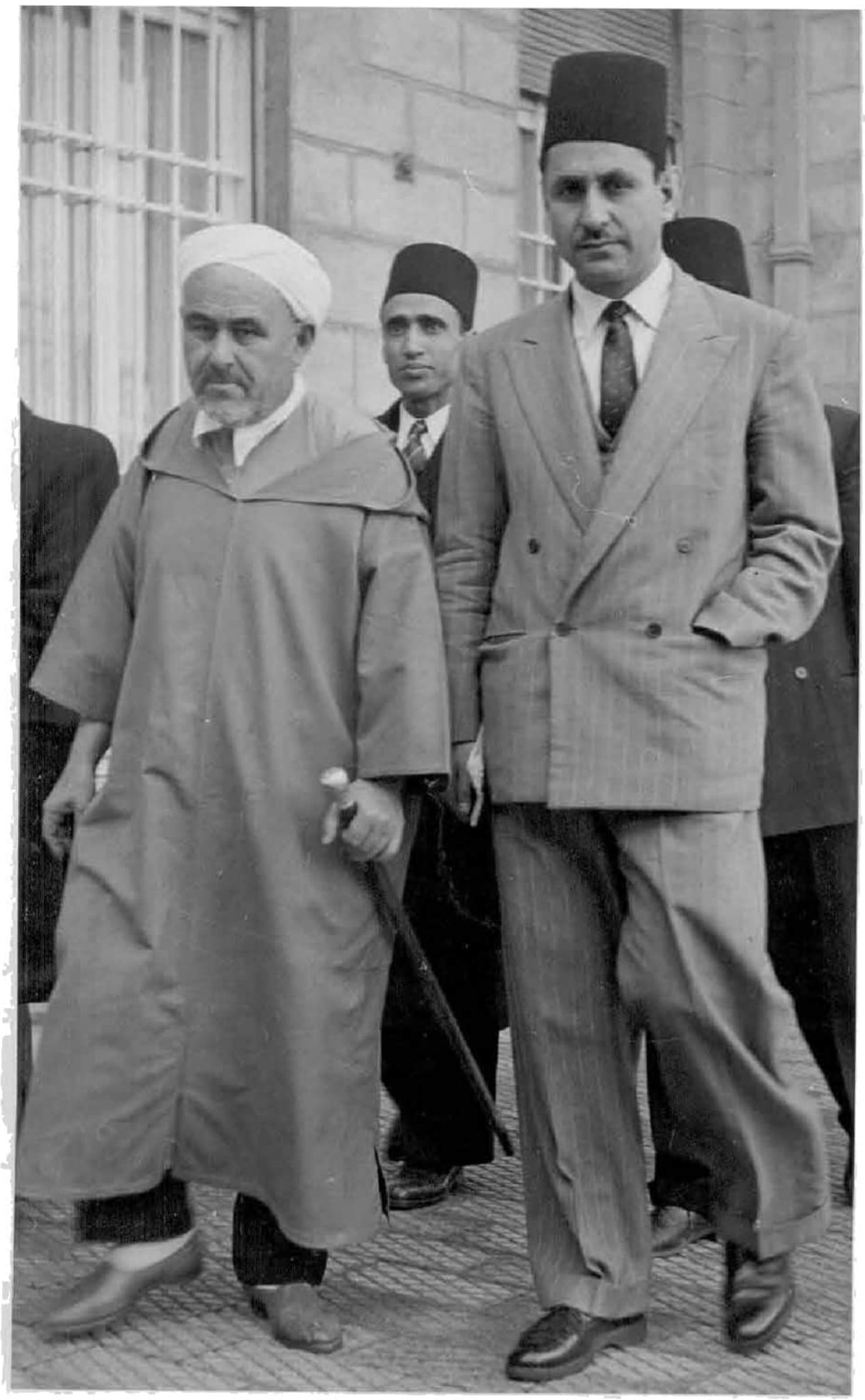
صورة خاصة للأستاذ مكي بالقاهرة عام 1951م



الشاذلي المكي في تجمع بالقاهرة



الشاذلي المكي ممثل الحركة الاستقلالية الجزائرية بالقاهرة



الشادلي المكي مع الزعيم عبد الكريم الخطابي بالقاهرة



الشاذلي المكي يستقبل وفد القادة المسجونين بعد عودتهم إلى القاهرة في مارس 1962م

فهرس المصادر والمراجع

أولا: الوثائق الأرشيفية

1. copie du rapport du commandant cadi de la mission militaire française à Mr le colonel chef de la mission N° 368 section, Maghrébine à l'université d'AlAZHAR.
2. (la formation des Algériens à l'université d,El Azhar, lettre du 2- 12 - 1916. (copie du rapport de Mr Briand, président du conseil, ministre des affaires étrangères, chargé de l'Agence et consul général de France à Mr le ministre plénipotentiaire.
3. Copie du rapport de M. Defrance ministre plénipotentiaire chargé de l'agence et consulat général de France à M. Briaud président du conseil,ministre des affaires étrangères le Caire, le 15 septembre 1916.
4. La formation des Algériens à l'université d'Alazhar, cabinet du gouverneur général de l'Algérie A Luciani directeur des affaires indigènes- lettre du 2- 12- 1916 A. O. M 14 H 41 Aix - en Provence.
5. département de Constantine, objets oulémas copie secrète du 25 décembre 1938 N° 2235 A I/R, du préfet de Constantine à Mr le gouverneur général de l'Algérie. A. O. M. B. 1 1bis.
6. Exercice de la religion de l'islam dans les pays infidèles,d'une fetoua des trois chorfas de la Mecque(Hanafite- Malekite- Chafeite) 22 juin1893 (A. O. M) 22H35.
7. Traduction de la fetoua(pèlerinage de 1893)G. G. A(la zaouia de Temassine) (A. O. M.) 22H28.
8. Au sujet du Moqaddam des Taibia à Constantine Tanger - le 07 janvier 1895- G G N ° 37 - cabinet - Affaires Indigènes A. O. M. 30H 9.
9. Au sujet du Moqaddam des Taibia à Constantine Tanger - le 25 janvier1895 - G. G. N°37 A. O. M. 30H9.
10. Les Partis politique et l'association des Oulémas (T- II) A. O. M. 8 H 61.

11. au sujet de la subvention des Chorfas d'Ouzan (documents d'archives) 6 pages A. O. M. 30H11. Aix - en - Provence.

12. Mémoires sur l'enseignement des indigènes en Algérie (Rapport de 13 pages,) A. O. M. Aix - en- Provence. 10 H61.

13. Gouverneur général civil de l'Algérie - service central des indigènes Alger le19 avril 1883 A. O. M 1H84 Aix en Provence.

14. Gouverneur général de l'Algérie,service d'information et de documentation- réponse au factum de MEKKI CHADLI sur la question Algérienne (document d'archives 80 pages Algérie 1951).

15. Aperçu sur L'Islam Moderne, évolution de nos territoires sous mandat du levant et de nos possessions musulmanes de l'Afrique du Nord depuis 1939 (Très secret), Etat Major Avril 1944.

16. La vie politique, sociale, économique culturel de l'Algérie, Tome II les partis politiques et association des Oulémas deux Tomes, Tome I- 6 Brochures. A. O. M. 8H 61. Aix- en- Provence.

17. Incendies en Algérie et senoussistes 1894- 1895 (rapport de Mr Ricard vice consul de France à Benghazi à MER le ministre des affaires étrangères à Paris, Benghazi le 14 octobre 1894 (A. O. M)16H57.

ثانيا: المصادر باللغة العربية

1- **الإبراهيمي ، محمد البشير : (محرر) .**

سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ط . 2 . الجزائر 1982م .

2- **الأخضر ، لطيفة :**

الإسلام الطرقي "دراسة في موقعه من المجتمع ومن القضية الوطنية " ، تونس ، دار سراس ، 1993م .

3- **الألوري ، آدم عبد الله :**

الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني المجاهد الإسلامي الأكبر بغرب إفريقيا والجد الأعلى للشهيد أحمد بللو ، ط 3 ، بيروت الدار العربية ، 398هـ/1978م .

4- **أرسلان ، شكيب :**

لماذا تأخر المسلمون ، ولماذا تقدم غيرهم ؟ مراجعة : حسن تميم ، بيروت ، منشورات مكتبة الحياة ، 1975م .

5- **آيت علجت محمد الصالح :**

الشيخ المولود الحافظي "حياته وآثاره" ، الجزائر ، منشورات دار الكتب ، 1998م .

6- **بلغيث ، محمد الأمين :**

1- الرِّبْطُ بالمغرب الإسلامي وَدَوْرُها في عصري المرابطين والموحدين ؛ (رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي) ، جامعة الجزائر (1987م) . (مخطوط) .

2- دروس في السياسة الشرعية "دراسة ونصوص الجزائر ، منشورات بغدادي 1420هـ/1999م .

3- النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب . 1989م .

4- الداعية الإسلامي إبراهيم سراج المدني حياته وآثاره . (مخطوط) .

5- الجزائر ومؤتمر باندونغ حقائق ووثائق ، (مخطوط) .

7- ابن باديس ، عبد الحميد :

1- ابن باديس حياته وآثاره ، جمع وترتيب الدكتور عمارالطالبي ، (أربعة أجزاء) ، دار مكتبة الشركة الجزائرية ، دار اليقظة العربية الجزائر ، بيروت 1968 .

2- آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، الجزء الخامس ، منشورات وزارة الشؤون الدينية الجزائر 1412 هـ /1991م .

3- (آثار الإمام عبد الحميد بن باديس) الجزء السادس ، الجزائر ، منشورات وزارة الشؤون الدينية 1415هـ / 1994م .

8- بن دارة ، محمد :

السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية ما بين 1952 ـ 1962 (رسالة ماجستير) إشراف د : جمال قنان ، معهد التاريخ جامعة الجزائر 1998ـ 1999م .

9- ابن عبد الكريم ، محمد :

1- حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981م .

2- حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومُذكراته ، بيروت ، دار الثقافة ، 1972م .

10- ابن نبي ، مالك :

1- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، دار الفكر (د . ت) .

2 - وجهة العالم الإسلامي ، دمشق ، ط5 ، دار الفكر 1986م .

3 - شروط النهضة ، دار الفكر المعاصر ، لبنان ، دار الفكر دمشق ، 1993م .

4 - في مهب المعركة (إرهاصات الثورة) مقدمة الشيخ محمود محمد شاكر ، دار الفكر الجزائر ، دار الفكر دمشق ، 1991م .

11-ابن العنتري ، محمد الصالح :

فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها (أو تاريخ قسنطينة) ، مراجعة وتقديم وتعليق ، الدكتور يحيى بوعزيز ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1991م .

12-ابن يوسف ، تلمساني :

الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر(الحكم العثماني ، الأمير عبد القادر ، الإدارة الاستعمارية) رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، معهد التاريخ جامعة الجزائر ، السنة الجامعية 1998/1997م .

13-بوخروفة ، عمر :

دور بعض الطرق الصوفية" الرحمانية ـ التجانية"وموقف الحكومة الفرنسية منها "1870 ـ 1900" ، مذكرة السنة الأولى ماجستير إشراف : الدكتور ، أبو القاسم سعد الله ، جامعة الجزائر ، معهد التاريخ السنة الجامعية 1988- 1989 .

14- بوشارب ، عبد السلام :

تبسة : معالم ومآثر ، الجزائر ، مطبوعات المتحف الوطني للمجاهد ، 1996م .

15- بو الصفصاف ، عبد الكريم :

1- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات

الجزائرية الأخرى (1931 - 1945) (دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة) الجزائر ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1996 .

2- حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي للقمع والتعذيب في ولاية سطيف "1954- 1962م" ، قسنطينة ، الجزائر ، دار البعث للطباعة والنشر 1998م .

16- **بيوض ، إبراهيم بن عمر :**

أعمالي في الثورة ، باتنة الجزائر ، نشر جمعية التراث ، القرارة ؛ غرداية ، (د . ت)

17- **تركي ، رابح :**

الشيخ عبد الحميد بن باديس ، فلسفته وجهوده في التربية والتعليم ، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ ط . 2 الجزائر .

18- **التونسي ، محمد خليفة(مترجم) :**

الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون) ، ترجمة محمد خليفة التونسي تقديم عباس محمود العقاد ، البليدة ، الجزائر ، قصر الكتاب .

19- **التونسي ، خير الدين :**

أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ، تحقيق : منصف الشنوف ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1972م .

20- **الثعالبي (عبد العزيز) :**

1- تونس الشهيدة ، تعريب حمّادي الساحلي ، مراجعة محمد العروسي المطوي ، بيروت دار الغرب الإسلامي ، 1984م .

2- روح التحرر في القرآن ، نقله من الفرنسية حمادي الساحلي ، راجعه ووضع حواشيه ، محمد المختار السلامي ، بيروت ، دار الغرب

الإسلامي 1985م .

21- **الجابري ، محمد صالح :**

النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس ، الجزائر ، ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981م .

22- **جب (هاملتون) ، هارولد بوود :**

"المجتمع الإسلامي" ، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى ، مصر ، دار المعارف ، 1971م .

23- **جدعان ، فهمي :**

أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث ، بيروت ، ط . 2 . المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1981م .

24- **الجزائري ، الأميرة بديعة الحسني :**

ناصر الدين الأمير عبد القادر الجزائري بن محي الدين الحسني ، سيرته المجيدة في حقبة من التاريخ ، دمشق ، سلام للنشر والترجمة ، 1991م .

25- **الجزائري ، محمد بن عبد القادر :**

تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ، شرح وتعليق : ممدوح حقي ، ط . 2 ، بيروت ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر 1964م .

26- **جغابة محمد :**

... وما خطر على بال بشر ، الجزائر ، دار الأمة 1997م .

27- **الجندي ، أنور :**

عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية (1879- 1944) بيروت ، دار الغرب الإسلامي 1984م .

28- **الجورشي (صلاح الدين) :**

ابن باديس (تجربة في الإصلاح) ، تونس ، دار الراية ، 1978م .

29- **الجيلالي ، عبد الرحمن :**
تاريخ الجزائر العام الأجزاء الثالث ، والرابع ، بيروت ، ط . 2 . دار الثقافة ، 1980م .

30- **جورا فسكي ، أليكسي :**
الإسلام والمسيحية ترجمة ، خلف محمد الجراد ، راجعه محمود حمدي زقزوق ، سلسلة (عالم المعرفة) رقم : 215 ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب 1417 هـ 1996م .

31- **الحصري ، ساطع :**
الكتابة السياسية عند خير الدين التونسي (الأتلجنسيا في المغرب العربي) - مجموعة أعمال بإشراف د/ عبد القادر جغلول ، بيروت ، دار الحداثة ، 1984م

32- **حمادي ، عبد الله :**
الحركة الطلابية الجزائرية (1871- 1962) ، مشارب ثقافية وإيديولوجية ، الجزائر ط . 2 ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، 1995م

33- **حسون ، علي :**
تاريخ الدولة العثمانية ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط . 3 . 1983م

34- **الحشايشي محمد بن عثمان :**
الرحلة الصحراوية ، ترجمة محمد المرزوقي ، تونس . 1987م

35- **حلاق ، حسان علي :**
موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (1897- 1909 م) ، بيروت ، ط . 3 . الدار الجامعية ، 1986م .

36- **حوحو ، أحمد رضا :**
غادة أم القرى ، تقديم أحمد منور ، ومقدمة بقلم أحمد بوشناق المدني ط . 2 . الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب 1988م .

37- **الخالدي ، سهيل زرقين :**

الإشعاع المغربي في المشرق ، "دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام" ، الجزائر ، دار الأمة ، 1417هـ/1997م .

38- **الخضر ، حسين محمد :**

الدعوة إلى الإصلاح ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، 1346 هـ .

39- **خنوف ، علي :**

السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي ، الجزائر ، مطبعة العناصر ، 1999م .

40- **خي ، عبد الله :**

صدى الثورة الجزائرية من خلال مجلة دعوة الحق المغربية (1957- 1962) ، مذكرة بحث معهد التاريخ ، جامعة الجزائر 1998- 1999 .

41- **خيثر ، عبد النور :**

يهود الجزائر (1870- 1962) ، رسالة ماجستير في التاريخ ، إشراف جمال قنان ، قسم التاريخ جامعة الجزائر 1998- 1999م .

42- **الدجاني (أحمد صدقي) :**

1- بدايات اليقظة العربية والنضال الشعبي في ليبيا (1882- 1911) من وثائق تاريخ ليبيا الحديث (الوثائق العثمانية) (وقائع محاكمة أول تنظيم سياسي في ليبيا) ، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1977م .

2- الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر بيروت 1988م .

3- ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي أو طرابلس الغرب في أواخر العهد العثماني الثاني طبعة 1971م .

43- **الدقي (نور الدين) :**
المغرب العربي والاستعمار الفرنسي ، تونس ، سراس للنشر 1997م .
44- **دي طرازي (الفيكونت فيليب) :**
تاريخ الصحافة العربية ، ج . 3 بيروت ، المطبعة الأدبية ، 1914م .
45- **دي كاندول (ئي . آ . ف) :**
الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره ، ترجمة وطبع محمد عبده بن غلبون منشستر بريطانيا 1989م .
46-ا **لراشدي ، الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الشقراني :**
القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط ، تحقيق وتقديم : الدكتور ناصر الدين سعيدوني ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1991م .
47- **رخيلة ، عامر :**
8 ماي 1945م المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1995م .
48- **رضا ، محمد رشيد :**
الخلافة ، الجزائر ، موفم للنشر 1992م .
49- **ريغ ، دانيال :**
رجل الاستشراق ، ترجمة : إبراهيم صحراوي ، مطبعة الجفان والجابي ، قبرص 1997م .
50- **الزاهري (محمد السعيد) :**
الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير ، الجزائر ، ط . 2 . دار الكتب .
51-**الزبيري ، محمد العربي :**
1- مذكرات أحمد باي ، وحمدان خوجة ، وبوضربة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، ط : 2 1981م .

2- المؤامرة الكبرى أو إجهاض ثورة ، الجزائر ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، ط . 2 . 1990م .

3- تاريخ الجزائر المعاصر (1942- 1992م) ، الجزائر ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع . 2000م .

52-**سارتر (جان بول) :**

عارنا . . في الجزائر ، ترجمة عايدة وسهيل إدريس ، بيروت ، ط . 2 . دار الآداب 1958م .

53- **السحمراني ، أسعد :**

مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا ، بيروت ، دار النفائس ، 1984م .

54-**سلطاني ، أبو جرة :**

خطوات في العمل الإسلامي كما رسمها ابن باديس ، قسنطينة ، الجزائر ، دار البعث 1982م .

55-**سليمان ، عاطف :**

معركة البترول في الجزائر ، بيروت ، دار الطليعة 1974م .

56-**سعد الله ، أبو القاسم .**

1 - الحركة الوطنية الجزائرية (1830- 1900) ، الجزء الأول ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1992م .

2 - الحركة الوطنية الجزائرية (1900- 1930) ، الجزء الثاني ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط ، . 4 . 1992م .

3- الحركة الوطنية الجزائرية (1930- 1945) ، الجزء الثالث ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ، ط . 4 . ، 1992م .

4 - أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، الجزء الرابع ، بيروت ، دار

الغرب الإسلامي ، 1996م .

5 - تاريخ الجزائر الثقافي ، الأجزاء 4 ، 5 ، 6 ، (1830- 1954) ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1998م .

6- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر (القسم الأول) ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط . 2 . 1981م .

7- (أفكار جامحة) ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986م .

8- هموم حضارية ، الجزائر ، دار الأمة ، 1993م .

57- **سعد الله فوزي :**

يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ، الجزائر ، دار الأمة 1996م

58-**سعدي بزيان :**

دور الطبقة العاملة الجزائرية في المهجر في ثورة نوفمبر 1954م (التاريخ السياسي والنضالي للعمال الجزائريين في المهجر من " نجم شمال إفريقيا" إلى الاستقلال الجزائر ، طبع دار هومة ، 1999م .

59-**سمير ، أمين :**

الأمة العربية ، موقم للنشر ، الجزائر ، 1990م .

60-**سيف الإسلام ، الزبير :**

تاريخ الصحافة في الجزائر ، الجزء السادس ، (الصحافة في الجزائر بين الحزبين (1920- 1940) ، الجزائر ط . 2 . ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1985م .

61- **سيمون ، بيير - هنري :**

ضد التعذيب في الجزائر ، نقله عن الفرنسية إلى العربية بهيج شعبان ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1957م .

62- **سيمون بفايفر :**

مذكرات جزائرية عشية الاحتلال ترجمة وتقديم وتعليق : أبو العيد دودو ، الجزائر ، دار هومة للنشر ، 1998م .

63- **الشاذلي ، المكي :**

الذكرى الثالثة لمأساة ماي 1945م / القاهرة 1948م

64- **الشاوي ، توفيق محمد :**

مذكرات نصف قرن من العمل الإسلامي (1945م- 1995م) القاهرة ، دار الشروق ، 1419هـ/1998م .

65- **الشرباصي ، أحمد :**

شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام ، بيروت ، دار الجيل 1978م .

66- **الشقيري (أحمد) :**

صفحات من القضية العربية ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1979م .

67- **الشناوي ، فهمي :**

المؤامرة على إسقاط الخلافة العثمانية ، سلسلة ، الرسالة الطبعة الثالثة ، بيروت 1986م .

68- **الصافوري(مجدي عبد المجيد) :**

سقوط الدولة العثمانية وأثرها على الدعوة الإسلامية ، القاهرة ، دار الصحوة للنشر 1990م .

69- **الصديق ، محمد الصالح :**

دور الشعب الليبي الشقيق في جهاد الجزائر ، الجزائر ، دار الأمة ، جانفي 2000م .

70-(70)- **الصيد ، سليمان :**

صالح بن مهنا القسنطيني ، قسنطينة الجزائر ، دار البعث .

71-**الطالبي ، محمد :**

عيال الله (أفكار جديدة في علاقة المسلم بنفسه وبالآخرين) ، تونس ، دار سراس للنشر ، 1992م .

72- **طلاس ، مصطفى ، بسام العسلي :**

الثورة الجزائرية ، سوريا ، طلاس ، دار للدراسات والنشر 1984م .

73- **العباسي ، أحمد : (دراسة وتعليق) :**

الشيخان المجاهدان صالح الشريف واسماعيل الصفائحي ، سلسلة : ما أهمله . . التاريخ رقم : 1 (دت) .

74- **عبد الرازق ، علي :**

الإسلام وأصول الحكم ، دراسة ووثائق بقلم د/ محمد عمارة بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر . 1972 .

75- **العبودي ، عبد الكاظم :**

يرابيع رقان وجرائم فرنسا النووية في الصحراء الجزائرية ، الجزائر ، وهران ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، 2000م .

76- **عثمان سعدي بن الحاج :**

مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج ، الجزائر ، دار الأمة ، مارس 2000م .

77- **العدواني ، محمد بن محمد بن عمر :**

تاريخ العدواني (كتاب في أخبار هجرة واستقرار بعض القبائل العربية مع ذكر الأحوال والتقلبات السياسية والاجتماعية لمنطقة المغرب العربي وأصول بعض المدن والقرى والعلاقات الروحية بين المشرق والمغرب منذ الفتح

الإسلامي ، تقديم وتحقيق وتعليق : أبو القاسم سعد الله ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1996م .

78- **العربي ، إسماعيل :**

1 ـ الأمير عبد القادر الجزائري (مؤسس دولة وقائد جيش) ، الموسوعة التاريخية للشباب (أعلام السياسة والحرب) ، الجزائر ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة ، مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث ، 1984م . ،

2- المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر ، الجزائر ، ط . 2 . 1982م

79- **عزوي ، محمد الطاهر :**

ذكريات المعتقلين ، تقديم : الدكتور أبو القاسم سعد الله ، الجزائر ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، 1996م .

80- **العسكري ، إبراهيم :**

لمحات من مسيرة الثورة التحريرية الجزائرية ودور القاعدة الشرقية ، قسنطينة ، الجزائر ، دار البعث ، 1992م .

81- **العسلي ، بسام :**

1- الأمير خالد الهاشمي الجزائري (سلسلة جهاد شعب الجزائر) ، بيروت ، دار النفائس 1984م .

2- جيش التحرير الجزائري ، (سلسلة جهاد الشعب الجزائري) ، بيروت ، دار النفائس 1984م .

3- الأمير عبد القادر الجزائري ، (سلسلة جهاد الشعب الجزائري) ، يروت ، دار النفائس ط . 3 . 1986م .

82- **العقاد ، صلاح :**

الجزائر المعاصرة ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، 1963م .

83-**العقاد ، الخواض الشيخ :**

الاجتهاد والتجديد في الشريعة الإسلامية بين تأكيد الحقائق وتفنيد المزاعم ، بيروت ، دار الجيل 1418هـ/ 1998م .

84- **العلوي ، محمد الطيب :**

مظاهر المقاومة الجزائرية (1830- 1954) الجزائر ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد (د . ت) .

85- **علية عثمان الطاهر :**

الثورة الجزائرية أمجاد وبطولات الجزائر ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1996م .

86- **عمارة ، محمد :**

تيارات الفكر الإسلامي ، القاهرة ، دار المستقبل العربي ، 1983م .

87- **العمامرة سعد ، العوامر الجيلالي :**

شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف ، بوزريعة الجزائر ، مطبعة النخلة (د . ت)

88- **عمراني عبد المجيد :**

جان بول سارتر والثورة الجزائرية ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، (د . ت) .

89- **عميراوي ، حميدة :**

دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827 - 1840) ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، إشراف الدكتور توفيق بَرُّو ؛ الجزائر ؛ جامعة قسنطينة معهد العلوم الاجتماعية دائرة التاريخ السنة

الجامعية 1982- 1983م .

90- **عيساوي ، أحمد :**

الإعلان من منظور إسلامي ، "كتاب الأمة" ، العدد : 71 ، السنة التاسعة عشرة ، سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ؛ قطر 1999م .

91- **عيسى ، لطفي :**

مدخل لدراسة مُميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر ، تونس ، سيراس للنشر 1994م .

92- **غولي ، (نور الدين) :**

1- التعليم العربي في الجزائر ما بين 1830 ـ 1900 ـ مذكرة السنة التمهيدية للماجستير إشراف : د . جمال قنان ، معهد ا لتاريخ جامعة الجزائر 1985م .

2- سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر 1870 ـ 1904 ـ مذكرة السنة الأولى ماجستير في التاريخ الحديث بإشراف د : جمال قنان ، معهد التاريخ الجزائر 1986م .

93- **فادي ، إسماعيل :**

الخطاب العربي المعاصر ، (قراءة في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة (1978- 1987) ، أمريكا المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن ، سلسلة الرسائل الجامعية رقم 3- 1981م .

94- **فتحي الديب :**

عبد الناصر وثورة الجزائر ، القاهرة ، دار المستقبل العربي 1984م .

95- **فضلاء ، محمد الطاهر :**

قال الشيخ الرئيس الإمام عبد الحميد بن باديس ، قسنطينة ، الجزائر ، دار البعث 1968 .

96- **فلزي ، لوسات :**

المغرب العربي قبل احتلال الجزائر (1790- 1830) نقله إلى العربية حمادي الساحلي تونس ، سراس للنشر ، 1994م .

97- **فؤاد صالح السيد :**

الأمير عبد القادر الجزائري متصوفًا وشاعرًا ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1985م .

98- **قاسم ، محمود :**

الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ، ط . 2 . ، مصر ، دار المعارف 1979م .

99- **القشاط ، محمد سعيد :**

جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى (1845- 1988) ، (دون دار نشر) 1989م .

100- **قنان ، جمال :**

العلاقات الفرنسية الجزائرية ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1981م .

101- **قنانش محمد ، د : قداش محفوظ :**

نجم الشمال الإفريقي 1926- 1937 . (وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية) ، ط . 2 . الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1994م .

102- **قنانش ، محمد :**

المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية (في فجر النهضة الحديثة) الجزائر ، المكتبة الشعبية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (د . ت) .

103- **كافي ، علي :**

مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري (1946- 1962) ، الجزائر ، دار القصبة للنشر 1999م .

104- **الكتاني ، أبو عبد الله :**

نصيحة أهل الإسلام (تحليل إسلامي علمي لعوامل سقوط الدولة الإسلامية وعوامل نهوضها) تحقيق ، إدريس الكتاني ، الرباط ، مكتبة بدر 1989م .

105- **لايون ، النقيب ع . ف :**

مدخل إلى الصحراء ، ترجمة : الدكتور الهادي أبو لقمة ، ليبيا ، منشورات جامعة قار يونس ، 1993م .

106- **المازوني ، أبو زكريا يحي المازوني :**

الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، السفر الثاني مخطوط من رصيد المكتبة الوطنية الجزائرية رقم : 1336 .

107- **المدني ، أحمد توفيق :**

1- حياة كفاح (مذكرات) القسم الثاني ـ في الجزائر ـ 1925- 1954- الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1977م .

2- حياة كفاح (مذكرات) الجزء الثالث مع ركب الثورة التحريرية ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ط . 2 ، 1988م .

108- **مرشو ، غريغوار منصور :**

مقدمات الاستتباع (الشرق موجود بغيره لا بذاته) ، واشنطن ، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، سلسلة إسلامية المعرفة (18) ، 1996م .

109- **المزاري ، الآغا بن عودة .**

طلوع سعد السعود "في أخبار وهران والجزائر وأسبانيا وفرنسا" تحقيق ودراسة

الدكتور يحي بوعزيز (جزءان) بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1990م .

110- **مطبقاني ، مازن صالح :**

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931ـ1939 رسالة ماجستير جامعة الملك عبد العزيز ، قسم التاريخ العربية السعودية 1985م .

111- **مناصرية ، يوسف :**

1- الحزب الحر الدستوري التونسي (1919- 1934) ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1988م .

2- الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين (1919 ـ 1939) ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1988م .

3- مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1990م .

112- **مياسي ، إبراهيم :**

1- توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري ، الجزائر ، مطبوعات متحف المجاهد 1996م .

2- من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية 1999م .

113- **نجار عمار :**

مصالي الحاج الزعيم المفترى عليه ، دار الحكمة 2000م .

114- **نيازيلا ، محمد قربان :**

السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية مكة المكرمة ، مكتبة المنارة 1988م .

115- **الهرماسي ، محمد عبد الباقي :**

المجتمع والدولة في المغرب العربي ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1987م .

116- **هلال ، عمار :**

1- الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847- 1918) الجزائر ، لافوميك 1986م .

2- أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962) الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1995م .

3- الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا السمراء ، الجزائر ، منشورات وزارة الثقافة سلسلة الموسوعة التاريخية ، 1988م .

117- **ياسين ، عبد السلام :**

الإسلام والقومية العلمانية ، المغرب ، مطبعة فضالة ، 1989م .

118- **الونشريشي ، أحمد بن يحيى :**

كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية ، نشر وتعليق الأستاذ : محمد الأمين بلغيث ، الجزائر ، لافوميك ، 1985م .

ثالثا: المقالات والأبحاث باللغة العربية

1- **بلغيث ، محمد الأمين (عرض وتعليق) :**

1- الثامن ماي 1945م والذاكرة الجماعية للجزائريين (تأليف الدكتور مخالد بوسيف) (أسبوعية الحدث) ، الجزائر ، ماي 1995م .

2- الذهنيات ، المناقب ، والصلحاء في القرن السابع عشر الميلادي (محمد بن محمد ابن عمر العدواني) نموذجًا . (الندوة الفكرية الرابعة حول الشيخ محمد العدواني مؤرخ سوف ، أيام 3 ، 4 ، 5 ، نوفمبر 1999م بالزقم ولاية الواد . الجزائر .

2- **ابن باديس ، عبد الحميد :**

1- دعوة وبيان إلى عموم الشعب المسلم الكريم ، (البصائر) السنة الثانية العدد : 72 يوم 05 جمادى الثانية 1356هـ ، 20 أوت 1937م .

2- "بمخالطة المتمدنين ، تترقى في المدنية ، (الشهاب) العدد 16 ، 12 شعبان 1344هـ/25 فبراير 1926م .

3- **بوسباك ، فوزية :**

شهادات حية عن أحداث 8 ماي 1945 (مجلة الذاكرة) السنة الثانية العدد الثاني ، المتحف الوطني للمجاهد الجزائر ربيع 1415هـ/1995م .

4- **بوصنوبرة ، عبد الغني :**

علي الحمامي (1902 - 1949) ، من أرشيف الحركة الوطنية الجزائرية (جريدة الخبر الجزائرية) يوم الإثنين 03 شوال 1417هـ.

5- **بوضرساية ، بوعزة :**

فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، (كتاب سلسلة الملتقيات) المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م .

6- **بوعزيز ، يحي :**

علاقات الأمير عبد القادر وخلفائه بالمملكة التونسية ، (أعمال ملتقى الأمير عبد القادر) مطبوعات جامعة الجزائر 1998م .

7- **بو عمران ، الشيخ :**

شارل دي فوكو في تمنراست (1905- 1916) الجزائر ، كتاب الأصالة 1995م .

8- **بومالي أحسن :**

8 ماي 1945 منعطف حاسم (مجلة المجاهد) العدد 1500 الجزائر 5 مايو 1985م .

9- **بوكنة ، عبد العزيز :**

الاستراتيجية العسكرية الفرنسية (1954- 1957) من منظور بعض الكتابات الأنجلو ـ أمريكية) كتاب سلسلة الملتقيات (الأسلاك الشائكة المكهربة) ، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول الأسلاك الشائكة والألغام) المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م الجزائر 1998م .

10- **تابليت ، علي :**

من جرائم الاحتلال الفرنسي في الجزائر (مذابح 8 ماي 1945م) ، مجلة الذاكرة العدد الثاني ، السنة الثانية المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر ربيع 1415هـ/1995م .

11- **حداد ، مصطفى :**

خوالدية صالح بن عمر أو قضية الانتلجنسيا الجزائرية في بداية القرن الحالي

(محاضرة) نشرت في دورية د/ عبد الجليل التميمي التونسي ، العدد 61 ، 62 جويلية تونس1991

12-**الحسني ، محمد الهادي :**

الشيخ صالح الشريف العالم الجزائري المجاهد المجهول ، جريدة الشعب رقم : 7023 . الجزائر السبت 08 رمضان 1406هـ/17 ماي 1986م .

13-**حمدي ، أحمد :**

مؤتمر الصومام ومفهوم الإعلام الثوري ، الإعلام ومهامه أثناء الثورة (كتاب سلسلة الملتقيات) ، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول الإعلام والإعلام المضاد منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م الجزائر 1998م .

14-**حميدة عبد القادر :**

زاوية الخليفة الشريف بن الأحرش ذاكرة المكان ، (جريدة بلادي) الجلفة ، الجزائر العدد 01 ، من 06- إلى 21 فبراير 2000م .

15-**الدرعي ، محمد :**

فظائع الجيش الفرنسي في الجزائر أثناء الثورة الجزائرية ، (مجلة الرؤية) ، مجلة تصدر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م العدد الثالث ، السنة الثانية ، الجزائر السداسي الأول 1997م .

16-**الزبيري ، محمد العربي :**

- الحركة الوطنية في مرحلة النضج (1942 - 1954) ، "مجلة الرؤية " العدد الأول المركز الوطني للدراسات والأبحاث الجزائر 1994 .

17- **الزمولي أحمد المحامي :**

الإعداد للثورة وانفجارها في ناحية تبسة ، (مصطفى بن بولعيد والثورة

الجزائرية 1374هـ- 1954م . إنتاج جمعية أول نوفمبر لتخليد مآثر الثورة في الأوراس باتنة الجزائر 1420هـ/1999م .

18- **زوزو ، عبد الحميد :**

أضواء على ثورة بوعمامة 1881م (مجلة الأصالة) الجزائر ، السنة الخامسة ، العدد 31 ربيع الأول 1396هـ/ مارس 1976م .

19- **سعد الله (أبو القاسم) :**

الأمير شكيب أرسلان والجزائر (مجلة عالم السياسة) ، العدد الثالث الجزائر 1992م .

20- **سعدي ، بزيان :**

فرنسيون في الثورة الجزائرية (2/1) شبكة فرنسيس جانسون وهنري كوريال ، "جريدة صوت الأحرار" (الحلقة الأولى) العدد 116 الجزائر الثلاثاء 14 جويلية 1998م .

21- **سلطاني ، أبو جرة :**

السلوك المثالي في منهج الحركة الإسلامية (مجلة التضامن) العدد الثاني ، السنة الأولى ، الجزائر 1412هـ 1992م .

22- **سعيدوني ، ناصر الدين :**

موقف الأمير عبد القادر من بقايا السلطة التركية بالجزائر "جماعة الكراغلة- عشائر المخزن" الذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر (1883ـ1983) مجلة التاريخ المركز الوطني للدراسات التاريخية ، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1983م .

23- **سيدي موسى ، محمد الشريف :**

1- الأسلاك الشائكة دراسة وعرض من خلال المصادر والمراجع

باللغة الفرنسية ، (دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول الأسلاك والألغام) (كتاب سلسلة الملتقيات) ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة وثورة أول نوفمبر 1954م . الجزائر 1999م .

2- الثورة الجزائرية في وسائل إعلام العالم الثالث والكتلة الشرقية ، (دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول الأسلاك والألغام) (كتاب سلسلة الملتقيات) ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة وثورة أول نوفمبر 1954م . الجزائر 1999م .

3- قضية الصحراء الجزائرية في المفاوضات الجزائرية الفرنسية من خلال ثلاث كتب ، (كتاب سلسلة الملتقيات) (فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية) منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م الجزائر 1998م .

24- الشنوفي ، المنصف :

علائق رشيد رضا ، صاحب مجلة المنار مع التونسيين (1898- 1935) ، حوليات الجامعة التونسية العدد رقم : 4 .

25- شيخي ، عبد المجيد :

القنبلة الذرية الفرنسية الأولى جريمة ضد الإنسانية والشعب الجزائري ، (مجلة الرؤية) ، نشرية تعني بالثقافة والمعرفة التاريخية ، العدد الأول السنة الأولى المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م .

26- عبادة عبد اللطيف :

سوسيولوجية الثورة وفلسفتها في الفكر الجزائري المعاصر (مجلة المستقبل العربي) العدد 117 ـ مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1988م .

27- **عباس محمد :**

حقائق جديدة عن جهاد أوراس ـ النمامشة (منبر التاريخ) صفحة نصف شهرية يعدها محمد عباس) (مع المجاهد الوردي قتال) . جريدة الشعب العدد 7984 الإثنين 29 ذو القعدة 1409هـ/1989م .

28- **العبودي ، عبد الكاظم :**

التجارب النووية الفرنسية ومخاطر التلوث الإشعاعي على الصحة والبيئة في المدى القريب والبعيد (كتاب سلسلة الندوات) (التجارب النووية الفرنسية في الجزائر ، دراسات وبحوث وشهادات ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م .

29- **الغالي ، الغربي :**

1- أشكال من سياسة التطويق الاستعماري خلال الثورة التحريرية ، مجلة أول نوفمبر العدد 157- 158 ، الجزائر 1997م .

2- السياسة الفرنسية لفصل الصحراء وردود الفعل الدولية(كتاب سلسلة الملتقيات (فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية) منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م الجزائر 1998م .

3- الاستراتيجية الفرنسية بعد مؤتمر الصومام ، (الرؤية) مجلة دورية تعنى بالثقافة والمعرفة التاريخية منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م العدد 3 السنة الثانية الجزائر 1997م .

30- **فرحي ، يوسف :**

الثلاثاء 8 ماي 1945- الثلاثاء 8 ماي 1990 الذكرى 45 (كيف ننسى من تمثل مقابرهم ذاكرتنا) ترجمة ج حقوقة (مجلة المجاهد الجمعة 4 ماي

العدد 1552 الجزائر 1990م .

31-**قطب ، سيد :**

كفاح مرير ، البصائر العدد 214 ، السنة الخامسة ، مذكرات الشيخ محمد خير الدين الجزء الأول ، مطبعة دحلب الجزائر 1985 .

32-**قنان ، جمال :**

جذور ثورة نوفمبر 1954 (الذاكرة ، مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة والثورة الجزائرية) العدد الخامس الجزائر ربيع الثاني **1419**هـ/أوت 1998م .

33-**قنطاري ، محمد :**

استراتيجية السياسة الفرنسية في محاولة فصل الصحراء الجزائرية (فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية) كتاب سلسلة الملتقيات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م .

34-**كواتي ، مسعود ،**

1- محاولات ديغول لفصل الصحراء عن الجزائر (مناورة أم حقيقة) ، (كتاب سلسلة الملتقيات) ، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية الجزائر ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م الجزائر ، 1998م .

2- المرأة الجزائرية والاستعمار الفرنسي خلال القرن التاسع عشر ، (كفاح المرأة الجزائرية دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة (كتاب سلسلة الملتقيات) منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م الجزائر 1998م .

3- الكشافة الإسلامية ، فوج الجبل الأحمر ، (الكشافة الإسلامية الجزائرية) دراسات وبحوث الندوة الوطنية الأولى حول تاريخ

الكشافة الإسلامية (سلسلة الندوات) ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م الجزائر 1999م .

4- حركة ماي 1945 الثورية في صحيفة النهضة التونسية ، (مجلة الرؤية) نشرة دورية تعنى بالثقافة والمعرفة التاريخية ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة وثورة أول نوفمبر 1954م .

5- مقارنة بين خطي ماجينو وموريس ، (دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول الأسلاك والألغام) (كتاب سلسلة الملتقيات) ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة وثورة أول نوفمبر 1954م . الجزائر 1999م .

35- كوبون ، إتيان :

صورة العرب والإسلام عند الأتراك ، (مجلة شؤون الأوسط) العدد 31 - مركز الدراسات الاستراتيجية ، بيروت 1994 .

36- كوثراني ، وجيه :

رشيد رضا فقيه يبحث عن الدولة والإصلاح في إطار الإسلام ، (مجلة الباحث العربي) بيروت 1981م .

37- لونيسي إبراهيم :

1- "المجاهد" ودورها في الحرب النفسية إبان الثورة التحريرية ، (كتاب سلسلة الملتقيات) الإعلام ومهامه أثناء الثورة ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م .

2- أزمة حزب الشعب الجزائري (المصادر) مجلة تعنى بشؤون الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، منشورات المركز الوطني

للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م .

3- "يهود الجزائر" هل من حقهم الرجوع إلى الوطن ؟ (جريدة اليوم الجزائرية) ، الجزائر الخميس 09 ديسمبر 1999م .

4- ظاهرة الزعامة في التاريخ الجزائري الحديث والمعاصر ، (جريدة الخبر الجزائرية) الإثنين 27 شعبان 1417هـ 6 جانفي 1997م .

38- **مديني ، بشير :**

1- المرأة الجزائرية بين التكالب الاستعماري والجهاد المقدس ، (كفاح المرأة الجزائرية) دراسات وبحوث الملتقى الأول (حول كفاح المرأة) ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م .

2- حصار الزعاطشة من خلال تقرير عسكري فرنسي "سيروكا" ، الملتقى الوطني الأول حول : "المقاومة الشعبية في منطقة الزاب" بسكرة : أيام 5 - 6 - 7 ديسمبر 1998م .

3- قراءة في بعض الصحف الكولونيالية والوطنية أثناء الثورة ، الإعلام ومهامه أثناء الثورة ، (كتاب سلسلة الملتقيات) ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م . (سلسلة الملتقيات ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م .

4- شارل دوفوكو جاسوس أم قس ؟ ؛ الملتقى الوطني الذي نظمه اتحاد المؤرخين الجزائريين بمدينة عين صالح ولاية تمنراست بين 21- 23 ديسمبر 1997م .

5- الهجرة الجزائرية نحو تونس خلال القرن التاسع عشر(دراسة أرشيفية وثائقية) الندوة الفكرية الرابعة حول الشيخ محمد العدواني مؤرخ سوف ،

أيام 3 ، 4 ، 5 ، نوفمبر 1999م بالزقم ولاية الواد . الجزائر .

39- **مراد ، أحمد :**

الأدب الفرنسي ومشكلة الجزائر ، مجلة دعوة الحق ، العدد الأول ، أكتوبر المغرب الأقصى 1959م .

40-**مزيان ، حميد :**

ذكرى عبد الحميد بن باديس (1889 - 1940) ، الدروس التي لم تفهم (جريدة الحرية) السنة الثانية ، العدد 67 من 25 إلى 25 أفريل الجزائر 1996 .

41- **مكي الشاذلي :**

1- شهادات حية عن أحداث (8 ماي 1945م) شهادة الشاذلي المكي (مجلة الذاكرة) السنة الثانية العدد الثاني ، المتحف الوطني للمجاهد الجزائر ، ربيع 1415هـ/1995م .

2- وطننا العربي (سكرتير حزب الشعب الجزائري يرفع إلى الجامعة العربية تقريرا عن فاجعة الجزائر في 8 مايو ويعلن مطالب الشعب الجزائري) جريدة مصر الفتاة ، العدد 53 .

3- حوادث 8 ماي 1945م أسبابها ونتائجها ، (محاضرة ألقاها الشاذلي المكي يوم 7 ماي 1974م بالجزائر العاصمة .

42- **مناصرية يوسف :**

1- نبذة عن حياة الشهيد لزهر شريط ؛ التراث ، مجلة تاريخية أثرية تصدرها دوريًا جمعية التاريخ والتراث الأثري بولاية باتنة العدد 6 ربيع الأول 1414هـ/سبتمبر 1993م

2- دور المترجمين العسكريين في الجيش الفرنسي بالجزائر ، مجلة التاريخ ، المركز الوطني للدراسات التاريخية الجزائر النصف الثاني

من سنة 1982م .

3- مهمة ليون روش بالمغرب ضد الأمير عبد القادر ، مجلة التاريخ ، الجزائر المركز الوطني الدراسات التاريخية ، الذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر ، (1883- 1983) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1983م .

43- **مياسي ، إبراهيم :**

1- ثورة الشيخ بوعمامة ، مجلة حوليات جامعة الجزائر الجزء الثاني ، العدد الممتاز رقم : 10 الجزائر أفريل 1997م .

2- التوسع الاستعماري في الصحراء الجزائرية ، (كتاب سلسلة الملتقيات) ، (فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية) منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م الجزائر 1998م .

3- التوغل الفرنسي في الصحراء الجزائرية ، الجزائر (مجلة الثقافة) مجلة تصدرها وزارة الإتصال والثقافة السنة الثالثة والعشرون العدد 116 الجزائر 1998م .

4- أوت 1955 وادي سوف في خضم المعركة (المصادر) ، مجلة تعنى بشؤون الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 العدد الثاني الجزائر 1420هـ/1999م .

5- مئوية احتلال تيديكلت ، (جريدة اليوم الجزائرية)العدد : 338 ، الخميس 09 مارس 2000م .

6- ذكرى عيد النصر (19 مارس 1962- 19 مارس 2000م) (جريدة اليوم الجزائرية) السبت 18 مارس 2000م .

7- دور الأرشيفات والوثائق في كتابة تاريخ المقاومة الجزائرية (الربع الأخير من القرن التاسع عشر) ، مجلة الدراسات التاريخية

(مجلة دورية يصدرها معهد التاريخ ، جامعة الجزائر العدد الخامس الجزائر 1408- 1988م .

8- ثورة أولاد سيدي الشيخ ، (الذاكرة) مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة والثورة ، السنة الثانية ، العدد الثالث ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر 1415هـ/1995م .

44- **مجلة الباحث :**

نشرة خاصة بالذكرى الخامسة والعشرين لاسترجاع السيادة الوطنية ، عدد خاص أحاديث حول التسليح في عهد الثورة التحريرية (1954- 1962) المديرية المركزية للمحافظة السياسية مصلحة التاريخ الجزائر جويلية 1987م .

45- مجلة المجاهد ، الجزء الثاني ، العدد : 25 (1958/06/14م) .

46- **يزيد ، محمد :**

ذكريات من العمل الدبلوماسي ، (سلسلة الندوات) ، المركز الوطني للدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م .

47- **الواعي ، محمود :**

ملحق بموضوع مفاوضات حول اتفاقيات إفيان (المرحلة الانتقالية للثورة من (19 مارس 1962 إلى سبتمبر 1962) ، إنتاج جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر 1416هـ/1995م .

48- **وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :**

1- القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومبادئها الإصلاحية ، الجزائر المطبعة الإسلامية ، (د . ت) .

2- التقرير الذي قدمه المجلس الإداري باسم الجمعية إلى رجال

الحكومة الجزائرية في أواسط رمضان 1363هـ يتضمن خلاصة مطالبها الدينية في التعليم العربي، والمساجد والقضاء، الجزائر، المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة 5 أوت 1944م.

49- **وثائق ومداخلات** : الملتقى الثاني : إيزابيل إبرهاردت عاشقة سوف «دار الثقافة لولاية الوادي، الجزائر، أيام : 02، 03، 04، نوفمبر 1999م.».

رابعًا: المراجع باللغة الأجنبية

1- Abbas,Ferhat, la nuit colonial, édition de PARIS, 1962.

2- (ADDI) Lahouari, L'impasse du populisme, (L'Algérie collectivité politique et Etat en construction) E. N. A. L. Alger 1990.

3- AL FUTI, AL HAGG UMAR (BAYAN- MA WAQAA) Voila ce qui est arrivé- (plaidoyer pour une guerre sainte en Afrique de l'ouest au XIX siècle édition critique et traduction par sidi Mohamed Mahibou et Jean louis Triaud, texte Arabe et traduction française, édition du C. N. R. S. Paris 1983.

4- Azan (Paul), Les grands soldats de l'Algérie (cahiers du centenaire de l'Algérie) publications du comité national métropolitain du centenaire de l'Algérie) 1932.

5- Belhamissi. M. Marine et marins d, Alger (1518- 1830) TII (face à l'Europe bibliothèque nationale, ALGER 1996.

6- BELKHODJA- Amar, Ali El hammami et la montée du nationalisme algérien, éditions dahlab Alger 1991.

7- Bendrissou (salah), Institut «AL HAYAT «1925 - 1962 (un exemple d'école réformiste Ibadite au M'zab, Point de repère sur le projet de mémoire, de D. E. A - PARIS (50 pages).

8- BERKANI, Mohamed Arezki,L'histoire de DJENIEN - BOU- REZG (sud oranais) Grand Sahara- Algérie(trois années de camps ALGER 1965.

9- Benachenhou (A)- l'Etat Algérien en 1830 ses institutions sous l'émir Abdelkader, Imp; E. P. A. Alger.

10- Ben khadda Benyoucef,L'Algérie à l'indépendance (la crise de 1962), les éditions Dahlab, Alger 1997

11- Boubakeur, Cheikh si Hamza Un soufi algérien sidi cheikh, sa vie, son oeuvre, son rôle historique, ses descendants (Oulad sidi- cheikh), G. P. Maisonneuve et larose, Paris 1990.

12- Boutella mohamed Reda, Réponse à Mer KAFI Le congrés de la soumam: debut de l'éspoir journal LIBERTE du mercredi 15 janvièr 1997.

13- Callet (lieutenant colonel), Hiver à Tebessa, les éditions Plon Paris.

14- Cauvet, (commandant), Les Marabouts (petits monuments funéraires et votifs du nord de l'Afrique) (Revue Africaine) N°64 Année 1923, Alger office des publications universitaire 1986.

15- Charny,(jean- Paul), sociologie religieuse de l'Islam,Hachette PARIS 1994.

16- Charnay (Jean- Paul),La vie musulmane en Algérie d'après la jurisprudence du la première moitié du XX siècle, P. U. F. PARIS 1991.

17- Chaoui Abdesselem, Les marabouts vu par les explorateurs du 19eme siècle (mémoire de maîtrise (Lille, France 1991- 1992).

18- Chrestelow Allan, BARAKA and Bureaucracy, (Algerian muslim and judges the colonial state (1854 - 1892) P. H. D (History) university of Michigan – 1977.

19- CheurfiAchour, MémoireAlgerienne (dictionnaire biographique), éditions dahlab, Alger 1996.

20- Churchill,Charles Henry, La vie d'abdelkader, E. N. A. L édition 4 Alger 1991.

21- CIAMMAICHELLA (Glauco), Libyens et français au Tchad (1897-1914) préface de J. L. MIEGE Editions du centre National de la recherche scientifique PARIS 1987.

22- Cornatan, Michel, les camps de regroupement de la guerre d'Algérie, les éditions l'harmattan Paris 1998.

23- de lachapelle, F. Etudes, notes et documents du Sahara occidental présentés au VIIeme congres de l'institut des hautes études de Rabat 1930.

24- Duveyrier H., La confrérie Musulmane de sidi Mohammed ben Ali Essenousi et son domaine géographique; Roma,tiporafia del senato 1918.

25- Deheuvels,Luc Willy, Islam et pensée contemporaine en Algérie éditions du CNRS PARIS 1994.

26- Djeghloul (A), M'hamed ben Rahal et la question de l'instruction des Algériens (1886- 1925), in huit études sur l'Algérie, entreprise national

https://albordj.blogspot.com

du livre- Alger 1986.

(26bis)- Djeghloul (A)- 1979: 25 ans de mutations (in huit etudes)

27- EL GHOUTI (Abdelkrim Hassani, Guérilla sans visage,tome I les premiers réseaux O. P. U, E A. P ALGER 1988.

28- El Hammamy,Aly, Idris (Roman) préface en langue Arabe de l'émir Abdelkerim préfaceenlangue Française, deCheikh Bouamrane,S. N. E. D. Alger. 1976.

29- Elwafi Mohamed Ali, ouvrages, écrits et articles de Laurent Charles Féraud (CHARLES FERAUD ET LA LIBYE) ou portrait d'un consul de France à Tripoli au XIXe siècle (1876- 1884) Imprimé par Interprint (Malta) Ltd, Malte. 1977.

30- Exande Laurent, le pèlerinage à la Mecque vu d'Algérie (aspects sanitaires- 1870- 1940) mémoire de maîtrise sous la direction de Mr: Robert Ilbert, Université de Provence département d'histoire année 1991- 1992.

31- Fadlallah Mahdi «La pensée politique et religieuse de l'Islam d'après le Coran (la tradition et la pensée musulman), thèse de doctorat d'Etat université de Paris I directeur de thèse Thillet Pierre) Paris 1985.

32- , E. N. A. G. Editions 1993.

33- Ghalioun Burhan, Le Malaise Arabe (Etat contre Nation) collection Sad, E. N. A. G. Alger 1991.

34- Graulle E., Insurrection de bou- Amama, (Avril 1881), Paris, 1905.

35- Habart Michel,Histoire d'un parjure- documents- Paris, les éditions de minuit 1960.

36- Harbi Mohammed, F. L. N. mirage et réalité des origines à la prise du pouvoir (1945- 1962) les éditions Jeune Afrique S. T. D Paris 1985.

37- HAMET, Ismail; Le gouvernement Marocain et la conquête d'Alger présenté par/Ali Tablit;Thala éditions- les éditions Chihab;Alger 1999.

38- HAMON. HERVE PATRICK ROTMAN, Les porteurs de valises (la résistance Française à la guerre d'Algérie éditions Albin Michel Paris 1979.

39- Le mire(Henri)Histoire militaire de la guerre d'algerie, Paris les

éditions Albin michel 1982.

40- Maadad Messaoud,Guerre d'Algerie(Chronologies et comme,taires) collection SAD,E. N. A. G Alger 1993.

41- Malék,Rédha (L'Algérie à Evian, éditions DAHLAB Alger 1995.

42- Marthe,et Edmond Gouvain, Ketab A Ayane El Marharibe Imprimerie orientale Fontaine Frères Alger 1920.

43- Mekhaled Boucif,Chronique d'un massacre MAI 1945 (éditions SAYROS Paris 1995.

44- Mérad (A), Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940, Paris La Haye Mouton, 1967.

45- (44bis)- Mérad(Ali),Le réformisme musulman en Algérie de 1925- à 1940) essai d'histoire religieuse et sociale, les éditions El hikma Alger 1999.

46- PEYREFITTE ALAIN, faut - il partager l'Algérie (tribune libre) librairie plon PARIS 1962.

47- Triaud (Jean Louis), les relations entre la France et la sanusiyya (histoire d'une mythologie coloniale) découverte d'une confrérie saharienne) thèse de doctorat d'Etat Paris VII juin 1991. 4 tomes en 1927 pages. Editée en deux volumes 1100 pages.

(46bis1)- Triaud, (Jean-louis) La légende noire de la sanusiyya (une confrérie musulmane saharienne sous le regard français (1840-1930) volume II Institut de recherches et d'études sur le monde arabe et musulman Aix- en- provence, Institut de recherches et d'études sur le monde arabe et musulman France 1995.

(46bis2)- TRIAUD, (JEAN- LOUIS), Tchad 1900- 1902- une guerre Franco- - Libyenne oubliée (une confrérie musulmane la sanusiyya,face à la France) L'harmattan Paris. 1987

48- Pervillé Guy, Les étudiants Algériens de l'université Française - 1880 - 1962 populisme et Nationalisme chez les étudiants et intellectuels musulmans Algériens de formation française, préface de Charles Robert Ageron édition du (C N R S) Paris 1984.

49- Lachref M., L'Algérie nation et société S. N. E. D Alger 1974.

50- LONG, Olivier, les dossiers secret des accords d'Evian (une mission

Suisse pour la paix en Algérie) préface de Max. Petit pierre, O. P. U Alger 1989.

51- Lesourd, M. (commandant), statut des personnes et des terres au Sahara (A. O. M) 10H90 (3).

52- SARI Djilali,Le désastre démographique, S. N. E. D. Alger 1982.

53- Tabet,Radouane Ainad, Le 8 MAI 1945 en Algérie (O. P. U. E. N. A. L Alger 1985.

54- SAHLI-Mohammed - Chérif, L'émir Abdelkader, Alger; entreprise Algérienne de presse Alger 1988.

55- ROBERT BONNAUD, La paix des Némentchas 1956, (ESPRIT) avril 1957 - repris dans Itinéraire, éditions de Minuit 1962 PP.: 49- 60 (voir Les crimes de l'armée Française dossier réuni par Pierre Vidal Naquet petite collection maspero Paris 1982.

56- (54bis)- ROBERT BONNAUD,rapport de Michel Rocard sur les camps de regroupement 12- 14 Mai - Juillet 1959 éditons de Minuit petite collection maspero Paris 1982.

57- Yves courrière,la guerre d'algerie(les fils de la toussaint) preface de Joseph Kessel, Paris, librairie Arthème Fayard 1968.

(55bis)- Yves courrière,L'heure des colonels (1957- 1960) un espoir sans lendemain Marabout Histoire 1988

(55bis1)- YVES courrière, les feux du désespoir (1960- 1962) (marabout histoire) PARIS AVRIL 1988.

L'Emir Khaled, la situation des Musulmans d'Algérie (1924) présentation / Nadya Bouzar Kasbadji; Alger; Office Des Publications Universitaire; 1987.

58- Yousfi M'hamed, Les otages de la liberté les éditions MY- Alger.

(57bis)- Yousfi M'hemed, L'Algerie en marche tome 1 Alger (E. N. A. L). 1984

خامسًا: مقالات وأبحاث باللغة الأجنبية

1- Ageron (Charles Robert) si M'hamed Ben Rahal (1856- 1928) ou le destin d'un Algérien double culture (conférence) Stuttgart 1987.

2- Balta,Paul, Houari Boumédiène (revue Maghreb - Machrek) n° 69,. juillet - septembre Paris 1975.

3- Benyoucef Ben khedda 43eme anniversaire du cngres de la soummam (l'apport de Ramdane Abbane à la révolution) la tribune Algerie mercredi le 18 aout 1999.

4- Chrestelow (Allan) culture and politics of Islamic réformisme in Algeria (Middle East)Vol 23,jul 1987.

5- CAUVET, (commandant) Les Marabouts (petits monuments funéraires et votifs du nord de l'Afrique) (Revue Africaine) N°64 Année 1923, Alger office des publications universitaire 1986.

6- Exande,Laurent: «du sanitaire au politique (le gouvernement général de l'Algérie face au pèlerinage à la Mecque (1870 - 1940)» Ultramarines N°7 Aix - en- Provence.

7- Féraud, L. Charles: «Les BEN- DJELLAB (sultans de Touggourt) notes historiques sur la Provence de Constantine» (REVUE AFRICAINE) 29eme année N° 174 (novembre 1885).

8- JURQUET, jacques, la révolution nationale algérienne et le parti communiste français (tome1) (1847- 1920) éditons du centenaire 2eme éditions Paris 1979.

9- Masset,Henri,les études Arabes en Algérie (1830- 1930) Revue Africaine N°= 356 - 357 Alger 1933.

10- Mekki Khaled, Ily a dix ans Chadly mekki (1913_1988),Journal liberté Algerie Mardi 15 septembre 1998.

11- MENYIER, (Général, ancien commandant militaire du territoire des

oasis): «da guerre sainte de la senoussya» (cahiers Charles de foucould) Arthurd France 1946.

12- MEZIANI, Abdelkerim, Le Président Fèrhat Abbas - et le manifeste du peuple Algérien (Mémoire) journal El Watan N° = 1897 du jeudi 13 février 1997.

13- NADIR, Ahmed, les ordres religieux et la conquête Française (1830-1851) Revue Algérienne des sciences juridiques économiques et politiques, Volume IX, N° 4 décembre Alger 1972.

14- Paysant. L, Un président de la société Historique Algérienne (Laurent - Charles Féraud), (revue africaine) 1er trimestre N° 280 ALGER 1911.

15- REMAOUN Hassan, Les événements du 8 MAI 1945 en Algérie, 50 ans après: entre la mémoire et l'histoire; le cas des manuels scolaires (algériens et français) Réflexions (ouvrage collectif) (Méssali Hadj- 1898- 1998) parcours et témoignages), collection dirigée par: Mustapha MADI; Alger Casbah éditions 1998.

16- Le congres Islamique du Caire pour le KHALIFAT (Afrique Française 35eme année N ° = Mars 1925.

الفهرس العام

الإهداء ..... ه
مقدمة طبعة دار البصائر وهي الطبعة الرابعة 1
مقدمة الطبعة الثالثة 4
مقدمة الطبعة الثانية 6
الجزائر المحروسة 16 جمادي الأولى 1424هـ/ 16 جويلية 2003م 7
مقدمة الطبعة الأولى 8
القسم الأول: الاحتلال الفرنسي وجهاد الشعب الجزائري خلال القرن التاسع عشر ... 17
أولا : علاقة الأمير عبد القادر بخلفائه 19
رجال من حول الأمير 20
قبائل المخزن والوجهاء أمام الصدمة الاستعمارية 27
ثانيا : قِراءة نقدية للمصادر الفرنسية حول ثورة الزّعاطشة شارل فيرو "نموذجا" 33
شخصية لورونت شارل فيرو صاحب المهمات الصعبة 36
مؤلفاته وأعماله العلمية والتاريخية والأثرية 38
شارل فيرو والوصف الكرنولوجي لأحداث الزعاطشة 40
أسلوب شارل فيرو من خلال معالجته لمأساة معركة الزعاطشة 41
خلاصة وتقييم 43
ثالثا : نماذج من سياسة فرنسا للتوغل في الجنوب الغربي الجزائري وبلاد السنغال من خلال فتوى قورارة 22 جوان 1893م 55
النازلة ومسألة الولاء والبراء 62
نص الفتوى : الكوناستمد التوفيق والعون من حامد سماحة محمد الإجابة : 68
أثر الفتوى في المستعمرات الفرنسية 71
رابعًا : الشيخ بوعمامة المجاهد المتصوف 75
مدخل عام 75
ما هو جديد البوعمامية ؟ 86

خامسا : من جرائم فرنسا الاستعمارية في الجزائر الإبادة الجماعية للسكان (مجزرة العوفية والفراريش نموذجاً) 90
مدخل عام 90
الإبادة المنظمة وشهادة الهمجية الفرنسية عن نفسها 91
مذبحة العوفية بالحراش 94
مذبحة غار الفراريش واعترافات القتلة 95
القسم الثاني: الحركة الوطنية العمل السياسي والإصلاحي 101
أولا : الطلبة الجزائريون بجامع الأزهر 103
وعيون المخابرات الفرنسية بين الحربين من خلال وثائق جديدة 103
ثانيا : الإمام عبد الحميد بن باديس وأزمة التخلف الحضاري في الجزائر 120
الإمام عبد الحميد بن باديس والنخبة الفرانكفونية (شجرة الزقوم) 153
الإمام عبد الحميد بن باديس والخلافة الإسلامية 159
ثالثا : العلم الوطني الجزائري الحالي قراءة في مسار الحركة الوطنية 182
مدخل عام 182
العلم الجزائري الحالي المعتمد بين المسار التاريخي والأبعاد الحضارية 186
رابعا : مجازر فرنسا بالجزائر خلال شهر ماي /1945م الجريمة والعقاب 192
مدخل عام 192
ماي 1945م المجازر الفرنسية في الجزائر (سطيف قالمة خراطة) 195
مجازر ماي 1945م ، والأسبوع الأسود بين الإبادة الجماعية وحقوق الجزائريين في محاكمة القتلة 198
أحداث شهر ماي 1945م (الجريمة والعقاب) 201
القسم الثالث: الثورة الجزائرية المباركة 203
أولا : تسليح وتموين الثورة الجزائرية بعد مؤتمر الصومام الثورة الجزائرية وقضية التسليح بعد مؤتمر الصومام 205
المساعدات العسكرية الخارجية بين الواقع التاريخي والأهداف السياسية 219
ثانيا : موقف المثقفين الفرنسيين من التعذيب والسجون والمحتشدات أثناء الثورة الجزائرية (1954م- 1962م) 227
مدخل عام 227
الإجراءات البربرية الفرنسية : تصنع تاريخ الأزمة الأخلاقية للثورة داخل المجتمع الفرنسي .. 231

الثورة الجزائرية أمام أحرار فرنسا من المثقفين 235
ثالثا : فصل الصحراء الجزائرية عن الشمال (أسلوب فرنسي جديد للحرب النفسية ضد الثورة) . 242
الصحراء الكبرى في منظور الاستراتيجية الفرنسية منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى قيام ثورة التحرير الجزائرية 242
مدخل عام 242
فصل الصحراء خلال مرحلة الثورة (1954- 1962) 247
ديغول ومسألة فصل الصحراء 251
المفاوضات الجزائرية الفرنسية وإعلان توقيف القتال 252
الاتصالات السرية 255
المفاوضات الرسمية 258
وقف إطلاق النار واسترجاع الجزائر لسيادتها الوطنية المغتصبة 264
رابعًا : التجارب النووية الفرنسية بالجزائر بين العَظَمَة المُزَيَّفَة والجريمة المعلنة 268
الجريمة المعلنة في حق الإنسانية والشعب الجزائري 270
خامسا : قادة أوراس النمامشة وتساؤلات عن مصير الحقيقة التاريخية ؟ 274
الشهيد الأزهر شريط 277
نهاية بطل 279
الشهيد الثاني العقيد محمد بن علي عموري (لعموري) وتساؤلات عن حقيقة أمره ؟ 290
القسم الرابع: عصر السيادة الوطنية 309
أولا : الآثار النفسية للألغام بالمنطقة الشرقية شهادات حية من نفوس أبية معذبة 311
شهادات من أعماق المعركة والمنازلة الكبرى 312
ثانيا : الصراع الفكري في الجزائر المستقلة (من خلال مجلة الأصالة (1971 ـ 1981) ... 319
مجلة الأصالة ووزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية 320
مجلة الأصالة والانتماء الفكري 322
الخطاب السياسي لمجلة الأصالة والصراع الفكري 328
أولا : (الإسلام الطرقي) وصدمة الظاهرة الاستعمارية بالجزائر 338
"دراسة وترجمة وثيقة أصلية نموذجية" 338
ثانيا : من وثائق السياسة الجزائرية المعاصرة (رسالة مصالي الحاج البرنامج من باريس يوم 12 نوفمبر 1936م) 350

أولا : الوثائق 361
المجموعة الأولى : فتوى قورارة : النص العربي الأصلي أعدتها مصالح المخابرات الفرنسية في عهد جيل كامبون حاكم الجزائر العام (1891 ـ 1897م) 363
آثار فتوى قورارة ومواقف حاكم السودان الفرنسي منها كتابة ونسخ النص الفرنسي 369
المجموعة الثانية : القضية الجزائرية في نهاية القرن التاسع عشر من خلال وثائق إبراهيم سراج المدني 379
المجموعة الثالثة : تقرير المقدم قاضي حول الطلبة الجزائريين بجامع الأزهر 393
المجموعة الرابعة : وثائق شرفاء وزان والطريقة الطيبية المغرب الأقصى والجزائر وعلاقاتهم الودية مع فرنسا الاستعمارية أيام حاكم الجزائر العام جيل كامبون 399
المجموعة الخامسة : نص الوثيقة المترجمة (من نسخنا) 417
المجموعة السادسة : نماذج من سياسة فرنسا التعليمية بالجزائر 421
المجموعة السابعة : وثائق مراقبة بعثات جمعية العلماء إلى الأزهر الشريف 431
المجموعة الثامنة : ثانيا : الصور 445
صور نادرة تغطي بعض موضوعات الكتاب 445
فهرس المصادر والمراجع 457
أولا : الوثائق الأرشيفية 459
ثانيا : المصادر باللغة العربية 461
ثالثا : المقالات والأبحاث باللغة العربية 480
رابعًا : المراجع باللغة الأجنبية 493
خامسًا : مقالات وأبحاث باللغة الأجنبية 498
الفهرس العام 501
الأستاذ الدكتور محمد الأمين بلغيث 505

الأستاذ الدكتور محمد الأمين بلغيث

من مواليد الفاتح من شهر جويلية عام 1956 بالشريعة إحدى دوائر ولاية تبسة ، زاول القسم الأول من التعليم الابتدائي في مسقط رأسه ، ثم انتقل في حدود 1969 إلى مدينة سكيكدة فأكمل دراسته الابتدائية وأَتَمَّ شهادة التعليم الابتدائي ثم التعليم المتوسط . وانتقل بعد ذلك إلى مدينة برج بوعريريج حيث أكمل سنته النهائية بمتوسطة عبد القادر بلعارف ، وتحصل هناك على شهادة التعليم العام [BEG] دورة شهر جوان عام 1974م [1] .

أنهى المؤلف تعليمه الثانوي بشعبة الآداب في ثانوية شيحاني بشير بمدينة خنشلة بين سنتي [1974-1977] ، ونال شهادة البكالوريا دورة شهر جوان عام 1977م .

وفي دورة شهر جوان من سنة 1980 تحصل على شهادة الليسانس في التاريخ من جامعة قسنطينة ، ونجح في مسابقة الماجستير في التاريخ في شهر نوفمبر من نفس السنة ، وجاء ترتيبه الثاني في مسابقة أول دفعة على المستوى الوطني بجامعة الجزائر .

نال المؤلف درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط ، [بجامعة

---

(1) تسربت أسئلة مادة الرياضيات فأعيد الامتحان في كامل المؤسسات التعليمية ببرج بوعريريج في شهر سبتمبر من نفس السنة ، وكنت ضمن أول قسم معرب بمتوسطة عبد القادر بلعارف ، ولن أنسى الأساتذة الذين درسوني خاصة **الأستاذ دربال والأستاذ مهني** ، فهما على التوالي : مدرس التاريخ والجغرافيا والأدب العربي والأستاذ مهني أستاذ اللغات الأجنبية الفرنسية والإنجليزية ، فلهما شكري وامتناني .

الجزائر في شهر سبتمبر من عام 1987م] ، وناقش دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي الوسيط تخصص تاريخ المغرب والأندلس [يوم الخميس 15 من شهر مايو من عام 2003م] ، ثمَّ رُقِّيَ إلى رتبة أستاذ التعليم العالي في دورة ديسمبر 2007م .

أعماله ونشاطاته البيداغوجية والأدبية والعلمية:

أولا : حياته العملية أولا وأخيراً ، هي التربية والتعليم بالجامعة الجزائرية منذ سنة 1981م في قسم الترجمة بمعهد اللغات الأجنبية ، ثم مُدَرِّسًا في كلية العلوم الإسلامية منذ سبتمبر 1983 إلى غاية اليوم .

الوظائف : رئيس قسم اللغة والحضارة العربية الإسلامية 2006م/ 2010م ، فرئيس المجلس العلمي لكلية العلوم الإسلامية ، جامعة الجزائر 1 (ابن يوسف بن خدة : مارس 2011 إلى تاريخ كتابة هذه الأسطر) .

نشاطه التربوي : اضطلع المؤلف بالأعمال التربوية والعلمية الآتية :

أولا/ الوحدات التعليمية : درَّس المؤلف خلال مساره الجامعي المواد والمقاييس التربوية والعلمية التالية :

1 ـ السيرة النبوية .

2 ـ التاريخ الإسلامي .

3 ـ الحياة الثقافية بالمغرب [معهد التاريخ ، جامعة الجزائر] 2004 ـ 2006م .

4 ـ السياسة الشرعية .

5 ـ حاضر العالم الإسلامي .

6 ـ دراسات استشراقية في اللغة والقرآن الكريم (ماجستير كلية العلوم

الإسلامية ، قسم اللغة والحضارة العربية الإسلامية ، شعبة اللغة والدراسات القرآنية ، [2004 ـ 2005 ـ 2005 ـ 2006]) .

7 ـ تاريخ الحروب الصليبية .

8 ـ النهضة الأوروبية .

9 ـ مادة الحضارة الإسلامية [التاريخ والفنون الإسلامية] .

10 ـ التصحيح والمشاركة في إعداد امتحانات اللغة والأدب الإسباني إلى غاية إلغاء اللغة الإسبانية من شهادة البكالوريا في بعض الثانويات الجزائرية .

ثانيا/ الكتابة في الصحف والمجلات والإذاعة والتلفزيون:

للمؤلف مشاركات في الصحافة الوطنية والمجلات العربية منذ مرحلة مبكرة من حياته الجامعية ، فقد كان ينشر في جريدتي الشعب والنصر ، وفي مجلتي آمال والثقافة الجزائريتين .

1 . إنتاج برامج ثقافية ضمن برامج الإذاعة الوطنية طيلة 7 سنوات كاملة [1983 . 1990م] .

2 ـ إعداد حلقات لحساب قناة المستقلة اللَّندنيَّة حول الأمير عبد القادر الجزائري والحركة الإصلاحية ، وحلقات حول الرئيس هواري بومدين . وقد قدمنا للقناة ما يزيد عن سبع وسبعين ساعة بث هي كما يلي :

أ ـ 37 حلقة خاصة بتاريخ الأمير عبد القادر .

ب . 27 حلقة خاصة بالحركة الإصلاحية وإمامها العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس .

جـ ـ 13 حلقة حول الرئيس الراحل هواري بومدين ، بمشاركة نخبة من

المؤرخين والإعلاميين الجزائريين والعرب .

3 ـ إعداد حلقات عدة حول تاريخ الجزائر المعاصر لحساب قناة الجزيرة الإخبارية من خلال مكتبها بباريس في حوالي أربع ساعات من التسجيل المتواصل وقد بدأ بث القناة الحلقات الأولى حول جذور الوحدة المغاربية في برنامج [أرشيفهم وتاريخنا] بقناة الجزيرة الوثائقية .

-4 يعد المؤلف حلقة أسبوعية [حديث الأربعاء] لحساب الإذاعة الثقافية مساء كل أربعاء منذ شهر سبتمبر 2012 إلى اليوم ، تحت عناوين عدة [التحدي الجزائري] ، [الرحلة والترحال في المشارق والمغارب] و [التاريخ يسجل] و [مجالس الأندلس] وسوف يظهر الكتاب الأول للمؤلف المستوحى من الحلقات الأولى لبرنامج "التَّحَدِّي الجزائري" بعنوان :" **الجزائر في التاريخ**" .

ثالثا/ الملتقيات العلمية:

للباحث مشاركات كثيرة في ملتقيات دولية بمدريد ، وباريس ، والقاهرة ، ودمشق ومكة المكرمة ، كما كانت له مداخلات وتعقيبات مع وفد الزائر الدولي [*The International Visitor*] بواشنطن ودلاس وسان سيناتي أوهايو ، وكارولينا الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية خلال شهر أوت سنة 2006م ، وله محاضرات ومداخلات ببرلين و[ميلوز وريف دو جي] بفرنسا وإسطنبول وتونس وله مشاركات بالرباط ، والقنيطرة ، وطنجة ، وتيطوان والعرائش بالمغرب الأقصى .

رابعا/ المؤلفات المنجزة:

بحوث ومشاركات في فنون عدة في التاريخ والأدب طيلة مساره الدراسي والأكاديمي منذ أكثر من ثلاثة عقود ، توجت في سلسلة أعماله غير الكاملة

المتكونة من 13 مجلداً كما يلي:

المجلد الأول:

النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس [الطبعة الثانية] .

المجلد الثاني:

الرِّبطُ بالمغرب الإسلامي ودورُها في عصري المرابطين والموحدين .

المجلد الثالث:

القسم الأول من الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين .

المجلد الرابع:

القسم الثاني من الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين .

المجلد الخامس:

دولة المرابطين بالأندلس من مدينة السياسة إلى مدينة العلم [الطبعة الثانية] .

المجلد السادس:

حلقات في تاريخ الغرب الإسلامي [3 حلقات] .

الحلقة الأولى/ دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي [الطبعة الرابعة]

الحلقة الثانية/ نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي . [الطبعة الثانية]

الحلقة الثالثة/ فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي . [الطبعة الثانية]

المجلد السابع:

دراسات وتحقيقات.

أولا: الدراسات:

1 . مختصر من سيرة الرسول محمد ﷺ [تأليف] الطبعة الثالثة .

2 . المدخل إلى تاريخ صدر الإسلام [تأليف] الطبعة الخامسة .

3 . المدخل إلى السياسة الشرعية [تأليف] الطبعة الثانية .

ثانيًا: التحقيقات:

4 .التّبيان [مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة(469-483هـ/1077-1090م)] .

5 .كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية للونشريسي [الطبعة الثانية] .

6 . إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام ، للشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة (الكمال) (1282 ـ 1333هـ /1865 ـ1915م) .

7 . إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن للعلامة محمد بن علي السنوسي .

المجلد الثامن:

دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، ويتكون من أربعة كتب هي :

1 ـ الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشابية . [الطبعة الثالثة] .

2 ـ فصول في تاريخ الجزائر المعاصر .

3 ـ الجزائر في باندونغ ، مذكرة الشاذلي المكي إلى المؤتمر [الطبعة الثانية] .

4 . تاريخ حاضرة قسنطينة لأحمد بن المبارك بن العطار القسنطيني .

المجلد التاسع:

ـ تاريخ الجزائر المعاصر [دراسات ووثائق ، وثائق جديدة وصور نادرة تنشر لأول مرة] [الطبعة الرابعة والخامسة] .

المجلد العاشر:

دراسات في الفكر الإسلامي المعاصر : ويتكون من كتابين هما :

1 ـ حركة الإخوان المسلمين وبداية المشروع الإسلامي في العصر الحديث .

2 ـ دراسات في الفكر الإسلامي المعاصر .

المجلد الحادي عشر:

قضايا ومواقف في الأدب والتاريخ : القسم الأول .

المجلد الثاني عشر:

قضايا ومواقف في الأدب والتاريخ : القسم الثاني .

المجلد الثالث عشر:

"تعليم الجزائريين في العهد الاستعماري من خلال الوثائق الأرشيفية" [باللغة الفرنسية] ، مع ملحق أساسي حول مذكرة نادرة لم تُنشر ولم تعرف عند الباحثين ، أُعِدَّت من طرف دائرة الإعلام والتوثيق بحكومة الجزائر العامة تحت عنوان : **"ردُّ على عريضة الشاذلي المكي حول المسألة الجزائرية عام 1951م"** .

L'instruction des Algériens au temps de la France coloniale d'après les documentes d'archives suivie de la "Réponse au Factum de Mekki Chadli

Sur la question Algérienne 1951".

خامسا/ مؤلفات تحت الإعداد:

وللمؤلف تحت الإعداد مجموعة من المشاريع والكتب التالية :

1 ـ الفكر السياسي بالغرب الإسلامي في عهد المرابطين .

2- تجارب في الرحلة :

أ ـ الرحلة المصرية .

ب ـ الرحلة الدمشقية .

ج ـ أمريكا التي رأيت [رحلتي إلى أمريكا ، أوت 2006م] .

د ـ يوميات باحث جزائري في فرنسا [رحلتي إلى فرنسا ، 1993/1996م] .

هـ ـ الرحلة الحجازية

و ـ الرحلة المغربية .

ز ـ الرحلة التونسية .

حـ سبعة أيام في فرنسا .

3 ـ بلاغة العرب في الجزائر للأستاذ عثمان الكعاك ، تقديم وتحقيق .

4 ـ الإمام عبد الحميد بن باديس وأزمة التخلف الحضاري في الجزائر [تأليف] .

سادسًا/ الإشراف ومناقشة الرسائل العلمية:

كما ناقش وأطَّر المؤلف عديد الأطروحات والرسائل في قسمي الماجستير والدكتوراه . بجامعات وكليات وأقسام عديدة عبر الوطن .

سابعا/ وحدات البحث:

شارك المؤلف في وحدات بحث أهمها :

1 ـ معجم الفقه المالكي من خلال رسالة أبي محمد بن أبي زيد القيرواني [العمل منجز] .

2 ـ معجم أعلام التربية والتعليم والتدبير بالمغرب من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن العشرين ، معجم أعلام ، [العمل منجز] .

3 ـ الفتاوى والتاريخ [تاريخ الغرب الإسلامي من القرن السادس إلى القرن الخامس عشر الهجري من خلال الفتاوى الفقهية ، والمشروع الآن منجز [2014م] .

28 جمادى الثانية 1435هـ/28 أفريل 2014م

https://albordj.blogspot.com